أنت تسأل والإسلام يجيب

لفضيلة العلامة الشيخ

محمد متولي الشعراوي

تحقيق

د. محمد محمد عامر

ماجيستر في الفلسفه و العقيدة

دار القدس

للطبع والنشر والتوزيع

ت: ٠١٢٢٢٦٣٣٨٧٥ - ٠١٢٣٩٥٥٧ - ٠١٢٣٣٣٢٤٤٣

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

تصريح النشر

سامى محمد متولى الشعراوى

رقم الايداع ١٩٩٧/ ٢٠٠٣

أهداء

اعـتـرافا بالـفضل لأصـحـاب الفـضـل، ولأهل العلم والمعرفة والمبادئ، الـدالين على الخير أينما وجد، الذين يمدون يد العون والمساعدة .

نقدم إليهم هذا الإهداء.

إلى الإستاذ / محمد عارف

وإلى الأستاذ/ سامى محمد متولى الشعراوي

الناشر

حسن محمود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

الحمد لله الذى أكمل لنا الدين ، وجعله شرعة صالحة خالدة للعالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبى الرحمة المهداه للثّقلين، الموصوف بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم.

وبعد:

فإن خير ما يؤتاه المؤمن بعد إيمانه بالله ورسوله وبعد العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ هو الخلق الحسن ، فالخلق الحسن مع إيمان وعلم يورثان العبد أعالى الدرجات ، وفسيح الجنات ويجلبان للعبد عظيم المحبة والمودة فى دنياه مع البشر كذلك فضلا عن محبة الله سبحانه وتعالى ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة:١١) وكل ذلك قد وجدنا الداعية الشيخ الشعراوى يركز عليه ، ويحث على الولوج فيه ، وينهى عن سيئ الأخلاق ومذمومها ، وحين تطالع الكتاب لاتقدم المشاعر النبيلة ، وأخلاق الحميدة ، فكل كلمة كتبها الرجل تَحس بها شوقا للجنة ، وأخرى طربا للنعيم المقيم.

وتتضح موسوعية الشيخ رحمه الله فى اعتماده على أكثر من منهج ، فهو ينتقل عن أئمه الحديث والفقه، وتفسيرات الصحابة والتابعين ، ومشايخ عدة من الصوفية ، تظهر أيضاً براعته اللغوية حين ينقل الشعراء الذى يطرب له القلب.

علمنا فى الكتاب:

١- خرجنا الأحاديث النبوية.

٢- عزونا الآيات القرآنية إلى سورها.

٣- شرحنا بعض الكلمات الصعبة.

٤- نقلنا بعض الآراء الفقهية .

وأخيرا . . . فإننا نسأل الرحمن مغفرة ، وأن يعافينا من كل سوء وتقصير . . . آمين

محمد محمد عامر

كلمة الناشر

الحمد لله الـذى تقدست ذاته ، وجلت صفاته ، وتعـالى أسماؤه ، وعظمت آلاؤه له صفـات الكمال كلها والجـلال ، لا يعلو فوق سلطانه سلطان ، فـهو ذو الفـضل والإنعام تـفرد فى عليـائه ، واستـوى على العرش فى سمائه ، سـبحت بحمده الكائنات جميـعاً ، وأقر له الكون بتـمـام الوحـدانية ، وأصلـى وأسلم على رسـوله الكريم ، الذى أدى الأمانـه ، وبلغ الرسالة ، ولم يبـخل على أمتـه بشئ من التحـذير من سيئ الأعمال ، وزادهم بشرى فى رحمة الرحمن .

أما بعد :

إن من دواعى سـرورى وسعـادتى أننا نقـدم للأمـة الإسـلاميـة هذا الكتاب الذى بين أيدينا فى ثوبه الجديد ، أما الكتـاب فهو يشمل معظم الأمور التـى تهم المسلمين ، ولهذا أردنا أن نخـرجه مـساهمة فـى نشر الدين ، وإحياء لتـراث الإمام الشيخ الشعراوى ، وداعـية قرنه ، ذلكم الرجل الذى أحبه الكبير والصغير ، العالم والجاهل ، الملك والحقير ، فقد أحـبه المسلمين لحب الله إياه نسأل الله القـبول وأن ينفع به كل من يقرأه أو يدرسه . . . آمين .

الناشر

تخلف الدول الإسلامية

س : نلاحظ على مسرح العالم أن الدول الإسلامية ما زالت متخلفة رغم أنها تلهث بكل قواها لتلحق بركب الحضارة، في الوقت الذى تتقدم فيه الدول غير الإسلامية سريعاً على سلم الابتكار والاختراع والعلم. فما هو السبب فى ذلك؟

جـ : الإسلام قبل كل شئ هو سلوك.. فالإنسان المسلم يجب أن يسلك سلوك الإسلام.. لكن كثيراً من الناس لا يفعلون ذلك.. بل إن بعض المسلمين الذين يعيشون فى بلاد غير إسلامية تجرهم تلك البلاد بعاداتها وتقاليدها.. فيبتعدون عن الإسلام.

وفى الكون أشياء تفعل ذلك ، وأشياء تنفعل بك ، فالشئ الذى لك يستوى فيه الناس جميعاً ، كافر ومسلم ، هذه الأشياء هى كالشمس مثلا، الشمس تشرق ولا تخصُ بنورها كافراً أو مسلماً ، أو شاكراً لله، أو جاحداً بنعمته .. كلهم سواء ..والهواء تتنفسه كل الكائنات الحية دون أى تمييز ..والماء يُشْرَبْ منه كل كائن حى بصرف النظر عن دينه وعقيدته.

نأتى بعد ذلك إلى الأشياء التى تنفعل بك .. وارتقاء الإنسان فى الكون يتم فيما ينفعل بك ، لا فيما يفعل لك .. إن ما ينفعل بك إن فعلت فيه ينفعل .. إن حرثت الأرض حرثاً جيداً ، ووضعت البذرة ، ورعيتها رعاية جيدة ، تعطيك ثمراً جيداً ، ومحصولا وفيراً . إن بحثت عن المعادن الصالحة لحياة الإنسان فى باطن الأرض تعطيك معادنها .. وإن لم تفعل فإنها لا تنفعل معك ،والمجتمع الذى لا يقوم بجهد مع الأشياء التى تنفعل للإنسان فى الأرض لا يتقدم ، ويظل متأخراً..

وهنا يحدث الخلاف بين ارتقاء عدد من الناس ، وتخلف عدد منهم . ويحدث هذا الخلاف منهم . ويحدث هذا الخلاف فى التعامل مع الأشياء الموجودة فى الكون ، والتى تنفعل بك .. ولا دخل للدين فى هذه المسألة.

ولقد جعل الله ما على الأرض زينة لها ، ليجذب الإنسان إلى العمل، فما هى الزينة فى حقيقتها ؟.

هى ما يُخْلَع على ذاتيات الأشياء ليجعلها أكثر جاذبية ...فزينة الأرض أن تصبح أكثر جاذبية للإنسان ليعمل ، فالإنسان حين يرى حديقة جميلة يتمنى أن يصنع مثلها ، فتكون هذه الزينة حافزاً للعمل . فكأن الله قد جعل ما على الأرض زينة لها ليجذبنى إليها.

وبعد ذلك ، هل تكون هذه الزينة هى الغاية ، أم لا تكون ؟ وهنا الابتلاء .

الله تعالى يقول : ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ﴾ .أى طلب منكم عمارتها .. وزينة الأرض حافز على العمران .. وهى من أثرين : آثار خلق الله ، والطبيعة التى وهبها الله لنا ، وآثار ما فعله الإنسان بما عمله الله إياه ليضيف جديداً إلى ذلك.

وعندما نقرأ قوله تعالى : ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أى : أعطيناه أسباب المنعة والقوة والحكم فى الأرض ، ولكنه لم يقتصر على ما أوتى ، بل أتبع ذلك بسبب فيما ينفعل له .. وقد قال الله لنا ذلك ليقول لنا : إن الإنسان مهما يعطى يجب ألا يكتفى بما أعطى له ولا يفعل شيئاً .. بل يجب أن يأخذ هذا العطاء ، ويعمل من أجل أن يضيف إليه ، وينفعل به ، مع العناصر التى خلقها الله لتنفعل بعمل الإنسان فى الأرض.

فلا بـد أن نعطى عطاء للكون ، وإلا أصبـحت الحيـاة جامـدة وغيـر متحركة ولا متطورة ، وتوقف نمو الحياة وتطورها ، إذ أن الحياة لا تتطور رلا من إضافة الإنســان من ذاته ما ينفعل به مع بيئـته ومع الكون ليصنع شيئاً جديداً .

فإذا كان هناك تخلف فـى الدول الإسلامية، فالإســلام نفسه برئ من هذا التخلف ، لأنه وضع أمامنا كل الأسبـاب الداعية إلى الرقى والتقدم وطلب منا العمل فى الحياة الدنيا ، حـتى تتحقق لنا ثمرة هذا العمل . . فإذا كنا قد تركنا أسباب التـقدم التى هى موجودة فى الإسلام فليس هذا عـيب الإسلام ، وإنما العـيب فى عدم تطبـيق تعـاليم الإسلام التطبـيق الصحيح السليم .

س : وما هو السبب الرئيـسى لقعود المسلمين عن تنفيـذ تعاليم دينهم فيما يتصل بالتقدم العمرانى ؟ .

جـ : هو الخطأ فى تفسير «التوكل» على الله بأنه دعوة إلى عدم العمل والجهاد . . بينما هو فى الحـقيقة دعوة للجهـاد والعمل ، والتأكد من أن النتيجة طيبة . . لأن الله تعالى يبارك هذا العمل، ويبارك هذا الجـــهـاد الصـادر مـن قلب المؤمن . . ولكن بـعض الناس يريدون أن يضيفوا إلى الدين مـا ليس منه . وإذا كانت المسألة أن نتـرك كل شئ لله ولا نعـمل ، فلست أدرى لماذا يتـخلى هؤلاء الناس عن مبدئهم فى أبسط الأشياء وهو الطعام والشراب . . فإذا عطش فهو يقوم ليشرب ، وإذا جاء الطعام يأكل ويبذل جهداً فى تناول الطعام . . لماذا لا يترك كل هذا لقدرة الله .

إذا كـان المطلوب هو عدم العـمل ، وعدم بذل أى جـهد للإنســان ، فلماذا يأتى إلى النقطة بالذات ويضيف عملا جديدا ؟

❊ ❊ ❊

تعقيب :

العمل فى الاستكثار من زينة الحياة الدنيا يقصد به الإسلام إلى أن تعود ثمرته على المجتمع كله، وعلى إعداد القوة لمجتمع الإسلام. . أما أن يعمل المسلم فيه بمنطق الفردية والاكتناز فهو عمل تجريبى للدين والمجتمع جميعاً.

❊ ❊ ❊

الناس نيام

س : يقول رسول الله ﷺ : « **الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا** »(١). مع أن الظاهر هو العكس . . فما معنى الحديث إذن ؟.

جـ : معنى الحديث : أن الناس نيام عما ينتظرهم فى الآخرة بعضهم يصدق بيقين، وبعضهم يصدق بشك ، وبعضهم يكذب، ولكنهم جميعاً سيصلون إلى مرتبة اليقين بعد الموت ، ويرون كل شئ عين اليقين ، وحينئذ ينتبهون ويحسون بأنهم جميعاً سيرون النار ، ويمرون عليها ، ويشهدونها ، فمن زُحْزِحَ عن النارتجنب عذابها ، ومن قُضِيَ له بها نال قضاء الله .

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه ابن الجوزى فى صيد الخاطر فصل الناس نيام.

الحنفاء (١)

س : نسمع عن طائفة كانت فى العصر الجاهلى تسمى باسم « الحنفاء» كانوا يرفضون السلوك الجاهلى . فمن هم الحنفاء باختصار ؟.

جـ : كان الحنفاء ناساً صلحاء ، أو لم يلتفتوا إلى أقدار الجاهلية والمسائل التى لم تكن تعجبهم كانوا يبتدئون بالحق فيها . . قالوا: لسنا على سداد رأى ، أهذه الأصنام التى نج إليها، وإذا انكسر صنم المسامير أحضرنا أصلحناه. . وبعد ذلك نكف علي عبادته ؟ هذه مسألة غير طبيعية . . هؤلاء هم « الحنفاء » وكان بعضهم يقول : سأذهب فى الأرض أبتغى الدين الصحيح . . ويقول آخر : سأفكر حتى يأتينى الفرج . . وبالاختصار ، كان الحنفاء قلقين من سلوك الجاهلية.

* * *

(١) الحنفاء : القوس ، والموس ، وفرس حنيفة بن بدر ، وما لبن معاوية ، والحنيف ، تأمير ، الصحيح الميل إلى الإسلام ، الثابت عليه ، وكل من حج ، أو كان على دين إبراهيم ﷺ ، وتحنف : اعتزل عبادة الأصنام.
وقال صاحب لسان العرب : والحتيف : المسلم الذى يتحنف عن الأديان أى يميل إلى صاحب الحق ، وقيل : هو الذى يستقبل قبلة البيت الحرام على ملة إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، وقيل هو من أسلم فى أمر الله فلم يلتو فى شئ ، وقال أبو عبيدة فى قول عز وجل : «بل ملة إبراهيم حنيفاً» قال : من كان على دين إبراهيم ، فهو حنيف عند العرب .

الإسلام والسيف

س : نريد حجة قصيرة وقوية ترد الادعاء بأن الإسلام قد انتشر بالسيف؟ .

جـ : انتشر الإسلام بين الضعفاء ، ولم ينتشر بالأقوياء . . لذلك عندما يقول أحدهم : إن الإسلام انتشر بالسيف نقول له هذه حجة مردودة . . إذا كان الإسلام انتشر بالسيف ، فمن الذى حمله ؟ من الذى حمل هذا السيف ؟ كان يصح ذلك لو أن محمداً ﷺ جاء ومعه سيف ، وأجبر به الناس على أن يؤمنوا ، ولكن الذين آمنوا به كانوا هم الضعفاء . . فأنا أتكلم لا فى السيف الذى حُمِلَ ، ولكن عن الذى حَمَلَ السيف .

على فرض أن انتشار الإسلام كان بالسيف : من الذى حمل السيف ؟ هم الضعفاء .

فالمسألة : ما الذى جعل الضعاف يقوون على حمل السلاح ؟ هذا هو موضوع المناقشة .

إن القضية أن مبدأ تحقق الإسلام إنما جاء ليعرض مبادى ، لا ليحمل السيف .

* * *

التكافؤ بين الزوجين

س : ما هى حدود التكافؤ الشرعى بين الزوجين ؟ ولماذا اشترط هذه التكافؤ فى عقد الزواج؟.

جـ : قال الإسلام بالتكافؤ بين الزوجين . .وليس معنى التكافؤ فى النظرة الحمقى كما يريدها كثير من الماديين . . أن يكون التكافؤ فى جواهر الأشياء لا فى أعراضها . . تكافؤ نفسى . . تكافؤ صحى . . تكافؤ خلقى. . تكافؤ قيمى . . والإسلام يضع هذه المسألة نصب عينيه قبل أن يبدأ ظهور الأبناء ، لأنه يريد أن يضمن للوليد وعاء صالحاً ينتج منه ذلك الولد ، هذا الوعاء الصالح سيحمل بقانون الوراثة فى نوعية أى فى أبويه صفات ، وهذه الصفات هى التى ستكون محور التربية فيما بعد. .

ولذلك يقول رسول الله ﷺ « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس »(١).

* * *

(١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان حديث (١٠٩٧٤) ، وابن ماجة كتاب النكاح ، باب الأكفاء حديث (١٩٥٥٨) بلفظ «تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم».

نحو قوة الأجيال الإسلامية

س : هل شرع الإسلام ما يضمن أجيالا قوية لمجتمع الإسلام وما هى هذه التشريعات ؟.

جـ : أرشدتنا السنة النبوية إلى أن نتجنب القريبات حين نريد الزواج، لأن القريبات حين يتزوج منهم الإنسان يؤول أمر النسل إلى الضعف ، أما إذا اغترب فإنه يؤول أمر النسل إلى القوة ، ولذلك يقول رسول ﷺ: « اغتربوا لا تضووا »[1] أى لا تضعفوا . . وفى العلم التجريبى الحديث أجريت التجارب فى عالم النبات علي أن يكون النوعان بعيدين ، وحصلت نتيجة سرة ، أتت من الذرة فى أمريكا أضعاف ما كانت تؤتيه من قبل تفرق الذكورة والأنوثة.

والتجربة التى أجريت يسمونها « تربية التهجين » أى : كلما ابتعد الجنسان : الذكورة والأنوثة كانت الحصيلة أقوي.

من هنا نلمح أن القرآن حين حرم زواج الأمهات والبنات والأخوات وغيرهن إنما حرص علي أن يوجد النسل القوى . . .وإذا ما ابتعد الإنسان بهذه القرابة كان معناه إيجاد نسل قوى ومن هنا شاع على ألسنة العرب قولهم أنصح من كان بعيد الهم تزويج أولاد بنات العم

وقولهم فى وصف الشجعان :

فتى لم تلده بنت عم قريبة

فيضوى وقد يضوى سليل الأقارب

---

(١) انظر : المغنى لابن قدامة فصل استحباب اختيار ذات الدين لمريد التزويج . ويرى ابن قدامة أنه ليس بحديث ولكن قول مأثور .

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾
هذا هو المطلوب

﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ .

وهذا هو الوصف.

فإذا رأيت قصة من أسباب النزول فلا تعتقد أن السبب هو المنزل ، بل السبب هو المنهج لانطلاق المبدأ. . كما تحدث حادثة فردية ، فيقينت من أجلها قانون . . فالقانون ليس خاصاً بالشخص ، ولكن القانون خاص بمثل من وجد فى ظروف هذه القضية.

* * *

هدف الحواجز المادية للجهاد

س : كيف ربى الإسلام الرعيل الأول من المجاهدين هواة الاستشهاد؟ وما الحافز الذى دفعهم إلى إخلاصهم لمبدئهم ؟

جـ : حينما يتكلم الحق سبحانه وتعالى عن الكفار ويتكلم بالنار. وحينما يتكلم عن المؤمنين يتكلم بالجنة . . ولم يتكلم فى السور المكية عن يوم ينتصرون فيه إلا لماما ، كقوله تعالى :

﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾

وقوله

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾

هذه عملية فيها ترتيب الفائدة، .كيف ؟ لأن الله لا يريد من المؤمن أن يستقبل منهج الله على أنه سينصره فى هذه الدنيا . .يريده يطرح هذه

الدنيا من حسابه.. لذلك فى مبايعة رسول الله ﷺ فى بيعة العقبة فإن الأنصار قالوا له : فماذا لو فعلنا ذلك ؟ قال : «لكم الجنة» ولم يقل لهم : إنكم ستنصرون ويكون لكم كذا وكذا ، لأنه فى وقت التربية ، تربية الجنود للمبدأ.. لا يريد أن يدخل الدنيا فى حسابهم أبداً..

وإن أدخلها فى حسابهم بعد ذلك قوله تعالى :

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ .... وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾

ولكن لا على أن هذا هو الجزاء ..لكى لا يدخل المؤمن الدنيا فى حسابه أبداً .. ولا فى منهجه أبدا..

س : ولكن لماذا جاء فى السور المدنية بعض الحوافز الدنيوية علي الجهاد ؟.

جـ : لأن العقيدة كانت قد تربت ، ودخل الناس الدين على أنه رافض للدنيا من حسابهم ، فليست هذه الحوافز المادية هى الجزاء، ولكن هناك منهجا للسماء يريد الله أن يطبقه على الأرض وأنتم مخرجون لقيادة الناس ، فإن حصل نصر فلا تعتقدوا أننى أريد أن أجازيكم به على إيمانكم ..فكأن ما يحدث لكم من الغلبة والفتح والنصر ليس ثمناً ، لماذا ؟ لأننا ربيناكم على أن هذه الدنيا مطروحة من حساب المؤمن.

وإنما نصرهم الله ليحمولا منهج الله إلى كل الأرض ، وليكونوا ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ..فحين يربى المؤمن على أن الدنيا ساقطة من حسابه يدخل المعركة وليس فى باله إلا هذه الغاية ..وما دام ليس فى باله إلا هذه الغاية لا يذل أبداً.

* * *

لهذا أسلموا

س : ما زال المثقفون من الغرب يعتنقون الإسلام من تلقاء أنفسهم ، ودون أى توجيه تبشيرى من جانب المسلمين ، فما السبب فى هذه الضاهرة؟ .

جـ : إنهم يعتنقون الإسلام عن اقتناع ، فقد يكتشفون أثناء قراءتهم معنى من معانى الإسلام يرجحه فى قلوبهم فيسارعون إلى اعتناقه . . .

لقد قال لى أحد هؤلاء : لقد درست الإسلام ، إنه رسالة الحق ، وإن محمدا رسول الحق لشئ واحد . . فكل كاذب له هدف من وراء كذبه . . والهدف من وراء الكذب لمن يدعى أنه رسول : أن يريد أو يحكم هؤلاء الناس الذين يدعوهم إلى الدين الجديد . . وإلا فما هو الهدف الذى يسعى إليه ؟

ولقد عُرِضَ على رسول الله ﷺ فى أول أمره بدون تعب أن يكون ملكاً على قومه فرفض ، وعرضت عليه الثروة والجاه والسلطان ، وكل ما تستطيع الدنيا أن تهبه ، كل ذلك وهو فى أول الطريق ، ولكنه رفض كل هذا . . إذن هو قد رفض الغلبة التى يكذب الناس من أجلها وهو فى أول الطريق .

وأحيانا تكون المثل عند الإنسان أكبر من حجم الدنيا ، لأنه لم يذق حلاوة الدنيا ، ولكنه بعد ذلك حينما تدخل عليه الدنيا قد تغير من مثله وقيمه . .والرسول ﷺ جاءته الدنيا بعد ذلك ، ليس له وحده ، وإنما له ولذريته ، فقال لا لنفسى ولا لذريتى «**لا نورث ، ما تركناه صدقة**» . فإذا كان هذا خلقه ، فلا بد أن يكون صادقاً

وتحليل آخر أعجبنى لسيدة أسلمت .قالت :

إننى قرأت كثيراً عم هذا الدين . . ووجدت أن محمداً كـان يحرسه أصحابه مـخافة أن يعتدى عليـه . . فأتى يوماً وقال لحـراسه اذهبوا عنى فقد تكفل الله بحراستى ، مصدقاً للآية ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

فلو أن هذا الرجل يخدع الناس جميعاً ما خدع نفسه فى حياته . . وما عرّض نفسه للعـدوان عليه. . ولو لم يكن واثقاً من أن الذي قال له هذا الكلام هو الله سبحانه وتعالى ، وهو قادر على أن يحميه ويعصمه ، لم يكن ليصرف حراسه عن حراسته

وقصة ثالثة عن رجل مستشرق شهر إسلامه وقال :

إن الناس الذين يُكَذِّبون محمداً فى أنه رسول يقولون : إنه أتى بالقرآن من عنده. . وأنا أتحدى أن توجد عـبقرية تصنع لنفسـها ثلاثة أساليب من الكلام :أسلوب يقـال عنه :القـرآن وأسلوب يقـال عنه حـديث قـدسى وأسلوب يقال عنه حـديث نبوى شريف : لا أحد من البشـر يستطيع أن يصنع لنفسه هذا . . ثلاثة أساليب متميزة ومختلفة وبهذه القوة والقدرة.

* * *

من أعاجيب السلوك

كثير من الناس يناقش القرآن والدين بشكل عقلانى ، ويترك الأساسيات ، ليبحث عن أشياء يستخرج منها إساءة للدين. .وهؤلاء يثيرون العجب . .لأن سلوكهم مع البشر - للأسف الشديد - يختلف عن سلوكهم تجاه الله . .فأنا إذا مرضت مثلا ، ذهبت إلى الطبيب ليعالجنى . .وعندما أثق فى الطبيب وسمعته وخبرته أسلم قيادى إليه. .فيصف لى الدواء . . وآخذ نصائحه قضايا مسلمة. .

فإذا جاءنى صديق يزورنى وسألنى : ما هذا الذى تتناوله ؟ أقول له : إن هذا دواء قد كتبه الطبيب لى . فلا يناقش ، ولا يتكلم . . وإنما يسلم بالأمر.

فإذا كان هذا يحدث مع الطبيب وهو بشر . . فماذا يحدث مع الله سبحانه وتعالى ؟ إذا كنا متأكدين من وجوده ، فلماذا نريد أن نناقش كل شئ ؟ !!!

- ولكن بعض الناس قد يخدعون ، وبعض الكلام والمبادئ التى توضع فى قالب معسول لقلب حقائق هذا الدين قد تصل إلى عقول الناس. .وهناك بعض الذين جعلوا هدفهم النيل من هذا الدين بالباطل.

- إن هؤلاء الناس موجودون ، وسيظلون موجودين . . ولذلك أن هناك حكمة فى وجود الشر بجانب الخير . . فالشر هو الذى يغرى بالخير . . ولذلك نجد أن الوعى الدينى فى بلد ما قد يظل خامدا حتى يهاجمه أمثال هؤلاء فتجد الجميع قد هب للدفاع عن حقائق الدين . . لأن الخير لو ظل راكدا فى النفوس بدون ما يهيجة فقد يبهت . . بدليل أننا مثلا فى بعض الأمراض نعطى المريض جرعة من ميكروب نفس المرض حتى نربى عنده المناعة . . وإعطاء الميكروب شر ، لكنه فى نفس الوقت يؤدى رسالة الخير فى إحداث المناعة عند الإنسان .

جزاء الإحسان

س : نحس أننا فى كثير من الأحوال نعمل الطيبات مع الناس، فيكون جزاؤها الإساءة . . ونحن حائرون لا ندرى ، كيف تفعل الطيب، ثم نواجه بالخبيث ؟ .

جـ : هناك نوعان من الإحسان : نوع تبتغى به وجه الله تعالى ، ونوع تبتغي به وجه الإنسان .

النوع الأول وعدك الله عليه الحسنة بعشر أمثالها . . فأنت حين تقدم الإحسان للناس مبتغيا وجه الله تعالى ، فإنك ستحصل على جزائك من الله : الحسنة بعشر أمثالها.

ولكن بعض الناس يقدم الإحسان مبتغيا رضاء البشر لا رضاء الله . . فهو يُحْسِنْ إلى ذلك الإنسان لأنه مخلص له ، أو لأنه ينفق ، أو لأن عنده خدمة يريده أن يؤدها له ، أو لأن له غرضا آخر ، بأن يطوق عنقه بجميل أو ينال منه شيئاً . . ذلك الإحسان ليس لله فيه شئ . . فأنت قمت به إرضاء البشر . . إرضاء للإنسان.

وإذا كنت تفعل شيئاً إرضاء لإنسان فيجب أن تنال جزاءك من البشر . . والإنسان خلق ظلوما . . ومن هنا فإنك لا تستطيع وأنت تبتغى رضا الإنسان أن تطلب الجزاء من الله . . لأنك لم تفعل ذلك ابتغاء مرضاه الله . ولا فكرت ثانية واحدة فيما يرضى الله أو يغضبه . . إنما كان كل همك أن ترضى بشرا . . ومن هنا كان الجاء من نوع العمل . . جزاء بشريا.

فالإحسان حين تريد به وجه الله جزاؤه الإحسان ، والحسنة بعشر أمثالها ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ . . فما دام لوجه الله ، وما دمت لا تريد جزاء من بشر ولا

شكرا ، فإن ما تناله هو الإحسان فى الدنيا والآخرة . .

ولكنك إذا أردت بهذا الإحسان بشرا ، وأردت به رضاء بشر . . فإنك لا تطلب رضاء الله فجزاؤك من الناس يخضع لمقاييسهم وأخلاقهم . . والإنسان الذى أنعم الله عليه بنعمة الحياة والرزق والأمن وكل نعيم الدنيا الذى لا يحصى ، أحيانا يكفر بخالقه ، وواهب الحياة له ، ومعطيه كل هذه النعم . . فما بالك إذا كنت أنت تحسن إليه إحسانا محدودا ، وتريد منه الجزاء عليه؟

* * *

هلاك العالم قبل يوم القيامة

س : يقول الله تعالى : ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ . ويفسر بعض الناس هذه الاية على أن كل قرية فى الدنيا ستهلك يوم القيامة فهل هذا التفسير صحيح ؟ .

جـ : عندما نستعرض حضارات الأرض ، نجد أنها تقوم على سبب اقتصادى . . وأحيانا تقوم على أساس عسكرى . . وثالثا على أساس علمى . . المهم أن الحضارة نظام أو منهاج أو طريق للحياة استولى على أسباب التمكن فى الأرض . . وأحيانا يكون الاستيلاء بالقوة ، دون أن تكون أسس الحضارة نفسها ومقدماتها موجودة ومتأصلة .

وهناك حضارات كانت تملك بجوار القوة والمنعة التى مكنتها من أن تسود فى الأرض أساسيات الحضارة نفسها . . والتاريخ شاهد على ذلك .

فإذا كانت أى حضارة أو أى أمة تسود . . فالمفروض بعد أن سادت ونمت أن تؤصل نفسها ، وتثبت بنياتها حتى تبقى شامخة على مر التاريخ . . لا يستطيع الزمن أن ينال منها خصوصا إذا كانت هذه الحضارة تملك الأساسيات التى تجعلها متقدمة وسابقة لكثير من الأمم

ولكن الذى يحدث : أن كل حضارة تقوم تأخذ فترتها وتزول بعد ذلك . . مع أن هذا ضد منطق الأحداث . . فالذى أقام حضارة من لا شئ وتمكن فى الأرض ، أسهل عليه أن يثبت ما استطاع أن يصل إليه، فإذا كان قد أنشا فعلا حضارة من لاشئ ، واستطاع أن يسود - وهذا أصعب شئ - فإن الإحتفاظ بهذه الحضارة - وهو سيد الأرض - يكون أسهل.

ولكن الحقيقة غير ذلك . . فإذا رجعنا إلى التاريخ نجد أن كل حضارة لها عمر ، وتنتهى كالإنسان تماما.

س : نريد أن نعرف أسباب الشيخوخة التى تعترى الحضارات ؟

جـ : الحقيقة أن الذين يقومون بإنشاء الحضارات يدخلون على الحضارة وهم يعلمون بجد وإخلاص ، وعندما يصلون إلى القمة الحضارة يتخلون عن هذا الجهد والاجتهاد . . ويتركون المثل التى قامت عليها الحضارة من تضحية وشجاعة وعمل . . ويبدأون فى التنعم بما قدمته لهم الدنيا التى تمكنوا منها ، وينحرفون عن طريق العمل إلى طريق المتعة والاسترخاء . . والظلم الإجتماعى . . فتضيع منهم الحضارة . . وتزول عنهم أسباب التمكن فى الأرض . . وتكرار الحضارات عبر التاريخ خير شاهد على ذلك.

* * *

س : إذن ما هو الأصل التى تهدف إليه الآية الكريمة؟.

جـ : تهدف الآية الكريمة إلى بيان : أن الله تعـالى يقول للعالم : من الممكن أيها الإنسـان أن تأخذ أسباب التـمكن فى الأرض بجدك وإجتهادك . . ولذلك نجد أن مـؤسسى الحضارات هم أناس تفانوا فى الحق ، وفى الإخلاص لما يؤمنون بـه ، . ثم يأتى من بعدهم قوم لينعـموا بهذه الحضـارة . . هؤلاء القوم ورثوها بلا تعب ولا جهاد ولا مثل ، وجدوها هكذا أمامـهم توفر لهم أسباب الترف والعبث . . وتختفى المثل التى قامت عليها الحضارة ليحل محلها متاع بلا حدود وتبدأ الحضارة فى الإنهيار . .بل يستخدمونها فى الفساد .

أما الذين أنشأوها فلم يتمتعـوا بها ، وظلوا طوال حياتهم كادحين من أجل بنائها . . أما الفـساد فيأتى على أيدى من بعدهم . . ممن لم يتـعبوا فى إقامتها فتنهار الحضارة . . وهذا أصل عمرانى تقرره الآية

هذا الأصل هو : أنه ما من حضـارة تقوم فى هذه الدنيا إلا وهى إلى الزوال . . ستزول لأن الذين يؤتون أسباب هذه الحـضارة سينحرفون عن الطريق . .ويلجأون إلى الفساد .

وإذا نظرنا فى تاريخنا الحديث وجـدنا أنه ما من بلد يسود فيـه الفساد إلا هلكت حضارته ، أو أصيـب بعذاب شديد . . وذلك لأن الأمان فى الدنيا هو فى اتباع طريق الله . . وليس الأمان بمقاييس يستطيع الإنسان أن يضعها مهما وضح فكره ، وحدد مقايسة ، وفكر ودبر . .

* * *

- نريد مثالا علمياً حاضراً على ذلك .

- لعل ما حدث فى لبنان أخيرا خير شاهد على ذلك . . كانت لبنان قمة الأمان ، وتحولت إليها رءوس الأموال وكان كل إنسان يريد أن يكون آمنا على نفسه وماله يذهب إلى هناك . .ثم ماذا حدث ؟ انقلب الأمن خوفا . .وذلك لأنه آمنا بمقاييس الدنيا ، لا بمقاييس الآخرة.

* * *

أين هو منبع السعادة؟

س : يقر الإسلام أن أمد الدنيا محدود. . ولهذا لا يصح أن نعطيها فوق قيمتها . . وهنا قضية حدثت فى بيت النبى ﷺ حين استتب الأمر، وكثرت الغنائم ، فحب أمهات المؤمنين أن يعشن عيشة فيها زخرفة الدنيا وبهجتها . . نريد ضوءاً على هذا الحدث يكشف عن نبع السعادة الحقيقى للإنسان المسلم ؟.

جـ : نزل قول تعالى ﴿ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً* وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

اعلاما بقضية الدين . . وصيانة لها . . وحملا للناس عليها . . فالجزاء هو الجنة . . ومن يريد ثمنا غير هذا فقد أرخصها. فالذين تيأسون برسول الله ، وبحياة رسول الله ، يجب ألا يغيب عنهم هذا القول ، لأنه إذا غاب عنهم سيتعبون فى الحياة الدنيا . . وسعادة الإنسان لا تنبع مما حدث ، ولكن تنبع من داخله ومما فى أنفسهم ، لا مما هو خارج عن أنفسهم فقد يحدث حدثان متشابهان لشخصية ، فإذا أحدهما سعيد راض بما حدث ، وإذا الثانى شقى تعث بما حدث ، مع أن الحدثين واحد ، ولشخصين ظروفهما متشابهة.

مثلا ، يحدث أن يتقدم شخصان متشابهان إلى صنعة معينة ، أو شراء شئ معين بقصـد التجارة . . وتفشل العـملية . . وأحدهما يكون شـقيا يلعن حظه والحـياة . . وذلك هو من يـريد الدنيا ، فـهو مـؤمن بقصـر نظره، وعدم علمه . . وتفضـيله العاجل على الآجل . . والعائد السريع القليل على العـائد البعيـد الكثير الوفـير . .ذلك الإنسـان يرى الدنيا من ظاهرها ، ويؤمن بأنه هـو الحكم الوحيـد على مـا يحـدث من خيـر أو شر . . ومن هنا يحكم بأن ما حدث له هو شر ، فتضيق نفسه ، وتضيق الحياة في وجهه ، ويعصف بقلبه السخط والتبرم والتشاؤم.

ورجل آخر له نفس الظروف . . ولكنه يحترم قدر الله فيه . . ويعرف أنه مـهمـا أوتى من العلم فقـد أعطى القليل . . وأن علم الله لا تدركـه العقول ولا الأبصار . . ومن هنا فهو يؤمن أن ضـياع هذه الصفقة شر أراد الله أن يبعده عنه ، لا أن يلحقه به كما فهم صاحبه . . لأنها لوتمت فربما أدت إلى أحـداث لا يتمناها . . ومن هنا فنفـسه راضيـة . . وقلبه مطمئن إلى قضاء الله . . ويعرف أن الله قد ادخـر له في المستقبل ما هو أحسن من هذا وأكثر خيرا . . ويعـرف أنه باحترام قدر الله فيه إنما يكون من أهل الجنة الذين فازوا الفوز العظيم

❊ ❊ ❊

حفظ القرآن .. والمحافظة على القرآن

س : حفاظ القرآن كثيرون .. وهم يدلون ويتيهون عجباً على الناس بأنهم حفاظ القرآن ، وحملة كتاب الله تعالى ، حتى أخرجهم ذلك إلى الكبر الممقوت ، وسماجة المظهر .. فهل يكفي أن يكون الإنسان حافظاً للقرآن حتى يمشى على الأرض وكأن ليس عليها غيره ؟.

جـ : إننا نحفظ القرآن .. ولا نحافظ على القرآن .. وفرق بين أننا نحفظ ، وأننا نحافظ . وإنك لو استقرأت واقع المسلمين فى الأرض لوجدت أمر عجيبا ، لا يحكمه منظور واحد .. تجد المسلمين بدأوا يتخلون عن مبادئ دينهم شيئاً فشيئاً ، فالحفاظ على المنهج يزول ، ولكن توثيق القرآن وحفظه فى صعود .. كل يوم يأتى لون جديد من ألوان حفظ القرآن .. المطابع تطبع .. أحجاما مختلفة .. التسجيلات على أشرطة وعلى أسطوانات .. المصحف المجود . المصحف المرتل .. فإذا نظرنا إلى القرآن كمنهج صادر من أعلا إلى أدنى لا تجد تلك العناية ، بل تجد المحافظة على منهج القرآن فى هبوط مستمر .. وهذا هو وجه الخطر الداهم.

❋ ❋ ❋

من هم العلماء ؟

س : كان العماء فى الماضى هم علمـاء الإسلام . . أما الآن فإن لفظ العلماء يطلق على علماء الطبيعيات والكيمياء وغيرهم من علماء المعامل والتـجارب . . مما يدل على أن هناك فرقـاً بين اتجاه العلم فى ميـدان الإسلام وبين فى اتجاه المعـامل والتجارب . . فـما هو الفرق بينهما؟ .

جـ : علم الـدين يخـتلف عن بـقـيـة العلوم فـى سـائر الأرض . . واختلافه ناشئ من طبيعته . . لماذا ؟ لأنك حين تعلم الناس منهج تاريخ مثلا ، فإنك تعطيهم الأحداث بأزمانها ، ولا تطلب منهم أن يعتبـروا بهذه الحداث . بمعنى أن يجتنبـوا الأحداث الضارة ، ويأتوا الأحـداث النافعـة . . والذى يعلم الكيمـياء أو الهنـدسة يكفـيه أن يعلم الناس القـضايا والنظريات . . ولا يجـوز له أنه يحـــور فى شئ من سلـوكـه ولا سلـوك طلابه حـــسب هذه النظريات .

أى إنك وأنت تعلم الإنسـان التاريخ أو الطبـيعة أو أى عـلم دنيوى ، تعلمه دون أن تـطلب منه أن يغير سـلوكه . . أو أن يترك أفـعالاً مـعينة شخـصية تتنافى مع هذا العلم . أو تطـلب منه أفعالا مـعينة يريدها هذا العلم .

ولكن علم الدين شى آخر . . لا يكفى أن تعلمه . . بل تعلمه لتحمل نفسك على السلوك على وفق ما يقتضـيه . . إذن فعلم الدين يتطلب شيئاً اسمه التربية . . وعلم تربية . .

* * *

س : إذن ما الفرق بين العلم والتربية ؟.

جـ : العلم : إدخال المعلوم من العالم إلى ذهن المتعلم . .

والتربية : هى أن تحمل الشخص الذى تـريد تربيته على أن يغير سلوكـــه على وفق مـا عـلـم . . وذلك لأن علم الدين يـتطلب السلوك علي ما علم الإنـسان . ولكن الكيمـياء لا تطبع السلوك على مقتضى قوانينها . .

الدين منظم لحـركتك ، ليـست المسألة مـسألة انطلاق فى الحـركة. . ولكن هناك أمورا أنت لا تحب أن تفعلها ومطلوب منك أن تفعلها وأمور أنت تحبها ومطلوب منك ألا تفعلها.

* * *

س : إذن لماذا تجمـد تعليم الدين فى المدارسوالمسـاجد والجمـاعات ، وأصبح لا يؤدى مهمته؟.

جـ : لأن علم الدين كـمـا قلنا يبدا من مـعلمـه . . يجب أن يكون للمـعلم أسـوة برسول الله ﷺ ، وأسـوة بقـيم الإسلام بوجـه عـام. . وإلا فليبـحثـوا لأنفـسهم عن مـجال آخـر . .يجب أن يحملوا سلوكهم على وفق ما كـان يفعله رسول الله ﷺ ، حتى يقلدهم طلابهم ، ورسـول الله لقى مـا لقي من متـاعب ، ولم يلاقِ أحد من علماء المسلمين شيئاً . . إذن فالقدوة ومراقبتها هى أساسَ النجاح فى عملية تعليم الدين .

* * *

تعقيب :

بل إن قضايا العلوم الأخـرى كالتاريخ والأحياء والتشريـح والكيمياء هى الأخرى تطالب الإنسـان بتغيير سلوكـه من الكفر إلى الإيمان . .

ومن الشك إلى اليقين .. ومن هوى النفس إلى قواعد الإسلام .. وهذا كله ثابت فى القرآن .. ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ . ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ الآيات

بل إن القوانين الكيمائية وما تعطيه من نتائج هى من العوامل الداعية إلى الإيمان .. والرياضة أصبحت دليلا على بطلان وجود العلم بالصدفة. بالإضافة إلى أوامر القرآن بالاعتبار عند النظر ظواهر الوجود.. وما الاعتبار إلا لون من تغيير السلوك .

* * *

القصاص الدنيوى من البغايا

س : من القواعد التى لا يشك أحد فيها أن الله سبحانه وتعالى يقتص من المنحرفين فى الدنيا قبل أن يعاقبهم بانحرافهم فى الآخرة . فمن سَرَقَ سُرِقَ منه.. ومن انحرف فى غيره سينحرفُ غيره فيه .. فكيف يكون ذلك مع البغايا؟.

جـ : بمقدار ما أغرت المرأه من أناس يزهد الناس فيها وبمقدار ما استمالت من أنظار ، وجذبت من نفوس يذل الله آخرتها فى الدنيا ، بأن ينصرف عنها الناس انصرافا مزريا شائنا .. والذى كان يريد أن يحظى منها بنظرة واحدة لو رآها فى آخرتها لبصق عليها .. كل ذلك مقاصة فى الدنيا .. والذى يحسن النظر فى الحياة لابد أنه يرى أمثال هذه الصور كثيرا.

* * *

النعم الحاضرة والنعم الغائبة

س : يأمرنا الحق سبحانه وتعالى ألا نحزن على نعمة فائتة ، ولا نفرح بنعمة حاضرة فى قوله تعالى ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (..بينما هذه طبيعة البشرية .. فلماذا ؟.

جـ : لأن إتيان النعمة قد يكون فتنة لك .. لأنك ربما لا تؤدى حق الله فيها ، فتكون حجة عليك .. وإذا كنت تأسى على النعمة الفائتة ، أى تشغل نفسك بما لا يجدى نقول : ليتك شغلت نفسك بما يجدى .. فإنك إن شغلت نفسك بما لا يجدى تكون قد ضيعت الطاقة التى تستقبل بها التعويض عن الحدث الفائت.. احذر أن يتركب فى نفسك أن الحدث هو الذى صنع لك كل بؤس فى الحياة.. فالحقيقة أن الهم يأتى من شئ مؤخر، ولكنك لا تعرف مصدره ، فلا قوة لك على دفعه ، وهذا هو أشد ما يفتك بالنفس الإنسانية : أن يستولى عليك أمر لا تعرف مصدره ، أو تعرفه ولا قوة لك علي دفعه .. هذا هو الهم المعقد.

❊ ❊ ❊

قمة ضلال الإنسان

من العجيب فى أمر الدنيا : أن أهلها حين يلعبون ينقلون قوانين الجد إلى اللعب . . ويتركون الجد بلا قوانين . فنحن حين نشاهد مثلا مباراة فى كرة القدم نجد الدقة عند كل متفرج فى أن يتحكم فى وقته تحكما لا يجعل الزمان يفلت منه ، ولا يجعل المكان أيضا يفلت .

هو يذهب ربما قبل الميعاد بساعات حتى لا يضيع عليه المكان . . ويأتى الفريقان والحكم . . وفى اللحظة الذى يطلق فيها الحكم صفارته يبدأ اللعب . . وحين يغفل الحكم عن لعبة من اللعب يصيح به الجمهور .

إذن فلماذا نقلتم قانون الجد إلى اللعب . . وترتكم الجد بلا قانون ؟ لماذا لا يكون ذلك فى جد الحياة ، بحيث إذا حكم أحد فى أمر من الأمور فأخطأ تصايح عليه الجمهور فى مباريات الكرة .

وكذلك فى احترام الوقت . . أراهم يحترمون الوقت كأنه مقدس . . فيقولون : الوقت الضائع . . ويعوضون الوقت الضائع .

شئ عجيب أن تنقلوا قوانين الجد إلى اللعب ، ثم تتركوا الجد بلا قوانين . وبعد ذلك تريدون سلامة الحياة بينما بذرتها شر . . لا سلامة للحياة إلا إذا سلمت مقدمات الحياة ، وسلمت بذرة الحياة . . لا تطلبوا ثمرة خير من الحياة ، وبذرتها بذرة شر أبدا

❊ ❊ ❊

لا تنازعوا فتفشلوا

س : منذ زمـــان طـويل وأعـــاصـيـــر النزاع تهب علـي العـــالم الإسلامى. . فلا نجد عصرا إلا وهناك من أبناء الإسلام من يتقاتل بالسلاح . . أو يتراشق بالاتهـامات . . حتى وصل الحال إلى أن استـعان بعض أدعيـاء من حكام الدولة الإسلاميـة على إخوانهم المسلمين بأعداء الإسلام من الملحدين الكافرين . .ثم لا نرى من بقـية الحكام المـسلمين إلا برقيـات الاسـتنكار. .فـما أبعـاد هذه المشكلة الخطيرة؟.

جـ : الذى جعل المسلمسن يختلفون هو السلطة الزمنية . . كل واحد يريد لنفسـه ولأمته سلطة زمنية . . ومـا دام كل واحد يريد ذلك فـلا خيـر فى الحـيـاة . . لا خيـر فى الحـيـاة إن لم تنزع هذه الإرادة. . نقـول لهم . دعوة السلطة الزمنيـة ، وحكمـوا شيـئاً واحد هو الذى لا يتـغير الأشـياء ، ألا وهو منهج الله سبـحانه وتعالى . . وإذا كان بيننا وبين بعضنا خلافات، فيجب أن يوجد بيننا قوم بمنآى عن هذه الخلافـات ، ليتدخلوا فى الأمر . انظروا إى قوله تعالى :

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾

الإيمان لا يحـرم أن تختلف طائفـتان من المؤمنين ، ممكن أن يخـتلف المؤمنين ولكن واجب الأمة أن يكون فيها من يصلح بين المختلفين . . من هم الذين يصلحون ؟ وعلى أساس يصلحون ؟

الذين يصلحون هم المؤمنون . .وعـلى أساس منهج الله . .لماذا منهج الله ؟

لأن المصلح قد يتدخل بهوى . فتصبح الأهواء ثلاثة :هوى كل طائفة من الطائفتين، وهوى المصلح . ونحن نريد أن نقلل الأهواء ، لا أن نزيدها بعدا .. بل إن الواجب أن نجعل الأهواء المختلفة هوى واحد .. أما أن أتدخل بهواى فقد ردت المعركة بعدا ثالثا.

الله تعالى يقول : ﴿ إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ .. فإذا رأيت واحدا تدخل فى أمر ولم ينته إلى الصلح ، فاعلم أنه لم يكن يريد الإصلاح .. لابد أنه له هوى ثالثا.

وفى صدد الإصلاح يقول الله تعالى ﴿ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ..برجولة الإيمان قاتلوا التى تبتغى..فإن فاءت إلى أمر الله فلا تتركوا الأمر على حالة .. بل عاودوا الإصلاح ..﴿فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ..عاودوا الإصلاح لإزالة أسباب النزاع .

والذى يحدث فى العالم الإسلامي سئ مؤسف .. والأشد أسفا أننا لا نجد من المسلمين طائفة تمثل الصلح .. كنا نرجو أن توجد فئة لا تنحاز إلى جهة ، ولكن تمثل الوسط المصلح ، لتتلقى أمر الحق فى أن تصلح ذات البين.

* * *

النور المحمدى وبداية الخليقة

س : ورد فى الحديث : أن جابر بن عبد الله رضى الله عنه سأل رسول الله ﷺ : ما أول ما خلق الله ؟ فقال : «نور نبيك يا جابر»[١] . فكيف يتفق هذا الحديث مع أن أول المخلوقات آدم وهو من الطين ؟.

جـ : من الكمال المطلق . . ومن الطبيعى : أن يكون البدء بخلق الأعلى ، ثم نأخذ منه الأدنى . . وليس من المعقول أن تختلف المادة الطينية أولا ، ثم يخلق منها محمد ، لأن أعلى شئ فى الإنسان الرسل ، وأعلى شئ فى الرسل محمد بن عبد الله .

إذن لا يصح أن تخلق المادة ، ثم يخلق منها محمد . . لا بد أن يكون النور المحدى هو الذى وجد أولا . . ومن النور المحمدى نشأت الأشياء . ويكون حديث جابر صادقا.

وها هو العلم يؤكد تلك المعانى . فالنور هو البداية ، ثم عملت منه الماديات . هذا هو رأى العلم المادى الآن . . أما الكلام المشهدى فهو شئ آخر .

* * *

(١) هذا الحديث عليه خلاف كبير ما بين أصحاب الحديث فى إنكاره ، وأنه غير موجود عنده عبد الرازق فى المسنف ، ويقول بعض مشايخ الصوفية وقلة من أصحاب علم الحديث أنه موجود فى مصنف عبد الرازق النسخة اليمينية و وقد ألف الغنارى رسالة فى هذا الصدد وللغزالى مخطوط فى داغر الكتب تحدث فيه عن هذا الحديث والمسمى باسم شجرة اليقين فى نور سيد المرسلين وبيان الحق يوم الدين ، والسيوطى رسالة أيضاً ، ويرى بعض العلماء المعاصرين أن هذه المسألة لا يبين عليها أصل من أصول الدين لتناولها طالما لم يرد فيها نص صريح

ما رأيت للرسول ﷺ ظلا

س : جاء في بعض الأخبار أن أحد الصحابة قال : لقد سرت مع رسول لله ﷺ في يوم يوم قائظ (أى شديد الحرارة) فوالله ما رأيت له ظلا . ما معنى هذا الخبر ؟.

جـ : الإجابة أوردها الصحابى الصحابى نفسه في قوله : «كنت أخشى أن تطأ قدمى ظله»

انظر إلى أى مدى سعى هذا الرجل تكريم الرسول لله ، فتجاوز إلى ظله ، فقرر ألا يدوس هذا الظل ، وإذا به يرى محمدا نورا مطلقا ، وليس للنور من ظل بطبيعة الحال .

والمسألة هنا تتعلق بوسائل الإدراك . . فقد تنظر إلى الإمام محدقا ثم تقول : إننى لا أرى شيئاً . . وفى نفس الوقت والمكان هناك رجل آخر يرى على البعد ما لا تراه ، فيحدثك مثلا عن شخص يلبس عمامة بيضاء ، ونظارة ذات سلك ذهبى . . أما أنت فلا ترى شيئاً .

وهذا الاختلاف يعود إلى تفاوت مقدرة وسائل الردراك . . فكل من يرى بقدر إدراكه وطاقته . فمن رآى محمدا بشرا رآى له ظلا . وأما من بحث عن الظل مخافة أن يدوس عليه برجليه فلن يجد ظلا . . وهذا يؤكد مدى منزلة الرسول ﷺ فى نفس الرجل .

* * *

القرآن نور ومحمد نور

يقول الله تعالى : ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ لابد أن النور غير الكتاب ، لأن واو العطف تقتضى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه . . والكتاب هو القرآن الذى يشتمل على المنهج الذى يخرجنا من الظلمات إلى النور .

ومحمد ﷺ هو الذى دلنا على الكتاب ، وهذا يصل بنا إلى أن محمدا هو النور . ومحمد ﷺ ظهر لنا ماديا . . والناس لم يروه نورا . . وإنما رأوه إنسانا . .

وهذا التفكير كان يمكن أن نتقبله فيما مضى . . لكن فى القرن العشرين لا يصح أن نظل علي هذا المقصود . . فالآن من الممكن تحويل أية مادة من المواد إلى إشعاعات ضوئية . . وأى ضوء بتجميعه تنتج عنه مادة .

وعلى هذا الترتيب قرب العلم المسألة إلى الأفهام . . فإذا عرفنا الله بأنه خلق الأشياء من نور فهذا صحيح . . فالمادة تأتى من النور . وبهذه الحقائق أصبحت الصورة واضحة وسهلة . . فعندما يكون الحق سبحانه وتعالى قد خلق من نوره فمعنى هذا أن شعاع نوره خلقت منه الماديات .

❋ ❋ ❋

العقل الألكترونى والعقل البشرى

س : العقل الألكترونى لا يخطئ .. والعـقل البشرى يخطئ .. ألا يكون الأول أفضل من الثانى ولماذا؟.

جـ : نعم العقل الالكـترونى لا يخطى ، لأنه آلى ، ليس له اختـيار كما تملؤه يعطيك .. لكن العقل العادى البشرى يخطئ

نقول: إن خطأه هو ميـزته ..يسألونه فيقـدر أن يكذب فى مسألة .. كونه يقدر أن يخالف حقيقة .. ويطرحها ، هذا دليل على قدرته ، لأنه لو لم يكن عنده مـا كـان يقدر أن يخطئ ..مـا كـان يقدر أن يخـالف الحقيقة.. إذن مـخالفته للحقيقة دليل كينونتـه ، ودليل حيويته ، كذلك نوامـيس الوجود ، لو كـانت أمـورا رتيبـة فى الكون ، كنا نقـول : إن الكون يعيش آلياً.

لكن لكى نفهم أن هذا الكون يعيش بصفة قيومية لله ، وأن الله يطلق القانون فى كونه ، وهو من فوق القانون ، يعطل المكان فتأتى الشواذ.

إذن فقد أخذنا من هذه الشواذ عقديا أن وراء القوانين الكونية ونواميس الوجود قوة إن شـاءت جعلت هذه القوانين تؤدى نتائجـها ، وإن شاءت عطلت هذه النواميس ، وهذه هى النتيجة العقدية.

❊ ❊ ❊

لا تفضلوا النبى على يونس

س : ثبت أن محمداً ﷺ أفضل الرسل على الإطلاق . . وثبت أنه قال : «لا تفضلونى على يونس بن متى» (١) فكيف نوفق بين المعنيين ؟ .

جـ : محمد ﷺ خير الرسل ، فلا نأخذ واحدا منهم ونقيمه . يعنى استضعفت يونس لكى تقول : محمد خير من يونس ؟ قل : محمد خير رسل الله . إنما لا تقل : محمد أفضل من يونس . . محمد أفضل من عيسى . . لماذا ؟ لأن كونك تأخذ واحدا من الخصوصية وتقارن ، نقول لك : هذا هو الأسلوب الذى لا ينفع . . إنما تقول : محمد خير رسل الله وانتهينا . . ولا كقول: محمد خير من عيسى أو يونس ، هذا ما نهى عنه رسول الله ﷺ .يعنى : أدخله فى عموم التفضيل ، ولا تختر واحدا لتجعله مرجوحاً أمام راجحية محمد ﷺ بخصوصه ، لأن التعميم شئ ، والتخصيص شئ آخر .

والدليل على ذلك أنك حين تخاطب علماء تقول : فلان أعلم من فى البلد . . إذن هو أعلم منهم كلهم .وهذا غير ما تقول : فلان أعلم منك يا فلان . لماذا ؟ لأن الأسوة فى مساواة النفى تخفف الحكم حين أقول : فلان أعلم منك يا فلان . .يمكن ليس أعلم من الثانى . . إذن فأنت

---

(١)صحيح أخرجه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل موسى عليه السلام حديث(٤٣٧٦) والترمذى ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء فى كراهية الصلاة بعد العصر حديث (١٦٨) ، وأبو داود ، كتاب السنة ، باب فى التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حديث (٩٠٤٩) ،وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب ذكر البعث حديث (٤٢٦٤) ، وأحمد حديث (٢٠٥٩).

عملت موازنة جعلته يخسر خسارتين : خسارة أن فلاناً أفضل منه ، وأنه مظنون أن يكون فى الموجودين أفضل منه . .

إنما نقول : فلان أعلم أهل البلد . يبقى كلهم ، فمساوته معهم فى أن فيه خير واحد تعطيه أسوة بالمساواة فى الوجود الآخر .

* * *

الجنون نعمة

س : الإنسان متميز بفكره عن الجنس الأدنى منه ، وهوالحيوانى ، فلماذا خلق الله واحدا على صورة إنسان ، وبعد ذلك سلب منه ما ميز به الإنسان وهو العقل؟ .

جـ : هذا سؤال وارد ، نقول صحيح أنه سبحانه أخذ منه العقل الذى يفكر به لكى يذكرنا أنه هذا الفكر ساعة يكون أداة إصلاح . . وساعة يكون أداة إفساد . . كيف يكون ذلك ؟ .

نقول : تعالى للمجنون الذى تقول عليه مجنوناً ، وبعد ذلك نظر فى القيم ، أرأيت مجنونا انتحر مرة ؟ أبداً . . أرأيت مجنوناً زنى ؟ أريت مجنوناً سرق ؟ أرأيت مجنوناً جاء أمام قطار أو سيارة ورمى نفسه كما يفعل العقلاء؟ .

إذن فمن ناحية ميزان توازن حياته فهو متوفر له . .وبعد ذلك ، ألا أن تعرف أن العقل ساعة يوجه الإنسان إلى الخير ، وساعة يوجهه إلى الشر، وساعة يمنعه عن الخير . . مثلا كلمة حق إن قلتها ستغضب فلاناً وهو يملك لك كذا ، إنما المجنون يقولها ولا يبالى . ولذلك يقولون خذوا الحكمة من أفواه المجانين . .لماذا؟ .

ليس عندهم العقل الذى خرج من مهـمته .. العقل ممنوح لكى ينظم أمور الخير .. لكن أنت تستغله مرة وتقول : اعقل نفسك عن هذه ، لا تقل هذه الكلمة لأنهـا ستغضب فـلاناً ، وتصنع لك مشكلة ، والمجنون ليس عنده هذه الحكاية .. لا يحاسب من مجتمعه.

سلبه الله العقل وأعطاه شيئاً من صفاته ، وهو أنه لا يسئل عما يفعل، لا فى الدنيا والآخرة .. والناس لو قـدروا هذه المسائل لتمنوا أن يكونوا مجانين.

❊ ❊ ❊

قتل الإنسان ما أكفره

س : هذا التـقريع الشـديذ من الله للإنسـان الذى يغلب عليه الكفـر بأنواعه ، سـواء كان كـفر نعمـة ، أو كفر عـقيـدة أو غفلة عن واهب الوجود .. نـريد مزيداً من الضـوء يبين لنا هذه القضـية ويبين أسباب هذا الكفر .

جـ : الإنسان يرى نفـسه سيـد الكون .. لأن كل أجناس الوجود فى خدمته .. الحـيوانات فى خدمته .. والنبات فى خـدمة الحيوان .والجماد فى النبات .. إذن فأنت مخدوم بالمباشرة من أشياء ، وبالوسـيلة من أشـياء ..فـمن الذى عطاه هذه الـسيـادة ؟ هل دخلت هذه الأجناس تحت قـدرته بحيث أرغمـها على أن تكون فى خدمته ؟ لا .. بل إنها خدمـته قبل أن يكون له قوة .. فإذا كانت خدمته قبل أن تكون له قوة كان من الواجب أن يلتفت إلى القوة التى هى أقوى منه ومنها ، فسخرتها لخدمته.

وهب أن لك قوة على الأشـياء الأضعف منك . . فـهل لك قوة على الشـمس والسـحاب والماء ؟ لا . . فكان مـن واجبك أن تنتـبـه إلى من أعطاك هذه السيادة .

هل أخذت هذه السيادة بعنصـر تكوينك ؟ لا . . فعنصر تكوينك تافه هو الماء المهين . فيلفـتك الحق سبحانه إلى أنك لم تكتـسب هذه العظمة وهذا التسخير لا من عنصر تكوينك ، ولا من قوتك الذاتية .

﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۝ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾

❊ ❊ ❊

الأدب العلمي للعلماء

كان الإمـام علي رضى الله عنه في انتظار صلاة العـيد ، فرأى قـوماً يصلون قـبل صـلاة العيـد . فـقال لـه بعض أصحـابه : ألا تنهـاهم ؟ فأجـاب: لا أنهاهم عن الصلاة . . وإنما أقـول لهم : إن ذلك لم يفعله رسول الله ﷺ، خشية أن أكون فيمن نهى عن الصلاة والله يقول: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴾ .

وسأل أبو يوسف القاضى أستاذه أبا حنيفة ، فقال : ألا يصح أن يقول المصلى حين يرفع رأسه من الركوع : اللهم اغفر لى ؟ .

فقال أبو حنيفة : يقول : ربنا لك الحمد .

لم يقل الإمام : لا يقول : اللهم اغفر لـى خشية أن يتوهم منه النهى عن الاستغفار .

❊ ❊ ❊

المفاضلة بين الأبناء

س : حين يفضل الأب بين أبنائه فيخص بعضهم بحب أكثر وعطف أكثر ، فإن البعض الأخر تنشأ عنده عقدة النقص ، وهذه العقدة قد تدفع المصاب بها إلى الحقد على إخوته . . والله تعالى يقرر فى القرآن أن سيدنا يعقوب كان يفضل سيدنا يوسف على إخوته حتى قالوا : ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ . . فهل أخطأ نبى الله يعقوب طريق التربية؟ .

جـ : نعم هذا السلوك مع الأبناء يؤدى إلى العقدة . وهذه العقدة قد تؤدى إلى إلى أن يكون السلوك غير منطبق على المبدأ الخلقى . . ولذلك حينما أحس إخوة يوسف بأن يوسف وأخاه أحب إلى أبيهم فكروا فى ماذا ؟ فكروا فى أن يزيحوا ذلك المحبوب من طريقهم وقالوا : ﴿نَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ .

ولو أنهم فهموا بعض الفهم لعرفوا أنهم جاءوا بحيثية امتياز ذلك الصغير بالحب ، لأنهم عصبة ، ولأنهم أشداء ، وهو صغير يعطف عليه أبوه . . كان يجب ألا يقيسوا الحب والعطف هنا بالحب والعطف عليهم، لأنهم اجتازوا المرحلة التى يعوزهم فيها الحب والعطف . وهو فى المرحلة التى ينفع فيها العطف والحب . فالإنسان يحب صغيره ، لماذا؟ .

لأنه يعتقد أن ذلك الصغير بالنسبة لإخوته هو أقصرهم عمرا معه ، فيشعر أنه فى حاجة من العجز إلى شئ كبير من الحب . . فلو أن الكبار فهموا تلك العلاقة لما جعلوها عيباً فى الأب ، ولا أخذوها سبب حقد على الأخ .

أنتم قلتم : إنكم عصبة .. يعنى جماعة أشداء أقوياء .. أنتم لستم فى حاجة إلى ذلك الحنان ، وإلى ذلك الحب ، ومع ذلك كان أمرهم ما كان . قالوا

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾

❊ ❊ ❊

الأخيار حين يفكرون فى الشر

س : الشر مطروح أمام الفكر الإنسانى .. يفكر فيه الأخيار .. ويفكر فيه الأشرار .. فهل يستوى اتجاه الأخيار والأشرار نحو الشر ؟ وما أصل ذلك فى القرآن ؟.

جـ : قصة إخوة يوسف مع يوسف تبين لنا مدى عنصر الخير حين يفكر فى الشر .. ومدى عنصر الشر حين يفكر فى الشر .. فهم أسباط وأبناء نبوة ، وصحيح أن الانفعال البشرى جعلهم يفكرون فى إيذاء يوسف .. ولكن انظروا ، هل سار الإيذاء فى خطة الأعلى إلى الشر ؟ أو سار الإيذاء فى خطة الأدنى من الشر؟.

الاقتراح الأول الذى جاء بعد الانفعال من ظاهرة حب أبيه له أكثر منهم أن قالوا : ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ .. تلك قمة الشر .

ولكن بعد أن هدأت ثورة الانفعال قالوا : «أو اطرحوه أرضاً» .. إذن تنازلوا عن فكرة القتل وقالوا : « ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أخف من القتل ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾

بعد ذلك هدأت انفعالات الشر ، فحين جاء والتنفيذ قالوا : ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ إذن فالتفكير فى إيذائه صاحبه التفكير فى نجاته . وهذا يدلنا على أن الخير حين يفكر فى الشر لا يصعد الشر ، ولكنه يتنازل فى الشر . .

فالذى يقول : إن إخوة يوسف كانوا كذا وكذا . . نقول لهم : فكروا فى الشر على ظاهرة أغيار الشر . .وانفعال الخلق ولكن انظروا ، هل وصلوا فى الشر مبلغاً أعلى مما فكروا فيه ، أم تدنوا فى الشر ؟ وتلك طبيعة تدل على ركيزة الخير فى نفوسهم .

❊ ❊ ❊

دفاع عن علم الله

س : يتمسك القائلون بأن علم الله بالأشياء مستأنف بحدوث الأشياء، وليس قديما بقوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾. وقوله : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ .وقالوا : إن الله وجه رسوله إلى بيت المقدس ، ثم أعاده إلى الكعبة ، ليعلم من يتبعه ممن يخالفه. . ولولم يوجهه الله هذا الاتجاه لم يكن يعلم. . فما وجه الحق فى هذا الكلام؟ .

جـ : فرق بين نوعين من العلم : نوع من العلم للإخبار ، ونوع من العلم للاختبار . .كيف؟

مثال : أستاذ فى فصل فيه خمسون طالباً . . يقول له عميد الكلية : كيف حال طلبتك ؟ يقول له : والله أنا أستطيع أن أقول لك الآن : من ينجح ومن يرسب . . وليس كذلك فقط ، بل أقول لك : من الأول

ومن الثـانى ومن الثالث ومن الرابع ومن الخـامس . . هذا دليل على أنه يعرفهم جيداً .

ولو أن العميد قال له : أعلن النتيجة على هذا الأساس ؟ على أساس علمك . يبقى علمـه إخبارى من جهة واحـدة . . ومن الممكن أن طالباً يقول للأسـتاذ أصـحيح أنت كونت رأيك عنى أول الـعام . .إنما أنا فى النصف الأخير من السنة اجتهـدت وتلقيت دروساً علي مدرسين ، و فلو امتحنتنى أنجح . . يقول له : نمتحنك . وعندما نمتحنه تكون النتيجة هى نفسهـا . . فلو كانت بقيت على العلم الإخبارى مما كـان فيه مطعن ولا حجة .

وفى آية تحويل القبلة يقول الله : سنحـولها بالفعل . . لأننا لو قلنا : لو كنت حولت القبلة كان فلان قـال كذا وفلان قال كذا . .قالوا : والله ما كنا قلنا . . تركهم يقولون بـالفعل إذن هذا علم الإخبار ، وهذا علم الاختبار . . وعلم الأخبار ليس حجـة . وإنما علم الاختبار هو الحجة . لأن الفرد صـار حاكمـاً على نفسه . . إذن انهـدم الدليل الذى تمسك به المعترضون .

❋ ❋ ❋

هل خلق الإنسان أفعال نفسه

س : يرد الكثير من الدارسين وطلاب الفلسفة أن الإنسان خلق أفعال نفسه . . جرياً وراء رأى المعتزلة . وهم يدعون أنهم بقولهم هذا يخدمون قضية العدل الإلهى . . لأن الإنسان إذا خلق فعل نفسه استحق عليه الثواب والعقاب . . فهل هذا الرأى الصحيح ؟ .

جـ : هذا التعبير غير صحيح .. عقلياً ليس صحيحاً أن الإنسان خلق أفعال نفسه ..

ما هو الفعل أولا؟

الفعل معناه : توجيه طاقة لتنشئ حدثاً لم يكن موجوداً .. إذن ماذا يحتاج وجود الفعل ؟.

يحتاج وجود الفعل إلى طاقة ، وعقل يخطط لتوجيه الطاقة ، وموضوع للفعل ، وزمان ، ومكان ، ومادة .. بالله ما دمت تقول : إنك خالق الفعل ، فقل لى : أنت خلقت أى واحد من هذه الأدوات التى ستنشئ هذا الفعل ؟ أنت خلقت أى واحد منها ؟ لم تخلق العقل الذى خطط ، ولا الطاقة التى عملت ، ولا المنفعل لفعلك ، فكيف تقول : أنك خلقت فعلك ؟ .

واحد جالس يريد أن يقوم .. فإذا خطر بباله أن يقوم فأنا أسأل سؤالا واحداً : ما هى العضلات والجوارح والأجزاء التى يجب أن تعمل لتتم عملية القيام ؟ أريد أن أرفع يدى ، ما هى العضلات والأعصاب التى تجعلنى أعمل هذه العملية ؟ لا أعرف . إنما مجرد ما أريد القيام ، أو أريد أن أرفع يدى تتم العملية .

إذن فالمسألة يجب أن ننظر إليها نظرة أدق .. كيف تخلق فعلك ؟ المجازفة فى قولهم : خلق فعل نفسه لأنك لم تعمل شيئاً أبداً .. وبدليل أنه تعالى يستطيع أن يسلب العقل كما سلبه من البعض فلا يخطط .. وتريد أن تفعل فيصيبك شلل فلا تستطيع .. وبعد ذلك يأتى إلى إلى الذى سينفعل فلا ينفعل .. إذن عناصر خلق الفعل ليست منك .. فماذا لك أنت ؟ ليس لك إلا منطقة حدود الفكر ، وهى أن تقارن بين البديلات .

فكر الإسلام سابق للعصور

س : عالمية الإسلام تقتضى أن تكون فيه البذور الأولى لكل تقدم فكرى إنسانى . . ولكن المفكرين المسلمين يغفلون عن هذه النظرة حين يدرسون لطلابهم ما كتبه الغرباء عن الإسلام من الفكر الإنسانى . . نريد ضوءاً على هذه القضية .

جـ : نعم . ، الذى يدرس التاريخ مثلا يقرأ فى الثورة الفرنسية أنها هى التى حددت وأعلنت حقوق الإنسان فهو معذور ، لأنه لابد لم يدرس الإسلام ولم يعرفه وإما قد درسه وعرفه وتعمد أن يقول ذلك ليغطى على أسبقية الإسلام ، ولهذا نقول لهم : لا .

الثورة الفرنسية حدثت متى ؟ ولكن القرآن أعطى ذلك الحق منذ أربعة عشر قرناً فى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ .

والرسول ﷺ فى آخر وصيته أوصى بها المسلمين . . ووصية آخر العمر أنفس الوصايا . . فالرجل لا يوصى ولده حين يموت إلا بأنفس الذخائر . . قال فى خطبة الوداع «كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه»(١) .

فأنت عندما تسمع أن المفكرين قالوا ما قالوه فهذا دليل على أنهم ليسوا مؤمنين بديننا ، أو أنهم لا يعرفون ، أو يعرفون ويكتمون .

وبعد ذلك حين يأتى إلى نظرايات العلم المختلفة : فى الكيمياء ، فى الطبيعة ، فى الفلك ، فى الطب ، فى الصيدلة ، وفى أى شئ آخر ،

(١) صحيح : أخرجه الترمذى ، كتاب البدو والصلة ، باب ما جاء فى شفقة المسلم على المسلم حديث (١٨٥٠) ، وأبو داود ، كتاب الأدب ، باب فى الغيبة حديث (٤٢٣٨) .

حين تدرس شـيـئاً من المسائل ، ويعـجب به النـشئ ، يجب أن تلفت الطلاب إلى أن هذا القـانون ليس من صنع الغرب ، ولكن الغـرب أخذ البذرة الإسلامية التى وضعها فلان وقال فيها كذا وكذا .

ولكن ضعف المسلمين ، وعـدم إقبالهم على مـبادئ دينهم كمـا كانوا أولا ، هو الذى جـعل الغرب يأخـذ هذه البذرة ، ويأخـذ هذا الزرع ، ليقطف فقـط الثمرة . . وفرق بين قطف الثمـرة وبين من وضع البذرة . فأنت حين تتكلـم فى الجغرافيـا تقول : يا أخى ، البـيرونى هو أول من أبطل نظرية اليونان وبطليموس فى أن الأرض مركز للكون .

وحين ندرس الجاذبيـة فيقولون لك : نيـوتن هو الذى اخترعهـا تقول لهم : لا . البيرونى له البحث الأول فيها .

إذن حين نقول ذلك نثق فى عـقليتلت إيمانك ، وبأن ذلك ليس شيـئاً تصدق به هؤلاء ، وإنما هم فعلوا شيئاً فقد ردوا الجميل للعرب.

وبعد ذلك إذا انبهر بنظرية من النظريات ، وجاء ولم يجدها فى فكره الإسلامى سـيشك فى تخلف اسلامه. وقـرآنه ، وفى أن ذلك الإسلام ليس من عند الله ، وفى أن الإسلام لا يطابق العـصر . . إذن نقول له : يا أخى ، إن النظريات الحديثة ، والقوانين العلميـة التى انتهى إليها حتى أصبحت حـقيقة قد مـسها قرآنك ، ومسـها رسولك مساً يـناسب عقلية العصر ، فهى لم تفاجئ هذا العصر .

والأسـبقـية لا تعنى أن يعلمنا الـعلم ، ولكن تعنى أن يمس حقـيقـة العلم، لأن العلم حقائق ، فإذا كان القرآن أو السنة قد مس هذه الحقائق على أنها أمر موجود ، فيكفى هذا القدر فى الكون ليكتشفه الأجيال .

❊ ❊ ❊

الرسل فى مواجهة الغفلة والوراثة

س : ما هى الأمراض الاجتماعية الرئيسية التى بعث الرسل من أجل علاجها . . وما النتائج التى ترتبت على صحة المجتمعات من تلك الأمراض؟.

جـ : المرض الرئيسى الأول هو « الغفلة ». كلما تصدأ النفوس ، يرسل الحق سبحانه وتعالى رسولاً . . لذلك إذا استعرضنا ما تعرض له القرآن فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾. وهو ميثاق الذر.

إذا استعرضنا هذه الآية نجد القضية كما شرحها الحديث النبوى «إن الله لما خلق آدم ، مسح على ظهره ، فأخرج ذريته جميعاً ، وقال لهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى »(١).

إذن المسألة مشهدية . . إذن ففى خلق آدم كان الله مشهدياً ، آدم لم يعرف ربنا بعقله ، بل هى مسألة وجهاً لوجه . . ثم كان من المفروض أن ينقل المشهد . . وإنما الغفلة تأتى . . ولذلك الآية لم تتعرض لهذه المسألة بل تقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ أنت ربنا «أن تقولوا » يعنى أخذت الميثاق لئلا تقولوا : ﴿ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ هذه واحدة ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

---

(١) صحيح : أخرجه الترمدى ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الأعراف حديث(٣٠٠١) وأبو داود ، كتاب السنة ، باب فى ذراى المشركين حديث (٤٠٩٣) ، وأحمد حديث (٢٣٢٧) و(٢٠٢٨٣) و (٢٠٩١٩) ، مالك فى المؤطآ (١٣٩٥)

إذن العلة علتان : غفلة وبيئـة . تقولون : إنا كنا عن هذا غافلين . . أو تقولون الحـجة الثانيـة : إنما أشرك آباؤنا . . وهى الوراثة والبيـئة . . وننتهى إلى أن من لم يقل هذا وهو آدم كان قد عرف المشهد الأصلى .

إذن لا بد أن تطرأ قبل الوراثة غفلة . الفجوة الأولى : أن تحدث غفلة . . وبعد ذلك تنشئ الوراشة جيلا غافلا عـن التعاليم . . فيأتى جيل آخر . . هذا الجيل الآخـر مريض بعلتين : الغفلة ، وتقليـد آبائه الموجودين وبالترتيب هكذا .

إذن توجد الغفلة أولا ، ثم يوجـد الجيل الذى يقلد ويقول : ﴿ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ﴾

فالقرآن حين يعـرض هذه المسألة يعرض وجود الله على أنـه أمر مسلم به لا يجوز الاخـتلاف فيـه ، لأن إيراد الدليل للمنكر اعتـراف من مورد الدليل بشبـهة الإنكار . كالمريض يذهب إلى الطبـيب ، فإن لم يصف له الدواء فيكون معنى هذا صحـة طيبة . . لكن إن وصف له دواء يكون هذا دليلا على أن الشبهة فى المرض قائمة فكذلك عدم إقامة الدليل علي شئ دليل على أنه أمر من الوضـوح بحيث لا يصح أن يوضع له دليل . وإن وضع الدليل فإنما يوضع لشئ آخر . . لا لتعليل الإله ، ولكن لتكثيره .

إذن الشبهة التى تأتى فى أن الإله يكون كـثيراً ، لأن الكون يحتاج إلى سلطات واسعـة ، ولا يمكن لواحد أن ينهض بها ، فـيمكن أن يكون لكم شبـهة فى هذا ، إنما شبهـة فى أنه (لا إله) هذه شبهـة لا تأتى أبداً . فإن كانت هناك شبهة فهى شبهة فى أنهم آلهة ولذلك كل الكلام مع الله ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾

- : إذن فلمـاذا لم يستـمع الناس بسـهولة إلى الرسل وهم يحـاولون مسح هذه الغفلة من النفوس ، ويعيدون الناس إلى صوابهم ؟ .

- عندما أخذت الغفلة حقهـا ، كان هناك أناس لهم كبرياء عقلى ، لا يناقدون إلى قـوم يدعون أنهم رسل . .بدأ أصحـاب الكبرياء العقلي يستـقلون بهذه المسألة . .فانتهـوا إلى وجود القوة ولكنهم وقفوا . . ماذا نريد القوة منا ؟ لم يهتدوا إلي ما تريد .

إذن فالوقفـة الأولى فطرية وجدانية . . يجدها الإنسـان فى نفسه . . والفكرة الثـانية عقليـة . يعنى أن الوجدان ألح على الفكـر ليضع الأدلة علي وجـود ذلك الإله . . فـإذا أخذنا الأدلة ، وتـلقينا تفـصـيل الأدلة والبيان ، نجد أنها أصبحت أمرا مشهدياً .

* * *

المنحرفون يقدسون الاستقامة

س : نحن نسمع كثيراً فضيلة الشيخ الشعراوى : أن المنحرفين يحترمون القيم السامية ، ويمقتون الرذيلة . فهل يمكن أن نرى دلالة على هذا القرآن الكريم ؟.

جـ : القيمة العليا حافظة لمنزلتها ، حتى بين المحرفين وأصحاب السلوك السئ وآية ذلك فى القرآن تتمثل فى لقطة بسيطة من سورة يوسف . . فيوسف عليه السلام دخل السجن ، ودخل معه السجن فتيان . والله تعالى يقول عنهما : ﴿ وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

فإذا كان هذان الفتيان يريان يوسف من المحسنين . . فبأى ميزان من الموازين الإحسان عرفا منزلة يوسف هذه وهما سجينان ، وسجينان على مخالفة . . وهما اقتنعا بإن طلبهما عند يوسف ، ولماذا ؟ لأنهما رأياه من المحسنين . . إذن فهما قد نظرا إلى سلوكه ، وإلى سماته ، وإلى كل تصرفاته ، فراقتهما هذه التصرفات وأعجبهما ذلك السلوك . . ولو لم يكن عندهما مقياس للإحسان لما استطاعا أن يقيما فعل يوسف ، حتى يقولا فيه : إنه من المحسنين.

إذن فهما رغم انحرافهما يعلمان الإحسان ، ويعلمان القيم التى تقيم الإحسان . . وحينما اضطرتهم ظروفهم الخاصة إلى أن يلجأ إلى الإحسان، لأنهما لا يغشان نفسهما فى أمور تتعلق بهما وذهبا صاغرين إلى يوسف وقال : ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ وحينئذ الطلب ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

إذن فالقيم هى القيم حتى عند المنحرف .

ولكن الذى يسهل على المحرف الخروج من القيم هى الشهوات العاجلة ، والنفعيات الطارئة ، ودون نظر إلى خير يراه صاحب الشهوة خيرا يعقبه شر . وقديماً قالوا : لا خير فى خير بعده النار ، ولا شرفى شر بعده الجنة ، ولا خير فى لذة يعقبها الندم.

* * *

منهج الدعوة فى القرآن

س : وعلى طريقة يوسف الصديق عليه السلام ، الا تستطيع أن تستنتج منها منهجا للدعوة إلى الله وإلى سبيل الله ، يمكن أن يسير على نهجه الدعاء ، حتى تؤتى الدعوة ثمارها ، ولاتبقى كما هى عديمة الجدوى إن لم تكن مثار للسخرية ؟.

جـ : نعم . .إن القرآن قد عرض موقف يوسف عليه السلام كداعية إلى الله . . ويعرض علينا كيف ندعو إلى الله من خلال قصة يوسف. فحين قال له الفتيان :﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ . لم يجبهما إلى طلبهما من أول الأمر . . ولم يؤول لهما رؤياهما ، لأنه أراد أن يستبقى شعورهما واحاسيسهما وعواطفهما وفكرهما معه ، حتى يفرغ من مهمته الأساسية .

كان من الممكن بعد مدحاه بقولهما :﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أن يأخذه الرهو بتلك الشهادة منهما (كما يأخذ الزهو كثيراً من الدعاة . . وأن يقول لهما ما يريد أن ولكن يوسف لا يريد الجزاء عند هذين. . إنه يعمل لحساب قوة أخرى يريد منها الجزاء . . ويعمل لحساب الحق . . لحساب الله فاستغل حاجتهما له ، واستغل اتصالهما ، واستغل شعورهما ليقول ما يمليه عليه موقفه كإنسان نبى ، أو كإنسان قد انحدر من صلب نبى ، فماذا قال لهما ؟.

انظر إلى الداعية إلى الله . .قال : ماذا رأيتم من إحسانى أرأيتم سلوكاً مهذباً ؟. أرايتم منطقاً حسناً ؟ أرايتم سمتاً متواضعاً ؟ كل ذلك هين إلى جوار ما عندى من كنوز الإحسان . . إن عندى من كنوز الإحسان فوق

ذلك . فماذا قال ؟ قال : ﴿لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾.

إنه إحسان من نوع آخر . . إحسان إنسان كشف الله له حجاب الستر عن الأشياء ، وأعلمه بغيب من غيبه . فهو يقول لهما : أنا أنبئكما بالطعام الذى تاكلانه غداً . . فكأن إحسانى ليس قائماً بشهادتكم ، ولكن إحسانى بشهادة الحق الذى جعلنى موضعاً أميناً يأتمنى على أسرار غيبة ، فأنا أنبئكم بالطعام الذى تأكلانه غداً . وهو بذلك يريد أن يضخم الإحسان بمقياس أعلا من مقياسهما .

وبعد ذلك لم يدع غرورا ولا فقها . . ولم يدع خصوصية له ، بل قال : ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ . . وعلمنى ربى لماذا ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ . . إلى أن قال : ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ . . إلى آخر ما قال .

إذن فالمنهج الذى جعلنى من المحسنين كما قلت ، ويجعلنى أهلا لائتمان الله على أسرار لغيبه كما أخبرتك ، وليس لذاتية فى شخص ، ولكن لمنهج تلقيته من الله ، فعملت به . . ومن الممكن أن تكونا مثلى فى أن تتركا ملة قوم لا يؤمنون بالله ، وأن تقبلا على ملة الأنبياء والرسل الذين بلغوا عن الله . . وبعد ذلك يدخل فى صمم القضية الإيمانية فيقول ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ .

أربابكم المتفرقون كان من الممكن أن يعينوكما على ما تطلبان ، فلما تركتم أرباباً متفرقين ، وجأتم إلى عبد بسيط لرب واحد ؟ .

– إذن ما هو بالتحديد منهج الداعية إلى الله استنتاجاً من هذه القصة؟ .

- أولا أسوة حسنة ، وسلوك إيمانى قويم يلفت الناس إلى ما هم فيه من الخير . . فإذا التفت الناس إلى ما هم فيه من قيم الخير سألهم : لماذا أنتم هكذا ؟ فيقولون : لأننا مسلمين .

إذن فكل عمل خير يعمله الإنسان يجب أن يعزوه إلى دينه . . يجب ألا تعمل العمل وتقول : إنه من عبقريتى وابتكارى واختراعى ما دام اسلامك يتسع إلى أن يكون فيه مثل ذلك العمل . . لماذا لا نقول هذا هو مبدأ دينى ، وأصول اسلامى

لماذا إذا جاء مبدأ من مبادى الخير من أى دولة ، وصادف أن اتفق مع منهج السماء ، لماذا تنسبه إلى البشر ؟ لماذا لا تقول : إنه الإسلام . . لماذا لا يلقن أبناؤنا أن دعوات الخير إنما تقدم إليهم من أديانهم .

وإذا كان هذا هو شأن الداعية ، فيجب أن يكون أيضاً هو شأن المنفصل بالداعية .

* * *

اللجاجة آفة الوصول إلى الحق

س : نشاهد دائماً أن الخلاف فى بعض المسائل قد نشبت منذ عشرات السنين ، ولم يصل المختلفون فيه إلى نتيجة . . وهكذا بين الأفراد . . يتجادلون فى لجاجة لايصلون معها إلى الحق . . فماذا ؟ وهل فى القرآن إرشاد فى هذه الآفة ؟ .

جـ : **لم يغادر القرآن صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . . استمع إلى قول الله تعالى** ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ .

لأنه إذا تناقش اثنان فإن الحق فى النهاية مع أحدهما . والمنهزم سيدرك الحق فى مسألة النقاش دون تعريض به أو تشهير ، كما يحدث إذا نوقشت المسألة جماهيرياً .

وإن الذى يجعل اللجاجة فى الخصومة بين أمرين قوياً وعنيفاً : أن أثنين يتناقشان فى موضع أمام جماعة ، فيدخل فى النقاش عنصر ليس من حقيقة النقاش . . وهو : اعتزاز كل إنسان منهما بأن يكون هو المنتصر . . وخوفه من أن يكون هو المنهزم أمام الناس .

فحين لا يوجد جمهور يكون الإنسان قد أمن على نفسه خزى الانهزام أمام الغير ، بل يكون قد انهزم أمام الحق بثمن قد عرفه وهو الحق .

ولذلك كل نقاش بين اثنين دائماً ما ينتهى إلى وفاق . . أما إذا زادت جمهرة النقاش عن اثنين ، فإنك لا تظفر للحق بطائل . لأن كل واحد ستأخذه العزة منهما ، وحاول جاهداً أن ياتى لرايه بأدلة حقاً كانت أو باطلا ، حتى ينتصر على خصمه .

- إذا كيف نعد أبنائنا ليكون الحق عليهم أعز من نفوسهم فى موضوع الإيمان ؟ .
- تبدأ المهمة من ولى الأمر عندما يقترب الابن من سن الرشد والتفكير ، حينئذ يجب عليه أن يعرض عليه قضية الإيمان عرضاً جديداً، ليكون إيمانه عن اقناع ، وليس عن تكليف . فإذا ما استقبل الشباب قضية استقبال اقتناع لا يمكن أبداً للأهواء ولا للانحرافات أن تصل إليه ، لأنه ستكون عنده مناعة .

أما أن يعتبر الأب أن مسألة الإيمان طبيعة لا يجب أن تدخل إلى النقاش ، فإنا نقول له : إن مسألة كمسألة اختيار الكلية المناسبة لابنك تحتاج منكما إلى نقاش واستشارة ، ويشترك فيها أكثر من طرف ، وقد تشترك فيها الأم . . فما أهون هذه المسائل بالنسبة لقضية مصرية كقضية الايمان .

- وما صلة هذه التنشئة بالخضوع للحق فى الأمورر الأخرى دون لجاج ولاجدل ولا هراء؟.
- نعم إن هذا المسلك يخفف عنهم عبء اللجاج والجدل من أن يكونوا قد نشأوا أبناءهم ، فرأوا مظاهر الإسلام ، وسمعوا اسم الله كثيراً وسمعوا أبائهم يقرأ القرآن القرآن ، سمعوه يبدأ كل شئ باسم الله . . ويختتمه بالحمد لله . . وإذا رآى خيراً فى ماله وولده قال ما شاء الله ولا قوة إلا بالله . . فإن الأبناء سيتربون على خميرة إيمانية فى الوقت الذى لا يوجد عندهم عقل العناد . . ولا عقل المكابرة .

وبذلك تكون مهمة النقاش قد انتهت ، لأنهم خميرتهم إيمانية وسلوك البيت إيمانى ، فإذا ما عرضت قضية الإيمان فما أيسر أن يقتنع الأبناء ،

وحين يقتنع الأبناء ذاتياً بقضية الإيمان فإنهم يقبلون عليها على أنها من عملهم الذاتى، لا من تراث ورثوه من آبنائهم ، وآفة أسلافنا اليوم أنهم ورثوه من آبائهم .

فإذا أردنا أن نعرض القضية نعرضها ونقول : إن الايمان بالله ضرورة. . ضرورة عقلية . . ضرورة اجتماعية . . ضرورة سياسية . . وضرورة لغوية.

❊ ❊ ❊

الحجاب تأمين للجميلات

س : ما هى الآثار التى تعود على المرأة من الحجاب والحشمة فى دنياها بعيداً عن أخراها ؟.

جـ : يقول الإسلام : يا امرأة ، أريد أن أؤمن حياتك بهذا التشريع لماذا ؟.

لأن الإنسان المتزوج من امرأه وصلت إلى الأربعين أو الخمسين وامرأته تعرضت لعمليات الخدمة والولادة والرضاع ، وأثر الزمن فى نضارتها . فإذا خرج إلى الشارع ورآى فتاة فى مقتبل عمرها ، على أحسن ما تكون من الزينة ، وأحسن ما تكون من الشباب ، ماذا يكون موقفة بالنسبة لها حين يراها ؟ ستلتهب غرائزه بعد ما كانت طبيعية مع أهله ، ولكن هذا المنظر ألهب غرائز .. وعندما يعود إلى امرأته يبدأ فى المقارنة .

وهذه المسالة تؤدى إلى فساد أغلب البيوت .. إذن فالمرأة فى الحالة الأولى وهى البنت الجميلة ، ستصل إلى هذه السن بعد خمسة عشر عاماً أو عشرين عاماً . فتقول لها : لا تتبرجى حتى لا تلهبى غرائز أناس تفسدين عليهم بيوتهم ، حتى أنك عندما تصلين إلى هذه السن لا تأتى فتاة لتفسد عليك بيتك ورجلك .

فالإسلام يقول لها : أمنِى حياتك ، لأنك بعد خمس عشر سنة ستصيرين امرأة عادية يمكن أن تفسد عليك زوجك أو ابنك فتاة فى مثل سنك الآن.

فالإسلام لكى يرحمهما ويؤمن حياتهما يمنعها أن تفسد على الناس حياتهم ، حتى لا يأتى أحد ويفعل ذلك بها .

والإسلام حين جاء ليحدد الإدراك . فالمسألة الوحيدة التى حدد فيها الإدراك هى مسألة النظر إلى المراة ، لأن العملية الوجدانية التى ينشأ النزوع لا يمكن فصلها .

وبعد ذلك لا تفسد البيوت . . ويأخذ فساد البيوت ألوانا شتى ، والسبب الأصلى موجود ، ويجتمعون ليعالجوه فى غير داء . . ولذلك الإسلام يريد أن يكوم المرأة ، ويجعلها فى مكانها ، فحين يحظر الإسلام على المرأة الا تتبذل ولا تتبرج ولا تبدى زينتها إلا لزوجها إلى آخره ما جاء فى القرآن فهو يريدها أن تكون تمثل السكن ، وأما تمثل الحضانة لأشرف جنس فى الوجود ، لا وهو الإنسان.

❊ ❊ ❊

العلاقات الجنسية فى الجنة

س : ما هى حـقيـقة العلاقـة الجنسيـة بين الرجل والمرأة فى الجنة رداً على من يحاولون إنكار حـقيقة هذه العلاقـة محاولين تنزيه الجنة عن المستقذرات ؟.

جـ : إذا حـدثت أن فى الجنة أعـينا ، فالناس يقـولون : هل المسـألة جنسيـة ؟ لماذا تهرب من الواقع ؟ إن هذه أمتع ما فى الحـياة من متع النفس . . إنما أنت لا تتصورها بواقع العملية أو مقدماتها بلى أنت تتصورها بنهاياتها.

قـبل أن تحصل منك العـملية تـبقى ألذ الحـاجة ، ويبـقى فيـه جنان وساعتـها يبقى فى جنان . وبعد ذلك إذا اسـتقذرت شيئـاً فذلك بعد أن تذهب فـورتك . . فالمستـعذر بعـد ساعـة الفورة كـان محـبوب . . إذن المقدمات مـحبوبة ، وحسك ، وواقع العـملية محبـوب لا شك ، فمادا يجعلها قـذرة ؟ ما يجعلها قذرة هو ما يأتى بعـدها ، هذه هى منغصات هذه الذة فى الدنيا .

ومـثلمـا نزع الله من الخـمـر منغـاصتـهـا سـينزع من هذه العـمليـة منغصاتها. . فتصبح وليس فيها المنغصات التى تتبعك و (تقرفك) .

إذن لاتقيـسوا المسائل دائماً على واقـعها فى الدنيا ، فـإذا قال الحق : ﴿وكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ فلا تقل : هل المسألة أصبحت جنسية ؟.

ومن العـــجب أن الذى يقـول لك : هل الجـنة فـيـهـــا هذا الكلام الفـاضى؟هم أسـبق إلى هذه المسـألة فى الدنيـا . . سئ عـجـيب ، لماذا تنكرونها ؟ هى متـعة فى مقدماتها، ومـتعة فى واقعها إن كنت تـستقذر

منها شيئاً بعـد ذلك ، فماذا لا تقول : إن الله سيسلب مستـقذراتها كما سلب مستقذرات الخمر .

الخمـر فى الدنيا تجـعلنا نهلوس . . تصدعـنا . . تعمل كذا . . تـعمل كذا . . نقول : لا . . خمر الآخرة ﴿لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ . . إذن فالشئ المقز المنفر ، مرفوع عنها .

فقل كذلك فى المسألة التى تتعلق بالمسألة الجنسية .

لا تعتقـد أن العملية الجنسية سـتبقى مقززة . . لا كل مـتعب مسلوب عنها . . لا ينفر عنها . . ولا يزهد فيها

* * *

مدرسة الضمير الدينى

س : يحدث كثيراً فى كثير من الدول أن يختل نظام العدل فى تطبيق القوانين . . فما أثر هذا الاحتلال على نفسية الجماهة الإسلامية؟.

جـ : إذا رأيت طائفة ينفذ عليها القانون ، وطائفة لا ينفذ عليها القانون ، ماذا يكون موقف المجتمع ؟.

المجتمع سيختان . . يختان يعنى ماذا يعمل ؟ يقول : أنا أستر بالجريمة ما أمكن . . إذن لما قال الرسول ﷺ : «إنما هلك من كان قبلهم بأنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد»(١) . هذا الداء هو الذى يطع التفسخ فى المجتمع . . وكذلك إذا كان الحاكم غافلا وليس ذا عين يقظة . . حينئذ يقول المجرم : ومتى يرانى الحاكم ؟ إذن من هنا يأتى الفساد .

المدرسة الأخلاقية الاجتماعية يقول الحق فيها ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ . . اترك هذه لأنها وازع دينى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ . . يعنى الجو المحيط بكم . . هذا الجزء يفسد . .

يقول لك : خذ المعين الذى فى نفسك . . هناك يقول الحق ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ . . ما معنى ذلك ؟ يعنى بعد ما أرضى نفسه بعار الجريمة ، وقتل أخاه ، تنبه فيه شئ فندم .

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى ، كتاب الحدود ، باب الكراهية الشفاعة فى الحد حديث (٦٢٩٠)،والنسائى ، كتاب قطع السارق حديث (٤٨١٤) واللفظ له .

ويقول القرآن كذلك : ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ واحد يشفى نفسه بأن ينم على إنسان . .أو يشى به وشاه . . هو أرضى نفسه لكراهية لذلك . .ولكن حين تقع العقوبة على ذلك الإنسان ماذا يحدث ؟ نفسه تؤنبه . .هذه هى مدرسة الضمير.

لكن الضمان الذى فوق المجتمع ، ومدرسة الحاكم ، ومدرسة الضمير، هو الضمان الدينى ، الذى يعتقد فيه الإنسان أنه يرجو حسابا من الإله الخبير الذى يعرف كل شئ.

❊ ❊ ❊

المدرسة العقلانية والمدرسة الغيبية

س : ظهرت طائفة من المفكرين المسلمين أرادوا إخلاصا لدينهم ألا يبعدوا الدين عن واقع الحياة ، فحاولوا جاهدين أن يقربوا قضايا الدين وبخاصة الغيبيات إلى العقول ، وكان على رأس هذه المدرسة الشيخ محمد عبده ، وهو زعيم المدرسة العقلانية التى كانت تحاول دائماً أن تقرب قضايا الدين التى تتعلق بالغيب إلى عقول الناس . . فهل توافقون على هذا الاتجاه ؟ .

جـ : هى ظاهرة تدل على الغيرة للدين ، ولكنها تضر أكثر مما تنفع . لماذا ؟

لأن قضايا الدين فى الأمور الغيبية الإيمان بها واجب . . وكيفية الشئ الذى تؤمن به ليس من الضرورى أن تعرفها . . وقلنا : إن الإيمان له قمة، وهى أن تؤمن بالله . فإذا آمنت بالله باختيارك ودخلت على القمة بعقلك ، فتقبل عن الله كل ما يقول لك . . وسعة عقلك أم لم يسعه . . وفى ماديات الحياة ما يؤكد صدق هذه القضية.

فكم من الأمور لم تكن غيبا بحتا ، وإنما كانت غيبا فقط عن مشاهدنا، لأن آلات إدراكنا لم تكن تستوعبها . . ولكنها مادية . . فكثير من الماديات كان غيبا . . كالميكروبات . . ولكن العلم حين تقدمت آلاته بالمجاهر والتلسكوبات أمكننا أن نرى ما لم نره . . إذن فكون أمر لا تدركه بحسك لا يعنى أنه غير موجود . . فلتتهم أنت حسك . . لأنه لم يصل إلى إدراك ذلك ووجود أشياء كانت غيبا ثم صارت الآن مشهدا دليل على أن عقلك يجب ألا يتوقف فى الأمر الغيبى ، لأنه لم يدركه ، بل يقول : ما دام الله قاله فهو موجود . . أدركه أم لم أدركه .

أليس العلم ما يزال يكشف لنا مستورا من مستورات الله فى كونه غيبا عن الناس ، ثم صارت الآن مشهدا ؟ أفلا يكون ذلك دليلا على أن الحق حين يكلمنى عن غيب لا أرفض هذا الكلام بحجة أنى لا دركه ؟ .

نقول : فى ماديات حياتك كانت أمور غيبا ، ثم أصبحت مشهدا فخذ من ذلك وسيلة أيضا إلى الإيمان بأن مغيبات كثيرة لم يكن عقلك يدركها. ولكن الله أخبر بها ، فيجب أن تصدقها .

ولذلك فالقرآن حينما يميز المؤمنين يقول ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ .. لأن الذى يؤمن بالمشهد أمر يشترك فيه المؤمن وغير المؤمن . . فلا ميزة للمؤمن إلا أن يؤمن بالغيب . أما إذا كان أمر قد اقتنع العقل به والحس يؤيده ، فما داعى الإيمان ؟ لا داعى للإيمان أبداً.

* * *

الفطرة ترفض الشك

س : إلى أن نلتقى فى بيان أن الفطرة تشهد وحدها بوجود الله ، نريد أن نفهم : كيف قرر القرآن الكريم أن الفطرة السليمة ترفض الشك؟.

جـ : قال الله تعالى ﴿ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أى : لا تجعلوا لله شركاء وأنتم تعلمون أنها لم تكن وإنها تخلق . . وإنها لم تجعل الأرض فراشا . .ولم تجعل السماء بناء . . ولم تنزل من السماء ماء . .أنتم تعلمون أنها لم تعمل شيئا من ذلك فلماذا جعلتموها أندادا لله ؟

كان الله تعالى يقول : هاتوا لى ندا يعارضنى فيقول :لا . والذى جعلت السماء بناء . .أنا الذى أنزلت من السماء ماء فإن كانوا لم يصنعوا فلا يجوز أن يكونوا أندادا . وإن كانوا صنعوا فما الذى أسكتهم فلم يعارضونى.

إذن فلماذا ادعى الكفار أن لله أنداداً؟.

ذلك هو أن الآنداد لا يقيدون حركة المشركين كنا يقيدها الله فالذى يقيد حركتكم جعلتم له ندا . .والله حين يقيد حركتك فإنما يقيدها حسباً لك ، لأنه حينما قيد حركتك فقد قيد من أجلك حركات الملايين ، أما الأنداد فليست لهم مطلوبات . ولذلك فالكافر يحب الأنداد كحب الله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ . .لأنه قيد حركتنا من أجل أمننا واستقرارنا .

انظروا إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ﴾ .لماذا لم يدع الند لأنه يعلم أنه لا يخلق ولا يملك كشف الضر ولا تحويله ، فيذهب

إلى الرب الحقيقى الذى يملك كل شئ . . «منيباً إليه» وكلمة منيب تدل على أنه منصرفا عنه ثم عاد إليه.

وانظر إلى قولــه تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ . . ورجع إلى الأنداد بعد كشف الضر . . والله تعالى يقول ﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيــلاً﴾ . . لأن الأمــد لا يظل لك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ .

* * *

التقدير الهرمى للكون

الله تعالى خلق هذا الكون عن تقدير . . ولذلك . . نجد أن التقدير فى أن يتفق الناس فى معطيــات إنسانيتهم ، ويختلفوا فى مــعطيات مواهبهم هذا التقــدير . . هذا كاتب . . وهذا مهــندس . . وهذا طبيب . . وهذا مدرس . . وهذا خباز . . وهذا خادم . . ألخ .

والذى تخرج من الجــامعة لو فكر فيــمن دخل معه المدرسة الابتــدائية فقط، ومن حصل على الثانوية . ومن واصل التعليم إلى نهــايته، فسيجد أن من واصل التــعليم عــدد قليل بالــنسبــة إلى العــدد الذى دخل مــعــه الابتدائى .

هذا تقدير يريد الله تعالى به أن تكون الحياة هرمية .

أما إذا لم تكــن هرمية، يعنى انعــكست قاعدة الهــرم فصــارت فوق، وقمته فصارت أسفل، فإن القاعدة سيــكون فيها أشياء كثيرة جداً لا تقوم على ركائز الأرض وهذا اختلال فى المجتمع .

أما حين تكون الحياة، فإن كل شئ عال تكون له ركائز متعددة. ويبقى فى المجتمع بثبات. فإذا انقلب الهرم اختل النظام الاجتماعى.

فالذين يحتاجهمالمجتمع من أصحاب العمل الأدنى يجب أن يكونوا أكثر.. فالساقط والمفصول من المدارس من تقدير الله الحكيم.. هناك أعمال لا تحتاج إلى العلم العالى.. إنما تتطلب طاقة حركية فقط.

بعضهم يقول: ليأخذ الجميع شهادات عالية، ثم يعلمون فى أى حرفة. ونقول لهم: إن أحدا من هؤلاء لم يتطوع أبدا أن يجلس على «حنفية» ماء.. فالذين يحاولون أن يقلبوا الهرم يحاولون أن يفسدوا الحياة، إلى أن يأتى جيل فى قمة العلم ولا يستنكف أن يكون فى حضيض الحركة.

اعملوا ما شئتم فى الهرم، فالقدير الإلهى: أن يعطى المجتمع حاجاته قسرا دون رضاء المخلوقين. فالذى يعمل فى «الباكابورتات» لو لم يرتبط عمله بحاجة بطنه، وحاجة بطون عياله لما صنع.

أما الذى يرضى بالحركة الدينية وهو فى مستوى رفيع من العلم فإنه الله لا يتركه هكذا، ولكن يسلمه للسيادة.. انظر إلي كل العصاميين فى الأرض، تجد الذين قدروا على نفوسهم ولم يستنكفوا، أعطاهم الله فوق ما يحبون.

والذين يظنون أنهن يفعلون فى المجتمع شيئا غير هذا نقول لهم: أنتم مخادعون لشعوبكم، ولكن دعوا كل شئ فى الوجود يأخذ وضعه الطبيعى، حتى إذا ارتبط الإنسان بحركة الحياة لا يسخر منه الإسلام، لأن الإسلام لا يعرف عمل عن عمل شرف عامل على عامل.

احذر أيها المربَى «بفتح الباء» أن تتمرد على تعاليم المربى «بكسر الباء».. ماذا سيكون الموقف لو تمردت؟ سيتركك لشأنك، ويبدك مرضاً على مرض، فما أحوجك إلى ما عنده، وما أغناه عما عندك!!.

هدف العبادة

س: يقول الله تـعالى ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِيـنَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فكأن التقوى هى هـدف العبادة.. فما هو الذى نتـقيه بالعبادة؟

جـ : إذا أخذنا التقوى بقمة التقوى، تكون لصفات الجلال.. أو بآثار صفات الجـلال.. أو بهما جميـعاً. فأنت بالتقوى تتـقى صفات الجلال، وتتقى آثارها، وتتقى الاضـراب فى حياتك والتمزق فى نفسك، وفى ملكاتك، وأن تتجـه إلى ألف معبود فى الأرض.. كل هذا أتقيـه.. يجب أن يكون هناك طبقـات مستـغلة، ولكن قيـمة التـقوى هى صـفات الجـلال.. اتق كل سوءات الحـياة، وجيئئذ تكون قد عبدت الله.

لو أن الأرض اقتربت من الشمس أكثر مما هى عليه الآن بأى مقدار من المقادير، لا ختل نظام الحياة، ولو بعدت لا ختل نظام الحياة.. فإن قربت تكاد تختنق، وإن بعـدت تكاد تتجمـد من البرد، فخلقـها بهذا التـقدير مناسب للحكمة.

والحق طلب منا أن نعبده لأنه رب، وما ام ربا فـهو أهل أن يطاع فيما أمر بـه، وينتهى عـما نهى عنه، لا تفـضلا عليـه، بل حقـا له، ثم بين الغاية، وهى أن تتقى.. وترك الشئ الذى تتقيه مـشاعا، ليبيت أن عبادة الله تقينا كل أمر ضار فى الدنيا، قبل أن تقينا النار فى الآخرة.

* * *

نظرة الإسلام إلى الملكية

س : اختلفت أنظار الأمم فى شأن الملكية . . فهناك من أطلقها بلا قيد ولا شرط، وهناك من منعهـا على المستوى الفردى، فـاحتكرتها الدولة . . وعن هذا الخـلاف نشـأ الصـراع السـيـاسى بين قـوى العالم . . فما هو نظر الإسلام إلى موضوع الملكية؟ وماذا فيه من عناصر العدل الإلهى؟

جـ : الإسلام أباح الملـكية، لأنها غـريزة فى النفس . . فهـذا الإنسان يحب أن يصنع شيئا بجهـده ليكون ملكا له، فإذا حرمته من هذا فسأحرم المجتمع مـن كل آثار الطموح . والطموح فى البشر ليس فى كل فرد، بل الطموح فى أفراد مخصوصين، مما يدل على أن الملكية غريزة فى النفس، لكن النظم سواء كـانت وضعية أم دينية تهذبها وتعلى من هذه الغريزة .

إن مذهب التملـك غريزة فى النفس، لأن الله هو الذى خلق النفس، فهو يعلم طبيعـتها فيهذبها بالقرآن والدين فقط، ولكن لا يلغـيها، يحييه فيـها بقوله : أنت تملك لكن أنا أحدد لك الـطريق، وتعمل، لكن بطريق أنا أحددها لك، وتنفق، لكن بطريقة أنت أحددها لك .

أمـا أن تملك كـما تشـاء فـلا . . وعلى فـرض أننا نتكلم فى مـذهب فكرى، فتعالوا نرى معا كيف تكون الملكية غريزة فى النفس .

الطفل الصغير الذى لم يتفق ذهنه، ولا يعـرف شيئاً عن الدنيا، هات أنت عشـرة كيلو جرامات من البـرتقال لأولادك، وعندك طفل صغـير، للوهة الأولى عندمـا يراها يريد أن يأخـذها كلها، ولا يعطى إلى وجـود التملك كطبيعة فى النفس؟

إن الذى دعـا إلى وجود التـملك كطبيـعة فى النفس هو أن حـياتـها تتطلب أشيـاء تتحق بها، والأشـياء لا تتسع جـمعهـا، ولذلك قديما أيام البدائيات لم تكن هناك ملكيـة بهذا المعنى.. لأن الإنسان عندما يريد أن يرعى الغنم كان يجد مراعى كثيـرة.. وعندما كان يريد أن يبنى مثلاً كان يجد ألف مكان يبنى علية.. إذن فما دام الخير الذى يحـقق استيفاء حياة الإنسان موجودا يجده قللا، وطالبوه كثير، فما العمل؟ لابد من الحيازة.

لو أن الطفل وجد أمه أمامه حجرة ملـئية بالبرتقال فإنه إذا اراد واحدة أمامه أما عندما يجد كمية من البـرتقال صغرة فإنه يصر على أخذها كلها فى الحال.

كذلك كان الإنسـان الأول.. عندما كانت وسائل الحيـاة موفورة، لم يكن يتملك.. ومع ذلك كان التملك فى طبيعته.. فهو على الأقل يملك خباءه وثيلبه وآلة قتاله ولا يحب أن يشاركه فيها حتى أبوه.

إذن فـحب الملكية أمـر غريزى لاسـتـيفـاء أسبـاب الحيـاة فى النفس البشرية.. ومـا دمت أنت تحب الملكية فإن الله جعلهـا هكذا حتى تسعى أنت فى الكون وتـعـمل، فـإذا سـعـيت ولم يكن لـك ملك صـادمت عواطفك، وصادمت غرائزك.

ومن هنا كان الإسـلام حريصا على أن يجبـر النقص الحادث فى نفس الذى عمل ولم يحصل على ثمره عماه من الملكة فشرع له الزكاة فى مال الذى حاز نصابا من الملكية.

- إذن ما يؤخذ من المال الغنى لـتهذيب نفسه فى مـوضوع الملكية هو حق الله، وهو مناط العدل الإلهى فى الشركة بينه وبين العامل.

- نعم.. فالحقيقـة أنك أنت والآخذ سواء.. لأنه من الجائز أن تكون عـاملا اليـوم .. وغيـر عامل غـداً ..من الجـائز أن تكون قويا وغـداً

عـاجزا. . فـالله حـينما يأخـذ منك اليـوم وأنت قادر سـيـعطيك وأنت عاجز. . فالله لنا تأمينا. والقسط الذى يأخذه من مال الغنى مضاربة لله، وهو قسط التأمين. . فإذا افتقر أو أصابته عاهة، يأتى المجتمع ويعطيه.

بعد ذلك ننظر عندمـا يعطى واحد أخاه مائه جنيه ليـضارب له بها فى أى عمل من الأعـمال يشـترط عليـه اشتراطات فى الربـح، فلو قال إن الربح مناصفة كان الأمر عطيما.

لكن الله تعـالى لم يقل للعـامل: إن الربح منـاصفـة. . بل قـال له: عشرون فى المائة إذا لم يكن فى المال عـمل. . كما تسير مثـلا فتجد كنزا ويسمى هذا «الركاز» وهذا لله فيه الخمس.

فإذا كـانت المضاربة بالعـمل فى الراحة فـحرثت وبذرت فنأخـذ منك العـشر إذا لم تـتـعب فى السقى لأن السـماء هى التـملى تروى، ولأنك عملت عمـلا. . فإذا حرثت وبذرت وبحثت عن ماء لتـسقى تأخذ منك نصف العشر. أى خمسـة فى المائة. . لأن عملك زاد وكثر. . وهذه هى العدالة.

هى معاملة كريم ليعاملنا أن نتعامل هكذا مع الناس.

* * *

لماذا كل هؤلاء الرسل؟

س : هذه الرتل الهائل من الأنبياء والرسل.. وما صاحب رسالتهم من جهاد واضطهاد وحروب طاحنه من أجل إزاحة العوائق عن طريق الإيمان بالله.. لماذا لم يقهر الله الناس على الإيمان.. دون هذه المتاعب الذى ما زالت قائمة؟

جـ : نعم يقول الله تعالى ﴿ إن نَّشأْ نُنزِلْ عليهم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ .

بل أن بعض الأنبياء قد بعث ومعه قوة مذهلة يستطيع بها أن يقهر من فى الأرض فى عصره، مثل سليمان.. كان معه الريح.. ومعه جيوش من الإنس والجن.. ومعه الغلبة والقوة من الله سبحانه وتعالى. وكان من الممكن حقاً أن يرسل الله رسولا من القوة والقهر ما يقهر الناس على الإيمان بالله.

ولكن الله لا يريد ذلك. إنه يريد أن يأتى الإنسان إليه مؤمناً باختياره.. وبذلك ميز الإنسان عن سائر المخلوقات يريد من الإنسان أن يقول: ياربى اخترت طاعتك، واخترت الإيمان.. وبعدت عما نهيتنى عنه.. مستخدماً فى ذلك ما أعطيتنى من حرية الاختيار.. ليكون جزائى عندك عظيما.. فإنى إليك باختيارى.

***

الرغبة والرهبة

س : يقول الله تعالى فى حق الصالحين من عباده: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ . . كيف يجمع الإنسان بين الرغبة والرهبة فى الدعاء؟

جـ : الرغبة فى الدعاء هى الاتجاه إلى الله تعالى خشوعاً من الإنسان، ورفعاً للأمر إليه دائماً، وهذا ما يضمن الصلة الدائمة بين العبد وربه.

إذا أتى حسنة، دعا الله أن يتقبلها.

وإذا أتى عملا صالحاً، دعا الله أن يبارك فيه.

وإذا أصابته شدة، دعا الله أن يخففها عنه.

وإذا جاءه خير شكر الله، ودعاه ألا يكون فتنة.

وإذا مشى خطوة، دعا الله أن يوفقه فيها.

وإذا اتخذ قرار، دعا الله ألا يكون ظالماً فيه.

وكذا هو يعيش مع الله فى كل لحظة، رغبة فى إرضائه، واتباع منهجه.

ثم يأتى المعنى الثانى وهو الرهبة. . أى الخوف من الله تعالى والإيمان بقدرته وقوته. . والدعاء هنا يجعل الداعى يذكر الحى القيوم القائم على ملكه، لا يتركه، ويجعل الداعى يعلم أن الله سبحانه لا تأخذه سنه ولا نوم. . ومن هنا فإنه يعرف يقيناً أنه لا يستطيع أن يخدع الله، لأن المواجهة هنا ليست بين متساويين. . ولهذا فالذى يحاول أن يخدع الله فإنما يخدع نفسه. . لأن الله يملك كل القدرات بلا حدود ولا قيود.

وهذه الرهبة تجعل العبد لا يخالف منهج الله.. فهو يخشى الله حتى فيما توسوس به نفسه من شر، فيستعيذ به.. هذه الرهبة هى قمة أخرى من قمم الإيمان، تجعل الإنسان يرقب نفسه فى السر والعلانية، ويعلم أن ما يخفيه فى السر يعلمه الله.. ويؤمن بأنه لا يستطيع أن يخدع الله.

ولذلك فإن الذين يخشون الناس ولا يخشون الله إنما يعتقدون أنهم بخداعهم البشر هم أذكى منهم، وأنهم حصلوا على فوز كبير.. بينما هم في الحقيقة قد عموا عن أن الله سبحانه يعلم سرهم وجهرهم.

* * *

لا تجزع فى هذه الحالات

س : بعض الناس يدعو .. ويدعو.. ويدعو.. وهو صالح ولا يستجاب له.. فهل يعنى هذا أن الله غاضب على هذا الرجل الصالح؟

جـ : الله تعالى يستجيب حتما لخير عبده المؤمن.. وما هو قادم هو غيب عنا.. لا يعلمه إلا الله.. ومن هنا فإننا لا نصلح حكماً لما هو قادم.

وقد نطلب من الله شيئاً فيه ضرر كبير، ولو كان يبدو خيرا وقد نطلب مالا فيفسدنا ويبعدنا عن الله.. ويجعلنا نطغى.. وهذا هو الخسران المبين.

والله يريد أن يحفظنا.. وأن يعطينا ثواب الآخرة.. وأن يجعل لنا حظاً من النعيم.. ومن هنا تقف الإجابة.. وتكون رحمة الله سبحانه وتعالى.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ﴾.
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

ولكن النـاس ينظرون إلى ظاهر الحـــياة الدنيـا.. ولا يـنظرون إلى حقيقتها.

* * *

تشريع الإسلام والحياة العملية

س : نلاحظ أن الإسلام فى تـشريعه حـدد اليوم من أذان الفـجر إلي صلاة العـشاء.. وقد اعتـاد الناس أن يبدأ أعمالهم من السـاعة الثامنة صباحا، ويستمرون فيها حتى الثانية عشرة ليلا.. فهل فى هذا الاختلاف ضرر؟ وما هو هذا الضرر؟

جـ : حينمـا يتكلم القرآن عن الليل والنهـار يتكلم عنهما على أنهـما آيتان من آيات الله تعالى، فالليل للسكن، والنهار لابتغاء الفضل من الله بالعـمل.. وحين يؤذن الفجـر فقد انتـهى وقت السكون وبدأ وقت العـمل.. ووقت الراحة ليس للقـضاء على الحـركة، وإنما هو لتصعيدها ونمائها واستبقائها.. وكل ما يخالف ذلك فهو يعنى مخالفة النظام الذي وضعه الله للمخلوقات.

ولنا إذن أن نقرر ابتـغاء الفضل يكون فى فـترة الحركـة وهى النهار.. والراحة فى فترة السكون وهى الليل، وهى فترة ضرورية، لأن الإنسان له إدراكات، وكل حاسـة لابد لها من فتـرة راحة، وإلا فإنها تفـقد القدرة على العمل.. والذى يخـيف علماء العالم: أن العالم مـهدد بالصمم ، لأن الأذن فى حالة استقبال دائماً وباستمرار.

ولكن الإنسان ينقل مهمة النهار إلي الليل، ومهمة الليل إلى النهار.. وهو بهذا ينعكس ويرتد.

ويظهر هذا فى النظم المعمارية الحديثة.. التى تعمد إلى حجب ضوء النهار، والاستعانة بالضوء الصناعى، بينما الضوء الصحى هو الذى ينبعث مع عدم تعرض البصر لمصدره، مما يتحقق فى الشمس دون تدخل من الإنسان.

وفى المدن نلحظ أن الليل يزدحم بالحركة مع توفير الضوء الصناعى كمناخ ملائم لها، وذلك عناد لسنة الله فى خلقه، وقضاء على الانسجام القائم بين الإنسان والكون.

ومن هنا يتضح لنا أن استيقاظ الإنسان مع قدوم النهار، ونومه مع قدوم الليل قانون طبيعى ينطبق على جميع البشر.. وحين يصدع الداعى بأذان الفجر يكون ذلك إيذاناً للمسلم بانتهاء وقت سكونه وابتداء وقت حركته.. وكأنه يقول له: استقبل يومك بحركة مبرورة مباركة بالاستجابة لنداء من خلقك.

والتشريع الإلهى يقول: إن من استغنى عن بعض الوقن لمخصص لراحته ليلا عليه أن يجهد فيه لله تعالى.. ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

❊ ❊ ❊

احصاء نعم الله

س : يقول الله تعالى : ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ . . هل هناك دليل على أن إحصاء هذه النعم غير ممكن؟

جـ : نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى بدأ الآية بحرف (إن) التى هى للشك. والدليل على صدق هذه القضية فى أن (التشكيكية جاءت هنا هو).

إن أجهزة الإحصاء فى العالم، وعلماء الإحصاء، ومراكز الإحصاء، لم تفكر فى يوم من الأيام أن تحصى نعم الله فى الكون وتعدها. . لم يحدث ذلك اللون من الإحصاء أبداً. . وعدم الإقبال على ذلك اللون من الإحصاء دليل على أن الله صادق فى كلامه وحكمه على البشر بالفجر عن إحصاء نعمه. . ولقد رأينا إحصائيات فى كل شئ. . ولكننا لم نر إحصاء نعم الله فى الكون.

والمعروف أنك لا تقبل على إحصاء شئ إلا إذا كان فى تقدير ذهنك له حدود. . وعدم إقبالك على إحصاء نعم الله يدل علي فطرتك وذهنك مقتنعان بعدم إمكانيته.

* * *

لماذا أقسم الله بالعصر؟

س : لماذا أقسم الله بالعصر فى أول سورة العصر، وما المقصود بهذا اللفظ؟

جـ : لفظ «العصر» يمكن أخذه على أنه وقت العصر.. لماذا؟ لأن وقت العصر هو وقت الحصيلة الزمنية لمجهودك اليومى.. فحينما يأتى وقت العصر، وتنفرد بنفسك لتحاسبها، وتتذكر ما عملته فى يومك، فإذا لم تكن قد عملت عملا يقدمك إلي الخير تصبح نادماً على الأقل.. وإذا لم تندم وقتها ستندم وقت حصينة الحصادى.

إذن فالعصر من الممكن أن تأخذه على قطائفة الزمنية.. كأن الحق يقول: استقرئوا الوجود كله، وابحثوا فى العصور الزمنية كلها، فستجدون أنه لا ينجح الإنسان ولا يسلم من الخسر إلا إذا آمن وعمل صالحاً، وتواصى بالحق وتواصى بالصبر.. والزمن وقع وشاهد.

وحين نستقرئ الزمن فى هذه نجد أن الذين لا يؤمنون بالله ولا يؤمنون بقضية الحق، ولا بقضية الخير، قد تزهو لهم الحياة فترة من الزمن، ولكنها لا تطول: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ : إذن (العصر) معناها: الدليل على صدق الله فى قوله ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ .

يعنى : استقرئ الزمن ، فستجد كل عصر شاهداً على صدق هذه القضية.

حقيقة الخلافة فى الأرض

س : نسمع كثيراً: أن الإنسان خليفة الله فى الأرض.. وهذه الخلافة قضية عريضة قلّ من يفهمها على وجهها الصحيح الذى لا يحييد عن الحق.. فما هو معنى الخلافة الآدامية فى الأرض.. حتى يكون كل إنسان على بينة من أمره وهو يعامل ربه جل وعلا.

جـ : أنا أزرع الأرض، والفلاح يزرعها، فتستجيب له.. والنبت ينبت.. هل أنا جذبت النبات بقوتى؟ أبداً.. إننى حرثت فى أرض الله، بقوة الله التى وهبها لى، وبعد ذلك رويتها بماء الله، ثم تركتها بعد ذلك، ولا أعرف كيف تتفاعل مع التربة، أنا لا أعرف كيف تتم العملية حتى يأخذ النبات الغذاء من الأرض. كيف ينب؟ لا أعرف. ولذلك حين يأتى الله لينصف الإنسان يقول: ياإنسان، أنا أنصفك.. أنت لا تزرع، إنما أنت تحرث فقط ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ .. خذ حقك واعطنى حقى.

أنت تحرث فقط.. وإن كنت تعتقد أنك تزرع فأرنى كيف تأتى ببذرة غير بذرتى، وتضعها فى تربة غير تربتى وتسقيها بماء غير مائى؟ إن استطعت أن تعمل هذه العمليات حقاً فأنت تزرع حقاً.. لكنى أنصفك وقلت لك: إنك تحرث فقط، وأنا أزرع.

وبعد ذلك انظر إلي قضايا الوجود كله، لا نجد فيه قضايا ثابتة أبداً.. قضية الحياة.. أنا خلقت لك الموت.. فإن كنت ماهراً فافلت من الموت.. ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ ﴾.

وقضيــة القوت. . الله أعطانا القوت بنظام. يقول لك: لا تعـتقد أنك إذا حرثت وأثـمر الزرع، أنك بهـذا نجحت. . لا. . ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾.

ينبهك إلي أن قضية الوجود لا تحكم الحق. . ولكن لا تزال يد الله فى كونه. . وإياك أن تغـير بباطل يزدهر للمـبطلين. . أو بفترة زمنيـة تغرى الظالمين. . فـإننى لن أميت أحـداً رأى ظلمـهم حتى أريه مـصارعـهم. وأمامنا الشاهد والواقع الحق.

* * *

منهج الدين

س : يطيل المؤلـفـون والمفكرون القـول فى منهج الديـن حـتى ينسى القارئون، ولا يستطيعـون الإلمام به. . ثم يتناقشون فى أجزاء منه من هـنا، وأجـــزاء مـن هناك. . ومـن ثم تحـــدث الـبلبـلة والاضطراب. . نريد كـلامـاً موجـزاً يجـمع أطراف منهج الدين بحيث يعرفه كل مسلم على أى مستوى ثقافى.

جـ : الحق سبحـانه وتعالى حين وضع لنا منهجـاً بذلك الوجود قال: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾. . هذا هو منهج الدين كله.

منهج الدين هو: عبادة الله الذى أنشأنا من الأرض، واستعمرنا فيها.

فإذا أردنا أن نعرف كيف نعبد الله، نعبده بماذا؟

نعرفـه المعرفة اليـقينية التى تؤكـد لى أنه رب يجب أن نؤمن به. . بل لابد أن نعـرفه مـعرفـة من يسلم له قـيـاده. . بعد ذلك يكون الإسـلام إسلاماً.

إذن الأول : إيمان بالقوى. . ويأتى بعد ذلك اسـلام الحركة. . واسلام الحركـة قد يأخذ شكلية. . بحـيث إذا رأيته يقول لك إنى أعـمل كذا. . ولكن الله تعالى يريد اسلاماً موضوعياً. . فيأتى مقام الإحسان.

إذن فحركـة الحياة كلها، لكى تؤدى الحـياة مهمتـها: إيمان بالله يوجه حركته. . اسـلام يمده الحركة. . محاولة الاتقان والاحـسان فى كل عمل تؤديه. . وهنا تكون حصيلة الإيمان موجودة. . بعد ذلك يمكن أن نتصور كوناً فاضلا. . وسعيداً.

والرسـول ﷺ يقـول: «إن الله يحـب إذا عـمل أحـدكم عـمـلا أن يتقنه»[١]. عمن لمن؟ لنفسه لا يحتاج إلي هذه الوصية. . الوصية إنما تأتى حين يكون العـمل للغيـر. نقول له: وبذلك تضـمن أن يتقن لك الغـير عملك فى جـميع زوايا حياتك. . فـإذا أتقن لك الغير العمل فى جـميع زوايا حياتك فمن أين يأتى الفساد فى الكون؟

إذن ففساد الكون لا يأتى إلا حين يخالف الناس منهجاً من مناهج الله فى حركة الحـياة، وحين يوجد أثر تلك المخالفـة يكون دليلا على صدق التشريع فيها.

لو أن العالم استقام مع مخالفتـه لمنهج الله، واستقامت له الحياة، كان الذين يسمـعون منهج الله يقولون: نـحن لا نسير على منهج الله والحـياة حسنة وسائرة معنا جيدا.

ولذلك نجد القـرآن جاء فى سورة قصـيرة ليحدد منهج الله فى الحـياة بشهادة من الواقع. لأن الواقع ليس مع العبد أبداً. فيأتى الحق ويقول:

---

(١) أخرجه أبو يعلى فى مسنده حديث (٤٣٨٦) ، والبيهقى فى شعب الإيمان حديث (٥٣١٣)، والطبرانى فى الأوسط حديث (٩٠١) .

﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾.

إن الإنسان على إطلاقة، أمى غير مرتبط بمنهج الله لابد أن يكون فى خسر.. الإنسان إذا كان قد أخذ الحياة والفكر من الله، ثم لم يأخذ المنهج من الله لابد أن تكون نهايته إلي خسارة..

فالعبادة هى توجيه الحركة على حساب معمول لها.

ولا تفهم أن العبادة هى مجرد الصلاة فقط.. بل أن الصلاة هى الشحنة التى تعينك على حركة الحياة على منهج الله.

* * *

الضلع الأعوج

س : جاء في الصحاح أن المرأة «خلقت من ضلع أعوج.. فهل يعتبر هذا الوصف انتقاصا للمرأة؟

جـ : ليس هذا انتقاصا للمرأة بأى حال. بل هو كشف عن صلاحها لمهمتها التى خلقت من أجلها.. تصور أن الضلع خلق مستقيما، هل كان يؤدى مهمته فى صدر الإنسان؟ لا.. إنما اعتداله لمهمته أن يكون منحنيا.. فإذا اعتقد السطحيون فإن خلق المرأة من ضلع أعوج ذمٌ لها فهذا خطأ. أنه ليس ذما فى الحقيقة

فما دامت المرأة خُلِقَتْ من ضلع أعوج فى الأصل، فمهمتها لا تصلح إلا إذا كانت فى الواقع كالضلع فى الانحناء.. لتحمى بحنانها الطفولة.. عوجها هذا يعنى أنها عاطفية، وهذه هى مهمتها، لأنها ستتعرض لطفل لا يبين عن الآمه.. هذه هى مميزتها، أن تكون منحنيه على الطفل كالضلع بحنانها وعطفها.. ولهذا يقول رسول الله ﷺ: «وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه.[1] أى القلب والرأس والصدر من المرأة».

هذه هى المهمة: «فان أردت أن تقيمة كسرته»[2].. هذه تكلمة الحديث.. أى إن أردت أن تغير عوج المرأة فقد أخرجتها عن مهمتها وفسدتها. لأن مهمتها التى خلقت لها هى هذه: أن تكون رقيقة عاطفية. ولا يكون الحزم والعقل تاما فيها. لأن رعاية الطفل فى حاجة إلى

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، حديث (٣٠٨٤)، وسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء حديث (٢٦٧١).

(٢) نفس التخريج السابق.

اعوجـاج الضلع وانعطافـه عليه. «وكـسرها طلاقـها أن ذلك من طـباع المرأة.. ولذلك يقول الرسول ﷺ فاستمتع بها على ما فيها من عوج..

* * *

مرض القلب

س : ما هو المراد بمرض القلب الوارد فى القرآن هو المرض الحسى؟ وإذا لم يكن فرضا، فما معنى مرض القلب إذن؟

جـ : المراد بمرض القلب فى مثل قوله تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾: مرض المعنوى. وهو : خروج القلب عن حد اعتداله..

وحد اعتدال القلب: أن يكون بصدد أى عقيده تعرض عليه فارغا مما ومن سواها، ثم يناقش القضيتين يأيهما يقتنع به يدخلها فى قلبه.. هذا هو القلب السليم.

أما أن يبقى فى القلب قضية، ثم يناقش الأخرى المضادة لها فليس فى هذا عدالة استقبال، ولا اعتدال فى صحة القلب.. بل حد اعتداله أن تخرج الاثنتين من قلبك، وأن تناقشهما، وتدخل أرجحهما فيه، هذا هو الحق والاعتدال، لأن الله ما جعل لرجل من قلبين فى جوفه حتى يناقش بهما قضيتين، بل هو قلب واحد وحيز واحد، والحيز الواحد لا يتداخل فيه مظروفان أبدا، فإن كان فى قلبك قضية الإلحاد، ثم ناقشت قضية الإيمان، فلن يدخل الإيمان قلبك أبداً.

انظر فى المحسوسات فى الزجاجة الفارغة حين تضعها فى الماء، فإنها (تبقبق) لأن الماء لا يدخل إلا إذا خرج الهواء وخروج الهواء هو (البقبقة) فإذا لم تفرغ قلبك تماما حين تناقش قضية، فقد جانبت الفطرة، وأدخل هواك شيئاً واستقر فى قلبك.. وبعد ذلك تناقش بهوى مستقر فى قلبك.. وهذا هو المرض.

ومن يصر على مسلكه المريض هذا فإن الله يزيده مرضا فى قلبه، فهو سبحانة يقول ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ حتى ينتهى مرض القلب إلى (الختم).. ومعنى الختم الاستيثاق من أنه لا يخرج منه ما هو فيه، ولا يدخل ما هو

خارج عنه.. لأن مريض القلب فى هذه الحالة قد اختار الهوى، فختم الله عليها ليبقى الهوى فيها، وهو ما أخبره . أما صحة القلب فلا تكون الا بمجاهدة الهوى ونتيجتها الهداية ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ .

* * *

تعدد الأزواج للنساء

س : لماذا لم تقرر الشريعة الجمع بين الرجال للنساء، كما قررت الجمع بين النساء للرجال؟

جـ : لأ ن الله تعالى يكرم المرأة بذلك، ولأن المرأة الكريمة على نفسها لا تقبل أن يتعدد عليها الرجال.. إذن فالله تعالى حين لم يعطها تعددا فى الصنف المقابل لها فإنما أراد أن يكرمها ويعزها، ولا يتركها نهبا لكل فحل يريد أن يطأها.. وإننا لنجد فى نسائنا فى الدنيا من تسمو نفوسهن وتأبى كرامتهن إذا مات زوجها أن يتعدد عليها رجل آخر بعد زوجها ولو بما أحل الله.

س : ولكن المستشرقين يثيرون المرأة حتى فى الدار الآخرة. حيث ينتهى زمن التكليف، ويقولون: ان للرجال فى الجنة زوجات ولكن ليس للنساء ازواجاً.

جـ :إنهم يريدون المرأة هلوكا على وجه من وجوه الشهوة... فهم يريدون أن يدخلوا فى روعها أن الله حرمها ذاك ونسوا أن الحق كرمها بذلك تكريما يشهد لها بأنها عفيفة. وبأنها عزيزة، لا تحب أن يتعدد عليها الرجال.

قلت لمن سألنى مرة ونحن فى أمريكا وقد جاء لى بهذا الاعتراض تعدد المرأة بالنسبة للرجل، وعدم تعدد الرجال بالنسبة للمرأة وقالوا:

لماذا تعدد المرأة بالنسبة للرجل، ولا يتعدد الرجال على المرأة الواحدة؟

قلت لهم: سألتكم بالله أعندكم فى بلادكم إباحة للبغاء؟

قالوا: هنا فى بعض البلاد إباحة للبغاء.

قلت: فكيف تحتاطون لصحة الناس؟

قالوا: بالمباشرة الصحـية.. يكشف على المرأة التى تتعرض لذلك كل أسبـوع مرتين وتفـاجأ بمالا عـدد له لنتأكـد من سلامـتهـا من الأمراض السريه. لنضمن سلامة المترددين عليها.

قلت: كلام جميل.. هل كشفتـم على امرأة متزوجة كل أسبوع . أو كل شهر مرة؟

قالوا: لا..

قلت لماذا؟

قالوا: لأنها لا تـتعرض إلا لماء واحد هو ماء الزوج، لأن الخـبيث من الأمراض لا يكون إلا حين يتعدد ماء الرجال فى مكان واحد..

قلت: إذن صـدق الله حين أباح تعـدد المرأة لـلرجل، ولم يبح تعـدد الرجال للمرأة؟

ثم قلت: أجيبونى أيضا لماذا لا تجعلون أيضا مكانا يجلس شباب لتأتى الفتيات ليرحن أنسفهن من عناء الغريزة معهم كما ارحتم الشباب؟

قالوا: لم يحدث ذلك أبدا.

س: وعلى أى شئ يدل ذلك كله؟

جـ: على أن تعـداد الرجال على المـرأة يزرى بها، ويعـارض الفطرة السليمـة فالفطرة السليـمة لا تفكر فى أن يجلس الشبـاب لتأتى الفتـيات ليرحن أنفسهن معهم من عناء الغريزة الجنسية إذن فالشريعة الإسلامية هنا هى امتداد لصيانة المرأة ، وعزة المرأة.

* **

قضية التوكل والتسبب

س : أمرنا الله بالعمل والضرب فى الأرض لاستنباط الرزق.. وأمرنا بالتوكل عليه وحده فى كل شئ وبخاصة الرزق.. وبين العمل والتوكل ضلت أفهام.. وتزعزع إيمان.. فما هو فصل المقال فى هذه القضية الخطيرة؟

ورغم أن الناس اخطأوا وحين حصروا العمل والتوكل فى موضوع الأرزاق المادية وحدها، ولم يشملوا بالعمل والتوكل كل الظواهر المادية كالرزق المادى، والظواهر المعنوية كالعلم والاختراع والطاعة والصلاح فإننا نرى أن الضوء على المشكلة المادية يكفى لإنارة الطريق أمام المسلمين فى الأمور المعنوية.

جـ : فى صدد الرزق المادى قال الله تعالى ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۞الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ . وقال: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ أقسم لنا لنصدقه سبحانه وتعالى. ضمن لنا ما يقيم الحياة ولكنه أمرنا بالعمل لتنشيط مقومات الإنسان المعنوية، وهى العقل والعواطف والوجدان.. حتى لا يصبح الانسان ماديا بشعا.

فالجوارح كلها يجب أن تعمل.. والقلب بجميع مواهبه يجب أن يتوكل.

س : ما دام قانون التسبب نافذا، وقانون التوكل نافذا. فلماذا لم يترك للإنسان حرية اختيار أحد الطريقين دون الآخر: أن يكون عاملا غير متوكل.. أو متوكلا غير عامل؟

جـ : لا .. بل لابد أن يعمل الإنسان بالقانونين معا.. أن يزاول

الأسبـاب المؤدية إلى استنبـاط الخير مـن الأرض. . وذلك حتى ينشط العقل ويرقى ويتـقدم فى ابتكار ما فـيه خير الانسـانية وأن يربط قلبه بخالق الأسباب ومـسخرها. . تأمينا للإنسان من الذلل عند الامتحان باختلال الأسباب. . . وهذه هى التقوى ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ وذلك حتى تقوى وجدانات الإيمان وتسـتقر تمامـا على الإيمان بوجود مسـبب قادر قـاهر. . وحتى لا تؤمن بأن عـملك هو الذي أوجـد لك الرزق فـتقف عـلى أبواب الكفـر وبلادة القلب. . فـيقـول لك الله إن عملك قد ينتهى إلـي غير نتيجة فيعـوضك الله حينئذ أن توكلت عليه. حتى يفرغك إلى مالا يمكن تعويضه من خسارة الإيمان.

فالتوكل القلبى لا يعفى من العـمل البدنى والعقلى. . . ولكن التوكل القلبى حـماية للإنسان من أن يفـتتن بالأسبـاب ونتائجـها ومن أن يقف عندها. ويغـفل عن المسبب وهو الله تعـالى. . . التوكل هو الحـماية من الخوف والفزع عند تخلف الأسباب، بل وعند استجابتها أيضا.

س : كيف ولماذا يخاف الناس ويفزعون والأسباب تواتيهم بما يريدون؟

جـ : انظر حولك فى العـالم كله. . تجد عصـرا مضطربا قلقا مـتوتر الأعـصاب لاهثـا وراء المادة لا يشـبع، ولو كـان ذلك بين الأمم الفقيرة لكان الأمر سهلا، ولكنه كذلك بين الأمم القوية الغنية. . كان المفـروض أن تسعـد الأمم القوية بما واتـتـها به الأسـباب من سيـول مقومات الحـياة. . ولكنا لا نجد فـيها الا الشقـاء المتزايد بتزايد الكشـوف والتقدم. . هذه الحروب. . البـلايين للسلاح. . الجيوش المتأهبة من الخوف. . كل ذلك لأن هناك عنصر مفقودا، هو أن العالم وإن استقرت مادياته، فـهو يفتقد عنصر الأمان من

الخـوف.. ولا أمـان من الخـوف إلا بتـوكل القلوب مع عـمل الأبدان... لا يمكن أن تأمن أمة من الخوف ألا إذا آمنوا بأن الله من وراء الأسـباب.. وهو صـانعهـا.. ومـالكها.. ويقـدر أن يوقفـها.. وهو الذى يـعوض المتوكـلين إن توقفت الأسـباب أو اضطربت.. ويزيد الجاحدين فزعا ورعبا مهما وأتتهم الأسباب.

الناس مـحكومين بحـساب دقـيق من الله فى هذه القـضيـة، ولكنهم غافلون عنها عملوا ونسيت قلوبهم خالق الأسباب... أو توكلوا بقلوبهم وجـوراحهم فـأهدروا شطر الإيمان وهو العـمل.. وكـلاهما جـانح عن الطريق : الحق أن تعمل بجـوارحك متوكـلا بقلبك على الله، مؤمنا أنه رب الأسباب ورب العالمين.

❋ ❋ ❋

العصبية في الإسلام

س : هل هناك عصبية في الإسلام؟

جـ : نعم. هناك عصبية في الإسلام.

س : لأي شيء تكون العصبية في الإسلام؟

جـ : لله وحده.. فلا عصبية للنفس. ولا للجنس، ولا للبيئة، ولا لأي شيء في الوجود غير الله وحده.. والأحاديث في تحريم العصبية لغير الله كثيرة منها قوله ﷺ «ليس منا من مات على عصبية»(١).. وهذه القضية مسجلة في القرآن وفي سلوك الرسول ﷺ.

أما القرآن فقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾.

وأما سلوك النبي ﷺ وأصحابه فقد سجه الله تعالى في صدد الحرب التى كانت بين الفرس والروم. فالفرس كفار يعبدون النار، ويكفرون بالله ورسوله محمد ﷺ. الروم أهل كتاب يؤمنون بالله وبالمسيح. ولا يؤمنون بمحمد ﷺ.. ولذلك حزن رسول الله عليه وسلم وأصحابه حينما هزم الروم المسيحيون على أيدى الفرس عباد النار حتى نزل القرآن يعلن أن الروم سوف ينتصرون.. ويعلن فرح المسلمين بنصر الروم المسيحيين على الفرس في قوله تعالى:

---

(١) حسن : أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب فى العصبية حديث (٤٤٥٦).

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ﴾

وذلك لأن العداء بين المسلمين والفرس في القمة، لأنهم ينكرون الله. أما الخلاف بين المسلمين وبين أهل الكتاب فبعيد عن القمة.. هو خلاف حول نبوة محمد ﷺ أو حول تصور الإله.. ولكن مبدأ وجود الله رالإيمان به متفق عليه بينهم، ومن هنا كان قلب رسول الله ﷺ وقلوب المؤمنون مع أهل الكتاب.. وكانت عصبية محمد ﷺ لربه أقوى من عصبيته لنفسه، لأن الذين كفروا به هو كانوا أقرب إلى قلبه من الذين كفروا بالله.. وكانت البشرى بانتصار أهل الكتاب على الكفار مصدر فرح للمؤمنين.. لأنهم جميعا يؤمنون بالقمة، وإن كانوا يختلفون في الرسول الذى بلغ.

* * *

قضية السنة النبوية

س : ظهـرت بدعة انكار الـسنة النبوية كـأصل من أصـول الدين في العصر الحاضر مرة أخرى، وارتفعت هذه الأصوات بوجوب اتباع القرآن وحـده دون السنة، فـما حكم الإسـلام في هذه القضـية الخطيرة؟

جـ : استمرار الـسنة النبوية حتى يومنا هذا معجزة من بـاطن معجزة القـرآن « . . وعلى الذين يتـشككون في الســنة أن يفطنوا إلى أن تشككهم في بقـائهـا يؤدى بهم إلى الشك في مـعـجزة القـرآن نفسها . . » وذلك لأن الله تعالى يقول في كتابه:

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالـــزُّبُرِ وَأَنــزَلْنَا إِلَيْكَ الـــذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلـــنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

فمهمة الرسول ﷺ: بيان ما نزل إليه . . ثم الحق في آية أخرى.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾.

فنسب البيان الذي كلف الله به رسوله إلى ذاته تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ . . فلو لم يكن البيان النبوي حقيقة ملزمة للمسلمين لما جاء في القرآن منسوبا إلى الله تعالى . . وعـليه فالإيمان ببقاء سنة النبي ﷺ هو معجزة القرآن.

وقوله الله تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الـرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانـتَهُوا وَاتَّقُوا الـلَّهَ إِنَّ الـلَّهَ شَدِيـدُ الْعِقَابِ﴾.

يدل على أن للرســول ﷺ عمـلا مع القـرآن . . وما دام له عـمل مع

القــرآن فلابد أن يقــوله أو يفعله أو يقــره، وهذا إن عاصــره.. ومن لم يعاصره مطلوب منه أن يأخذ مــا أتى به الرسول ﷺ أيضا، ولذلك لابد من أن يبقى قوله وفعله وتركه وإقراره.

وإذا كان الــرسول ﷺ قــد بلغ عن ربه ثلاثا وعشــرين سنة، وكلامــه وفعله وإقرار فعل الغــير أمامه بيان، فبــالله ليقل لنا المتشككون في السنة كم ترك النبي ﷺ من حــديث وهو يبين ما أنزل إليــه من ربه كمــا أمره ربه؟

إذن فلو استــعرضنا ما بقي لنا من صــحيح الحديث وجــدنا أن ما بقى أقل بكثيــر جدا مما كان يجب أن يكون.. فــقد تركنا الكثيــر من الحديث حتى نصحح المقاييس والمصافى التي نأخذ عنها ما قاله رسول الله ﷺ. ولأن يترك شئ مما قاله خير من أن يدخل على حديثه شئ مما لم يقله.

والذين أرادوا أن يكون مرجعنا في كل أمر هو القرآن فقط، عليهم أن يوجدوا لنا في القرآن تفاصيل أركان الإسلام فقط... لا أقول كل تعاليم الدين.. إن هؤلاء الذين أسرفوا على أنفسهم، واجترأوا على هذه الفرية هم بقولهم هذا وبأنفسهم شــهود على أن حديث رسول الله ﷺ قال عن هؤلاء أحاديث، وأخبر عن وجودهم في مســتقبل الزمان، فلو لم يقولوا ما قــالوه من انكار السنة ولزوم القرآن وحــده وجدنا مصــداقا من الواقع لحديثه عنهم. فقد قال ﷺ:

«يوشك رجل يتكئ على أريكتــه يقول: بيننا وبينكم كــتاب الله، فــما وجدنا فيه من حلال أحللناه، ومــا وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وأن ما حرم رسول الله كما حرم الله»(١).

---

(١) صحــيح: أخرجــه الترمذى، كــتاب العلم، باب مــا نهى عنه أن يقال عند حــديث النبى ﷺ حديث (٢٥٨٧)، وأبو داود، كتاب الخراج والإمارة والفئ، باب فى تعشير أهل الذمة إذا=

فلو لم يكن هؤلاء قد افتروا هذه الفرية لشككنا في حديث رسول الله ﷺ هذا إذن فقولهم هذا دليل على صدق ما يدعون كذبه.

* * *

= اختلفوا بالتجارات حديث (٢٦٥٢)، وابن ماجه، كتاب المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ حديث (١٢).

حقيقة النظام الطبقي

س : آفة العصر الحديث شئ ابتدعه المفسدون في الأرض اسمه «النظام الطبقي». . فقسموا المجتمعات إلى طبقات من حيث الغنى والفقر وما يتبعهما من عمال وأصحاب أعمال. . ونتج عن ذلك نظامان سياسيان هما: الرأسمالية والشيوعية. . وتسلل هذان النظامان إلى عقول المسلمين حتى شغلهم عن نظرة الإسلام إلى هذا التفاوت الظاهر بين الناس في الأموال والمواهب والقدرات. . ونشأت عن كل ذلك جريمة فكرية في عقول بعض المسلمين، فراح بعضهم يخضع للإسلام لموازين هذه المذاهب الجديدة فيكتب بعضهم الكتب في أن «الإسلام دين الاشتراكية». وبعضهم في أنه «دين الحرية». . هكذا على إطلاقها، مما طمس معالم الإسلام في عقول الكثيرين من المسلمين. . فما هو حكم الإسلام في هذه القضية الخطيرة على مسار الحضارة الإسلامية؟؟!!

جـ : الإسلام يرفض رفضا قاطعا تصنيف الناس إلى طبقات بالمعنى العصرى. . بمعنى أن هناك أناساً في الطبقة الدنيا، وأن هناك فواصل عميقة بين النوعين.

ولكننا عندما نرى الناس متفاوتين، فهذا التفاوت هو عماد والكون، لأن الله تعالى لا يريد لمجتمع على أنه أناس مكررون. . . كما يريد أن يتكامل أفراده. . ومعنى التكامل أن يوجد في إنسان خصلة قوية تكون ضعيفة عند آخر، وفي اللسان خصلة ضعيفة تكون قوية عند آخر. . وليس معنى التفاوت أن هناك أناسا فرضت عليهم القوة المطلقة،

وأناسا فرض عليهم الضعف المطلق.

والذى ضلل الناس: أنهم ينـظرون إلى الموضوع من زاوية واحـدة هى الغنى والفقر. أو السيادة والتبعية.. إنما الحق أن ينظر الناس إلى كل زوايا الحيـاة في الإنسان.. لا تنظـر إلى الإنسان من حـيث هو غنى وفقـير، ولكن إلى ما وهب البعض من خصال الخير وهى لا توجد عند الغير.

إذن فالتكامل إنما ينشأ من أن يكون إنسان قويا فـي شئ وإنسان ضعيفا في شئ والضعيف في هذا الشئ قويا في شئ آخر، وأنت ضعيف فيه.. وحين يوجد ذلك يكون الالتحام الوجـودى أمرا لا مفرا منه. إنه التكامل والتكافل، وليس الطبقة.

س : ولكن الله تعالى رفع بعض الناس درجات بنص القرآن، وارتفاع الدرجات ينشئ فاصلا بينها حتى يصبح الناس طبقات.

جـ : هذا تجاوز في الفهم أدى إلى الخطأ في فقه المجتمع القرآنى.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾.

والناس ينظـرون إلى رفع بعض الناس درجـات فـوق بـعض على أنه الغنى والفـقـر فقط.. ونحن نـقول لهم: لا.. الله لم يـحدد البـعض المرفـوع، ولم يحدد البـعض المرفوع علـيه.. بل جـاء بكلمة (البـعض) الشائعة في الإيهام ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ فمن المرفوع؟ ومن المرفوع عليه؟

لو نظرنا لوجدنا أن كل بعض فـيه خصلة مرفـوع فيها، وفـيه خصلة مرفـوع عليه فيـها، بحيث أن مـجموع كل إنسـان يساوي مجـموع كل إنسان.. فإذا أردنا أن نعمل حسابا دقيـقا فلابد أن نأخذ مجموع درجات أى إنسان في الزوايا المختلفة: الصـحة.. المرض.. السعادة.. الأمن..

الذكاء.. الأخلاق.. العلم.. ونرى كم أخذ هذا من الدرجات، وكم أخذ هذا، ونجمع المجموع، فنجد أن مجموع درجات الإنسان يساوي مجموع غيره...

ولا تفاضل بعد ذلك إلا في التقوى.

- إذن كل إنسان مرفوع على غيره في شئ، وغيره مرفوع عليه في شئ؟

- نعم.. هذه هي نظرة الإسلام.. ليس الغنى والفقر فقط.. انظروا إلى كلمة المعيشة في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾.

فالمعيشة ليست الغنى والفقر فقط.. المعيشة عدة نشاطات وزوايا.. أشياء كثيرة جدا.. خذ هذه الزوايا والنشاطات ثم احسب درجات كل إنسان نجد أن مجموع كل إنسان هو مجموع الآخر مع أنه قوي في شئ وضعيف في شئ آخر.. هو مرفوع في شئ ومنخفض في شئ، وغيره كذلك.. ومجموع الناس مجتمع متكامل لأنه متكافل ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾.

الناس يفهمون أن الغني يسخر الفقير فقط.. أو القوي يسخر الضعيف.. بل إن الفقير أيضا يسخر الغنى.. والضعيف أيضا يسخر القوى.. فالتجار الأغنياء مسخرون لجلب الأقوات للفقراء.. والأطباء العلماء مسخرون للضعفاء من المرضى. وهكذا.

إذن لابد من أن ننظر إلى الوجود كله خلقه الله متكاملا.

بأن جعل فلانا قويا في شئ، وفلانا قويا في آخر.. وهنا مصدر الأخلاق في الإسلام.. أى إذا كنت قويا في مظهر من مظاهر الحياة ولا تنظر إلى من ليس قويا فيه نظرة المتعالي عليه.. بل يجب أن تبحث عن

الخصلة التى امتاز به عليك.. وهذه النظرة ستردك عن تعاليك على غيرك، وستوثق عرى أخوة الإيمان بينك وبين غيرك ﴿لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ .

س : إذن كيف نشأت الطبقية الخاطئة؟

جـ : من النظر الجزئية غير الشمولية.. لقد قالوا عن رسول الله ﷺ :﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ .. فقاسوا الغزة والذلة بمقياس المادة وحده.. وقالوا عن المؤمنين أنهم سفهاء ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ .. قسموا الضعفاء والمضطهدين ومن حذا حذوهم في الإيمان بالسفهاء.

وقال بعضهم لرسولهم: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ . وما الأراذل عندهم إلا الفقراء المستضعفون.

وهذا منطق الكفر.. فحينما يأتي دين من السماء لا يأتي إلا في مواجهة باطل شرس، وما دام هناك باطل، فهناك منتفعون بالباطل، ومن الذى ينتفع بالباطل؟ هم سادة قومهم وأعيانهم، أما الباقون فهم المستضعفون الذين يستغلهم السادة.. ومن هنا ومن خلال هذه النظرة الجزئية العوراء نشأ الاستعلاء.. ثم الطبقية المخربة والكبر الاجتماعي.

❊ ❊ ❊

الواحد الأحد

س : من أسماء الله تعالى (الواحد). ومن أسمائه كذلك (الأحد) والناس يقرءون ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.. والأكثرون لا يفرقون في المعنى.. فما هو الفرق بينهما؟

جـ : الشئ قد يكون واحدا، ولكنك إذا نظرت إليه وجدته مركبا من أشياء. وكلمة (أحد) تنفى هذا التركيب.. قد يكون الشئ في ذاته واحدا، ولا يوجد فرد ثان مثله، إنما هو في ذاته مركب من أشياء، وما دام مركبا من أشياء فإن الكل محتاج إلى أجزائه، وكل جزء محتاج إلى أن ينضم إلى الجزء الآخر، فيبقى هناك احتياج.

فإذا قلنا: الله واحد، فمعناه: نفى أن يكون هناك واحد مثله.. إنما لم ننف عنه أنه في ذاته مركب.. أما كلمة (الأحد) فتعطي معنى كلمة (واحد) ولكنه غير مركب من أجزاء.

* * *

ظهور الجن للناس

س : جاء في الحديث أن النبى ﷺ قال: «رأيت جنيا، وأردت أن أربطه بسارية المسجد حتى يتفرج عليه صبيان المدينة»(١). وقبض أبو هريرة على جنى كان يسرق من تمر الصدقة.. فلماذا لم يعد الجني إلى طبيعته فلا يستطيع أحد يمسكه؟

جـ : إذا تصور الجني بغير صورته الأصلية فقد حكمته الصورة التي تشكل بها.. فلو تصور الجني بصورة حمار أو كلب أو إنسان، وكان معك مسدس، فأطلقت عليه الرصاص فإنه يموت في الحال.

وهذا هو الضمان الذي صنعه الله تعالى للإنس من الجن، وإلا لكان الجن قد أفزعوا الدنيا كلها، وجعلوا حياتنا نكدا.. إنما هم يفهمون أن التشكل بالنسبة إليهم أمر مخيف، لأن الصورة تحكمهم، ومن هنا يمكن قتل الجني والقبض عليه.

يؤمن الكثيرون بعمل الجن في السحر، ولا سيما في مساعدة الناس في موضوع الحب والكره، بل قالوا: انه يعطل المرأة عن وظيفتها الجنسية بالنسبة للرجل بما يسمونه (ربط المرأة). فما حقيقة هذه المسألة؟

ـ لا مانع من أن الله تعالى يعطي بعض خلقه خصائص، هذه الخصائص تسخر له الجن، فيجئ الجني القادر على التشكل بعد تسخيره بواسطة إنسان له خاصيته التسخير، ويجئ الجني للمرأة الجميلة، ويتشكل في صورة قبيحة يجعلها قناعا على وجه المرأة الجميلة.. فيقول زوجها مثلا: اني أراها أمامي كالقرد.. ويكرهها.. وبالعكس في الحب..

---

(١) أخرجة أحمد فى المسند حديث (١١٣٧١).

يتشكل بصورة جميلة يـجعلها قناعا على وجه امرأة فيحبـها بالعمل كما يقول الناس.

وكذلك يتـشكل الجن في صورة قطعـة لحم ويسد فرج المرأة، فـيجئ زوجها فيقول: جئت ناحيتها فلم أجد لها شيئا.

* * *

الذي عنده علم من الكتاب

س : من هو الذى عنده علم من الكتاب، قال: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾؟ (بالكاف) في الآية؟

جـ : المخـاطب بالكاف في الآية هو سليمـان عليه السـلام.. والذي خاطبـه بهذا هو الذي عنده عـلم من الكتاب من قـومه، والذي عنده علم من الكتـاب قد أخـذ من الله قـانونا أقوى من قـانون العفـريت من الجن.. وذلك ليعرفنا الله أنه تعـالى يقدر على أن يعطي للأدنى وهو الإنسان قوة تفوق عفاريت الجن..

* * *

هل أوتي الرسول علما خاصا لم يبلغنا عنه؟

س : يرى البعض أن من علوم الرسول ﷺ ما هو خاص به، ولم يبلغه لنا.. ويرى البعض الآخر أن هذا خطأ وليس في علوم النبي شئ مكتوم عنا.. فما هي الحقيقة؟

جـ : حينما تكلم رسول الله ﷺ عن آثار معراجه إلى ربه قال عند قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ أن الله سبحانه وتعالى أعطاه ثلاثة أوعية من العلم.

الأول: وعاء أمره أن يبينه للناس جميعا.

الثاني: وعاء خيره الله في أن يبلغه أو لا يبلغه.

الثالث: وعاء نهاه الله عن تبليغه.

وبيان ذلك: أن الرسول ﷺ مبلغ عن الله سبحانه وتعالى منهجه لخلقه، أي: افعل ولا تفعل. فهذا وعاء بلغه الرسول للناس جميعا، فلم يكتم أمر به المكلف، لأنه إن فعل أثبت، وإن لم يفعل عوقب. فلابد أن يبلغ المسلمين جميعا أمر الله ونهيه: افعل ولا تفعل.

وأما الوعاء الذي خيره الله فيه وعاء يتصل بكونيات، وبعض الأسرار التي يجد الرسول ﷺ فيمن يستقبله منه استعدادا صفائيا خاصا، بحيث إذا ألقى إليه حقيقة من حقائق الوجود لا يستهون هذه الحقيقة، لأن صفاءه وصفاء نفسه يساعده على تقبلها.. وذلك أمر لا يضر الناس جهله، وهذه الأسرار ليست مطلوبة تكليفا، ولكنها مطلوبة ارتقائيا لصاحبها فقط.. فإذا حدث الناس بسر من أسرار الكون، وليس عندهم استعداد صفائي يؤهلهم لقبوله، فربما شكوا في كلام الرسول أو كذبوه.

ولهـذا كان الرسـول ﷺ يحدث بعض صـحـابته على قـدر طاقتـهم الصفائية في أمر لا يضر جهله. لماذا؟ لأن فيوضات الله على خلقه أسرار تتعلق بتصحيح جهاز الاستقبال تصحيحا حقيقيا أسرار الله في كونه كثيرة جدا.. والإنسان المؤمن جـهاز استقبال ومن قـوى إيمانه ويقينه، وقويت صلته بربه، استطاع أن يستقبل عن الله هذه الفيوضات.

فلو أنه ﷺ حدث واحدا ليست له هذه الصلة، وليس له ذلك الصفاء الارتقائي، ربما كـذب في المسألة، وفتن في دينه.. إذن فـرسول الله ﷺ كان مخيرا في مثل هذه الأشياء.

وهناك أسرار كمالية عليا، لم توجد نفـس بشرية لتتحمل طاقة الكمال فـيهـا بالنسـبة إلى ربهـا، فـالله تعالى قـال: أنا قلت ذلك إجـلالا لك ولمكانك، فلا تحدث فـيه أحدا، لأنه لا يوجد أحد يتحمـل مثل الحقائق الإشراقية العليا.

* * *

أبو هريرة المفترى عليه

س : مرضى القلوب ينظرون إلى كثرة روايات أبى هريرة رضي الله عنه الحديث النبوي نظرة شك، وربما نظرة تكذيب له في هذه الروايات. . ويرددون من حججهم أن عمر رضي الله عنه قال له: «لقد أكثرت الحديث عن النبي ﷺ». . ويرون في ذلك تلميحا من عمر بالشك في روايات أبي هريرة. . فما هي الحقيقة؟

جـ : أبو هريرة رضي الله عنه لم يكن له عمل سوى الحديث، وحينما قال له عمر ما قال، ورد أبو هريرة بقوله: إنكم كنتم تخرجون في الأسواق، وتشتغلون في حياتكم، وأنا ملازم للرسول ﷺ على شبع بطنى أى أنه لازم الرسول ﷺ دائما. . إذن فلابد أن تكون لديه حصيلة من الحديث أكثر من غيره بكثير.

فعمر لم يتشكك في أبي هريرة رضي الله عنهما، وإنما أراد أن يسمع الناس منطق أبي هريرة في سبب كثرة حديثه عن النبي ﷺ . وأبو هريرة قال: إننى لازمت رسول الله ﷺ على شبع بطني، وما دمت هكذا فأنا أعلم الكثير من الحديث. . فكلام الرسول حديث، وفعله حديث، وقول غيره وسماعه له وإقراره حديث، وفعل غيره وسكوته عليه حديث، إذن فأحاديث رسول الله لا تحصر.

لو نظرنا إلى زعيم مكث زعيما خمس سنوات، وأحصينا كلامه لملأ مجلدات ضخمة. إذن فنحن قد فاتنا من حديث رسول الله ﷺ الكثير. . ولا يجوز أن نتشكك في روايات أبي هريرة، لا سيما وأن عمر وهو الذكي الألمعي اكتفى بإجابته.

واقتنع بها، ولم يكن ليسكت عليه لو أنها كانت إجابة غير مقنعة.

سر الفساد في العالم

س : ما هو السر في الفساد المنتشر بين الأمم الفقيرة والأمم الغنية على السواء.. نريد الأسباب الرئيسية، لا الأسباب الفرعية. حتى يمكن علاج الداء من أساسه، لا علاجه من ظاهره وهو باق في ضمائر أمم يفتك بها فتكا ذريا، لا سيما وأن كلام المفكرين قد كثر وطال حتى غطى على الحقائق؟

جـ : يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾. فالذين أحلوا قومهم دار البوار هم الذين بدلوا نعمة الله كفرا.. ومعنى تبديل نعمة الله كفرا: ستر النعم. وذلك بالكسل عن البحث عنها.. أو باستنباطها وحجزها عن الغير. وذلك هو الظلم. إذن فالفساد ناشئ عن أمرين:

١ ـ الكسل عن استنباط خير الله في الوجود.

٢ ـ استنباط بعض الموهوبين للخير، ثم حجز أصحاب الحقوق عن حقوقهم.

إذن حينما يقول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾.. فهو يبين أن سبب الجوع والخوف في العالم هو كفر نعمة الله، أي سترها، بالكسل عن استخراجها، أو باستخراجها وحبسها عن أصحاب الحقوق.

ثم وجدنا المفكرين يقولون: إن الفساد جاء من ناحية قصور المواد اللازمة للحياة.. وقالوا: لابد من أن يأخذ الأهم فالأهم ولابد من تحديد النسل.

ونقول لهم: لا. إما أنكم كسالى عن استنباط الخير من الوجود، وإما أنكم ظالمون في توزيع الخير الذي وصل إليه قوم من الوجود.. ولو أن الناس استراحوا على هذه الحلول لكان من الممكن أن نتهم منهج الله بالقصور.. لكن ما دام الناس لم يستريحوا على هذه الحلول، وازداد القلق والخوف في الدنيا، فلابد أن يكون هناك انحراف عن منهج الحياة كما رسمه الله تعالى.

إذن لكي يعود إلى العالم أمنه وسلامه واطمئنانه وسعادته لابد أن يحدد مهمته من الإيمان.. وبعد ذلك يأخذ منهجه بعد الإيمان بالعمل الصالح.. والعمل الصالح سيعرض المصلحين أو العاملين للإصلاح لمتاعب، فقد تخور النفوس وتكسل عن مواصلة العمل الصالح.. ولابد في هذه الحالة من استدامة التواصي بالحق وبالصبر.. وعدم التواصي بالحق وبالصبر هو الذي يشبع الأسرة في الظلم.

والتواصي بالحق سيتعب أهله، وسينال المتواصين بالحق متاعب من الظالمين، ومن هنا وجب التواصي بالصبر. إن لم نصبر على الحق فلن توجد الأسوة للنبات على الحق عند أي أحد.. وإذا كانت ريح الظلم تصرفنا عن الحق فستنطفئ معالم الحق.

إن الذي جعل الحقيقة علقما لم يخل من أهل الحقيقة جيلا
ولربما قتل العزام رجالها قتل الغرام كم استباح قتيلا

* * *

خطأ في تحديد شعائر العبادة

س : الشائع أن العبـادات هي: الأركان الخمسـة للإسلام.. فهل هذا التحديد صحيح؟

جـ : العبـادة هي: توجيه حركـة الحياة على حـساب معمـول لها.. وإياك أن تفهم أن العـبادة هي مجرد الصلاة.. الـصلاة فقط هي الشحنة التي تعنيك على مواصلة حركة الحياة.

إنك إذا أخـذت بطارية لتمـلأها، فأنت تعطلهـا عن عملهـا في الإضاءة.. وهكذا الصـلاة تأخذني قليلا عن حركـة الحياة. إذن فـالفرصـة تعطيني الشـحنة التي تجعلـني أبذل بها شـحنة إيمان. شحنة إخـلاص.. وعندما تزداد من تلك الشـحنة تأخذ طريقك في حـركة الحـياة وفي بالـك ربك.. وليس في بالك الأسبـاب فقط.. وكذلك الصيام.

فنحن نفهم قـوله تعالى: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ على أن العـبادة هي الشعائر العبـادية فقط. نقول: لا.. اعبدوني معناهـا: ائتمروا بأمري في كل حركة من حـركات حياتكم.. وشـعائري لا تتطلب منكم أن تصلوا خمس صلوات تسـتغرق سـاعة.. وتصوموا شـهر رمضـان «وبعد ذلك الغنى يزكي في يومين أو ثلاثة.. وإذا طال عـمره يذهب ليـحج مرة.. وبقية الزمن ماذا تعملون فيه؟

إذن فمعنى العبادة هو: أن تأتمر في كل حركات حياتك بأمر الله.. أما الشعـائر فقـد شرعت لتـأخذ منهـا الطاقة والقـوة على مواصلة العـبادة الشاملة.

العبادة: أن تعرف الله معرفـة يقينية التي تؤكد لنا أنه تعالى رب يجب أن نؤمن به. ثم نسلم له قياد حركتنا في الحياة كلها.. العبادة: أن تعرف وتسمع عنه، وتنقاد له..

وخطأ في تحديد معنى العمل الصالح

س : مامعنى العمل الصالح الذي ورد ذكره كثيرا في القرآن الكريم.. وترتب عليه توبة التائبين، وخلاص الإنسان من الخسران في الدنيا والآخرة؟

جـ : الناس يظنون أن العمل الصالح هو أن تصلي وتصوم.. لكن الله قال في المنهج الأساسي: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، ما معنى ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾؟ معناه: طلب منكم أن تعمروها. وما دام قد طلب منكم أن تعمروها فقد نفى قضية هي من باب أولى، وهي: ألا تعمد إلى الصالح في ذاته فنفسده.. لأن الله طلب منا أن نعمر الأرض، ونوجه طاقة الإيمان للترقي فيما يصلح المجتمع كله.

فمثلا إذا وجدت نبعا يشرب منه الناس، فلا تفسد هذا النبع أو تطمره بالتراب، هذا إذا لم تستطع أن تفكر بعقلك تفكيرا يريح الناس من أن يتعبوا في نقل الماء من ذلك النبع، وأن تصنع خزانا عاليا ترفع إليه الماء وبعد ذلك تأتي عملية الاستطراق وتذهب المياه إلى الناس في بيوتهم عن طريق الأنابيب.. إذا صنعت ذلك تكون قد أصلحت بحق.. وعمرت الأرض بحق.. إذن فمعنى (استعمركم فيها) يظهر في قضيتين:

١ ـ سلب الشر منك عن الشئ الصالح بذاته.

٢ ـ إيجاب الخير عليك في أن ترقي صلاح الأمر الصالح. وهذا هو العمل الصالح.. لأن الفرائض فرائض لا خيار لأي أحد في تركها.

من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه

س : كيف يكون الإسلام دين التسامح والعفو والصفح وكظم الغيظ وهو يقرر شرعية رد العدوان بمثله في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾؟

جـ : تأمل الآية جيدا.. فالذي يؤذي غيره مثلما آذاه يقول: أنا أسلك طريق الإيمان ولكن يأتي فيبحث بفكره متأملا: هل أستطيع بدقة أن أعتدي عليه بمثل ما اعتدى علي؟ المثلية تقتضي دقة في التقييم. فهل أستطيع أن أنفعل انفعالا بحيث إذا ضربته صفعته صفعة تحدث ألما مماثلا لصفعته لي تماما بالضبط؟ لا يمكن أن أقيس ذلك بالضبط.. من الممكن أن أزيد ولماذا لا أكظم غيظي؟
ثم بعد ذلك يكظم غيظه، ولكن الغيظ في قلبه، ولكنه لا يعمل عملا نزوعيا، وبعد ذلك يقول: ولماذا لا أعفو عنه وأصفح لعل ظرفا نفسيا خالطه فجعله يتصرف ذلك التصرف.. وأنا أيضا عرضته لمثل هذا التصرف.. فلماذا لا أحتمل طيشه في هذه المرة فيرزقني الله بمن يتحمل طيشي إن حدث مني تغيير لمزاجي.
فكأن تشريع القصاص يحمل في طياته صعوبة بالغة في التنفيذ بدفع المؤمن إلى اختيار جانب السلامة بالعفو والصفح على ردجتين أكظم الغيظ، ثم الصفح.. وصعوبة التنفيذ مقصودة من الشارع، ليلجأ الكل إلى العفو.

س : يقول الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ وكثيرا ما يدفع الإنسان بالتي هو أحسن، ولا تحدث الولاية الحميمة بيننا وبين أعدائنا؟

جـ : نقـول لمن يقول ذلك: كـذب واقع حياتـك، وصدق ربك. . . كيف؟ نقـول له: أنت تظن أنك دفعت بالتـي هي أحسن. . ولو كنت دفـعت بالتي هي أحسن كـمـا يريد الله بالقيم الإيمانيـة. . بدون نفاق. . بدون استغلال. . بدون رغبة في الشهرة. . ! كانت النتيجة كما قال ربك. . لأن ربك قال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيـمٌ﴾ . . فحين لا يصـبح من بينك وبينه وليا حميما فـلا تتهم شريعة الله، بل اتهم نفسك لأن نفسك تدخلت في شـرط الله. . فتوهمت أنـك دفعت بالتي هي أحسن. . وفي الحق أنك لم تدفع بالتي هي أحسن.

* * *

قدر فهدى

س : نريد أمثلة من تقدير الله وهدايته تصل بنا إلى درجة اليقين من الإيمان بالله القادر الحكيم؟

جـ : الأمثله أكثر من أن يحصيها مجلد ضخم.. ولكننا نكتفي بأمثلة.. ومن ذلك ثعابين السمك لا تخصب إلا في «برمودا» من أمريكا.. فإذا وصل إلى عمر المراهقة أسرع إلى هذا المكان بنفسه، لا إلى مكان آخر.. المهم: كيف استطاع أن يصل إلى هذا المكان وسط المواج القاسية.. والأعجب أن الصغار بعدها تفقس يرجع كل منها إلى المكان الذي جاء منه أبوه ولا يخطئه أبداً.. وخلية النحل.. أدق مقاييس الهندسة لا يمكن أن تجد ضلعا أطول من الآخر.. وحجم حجرات الذكور متساوية... والإفراز الذي تتغدى به الملكة غير العسل.. والنمل حين يخزن الحبوب تجده ينزع «زبانها» تلقيها خارج الجحر، لئك تنبت فتفسد وتهدم المسكن.. وإذا حجزت الفراشة في حجرة تجد الذكر قد جاء لينقذها.

* * *

شهوة بهيمية أم شهوة إنسانية؟

س : يطلق الناس على الشهوة غير المنضبطة اسم «شهوة بهيمية» فهل هذه التسمية صحيحة؟

جـ : الحيوان عنده الغريزة التناسلية لحفظ النوع فقط.. فعندما تحمل الأنثى فالله يودع فيها رائحة تدل على أنها حامل. فيحوم حولها الذكر ويشمها، ثم يتركها، لأنها أدت مهمتها من الحمل والإخصاب، لكن الإنسان على العكس.. لا تحلو المرأة عنده إلا إذا كانت حاملا. إذن فالإنسان تعدى الغريزة... ولم يستعملها لحفظ النوع فقط، بل صنع منها متعة ذاتية.. ومع ذلك فالإنسان يظلم الحيوان ويقول: «شهوة بهيمية». والواقع أن الحيوان هو الذي يحق له أن يقول «شهوة إنسانية».

* * *

وصف الحق بأوصاف الخلق

س : وصف الله تعالى نفسه في القرآن بأن له يدا ووجها واستواء على العرش إلى غير ذلك مـا يشبع أوصاف الخلق، واضطربت الآراء في الكلام عن هذه الأوصاف، فما هو وجه الصواب.

جـ : كل ما ورد من إطارات الأسـماء أو الصفات لله ونظيـره موجود في الخلق، فنحن نقتصر على القدر الذى وصف الله به نفسه أما كـيفـيـات الأشيـاء فـلا ضرورة لهـا في الإيمان. . الله قـال أنا سمـيع. . أنا بصيـر. . إذن له سمع وبصـر. . لا تأخذ أنت من الصورة التي تعرفـها للسمع وللبصـر في الخلق وتقول: إن سمع ربنا وبصـره مـثلنا. لماذا؟ لأنـك أنت حـاكم بأن ربنا له وجـود والخلق لهم وجـود، هل وجود خـلقه كـوجوده؟ لا. . مـا دام وجود خلقه ليس مثل وجوده، فلـماذا تريد أن تجعل سمع خلقه مـثل سـمـعـه وبصـر خلقـه مـثل بـصـره. . إنك في إطار أنه مخالف. . الله حي. وإنسـان حي يتكلم الآن. هل الحياة عندي كالحياة عنده؟ لا.

فإذا أورد اسم أو وصف لله يوجد مثله في البشر فأنت أمام أمرين: ألا تمثل، وألا تعطل. تعطل تقـول الا، ليس له سمع. لأن السمع للبـشر. نقول له: أنـت تقيس، لأن السمـع عندنا له اله. وأتتنزهت الله عن هذه الحكاية. صحيح أنت تريد أن تنزه، ولكن لماذا تعطل النص؟

قال الله : إن لى سمعـا، فأنت تأخذ على أن له سمعا، ولكن كـيفية السمع هذه ليست عملى. والكيفيات دائما ليست محل ايمان.

الجماد والوجدان

س : هل للجمادات وجدان؟ بمعنى أنها تحب وتكره، وتضحك وتبكي؟

جـ : قرئ على الإمام علي رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾. فقالوا له: أو تبكي السموات والأرض؟ فقال: نعم تبكي وتضحك وتفرح.

وما دام الحق قد نفى أن السموات والأرض تبكي على ذهاب آل فرعون، فمعنى هذا أنها تبكي على ذهاب غيرهم، المقابلين لهم.. وإذا مات ابن آدم بكى عليه موضعان: موضع في السماء، وموضع في الأرض، أما موضعه في السماء فهو مصعد عمله، وأما موضعه في الأرض فهو مصلاه.

* * *

القرآن وقانون الحضارات

س : هل تعرض القــرآن الكريم لما يسمى حــديثا فلسفــة التاريخ، أو قــانون ازدهار الحـضــارات وانهــيــارها؟ ومـا عــوامل الازدهار والأنهيار؟

جـ : الجواب على ذلك: أن الحضارة طالما كانت قائمة على أسس من وضع البشر. غير محروسة بقـيم إلهية، فإن نهايتها هي الفناء.. فشــهوات النفس فيــها محــققة، وطلبــاتها مجـابة، لكن النفس محتاجة إلــى ما يكبح جماحها، ويوقفهــا عند حدودها، ويمنعها من الاندفاع وراء شهواتها.. وهذه النقطة هي أساس مهمة الدين الذي يتــولى ضبط النفس، وتــهذيب شــهواتهــا، ولذلك يصف أدعياء التحلل من يتمــسك بدينه بأنه رجعي، وغير تقدمي، أي: ليس منطلقا مع شهوات نفسه.

هذا هو السبب الأول في إسهام الحضــارة غير المنضبطة في زوال القيم الحافظة لها..

أما الســبب الثاني فسأعطي مـثلا له ليكون قريبــا من الأذهان.. قديما حيث كان الناس يذهبون إلى البئر للشرب ولا يجدون ماء، كانوا يلجأون إلى الله فورًا بالدعاء والرجاء ليـستجيب لندائهم.. وهذا راجع إلى أنهم كانوا لا يزالون في الفطرة والبــداوة التي هي قريبة عــهد بنظام الله وآياته في الكون.

أما اليــوم فحين لا نجد الماء فــي المنزل بحثت في الصنبور لــعله منسد فنصلحــه، فــإن لم يكون كــذلك بحثنا فــي الأنابيب لعلهــا مســدودة، وهكذا.. ونلاحظ هنا أن كــثرة الأسبــاب الظاهرة. وانشغــال الناس بها

ألهاهم وأذهلهم عن الفاعل الحقيقي الخالق القدير.. الله.

فطالما بعد العقل عن الفطرة بدأ الإنسان في الطغيان والغرور.

فالدين هو المؤثر في نجاح الإنسان وليس العكس.. فالدين هو الدين لا يزال باقيا، والله تعالى منفرد بالألوهية شهدنا بذلك أو لم نشهد.

وانتشار القلق والاضطراب والحروب اليوم إنما هي حتمية ومنطقية لما تجنيه نظم العالم وقوانينه وأخلاقياته، وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾.

س: هل هناك أمثلة لهذا القانون في القرآن؟

جـ: نعم.. الحضارات التي حدثنا عنها القرآن كثيرة منها حضارة عاد.. وثمود.. وفرعون.. بمجرد أن طغوا اندكت تلك الحضارات.. يقول الله: ﴿لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾.

إذن حضارة عاد كانت أعتى من حضارة الفراعنة، لأن له وصفها بما لم يصف حضارة فرعون.. وهي النتيجة إذن للإنحراف؟

﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ۞ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ۞ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

ومعنى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ أن الله لم يزاول تجربته في العصور القديمة فقط، بل لا تزال يده في كونه، وهو بالمرصاد لكل من ينحرف عن منهج الحق القويم: يتركه يطفو. لماذا؟ لكي يهبط من علو، ويكون علو لم يعطه تماسكا.. وما دام علوا لا يعطيه تماسكا فهو علو بلا جذور ولا أسس تسنده.. فبمجرد ما جاء الانهيار جاء دفعة واحدة، فلم يبق لهم أثر.

وسبب آخر لانهيار الحضارة عرضه الله تعالى في قصتة سبأ. قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾.

لا تعتقدوا أنكم بمهارتكم العقلية بنيتم سد مأرب، وأصبحتم تتحكمون في قنواته، فلا تأخذون الأسباب من الله.. فالفكر الذي يخطط.. والحجر يبني به.. والماء من المطر.. كلها عناصر من عند الله.. ما الذي لك في هذا؟ لك توجيه طاقتك الحركية في مواد مخلوقة لله.

فإذا أعرض الإنسان عن كل ذلك، واعتقد أنه العامل فإن الله يتركه لعمله.. ومن هنا يأتيه الخراب من جنس الأعمال.. من ناحية السد نفسه ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾.

كان قد طلب منهم طلبين اثنين: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾. لكنهم لم يعترفوا برزق ربهم، وقالوا: إنه من مهارتنا.. ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾. ولكنهم لم يشكروا الله ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن الأمرين جميعًا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾

لا تعتقد أن أسباب الإزدهار تظل أسباب إزدهار فتفلت من الله.. بل هو يجعله سببا للدمار أيضًا.. فالله لم يخلق النواميس في الكون ويتركها.

إذن لكي يظل الكون كونا يصح أن ينسب الإنسان فيه عى أنه عبد الله، لا بد أن يأخذ منهج حياته، وبعد ذلك حركة حياته وتنظيمها ممن خلقه وحده.

أولية بناء البيت الحرام

س : هل بنى البيت الحرام بشر؟ وإذا كان فمن هو الذي بناه؟

جـ : يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾

والناس قالوا: الذي بناه إبراهيم.. وقالوا: بناه آدم..

ونقول لهم: لا.. هو موضوع للناس.. إذن ما دام هو موضوعا للناس، فيكون واضعه غير الناس.. وما دام وجد ناس، وآدم من الناس، فلا بد أن يكون هناك بيت الله، ولا بد أن يكون موضوعا قبل سيدنا آدم فآدم من الناس، وبنوه من الناس فيكون البيت قد وضع لهم.. وإنما إبراهيم رفع القواعد من البيت فقط.

* * *

ميراث المرأة

س : يحاول أعداء الإسلام أن يثيروا المرأة على الإسلام، فيقولون: إن الإسلام قد ظلمها وهضم حقها في الميراث، فجعل حظها نصف حظ الرجل.. فما هو الرد المقنع على هؤلاء؟

جـ : لقد فات هؤلاء أن يتنبهوا إلى أننا يجب أن نسأل سؤالا عكسيا فنقول: لماذا حابى الإسلام المرأة في الميراث على حساب الرجل؟

لأن المرأة لا تتكلف في أمر معاشها شيئا. والرجل هو المسئول عن التزامات معاشها، فحين تأخذ الأخت نصف نصيب أخيها. فإنها إن ظلت بدون زوج فذلك كافيها.. وأخوها سيتزوج امرأة يعولها. وإن تزوجت هي فستذهب إلى رجل يعولها ويظل ما ورثته بدون التزام مصرفي.

فلو نظرنا إلى قضاء الإسلام في ذلك فسنجده قضاء عادلا.. فالابن ذو الحظين مطلوب له امرأة يقوم بكل التزاماتها.. والبنت ذات الحظ الواحد ستكون في رعاية رجل لا يكلفها من أمر الحياة أي شيء، إذن فكان من الواجب أن نسأل: لماذا حابى الإسلام المرأة، لا: لماذا هضم حقها؟

* * *

العلم والقدرة

س : قضى الله تعالى في كتابه على إناس بأعينهم بأنهم لن يؤمنوا أبدًا، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ . . وقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ فكيف تتفق مسئوليتهم عن الكفر مع هذا القضاء المبرم عليهم؟

جـ : يجب أن نفرق بين حكم يوجبه العلم بما يكون، وحكم تلزم به القدرة أن تكون . . شيء يقول العلم: إنه سيكون . . فحين يقول العلم، إنه سيكون، فالعلم يكشف فقط، ولكن ليس هناك قدرة بها تجعل الأشياء واقعا . . والذي يجعل الأشياء واقعا هو القدرة، إنما العلم يعرف الأشياء على ما هي عليه لا يقال: إنك حين علمت شيئا أرغمت الغير على تنفيذه.

إذن فهناك فرق بين العلم والقدرة، العلم يعرف الشيء على ما هو عليه، ولا يجعله على ما هو عليه. والقدرة تجعل الشيء على ما هو عليه، فحين يحكم الله على الكافرين بأنهم لن يؤمنون. فهل هو عمل القدرة أم عمل العلم؟ لو كان عمل القدرة لكانوا معذروين في أن يكونوا كافرين، لأنه لا طاقة للإنسان بمقاومة قدرة الخالق. ولكنهم مكلفون وسيعاقبون، إذن فمن العدل أن يكون كفرهم من صيال العلم لا من صيال القدرة.

فالذي يحتج بأن كفر الكافر غير خارج عن قدرة الله تعالى تقول له: أفهم الفرق بين القدرة وبين العلم. القدرة تجعل الشيء على ما هو عليه. والعلم يكشف الشيء على ما هو عليه، ولا يجعله على ما هو عليه.

هل الموت نعمة

س : يقول الله تعالى في سورة الرحمن: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.. فعد الله تعالى الموت من النعم. فكيف يكون ذلك؟

جـ : الموت نعمة.. لأن المؤمن الذي يطلب منه في حياته أن يسلك على منهج خاص يقيد حريته، وقد يتبعه في دنياه، من النعم عليه أن ذلك لا يدوم، قيد التكليف عليه لا يدوم. وأن يأتي يوم يأخذ فيه حريته فيما يفعل، ويأخذ حريته فيما يتنعم به، إذن فالموت نعمة بالنسبة للمؤمن.

وهو أيضًا نعمة بالنسبة لما تراه في الكافر، وأن نعيمه هذا في الدنيا سينتهي، لأنه ليس في تصوره إلا هذه الدنيا، فالموت سينهي هذا للتصور في النعيم، إذن فهو نعمة يراها المؤمن في الكافر.

* * *

إن شاء الله

س : تتردد كلمة (إن شاء الله) على ألسنة الناس اتباعاً للقرآن دون أن يفقهوها فقهـا يجعلها عبادة ذات نتيجة حاسمة تعمر القلب بالإيمان . . فما هو فقه هذه الكلمة؟

جـ : الأمر بهذه الكلمة جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فالكلام على الغد، وما دام غداً فهو مستقبل، وما دام الحديث عن المستقبل فأنت محجوز عنه بحاجز زمان المستقبل: فلا تستطيع أن تحكم به، ولا تقول أنا أفعل ذلك غدا إلا أن قلت مع ذلك: (إلَّا أن يشاءَ اللَّه). لماذا؟ لأن الحادث بالنسبة لنا يحتاج إلى عناصر.

العنصر الأول: الفاعل. العنصر الثاني: المفعول. العنصر الثالث: زمان ومكان الحديث، العنصر الرابع: السبب ، العنصر الخامس: القوة اللازمة لتنفيذ هذه الاشياء هذه عناصر الحدث عندنا ، هذه هي العناصر . . فإذا قلت: أنا أذهب غدا إلى فلان لأكلمه في كذا. فأي نصر من هذه العناصر يملكه الإنسان؟

أذن لا يوجد حدث الا بفاعل ومفعول يقع عليه الحدث وزمان يحصل فيه الحدث.

إنه لا يملك نفسه فاعلا أن يظل إلى غد، ولا يملك المفعول الذي يقابله غدًا أن يصل إلى غد، ولا يمكن أن يتصرف في الزمان والمكان أو يظل إلى غد، وهب أن السبب موجود مع كل هذه الأسباب موجود: الفاعل والمفعول والزمن والمكان وكل شيء، هل أضمن

اللقاء؟

إذن فأنا لا أملك عـنصر من عناصر الحـدث، ولذلك وجب أن أردها إلى من يملكها، فأقول: أنا أفعل غدا كذا إن شاء الله.

* * *

المسجد الحرام والمسجد الأقصى

س : لماذا كان الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؟

جـ لأن الكعبة كانت قد انطمرت كبيت من بيوت الله، ولم يعد لها هذا المظهر، وسميت بيت العرب، وشحنت بالأصنام، هذا شيء.. وبيت المقدس له قدسيته مع موسى وعيسى وأنبياء بني إسرائيل، ورسول الله ﷺ لم يبعث لقومه فقط، أي لم يخص العرب فقط كما يريدون أن يقولوا.. لا. إنما جاء عالميات فاسراؤه من مكة إلى بيت المقدس قد أدخل بيت المقدس في مقدسات دينه الجديد.. وهذه العملية توضح أن دينه مهيمن على جميع كل البقاع، وكل مقدسات البقاع.

فلا يأتي واحد يقول: أنتم لكم دينكم ونحن لنا ديننا، لا هذا صحيح، ديننا جاء من مكة، ولكنه مهيمن على سائر الكتب. ورسولنا مهيمن على مقدساتنا، وهذه المقدسات داخلة في مقدساتنا لأن المسجد الأقصى هو منتهى مسرى النبي، وبداية معراجه ﷺ.

* * *

وقاية الحاسد والمحسود

س : الحسد أمر مقرر في القرآن الكريم. . فما الذي يحمى الحاسد من بلية الحسد، والمحسود من شر الحاسد؟

جـ : الحسد: تمنى زوال نعمة المحسود. وهل للحسد علاقة بالعين؟

قد يكون وقد لا يكون، لأن هناك عميانا يحسدو. . . والحسد هل هو متعلق بإرادة الحاسد، أم هو أمر قهري عنه؟ هذه هي الوقفة التي فيها التكليف.

إذا حقد إنسان على ذي نعمة نقول له: هذا الحقد اختياري منك أم أنت مكره عليه؟ لا شك أن لا يحسده إلا إذا كان الإيمان عنده ضعيفًا لأنه لو فهم أن هذا العطا كله من الله فلا يمكن أن يحسد، لأن الحاسد أول ما يعترض على الله. إن فالمنهج الأساسي عند الإنسان يمنعه من الحسد.

إذن لا بد في الحاسد من قصد الحسد، ولذلك طلب منا الله أننا حينما نرى نعمة على أنفسنا أو غيرنا أن نقول: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾. إذا قيلت هذه عند كل نعمة لا يضار صاحبها لا حاسد ولا محسود، فالإنسان الذي يرى نعمة على الغير وهو يتمنى في نفسه أن تزول يعتبر كارها أم لا؟ نعم كاره أم لا؟ نعم تارة ولن يمنع نفسه من هذا النزوع إلا باستعمال ضد ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾.

لكن لو كان تكوينه الذي هو عليه أنه إذا اتجه للشيء يضره، ثم عرف ذلك في نفسه، نقول له: هذه ستقع منك مرة واحدة لكن إذا عرف نفسه وكان تقيًا مؤمنًا فإنه بمجرد ما يرى نعمة عند الغير يقول: ما شاء الله لا

قوة إلا بالله . وما دام قال ذلك زال من نفسه تمنى زوال نعمة الغير .

س : إذن فما هي العناصر التي يتم بها الحسد؟

جـ : هناك عنصران : قـوة طبيعية فـي الحاسد ، وشيء إرادي وهو أن يتمنى أن يضر نقـول : لماذا فعل الله هذا؟ أقول : ولماذا يعطي ربنا بعض الناس قوى مادية يستطيعـون بها أن يطغوا تلك هي الفتنة ، وذلك هو الابتداء . . والله تعالى علمنا أن نستعيذ منه ، إذن لا بد أن يكون له ضرر وشر ، سواء فهمناه أو لم نفهمه .

* * *

هل سحر الرسول صلى الله عليه وسلم

س : جاء في الصحاح أن رسول الله ﷺ سحر، فهل يطعن تأثير السحر فيه في أصل نبوته؟

جـ : هذه المسألة واردة في صحيح البخاري.. وما دامت وردت في البخاري فعلى العين والرأس.. ولكن يجيء العقلانيون ويقولون: لا.. كون النبي ينسحر مسألة تشككنا فيما جاء به.

نقول: تشكك فيما جاء به إذا غيرت من طبيعة عقله، لأن مهمته من طبيعة العقل.. ولا يؤثر السحر في طبيعة العقل، وإنما أثر في القوى الأخرى.. ولذلك قالت السيدة عائشة: حتى يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله.. وما دام يخيل فهو لم يتحقق.

ولماذا تجيء هذه المسألة؟

لأن كيد الكفار كان نوعان: نوع علنا، وهذا شأن القوي. يواجهك. ونوع استتارا، وهذا شأن الضعيف، وهو التآمر. فيجيء الحق سبحانه وتعالى ويقول: الوسيلة التي يقدرون عليها أن كانت بقوة التكافؤ لن تجيء، يعني قوة إنسان لإنسان.. لن ينتصروا.. وإن كان بوسائط أشياء عندهم، ويستطيعون أن يسخروها، فأنا أستطيع أن أقول للرسول عليها، وعلى علاجها. وأفضحهم وأفضح شأنهم، وفضح شأنهم لا بد أن يكون له آثار. وإلا فإنهم يقولون: نحن لم نسحر. لو لم يجز فيه السحر لقالوا: نحن لم نسحر. لكن لما يجيء فيه شيء من التغيير في ماديته وفي جسمه يثبت أنهم سحروا، وبعد ذلك يكشف السحر.. إذن هذه مسألة لا تقدح في نبوته ولا في عقله.

* * *

شركات التأمين

س : ما حكم شركات التأمين في الإسلام؟

جـ : إن تأمين المؤمن في يد الله.. فإذا اشتركت في شركة تأمين. فضد من أنا أؤمن؟

والحق أن التأمين يعلم بلادة الحس الإيماني.. فعندما تحدث لي حادثة أقول: الفلوس قادمة، ولا أقول: احفظني يا رب.. والحادثة التي تحدث لي في مالي أو في أي شيء قد يكون مقصود الله فيها أن يطهرني والناس الذين تركوا أولادهم ضعافا عندما تراهم بعد فترة تجدهم سادة.. والإسلام عندما يطبق ككل لا يحتاج الأنسان إلى مسألة التأمين على الإطلاق.. الإسلام بناء لا بد أن يوجد كله من أساسه دون تلفيق أو حشر.

سيدنا عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك نحن نعرف موقفهما لما دخل مقاتل بن سليمان على المنصور في يوم بيعته بالخلافة فقال: عظني يا مقاتل. قال: أعظك بما رأيك أم بما سمعت؟ قال: بل بما رأيت. قال: يا أمير المؤمنين - مات هشام بن عبد الملك فكان نصيب إحدى زوجاته الأربع من النقد والضياع والمقصور ثمانين ألفا.. والله يا أمير المؤمنين لقد رأيت في يوم واحد ولدا من ولد عمر بن عبد العزيز يحمل على مائة فرس في سبيل الله. وولدا من ولد هشام يسأل الناس في الطريق. وعمر ابن عبد العزيز خلف أحد عشر ولدا، وترك ثمانية عشر دينارا كفن منها بخمسة. واشترى له قبر بأربعة. ووزع الباقي على ولده. إذن ضد من أؤمن على حياتي؟

كان معاوية وعمرو بن العاص جالسين في آخـر حياتهما، فقال عمرو لمعاوية: يا أميـر المؤمنين، ماذا بقي لك من متاع الدنيـا، قال: أما المطعم فقد سئمت أطيبه. وأمـا اللباس فقد مللت ألينه، وحظي الآن في مشربة ماء بارد في يوم صائف تحت ظل شجـرة.. وأنت ماذا بقي لك من متاع الدنيا يـا عمرو؟ قـال: أرض خوارة، بهـا يمن حزاره، تدر على حـياتي وولدي بعد مماتي. وكـان يسقيهـا وردان الخادم، فأراد أن يداعبـه معاوية فقـال: ماذا بقي لك يا وردان؟ قال: صنيـعة معروف أصنعـها في أعناق قوم لا يؤدونها لي في حياتي، حتي تكون لعقبى في عقبهم. قال: غلبنا اليوم العبد يا عمرو.

وقـال الله تعـالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِيـنَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾.. إذن ماذا فعل التأمين؟

من الجائز جدًا أن نعمل جمعية تضـامن، فإذا حدث لواحد منا مصيبة نتضامن معه. إذن أنا وأنت الدافعـون.. وهم المنتفعون. إنما اليوم تعمل شركات بقانون الإحتمال، فالمنتفع بالفائض كله من المال هو الشركة.

إنما إذا اجتمع عشرة وتعهدوا بأن الذي يحدث له شيء يدفعه الآخرون فأهلا وسهلا.. هذا تضامن إسلامي.. وأخوة إسلامية.

ولقـد سـألت بعض التـجـار: الشـركـات التي تؤمنـون عندها على بضائعكم، ألهـا عمل في حفظ هذه البـضائع؟ هل للشركـات عمل في حزمـها؟ هل لها في مـراقبتـها؟ قالوا: لا. قلـت: لماذا تأخذ الفلوس؟ قالوا: تأخذها بقـانون الاحتمال؟ وليس لها عـمل. فلو كان مندوب في الأسواق يشرف على حـزم البضائع أو غير ذلـك لكانت حلالا، لأن لها عملا وخدمة تؤديها.

❊ ❊ ❊

الحرية والإسلام

س : شعــار الحــرية يتــردد في كل مكان، وننادي به كل الشعــوب وتخطيء المجتمعات خطأ شنيعًا في تفـسيره، فما موقف الإسلام من هذه الكلمة. . الحرية؟

جـ : كلمــة «حرية» في ذاتها تناقــض مبدأ التــدين، لأن مبــدأ التدين إلزام وقيود بمباديء ومناهج، والحــريةعلى إطلاقها تعني إنه ليس هناك دين. . والدين جاء لكي يعلي كلمة الحرية.

بمعنى ألا يعطيــهــا لكل فرد عــلى إطلاقهــا، وإلا كــانت الحيــاة فوضى. . أنت حر في أن تفعل ما تريد، وأنا حر في أن أفعل ما أريد. . سوف نتصادم، إذن الحــرية يكون بمالا يعتدي على حرية الآخرين. . فكلمة حرية لا بد أن تحدد.

هل تبيح لنفسك أن تكون لك حــرية، وليس لمقابلك حرية؟ لا. . لا بد أن تكون له حــرية. . فعندمــا يكون لهــذا حرية ولهــذا حربة تخــتلط المسائل. . إذن الحرية لا بد أن تكون بمالا يـتناقض مع حرية الآخرين. . لأن الحرية ليــست لي وحدي. . وإنما للمجتــمع كله أيضًا. لو أن المسألة أخذت على إطلاقــها لكان لصــاحب القوة أن يفعل مــا يشاء والضــعيف ينتهي.

إذن فقد تفيدنا أنا وأنت، لكن من الذي قيدنا؟ أن كان المقيد واحدًا منا فتكون القوة قد فــرضت. . إذن لا بد أن يكون المقيد أعلا مني ومنك. . ليس له مصلحة في إطلاق حركتك وعدم إطلاق حركتي. . فالناس كلهم بالنسبة إليه سواء.

إذن كلمة حرية تناقض كلمة التدين.. لأن التدين إرتباط وإلتزام بمعنى أفعل ولا تفعل.. لكن الأصل الذي يدخلك في الإلتزام أنت حر فيه.

ولكن الله يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. فكيف يتفق هذا النص مع تقييد الحركة؟

هذه الآية لا تعني: لا إكراه في تطبيق جزئيات الدين.. ولكن لا إكراه في أصل الدين.. فهل أقدر على إكراه أحد في أن يعتقد بوجود الله؟ كيف أكرهه على ذلك؟ لا يمكن.

إذن أنت حر في أن تؤمن ولا تؤمن. فإذا آمنت وجب عليك أن تلتزم.. فعندما أقيم الحد على تارك الصلاة لا يصح أن يقول لي: لا إكراه في الدين. لا.. لأنك بإيمانك بالله ورسوله فقد أمنت بالإسلام.. وإعلانك أنك مسلم ألزمك بمحض إختيارك.. وما دمت معترفًا بمحض إختيارك فنحن لا نحاسبك.. وإنما أنت تحاسب نفسك، لأن الله أعطانا الحرية في أول الأمر.

* * *

الشيوعية.. والصحابة

س : يرى الشيوعيون أن المسلمين مخطئين في حربهم للشيوعية، لأن أبا ذر ـ وهو صحابي ـ كان يدعو لمثل مـذهبهم، فلماذا لا يتبعه المسلمون؟ فما حقيقة هذا الادعاء؟

جـ : هم لا يفهمون أبا ذر، ولا منهج أبي ذر. . الذين يتمسحون في أبي ذر، هل حملوا أنفسهم على السلوك الإيماني الذي سلكه أبو ذر؟

أبو ذر كـان له أرى أن يعيـده إلى الغـير، وهـو ألا يصبـر عند الإنسان شيء هذه مسألة لا يمنعها الدين، وإنما لا يفرضها. .

هناك فرق بين مسألة لا يمنعها الدين وإنما لا يفرضها. . هناك فرق بين مسألة ترتضيها أنت نفسك، وتتطوع بها، وبين تقنين يحكم الدنيا التقنين الذي يحكم الدنيا لا بد أن تشترك فـيه كل الطبائع. . وطبع أبي ذر خير جدا، ولكنه ليس مسـتوعبًا لكل البشر، فـلا تحمل الناس عليه، ولذلك قال له النبي ﷺ: «ستبعث أمة وحدك»[1].

الإنسان الذي يمـلك شيئًا ويريد أن يتـركه كله، هل يمنعـه هذا الدين؟ لا. . هو حر. . فـليست قضـية إلزامـية. . إنهم يريدون أن يجـعلوا من التطوع في الأمور التي لم يفرضها الإسلام فرضًا إلزاميًا قضية إلزامية.

مثلا: عثمان بن عفان. . عبد الرحمن بن عوف. . الزبير بن العوام. . طلحـه. . سعـيـد بن زيد بن عمـرو بن نفـيل. . كل هؤلاء مـبشـرون

---

(١) أخرجه ابن القيم في زاد المعاد، وابن حبان في صحيحه وذكر قصة وفاة أبي ذر.

بالجنة.. أعطاهم رسول الله ﷺ ضمانًا إن كل أعمالهم تدخلهم الجنة.. فهب أني أكسب أبا ذر وأخسر عثمان، وأخير ابن عوف، وأخسر أبا عبيدة، وأخسر طلحة، وأخسر سعيد بن زيد.

نقول لهم: أبو ذر أراد أن يفرض أمرًا، هذا الأمر كل واحد حر في أن يفرضه على نفسه أولا.. فمن تطوع خيرًا فهو خير له. كونهم يريدون أن يجعلوا منه الأصل فهذا هو الخطأ. لماذا؟ لأن الصحابة الذين كان أبو ذر واقفًا معهم لا يقلون عن أبي ذر فلن يزيدوا عليه، لأن صاحب التشريع الأعلى بَشَّرَ هؤلاء بالجنة، ولم يبشر أبا ذر بالجنة، والرسول ﷺ حينما سأله أبو ذر ولاية من الولايات منعه وقال له: أنت ضعيف، وأنها بلادي.

إذن فكل واحد له وضعه ومكانته، وكونهم يريدون أن يشققوا المسائل نقول لهم: أليس في الإسلام غير أبي ذر؟ أبو ذر أراد أن يلتزم مذهبًا يلزم به نفسه، ويريد أن يلزم به الناس. فقالوا له: لا.. أنت حر في أن تلزم به نفسك، إنما لا تلزم به الناس.

* * *

الرجعية والتقدمية

س : تتردد على ألسنة أشباه المثقفين كلمة «رجعية» ويصفون بها الدين. . وكلمة «تقدمية» ويصفون بها المذاهب الفوضوية. . وشوشوا على الشباب بهذا اللون من التضليل فما هي حقيقة معنى الرجعية والتقدمية؟

جـ : كلمة رجعي عندهم تفيد اللفتة الخلفية. . وكلمة تقدمي تفيد الطموح الوثني. . والذين ينظرون إلى الدين بأنه غير تقدمي لا يفهمون قضية الإسلام بالنسبة للأديان الأخرى. . فإن جاز هذا بالنسبة للمسيحية التي سبقت الإسلام فإنه لا يجوز بالنسبة للإسلام.

ثم كلمة «رجعي» هذه عندما نأخذها. هل تذم مطلقا؟ أم عندما نعرف ما المرجوع إليه نمدحها أو نذمها؟ إنسان انحرف ثم رجع عن الانحراف، أيكون مذمومًا؟ لا. . إذن كلمة رجعي على إطلاقها لا تكون مذمومة، ولا تكون ممدوحة، إنما نعرف رجعي إلى ماذا، وعن ماذا. . فإن رجع إلى مسائل تخلفية منحطة تصير ذمًا، وإن كان قد إنحرف ثم رجع وتاب إلى الحق تكون مدحًا.

كلمة رجعية وكلمة تقدمية، يجب أن يفطن إليهما الشباب، تقدمي إلى ماذا؟ ورجعي إلى ماذا؟ كلمة تقدمي هذه حلوة، لكن تقدمي إلى أي شيء. وكلمة رجعي نقول عنها: كلمة سيئة؟ لا. . لكن رجعي إلى ماذا؟ فالذين إنحرفوا عن منهج السماء مثلا، ثم أرادوا أن يرجعوا إلى منهج السماء نقول لهم: أنتم رجعيون؟ لا. . والذين يريدون أن يتقدموا بمعنى أن يلغوا عن أنفسهم كل القيود نقول لهم: أنتم تقدميون؟ لا. .

إذن في كلمـة تقدمي وكلمة رجـعي يجب أن ننظر تقـدمي إلى ماذا، ورجعي إلى ماذا.. وكلمة رجعي لا تذم على إطلاقها، وكلمة تقدمي لا تمدح على إطلاقها.

كلمة تقدمـية تعني أن الإنسان يتحرر من كل قيـد يحكم تصرفاته في الحـياة.. حـينما يكون كل إنسـان حـرًا في أن يتمـرد على قيـد يحكم تصرفاتـه في الحياة.. لماذا لا تبيح له هذه النظم أن يتـقدم إلى أن يكون حاكـمًا؟ إذن كلمة تقدمي تريد أن تعطي للناس فـرصة الحرية في حـركة الحياة بما لا يفسد على الحاكمين وصفهم.. بقول لك: أشرب خمرًا على كـيـفك.. جنس على كـيـفك. كـل الحريـات.. لكن لا تقـرب نظام الحكم.. لا تتكلم إلا بما يرضي النظم الهدامة.

* * *

الزكاة والضرائب

س : كثير ممن تجب عليهم الزكاة في أموالهم يرفضون أداءها بحجة أن الضرائب التي تحصلها الدولة تغني عنها . . فهل هذا صحيح؟ وهل يجوز استخدام الزكاة في المشروعات العامة؟

جـ : الدولة تفرض الضرائب لتقوم بالخدمات التي تؤديها للأفراد. لأن الطريق المرصوف يتمتع به الذي يركب السيارة، والترعة المحفورة يتمتع بها الغني الذي لديه زراعة . . إذن مرافق الدولة تقوم بها الدولة. إنما بضرائب على الأفراد إن لم يكن دخل الدولة يكفيها . . لا آخذ من حق الفقير لأرفع جامعًا . . . لا آخذ من حق الفقير لأبني مدرسة . . لأن المدرسة يدخلها ابن القادر . . والجامع يصلي فيه الغني والفقير. والمال مال الفقير . . الذي هو مال الزكاة . . فلا يكون هناك جائع وأبني جامعًا . . يمكن أن نصلي على الأرض، لأنها كلها مسجد طهور.

إذن الزكاة لا تنتقل من مصارفها إلا إذا كانت هذه المصارف غير موجودة . . ولو أني أتيت بأي قطاع في أي بلد من البلاد. وعملت إحصائيات دقيقة لثروات الناس. وحقوق الله في هذه الثروات. ثم حصرت الفقير غير المحترف، لوجدت أن الذي يأتي من الأغنياء كفيل بأن يقوم بعيش الفقراء في مستوى الأغنياء بالدقة والحساب.

إذن فالمشروعات التي ينتفع بها الجميع لا تؤخذ من الزكاة أبدًا، وإنما الزكاة للفقير البسيط، فإذا زادت عن حاجة الفقير فأهلا وسهلا. لأن الدولة لها مصادر كثيرة من الركائز والغنائم والأنفال والخراج . . . إلخ . .

ومن ثم لا تجزيء الضرائب عن الزكاة، لأن مصرف الضرائب غير مصرف الزكاة.

نظرة الإسلام إلى المال

س : ما هو موقف الإسلام من الملكية الفردية؟ هل يطلقها كما أطلقها النظام الرأسمالي؟ أم يهدرها كما أهدرها النظام الشيوعي؟

جـ : حب الملكية أمر غريزي لاستيفاء أسباب الحياة في النفس البشرية.. وما دمت أنت تحب الملكية فالله جعلها هكذا. كي تسعى أنت في الكون وتعمل، لكي يصير لك ملك. فإذا سعيت ولم يكن لك ملك صادمت عواطفك. وصادمت غرائزك كل واحد يصير خاملا، وما دام أصبح خاملا، فلا يكون له طموح.

الإسلام إحترم كل هذا وقال: إن هناك ملكية. وأعطانا تقنينًا عقديًا لهذه الملكية.. قال: أنت تولد وليس لك جيوب.. تولد وليس معك شيء... وتخرج من الدنيا بكفن ليس له جيوب.. لقد دخلت الدنيا بلا جيوب.. وتخرج منها بلا جيوب.. وهذه قضية معروفة لدى الجميع..

إذن فعندما لا يكون لك مال فمن أين تأتي به؟ أنت أنت لا تفتح صنبورا ينزل مالا.. إنما هناك كفاح وعمل في الأرض لكي تأكل، ويصير لك مال.. إذن لا بد أن تعمل.

جاء الإسلام وقال: كل إنسان في الحياة اسمه عامل، ليس هناك عامل وغير عامل، حتي الخليفة عامل، وقيمة كل امريء بما يحسنه، كلنا عمال.. يقول النبي ﷺ: «ما بال الرجل نستعمله على العمل ثم يقول: هذا لكم، وهذا لي، لأنه في منصب يقول: إن هذا أعطوه لي زكاة الدولة، وأعطي هذا لي هدية «هلا لو قعد في بيت أبيه وبيت أمه، لينظر

من يهدي إليه»[١].

أنت أهدي إليك لأنك عامل، فالمال مال الدولة، والحق يقرر في قضية عقدية أن المال كله لله.

هذه هي الحقيقة ﴿أَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾. ليس المال لكم.. إنما أنتم مستخلفون فيه.. وهناك في آية أخرى يقول الله تعالى: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ﴾. نسب المال إليهم مرة، ونسب لله تعالى في مرة.. إذن الحكاية شركة «مضاربة».

أنت لم تولد بالمال، ولكن ذهبت تسعى في كون الله الذي خلقه، وأخذت تجمع عناصر كي يكون هناك عمل، إذن فأنت لك عمل فقط، وليس لك في رأس المال شيء.. كل رأس المال لله، إذن أنت تأخذ أجرة عملك.. والباقي لله:. فانظر أين يوجهها الله.. لن يأخذها لنفسه، بل قال: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾. لأن الله لا يريد شيئًا.. وإنم يريده لك.

❊ ❊ ❊

(١) لم أجده فيما تحت يدى من مصادر.

كشف الغطاء

س : يقول الله تعالى عن الإنسان حين الموت: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾. ما معنى حدة البصر في هذه الآية.

جـ : حينما تخرج بشرية الإنسان هي ساعة الغرغرة، يرى الإنسان الأشياء التي لم يكن يراها أبدًا، مع أنه لا يزال حيًا، ولا تزال الروح فيه.

❊ ❊ ❊

الحج والقرعة

س : مسلم تقدم لأداء فريضة الحج، ولم يخرج اسمه في القرعة، ثم مات، ما حكمه عند الله؟

جـ : مجرد تقديمك الطلب أن خرج اسمك في القرعة أو لم يخرج تكون قد حججت في هذه السنة في هذه الحالة.. فإن عاش فعليه أن يكرر الطلب كل عام لتبرأ ذمته أمام الله.. وفي هذه الحالة يكون قد خرج مما ولايته فيه على نفسه إلى ما الولاية فيه لولي الأمر.

* * *

من نسي شيئًا وأراد أن يذكره

س : هل هناك علاج ديني يذكر الإنسان بما نسيه من شئون دنياه؟

جـ : تحضرني قصة للإمام أبي حنيفة في هذا الشأن.. ذهب إليه شخص وقال له: قد خبأت مالاً لي في باطن الأرض، ونسيت مكانه، فكيف أجده؟

فقال الإمام: ليس لي في ذلك علم. ولكني أحتال لك.. إذا جئت بالليل فصليت العشاء، قم فتهجد طول الليل، وفي صلاة الفجر جاء الرجل وقال للإمام: لقد وجدت المال، قال أبو حنيفة: كيف: قال الرجل: نفذت نصيحتك، وأثناء صلاتي تذكرت موضع المال.. فقال الإمام: والله لقد علمت أن الشيطان لن يدعك تتم ليلتك مع ربك. وسيأتي بخاطر يحدثك فيه بموضع المال، وستنقاد طوعًا للشيطان لتصل إلى مكان المال. فهلا أتممتها شكراً لله؟

***

تعليم النساء

س : ما موقف الإسلام من تعليم النساء؟

جـ : قال رسول الله ﷺ : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[١] ذن نحن فرضنا التعليم على المرأة.. وحينما تزوج رسول الله ﷺ من حفصة بنت عمر، كان عمر قد جاء لها بامرأة من بني عدي تعلمها القراءة والكتابة وبعدما تعلمت وتزوجها رسول الله، طلب الرسول أن يستمر مجيء العدوية إلى بيته، لتعلم حفصة بقية العلم.. فقال عمر: لقد تعلمت. فقال رسول الله: «لتجوده ولتحسنه».

فلتتعلم المرأة، ولكن يجب أن تركز على التعليم النوعي.. التعليم النوعي الذي يناسب المهمة التي ستؤهل لها في الحياة.

* * *

(١) ضعيف: أخرجه ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم حديث (١٢٠)، وفيه حفص بن سليمان قال فيه وكيع بن الجراح: ثقة، وقال أحمد بن حنبل: ما به بأس وقال أيضا متروك الحديث، وقال على بن المديني: ضعيف الحديث.

شبهة حول القرآن

س : يقول الله تعالى في سورة لقمان: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن ﴾.. فالله تعالى أوصى بالوالدين ثم ذكر الأم وحدها دون الأب. وهنا يقول المستشرقون: كيف بأن الله تعالى لم يوصي إلا بالأم. مع أنه ذكر في أول الآية الأم والأب معا، وفي أخرها كذلك حيث قال: ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾، فكيف نرد هذه الشبهة عن القرآن الكريم؟

جـ : نقول لهم: أنتم لم تفهموا الآية.. فالله سبحانه وتعالى في توصيته بالأم قد اختصها لأنها تقوم بالجزء غير المنظور في حياة الابن.. وبالجزء غير المدرك عقلا.

يعني أن الطفل وهو في الحمل والولادة والرضاعة وحتى يبلغ ويعقل.. فالأم وحدها هي التي تقدم له كل شيء.. هي التي حملت.. وهي التي ولدت.. وسهرت.. وأرضعت.. فإذا كبر الطفل وعقل، فمن: الذي يجده أمامه؟ يجد أباه.. فإذا أراد شيئًا فإن أباه هو الذي يحققه له.

إذن ففضل الأب ظاهر أمامه.. أما فضل الأم فهو مستتر.. ولذلك جاءت التوصية بالأم أكثر من الأب.. لماذا؟

لأن الطفل حينما يحقق له أبوه كل رغباته يحس بفضل أبيه عليه.. ولكنه نادرا ما يقدر التعب الذي تعبته أمه.. وهو يزيد أضعاف ما يقدمه له أبوه.

ومن هنا جاءت التوصية بالأم.. حتى أن رسول الله ﷺ قال: «أمك.. أمك.. أمك.. ثم أبوك»(١).

هذا جواب مقنع.. ولكن المستشرقين قالوا أيضًا: كيف يخاطب الله طفلا رضيعًا لا يعقل.. وإذا كان يخاطبه وهو كبير فهو يخاطبه عن مرحلة لا يتذكرها ولا يعرفها ـ كما قلتم في الإجابة ـ فكيف يكون ذلك؟

ـ الهدف من هذا التذكير إذا كان الإنسان لا يتذكر هذه الفترة من حياته ولا يعقلها: أن يرى ذلك في غيره.. ينظر إلى الأمهات ليرى كيف يتعبن.. وكيف يعانين ويقاسين.. وكيف يسهرن على أطفالهن.. وماذا تحملن من مشقات.. فعندما يدرك أن هذا حدث له من أمه، ويحس به، ولذلك يرد الجميل.

الله تعالى يذكرنا بالتعب الذي عانته الأمهات.. ويريد أن يوصينا بالاثنين معًا.. ولكنه يوصينا بالأم لأن تعبها غير واضح في عقل الابن.. بينما ما يفعله الأب واضح وظاهر أمام الطفل.. هذا هو الهدف.

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به حديث (٤٦٢١)، وأحمد حديث (١٩١٩٣)، وأبو داود كتاب الأدب، باب في بر الوالدين حديث (٤٤٧٣)، وابن ماجه كتاب الوصايا، باب النهي عن الإمساك في الحياة حديث (٢٦٩٧).

معنى التسبيح

س : كلمة (سبحان الله).. من الكلمات التي تتردد كثيرا في العبادات.. فهي في الركوع والسجود من الصلاة.. وقد أمرنا الله في القرآن أن نسبح بالليل.. وبالعشى والأبكار وبالغدو والأصال.. وكثير من الناس لا يفهم المعنى الحقيقي لكلمة (سبحان الله)، وشرط الذكر المفيد أن نفهم معناه.. فما معنى (سبحان الله)؟

جـ : التسبيح هو التنزيه.. فما معنى التنزيه؟

التنزيه: أن يوجد شيء، ثم يوجد له نظير في الشكل، أو نظير في الجملة، فتتوهم أن هذا يساوي هذا.. نقول: لا.. هذا ليس من الطبيعة.. يعني لله وجود، ولخلقه وجود.. ولكن نزه وجود الحق عن وجود الناس، لأن وجود الناس عن عدم، ووجودهم إلى عدم.. ولكن وجود الحق لا عن عدم، ولا إلى عدم.

إذن فصفة الوجود قدر مشترك.. إلا أنك نزهت الحق سبحانه وتعالى إن وجد وصف في مخلوقاته يساوي وصفه في شكلية اللفظ.. إذن فالتسبيح معناه التنزيه.

* * *

الزواج العرفي

س : ما حكم الزواج العرفي؟

جـ : الزواج العـــرفي الذي يتـم بموافـقـــة الطرفين . . وبالإيجـــاب والقبول . . وأمام شاهدين . . ولا ينـوي فيه التوقيت بمدة . . ولا يشترط فيه السرية . . بمعنى ألا يعلن عنه . . زواج صحيح شرعًا. وإنما كانت العلـنية لئلا يقع الناس في أعـراضهم بالبـاطل . . أما توثيق الزواج أمام الموثق الشرعي فهو لحفظ الحقون المالية للزوجة

* * *

سر النجاح

س : ما هو سر النجاح في الحياة حتى يكون الشباب على نور من الطريق؟

جـ : سر نجاح كل إنسان: أن يتعب نفسه في أن يعرف: ما هي مهمته في الحياة.

الذي يتعب الناس هو أنهم يخبطون بدون أن يعرفوا المهمة التي يعملون من أجلها.. فعندما يحدد كل إنسان مهمته.. يجب عليه أن يرى الطريق الذي يوصله إلى هذه المهمة وإذا لم يعرف غايته ولا الطريق إليها فإنه يتعب.

ومن هنا فالمسألة بسيطة جدًا.. أن يعرف كل إنسان غايته.. ولكن الناس لا يعرفون إلا الوسيلة ويجعلونها غاية.. وحين نجعل الوسيلة غاية يكون الفشل محققًا.

* * *

تفسير الأحلام

س : ما هو رأيك في علم تفسير الأحلام؟

جـ : الرمـزيات من تأويل الرؤيا ليسـت علمًا يتكلمه الناس. . لأنهـا أصـلا من عند الله. . لا يعـرفـهـا الناس إلا بالاسـتـقـراء. . والاستقراء يعني تتبع النظائر والأشكال لاسـتخلاص قاعدة. مثل الشفرة. . لا أحد يعرفها إذا ذكـرت أمام مجموعة من الناس ألا الذين يعرفـون أصولها. . فـالأشياء التي تقع في البـداية قبل أن تكون لهـا أفـراد واقـعـة تكون من عند الله، وكل واحـد كـان بالاسـتـقراء أو بنفسه في حـياته يرى الكثير من الرؤى ويفـسرها بالقـياس على من فـسر من قـبل. فالذي يرى كـذا يبقـى كذا، والذي يرى كذا يبقى كذا.

مثل الذي يرى في المـنام إنه طائر. . يكون واقع حياتـه إنه سيكون له شهرة. . أو الذي يرى أسنانه تقع. . يقال: إن قـريبًا له سيموت. . وهذا هو التفسير بالاستقراء.

ومن العجـيب أن شخصًا أسـرت أمه وهو صغـير. . ثم دارت الأيام وذهب إلى البلاد التي أسرت فيها أمه، فقابلها. . وكان فرق العمر بينهما خمسة عشر عامًا. . وأراد أن يتـزوجها، وهو لا يعلم أنها أمه، وقبل أن يدخل بهـا رأى في المنام أنه يأخـذ الزيتون يعـصـره ويروي بها جـذور شجرة الزيتون ذاتها.

وذهب لمن يفسرون له الرؤيا. . فقال له:

هل أنت متزوج؟

قال: لا.. ولكن سأتزوج غدًا.

قال: ممن ستتزوج؟

فقـال: من امرأة بيني وبينهـا من العمـر خمسـة عشـر عامًا، وهو لا يعرفها، ولكنه تعرف عليها في البلد.

فقال المفسر: لا تتزوجها، فإنها لا بد أن تكون أمك.

فكيف يحدث هذا بالاستقراء؟

* * *

الإخلاص

س : نحن مطالبون بإخلاص العمل لله.. والعمل بلا إخلاص هباء منثور.. والكثيرون لا يعرفون معنى الإخلاص.. فما هو الإخلاص؟

جـ : معنى الإخلاص أن يوجد عمل نخلص فيه النية لله.. إذن الإخلاص ليس عملا.. ولكنه صفاء القصد في أي عمل مشروع.

وما هذا العمل الذي يقربنا إلى الله؟

إنه الأبواب التي صنعها الله.

فإذا رسمنا دائرة وجعلنا مركزها هو الله، ورسمنا داخلها أمطابا توصل إلى المركز نجد أنه كلما اقتربنا من المركز نتلاقى. وكلما ابتعدنا نفترق.. وهناك من يذهب إلى هذا المركز عن طريق كثرة الصلاة.. أو الصيام.. أو الذكر.. أو من باب حضرة النبي.. فعندما يخلص في الصلاة يدخل من هذا الباب.. وهكذا.

والذي قال: أنا وجدت أقرب باب أدخل منه إلى الله هو باب الإنكسار. لأني لم أجده مزدحمًا. إنما يستعمل التعبير الذي يدور على ألسنة الناس. لكن باب الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يزدحم أبدًا ولو اجتمعنا جميعًا على بابه.

والمقصود أن باب الإنكسار والتواضع نادرًا ما تجد إنسانًا لديه موهبة وهو منكسر. فالناس لا يقبلون على الإنكسار.. وهذا معنى أن باب الإنكسار ليس مزدحمًا.

تعقيب:

يمكن أن نضيف أن الإخلاص قد يكون عملا من أعمال القلوب، والإسلام. أعمال قلوب وأعمال جوارح.. والعقيدة نفسها عمل قلبي بحت.. بما فيها من الاعتقاد واليقين.. والإحسان وهو شطر الإسلام عمل قلبي خالص.. ويمكن ممارسته بدون شعائر.. يمكن ممارسته في الخلوة والصمت كما يمكن ممارسته في العمل.. والشيخ حفظه الله أجاب عن الشطر الملاص للعمل من الإخلاص.

والإخلاص عكس الرياء.. وكما أن الرياء مرصد قائم بالنفس سواء كان هناك عمل أو لم يكن.. فكذاك الإخلاص صحة في القلب لا تزول سواء كان هناك عمل أم لم يكن.

وقد كتب الإمام الحارث المحاسبي كتابًا عن أعمال القلوب والجوارح.. ومن قرأ كتاب الرعاية [١] للمحاسبي علم جيدًا كيف أن الإخلاص عمل مستقل بصحاب العمل فيجعله خالصًا مقبولا.. ويستقر في القلب بلا عمل فيصبح القلب محلا لتلقي فيض الله تعالى على العبد بعلم ما لم يعلم.

* * *

(١) ولأهمية هذا الكتاب اختصره سلطان العلماء العز بن عبد السلام وسماه مقاصد الرعاية لحقوق الله، وهو كتاب جيد فى بابه ط دار الفكر تحقيق أ / إياد خالد الطباع.

حب آل البيت

س : ما المقصود بحب آل البيت؟ وما الدليل عليه من القرآن؟

جـ : آل البيت حين تطلق بلا قيد تنصرف إلى آل بيت محمد ﷺ .

مما يدل على أنه لا يعقــد ببيت سوى بيت سيدنا مــحمد ﷺ .

مثلما تقول حججت البيت . . فإن المفهوم هو (البيت الحرام) .

وإذا قلت : محبــة آل البيت . . فهذا تعدد شرعي . . لأن ربنا ســبحانه يقول في خطابه لرسول الله ﷺ «قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى» [1]. كان المودة والحب لآل بيته هي أجره على رسالته .

فإن قيل : إن المودة في القربى لا تعني قربى رسول الله ﷺ

نقول : لا . . «لا أسألكم عليــه أجرًا إلا المودة في قربائي» لأن الخطاب له . . والأجر لك . . ولماذا؟

لأن قرباء عــقدوا بقرابتهم لرســول الله ﷺحقوق كانت لغــيرهم من المسلمين . . فمــثلا . . الفقــير المسلم من غيــر قرابته يأخذ الزكــاة إن كان فقيرًا . . وهم لا يأخذون الزكــاة . . فكأنهم حرموا بسبب القرابة بدلا من أن يعطوا بسببها .

وأيضًا فإن كل إنســان غير الرســول يورث آله وقرباه مــا يترك وهم أم يورثوا ، لأن ما تركه صــدقة . . وهاذ فقد حــرموا من رسول الله ﷺكل الميزات التي من شأنها أن ينفع الإنسان بها أهله وقرباه .

فــلا أقل من أن يعطيــهم الله شيــئًا كــفاه ذلك . ومــا الذي يعطيــهم؟

---

(١) صحيح أخرجه الترمذي ، كتــاب تفسير القرآن ، باب ومن سور حم عسق حديث (٣١٧٤) ، وأحمد حديث (١٩٢٠) .

يعطيهم الود ومحبة القلوب. كما أن الله حين حرمهم أن يورثوا رسول الله ﷺ، وأن يأخذوا الزكاة، فهذا ومن يقول: عيب يا مجتمع أن تكون قرابة رسول الله ﷺ في مرضع يأخذون منه الزكاة، وأن نترك ناسًا لم يورثهم أبوهم محتاجين.

إذ المودة في القربى هي قربى رسول الله ﷺ. وإذا كان النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فتكون قرباه أولى بنا من أنفسنا.

تعقيب:

هذا ملحظ جميل جدًا لحب آل البيت الذي يعود عليهم أثره في الدنيا من جمهور المسلمين. ويمكن أن نضيف رأي المحاسبي في كتابه المخطوط (أداب النفوس) (١) إذ تعرض لهذا الموضوع من ناحية شخصية المسلم المحب.. إذ يقول: إن من ادعى حب آل البيت وهو على غير طريقهم ومحبتهم، فهو كاذب في دعوى الحب.. لأن الجائع يحب الطعام. فإذا قدم إليه ولم ينل منه فهو كانت في دعوى حب الطعام.. وهكذا حب آل البيت دون السير على منهاجهم كذب في دعوى الحب لهم.

* * *

---

(١) وقد طبع هذا الكتاب طبعات متعددة الآن، فهناك طبعة مكتبة القرآن وغيرها.

الفاتحة للحسين

س : هل تعتبر زيارة الحسين وآل البيت والصالحين شركًا؟ وما معنى قول الناس الفاتحة للحسين؟

جـ : الذين يحكمون على زائر آل البيت والصالحين وقائل: الفاتحة للحسين بالشرك يظنون أن الفاتحة تقرأ لسيدنا الحسين ولكن نحن نقرأ الفاتحة على أن عائد جدواها من الأجر للحسين.

عندما جاء الفضل إلى النبي ﷺ وقال: إن أمي ماتت وأريد أن أعمل لها عملا يعود عليها بالخير.

قال رسول الله ﷺ: «احفر بئرًا وقل هي لأم الفضل» بمعني أن ما يعود من الثواب على هذا البئر يذهب لأم الفضل.

كذلك عندما أقرأ الفاتحة للسيدة زينب أو لسيدنا الحسين فهذا معناه.

* * *

وبعدين

س : تضيع قيم الإنسان ومعنوياته: مليا بين طموحاته المختلفة والمتضاربة والصاخبة.. فكيف تضع للناس مقياسا ثابتًا يردهم عن الهلكة التي يهرعون إليها؟

جـ : لقد اختصرت كل تأملاتي في الحياة في جملة واحدة هي: «إن الحياة أهم من أن تنسى.. ولكنها أقل من أن تكون غاية».

لماذا هي أهم من أن تنسى؟

لأن الغاية لن تحسن إلا لو أحسنت العمل في هذه الدنيا.. فحتى تكون غاية حسنة يجب أن أحسن عملي في هذه الدنيا.. لأنها المطية التي ستوصلني إلى غايتي.

ومنا سيطرت على حياتي كلها كلمة، وبعدين.. بعد كل مرحلة من مراحل حياتي أقول لنفسي وبعدين، ثم أدركت أن الإنسان الطموح يجب أن تكون عنده غاية.. بحيث أنه حين يصلي لا يقول: وبعدين.

ولقد تنبه عمر بن العزيز رضي الله عنه إلى هذه المسألة فقالوا له: إنك حينما كنت أميـرًا إذا جاءوا لك بثياب قلت: أريد اثنين من هذا.. والأن أصبحت حلية.. وكلما جئناك بثياب تقول: أريد أحسن من هذا.. فأنت لست منطقيًا مع نفسك.

قال: أنا منطقي مع نفسي.. فإن لي نفسًا طموحاً تواقة.. كيف أشتاق إلى الأمارة.. فلما قلتها ذاقت منطقي إلى الخلافة.. نلتها قلت منطقي إلى الجنة.

* * *

لا يكلف الله نفسا إلا وسعها

س : يعتذر كثير من الناس عن عدم تنفيذ أوامر الدين بقوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾.. مدعين إن هذا الأمر ليس في وسعهم.. فهل هذا الاعتذار مقبول؟

جـ : هؤلاء قدروا الوسع وحددوه، ثم جاءوا بالتكليف.. ثم قالوا: هل يتسع الوسع الذي حددناه لهذا التكليف أم لا؟

لكننا نقول: إن الله سبحانه وتعالى حين يكلف يعلم أن الوسع متسع.. لأن الله لا يكلف إلا بما في الوسع، بدليل أن المكلف عندما يعلم أن التكليف ليس في وسعك هو الذي يخفف عنك من عنده.

فإذا كنت مكرهًا لا يكلفك.. وإذا كنت ناسيًا لا يكلفك.. وإذا كنت لم تبلغ رشد العقل واكتماله لا يكلفك.. والمسافر يخفف عنه.. وهكذا في جميع الأمور.

لكن ليس من حقي أن أقدر أنا الوسع.. بدليل أن هذه الأمور التي تدعي أنها ليست في وسعك هي في وسع سواك.. فانظر هل يؤدي سواك هذا التكليف أم لا؟

حين يثبت أن الله تعالى كلف إنسانًا فهذه شهادة منه أنه في الوسع.. وحين يعلم أن الوسع لا يقدر فإنه يخففه عليه.. ولكن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها.

❊ ❊ ❊

التكليف وتقليد العصر

س : والبعض يعتذر عن عدم الوفاء بالتكليف بأنه لا يستطيع الموازنة بين متطلبات العصر المادية وبين ما يجب عليه تنفيذه من الأوامر. . فكيف يخلص من هذه المشكلة؟

جـ : لو احتكمنا دائمًا إلى متطلبات العصر لأصبح العصر هو المكلف. فالذي يقبله العصر نعمله. والذي لا يقبله العصر لا نعمله. . ثم نهبط تبعًا لهذا.

والمفروض أن التكليف إنما جاء ليأخذنا ويرفعنا. . لا أن يجعلنا نهبط. . فهل كلما جد شيء في العصر تهبط إليه؟

لا. . لا تطلبُ المطلوب في سقط. . والساقط إلى المطلوب.

لقد علم الله سبحانه وتعالى عندما شرح لنا الإيمان ما قد يصيبنا خلخلات. . لكنه لم يترك هذه الخلخلات بلا علاج. . لقد شرع بها العلاج بما يثبت الإيمان ولم يترك الشيطان يتفرد بنا. . ولذلك الحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

كل هذه الأشياء تبعث الإيمان. . وليس لي أن أقول: أن الله لو شاء لنبقى، وأدرك بناء على هذا ما شرع لنا ليثبت به الإيمان. لأن الله تعالى لايتدخل أبدًا في كينونه الإنسان إلا إذا استنفر أسبابه المحدودة له من الله.

فالله أعطانا أسبابًا، وإذا فهمنا قول الله سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾. علمنا أن معنى قوله ﴿الْمُضْطَرَّ﴾ هو الذي استنفذ كل الأسباب الممنوحة له من الله.

لكن أدعو قبل أن أستنفد أسـبابي. كأن أقول: يا رب نجحنى بدون أن أذاكر دروسي فهذا خطأ فاحش.

لقد أعطـاني الله عقلاً وفكرًا وقـوة وطاقة.. وقـوة على الذهاب إلى معهدي.. وأساتذة يدرسون.. فإذا استنفذت كل هذه الأسباب لقولي يا رب أنجحني لماذا؟

لأن اجتماع هذه الأسباب لا يعطي في الحقيقة نجاحًا.. فقد عمل كل شيء.. ويأتينى مثلا مرض ليلة الامتحان لا يمكنني من أدائه.

إذن الأسـبـاب شيء.. والواقع شيء. والواقـع الذي سـيكون عليـه الحدث شيء آخـر.. فيـجب أن أتوجه إلى الله بالدعـاء بعد أن اسـتنفد أسبابي. فاسأله ألا تكون هناك عوائق.

لكننا لا نسأل الله عن إضطرار. بل يكون عندي مـا يكفيني من الرزق وأسأله المزيد لأولادي في المستقبل مثلا..

إننا نسـأل الله عن «بغـددة» وترف.. ثم نقول: لـقد سـألت لله فلم يجـيبني.. لكـنه تعالى يقـول: ﴿ **أَمَّن يُجِيـــبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾.

❊ ❊ ❊

الصلاة في مساجد الأضرحة

س : ردد بعض الناس أن الصلاة في المساجد التي فيها مقاصير للأولياء والصالحين حرام.. ويذهب المتطرفون إلى أنها باطلة.. - بل إلى إنها كفر.. لأن هذا تعظيم للقبور.. فما هو الرأي الصحيح؟

جـ : نقول لهؤلاء: اذهبوا إذن واهدموا المسجد النبوي، فإذا قلتم: أن فيه النبي، فإني أقول لكن: إن فيه أيضًا أبا بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، والمسلمون يصلون، وهو على اليمن مرة، وعلى الشمال مرة، وفي الخلف مرة، بل وفي الأمام مرة.

وهؤلاء لا يعرفون معنى كلمة «مقصورة» الذي يدفن فيها النبي أو الولي الصالح.. إن معناها «محبوسة».. أي إنها محجوزة عن المسجد، والقبر لا يتعداها.. وعلى هذا فأنا لا أتخذ من القبر مسجدًا.

* * *

إباحة الخمر

س : نلاحظ إن بعض الدول الإسلامية لا تحرم شرب الخمر.. بل تتركها في الأسواق والمحال العامة.. فما حكم هذا السلوك؟ وما موقف المسلمين منه؟

جـ : إن هذه الدول أيضًا لم تشرع شرب الخمر.. صحيح إنها لم تحرمه.. فتكون إذن قد تركت الولاية لك.. فلا تشربها. الدولة لم ترغم المرأة على التبرج مثلا.. وبالتالي فإن الولاية لها.. أكثر الأشياء تركته الدولة لاختيارك أنت.. فمارس ولايتك على نفسك. وافعل ما تستطيعه.

ثم دعني أقول لك:

الذي في يد الدولة اترك الدولة مسئولة عنه.. ولكنك مسئول عنه أمام الله، ولو أن كل واحد نفذ ما ولايته فيه على نفسه لاستجاب الحاكم إلى رغبات هؤلاء الصالحين.

* * *

الخلاص من المشكلات

س : تشابكت المشكلات في عصرنا حتى أصبحت عصيبة العلاج في الظاهر، فما هو رأيكم في الطريق الأمثل للخلاص من هذه المشكلات؟

جـ : مشكلة هذه المشكلات أنَّ علاجنا لها علاجًا لظاهرها.. أما أصل الداء فما يزال دفينًا.

- وكيف نتوغل إلى هذا العمق؟

- هناك طريقان.

الأول: شعب آلمه واقعه، فأرغم حكامه على أن يسيروا وراء الحق.

والثاني: أن يوجد حاكم مؤمن قوي يرغم الناس على الحق.

وفي المسألة الأولى فإنني لا أكاد أري بصيصًا لها، لأن أهواء الناس قد اختلفت، واشتبهت الأمور على الناس، وأصبح الناس يتشككون في الناس، فلم يعد هناك أمل أن يجتمعوا على شيء.

ولم يبق إذن إلا الأمل في أي ييسر الله الأمر للحاكم.

تعقيب:

هذا هو الحق بعينه.. وعلى هذا فالواجب الحق على المخلصين المستنيرين من أنصار الإسلام أن ينقضوا النفاق عن قلوبهم.. وأن يعالجوا قلوبهم من عقدة حب المال وحب الشهرة والظهور.. ثم يتوجهوا إلى الحاكم بالحسنى واللين والمحبة المقنعة.. والدراسات الواعية التي تقدر الظروف الحاضرة والمستقبلة من جميع جهاتها.. وهذا التركيز سيؤتي ثماره بلا شك.

أقول: باللين والحسنى لا خوف من الحاكم، ولكن استجابته لأمر الله تعالى حيث أمر موسى وهارون باللين مع فروعون الكافر لعله يؤمن فقال: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ .. فما بألك بحاكم مؤمن يريد ما نريد ولكن تنقصه الوسيلة.

وأقول: نفض النفاق وحب المال والشهرة.. لأنها الأدواء والأمراض التي قتلت الدعوة الإسلامية وما زالت تقتلها إلى الآن.

* * *

تكفير المسلمين

س : شاع في المجتمع الإسلامي حديثًا ما كان قد شاع فيه قديمًا من تكفير المسلمين بعضهم بعضًا. . فهل يستطيع فرد أو جماعة أن يكفروا فردًا آخر أو الجماعة أخرى؟

جـ : إذا قال واحد لآخر: يا كافر. . فمعنى ذلك أن أحدهما بالضرورة كافر. . فهي إما أن تكون صدقا فيمن قيلت له، وإما كذب ممن قالها فيكون قائلها هو الكافر.

لكن القضية هي من يملك الجرأة على تكفير شخص آخر.

أي إنسان مهما كان علمه لا يستطيع أن يجترىء على واحد يعلن ألا لا إله إلا الله ويقول عنه إنه كافر. . جائز أن يقول: إنه لا يلتزم في أعماله بأحكام الدين، ويريدون من أجل ذلك تكفيره. . قد تكون كل أعماله مخالفة لأحكام الدين. . وهم يسألون: ألا بعد ذلك كفرًا؟

أقول لهم: هل الذي يشيرون إليه بذلك لا يقوم بتنفيذ أحكام الله إنكارا أم كسلا؟

إن كان كسلا نستتيبه حتى آخر يوم في حياته ولا نكفره.

وأما إن كان منكرًا لهذه الأحكام فيكون كفره ليس لأنه لا يطبق الأحكام، وإنما لأنه ينكر هذه الأحكام.

ولذلك أنا قلت للناس: لا تدافعوا عن الربا، قولوا: إنه حرام، ولكننا لسنا قادرين على أنفسنا. . وبذلك تنتقلون من حظيرة الكفر إلى دائرة العصيان. . لأن العصيان درجته أقل.

الزاني عاصي أم كافر؟ شارب الخمر عاصي أم كافر؟

نقــول: مــا دام الله قد حــرم هذه الأفـعــال، ونص على أن عليــهــا عقوبات، يكون معنى ذلك أنه عالــم بأن هذه الجرائم سترتكب.. وكونه تعالــى يحكم بأنها جــريمة، ويترتب عليــها العــقاب دليل على افــتراض حدوثها.. وبالتالي فارتكابها لا يدل على خروج فاعلها من الإيمان.

وإلا فلو أخرجته من الإيمان لما كان هناك معنى لترتيب العقوبة عليها، لأن فــاعلها لا يكون أهلا لتــطبيق هذه العــقوبــة.. وكونه أهلا لتطبــيق العقوبة دليل على أنه ليس كافرًا.. لأن عقوبة المرتد هي القتل.

* * *

الحاكم العادل

س : سألت الأستاذ صلاح منتصر فقال: هل هناك الحاكم العادل بمعنى العدل الحقيقي؟

جـ : العدل الحقيقي: ما كلفنا الله به.. ومعنى ذلك أن العدل ليس صفة يتطوع بها العادل، وإنما نعني أن العادل يمسك ميزان صنعه له غيره.. وهو الله.

فالعادل ليس متطوعًا من عنده بتطبيق ما يراه.. وإنما بتطبيق ما وضعه الخالق، ولذلك قلت وأقول: أن ميزة الإيمان إنه لا يجعلك تتحكم في أو أتحكم فيك، وإنما أنا وأنت معًا محكومان لله.

ـ نقصد الأمور الدينية لا الدنيوية؟

ـ الأمور الدنيوية التي هي ماذا؟ العدل لا ينشأ إلا حين يوجد حق وباطل.. وظالم ومظلوم.. أصبح الأمر دينيًا ولم يعد دنيويًا.

ـ إنه سبحانه يقول: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، ومعنى ذلك أن العدل صفة من صفات الله.. ولا يستطيع أن يعادل الله في صفاته بشر ولا حاكم.

ـ هذا صحيح: ولكني أقول: إن فرض العدل بصورة مطلقًا غير جائز، لأن الله تعالى قال: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾، ومن الجائز أن تحب شيئًا أكثر، أو تميل إلى شيء أكثر.. ولذلك ينبهك الله بقوله: ﴿فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾.

إذن فالحق يراعي النسبية. وعندما نطبق ذلك لا يكون العدل المراد هو أربحية حاكم، ليكون عادل أو غير عادل، وإنما العدل هنا أمانة في محاولة ضبط الميزان الذي صنعه الله. ووضعه في يده.

ـ أنت ترى الحاكم على المستوى الأعلى. . وأنا أراه في كل المستويات. . أراه في الوزارة والمصلحة والأسرة.

ـ نعم أنا أراه أيضًا معك في كل هذه المستويات. . ولكن في النهاية فإن كل مستوى محكوم إلى حاكم أكبر.

ـ لكن الحاكم بشر. . ومن الكثيرين قد يوجد حوله من يحاولون إفساده.

ـ المفسدون قوتهم من قوة من يفسدهم. . وضعفهم من ضعف من يفسدهم.

ـ ولكن ذلك لا يمنع أن تكون المسئولية في تحقيق العدل هي مسئولية مشتركة بين الحاكم والمحكوم.

ـ نعم. . ولهذا قلت: إنه قبل أن تطلب من الحاكم أن يكون شجاعًا في الحق يجب أن تطلب من المحكوم أن يكون أيضًا شجاعًا.

وذلك إنه قد يدخل قريب للحاكم ويطلب مني بصفة هذه القرابة أن أفعل له شيئًا، فشجاعتي هنا إذا لم يكن له حق لا استجيب له، بل على العكس أعارضه. . فإذا وصل الأمر إلى الحاكم ووافقه على تجاوزه تكون مسئوليتي عند الحاكم.

ولكنني أوكد لك أن هذا لا يحدث، لأن الناس يجاملون الحاكم من غير أن يعلم الحاكم. . وهي تتصور بذلك إنها تتقرب إلى الحاكم في حين أنه يعلم شيئًا. . وأقسم لك بالله إنه لو وقف إنسان إلى جانب الحق. وراعى فيه الله، ورفض مجاملة قريب الحاكم وعرف الحاكم بذلك. فإنه حتى إذا لم يكن راضيًا عن عدم مجاملة قريبه. فإنه يخاف أن يفعل شيئًا في الذي رفض المجاملة لعلمه إنه على حق.

يحمي الله الإنسان هنا لا بخوف الحاكم من هذا الإنسان ولكن بخوف الحاكم من الله.

لكن الذي يفسد الدنيا أن الناس لا تضع الله في فكرها.. وقد سبق لي أن قلت مراراً: إنه من المستحيل أن يجترىء خلق من خلق الله على معاداة الله ومحاربته أبدًا.. إنما أنت تقدر على طالما أنا وأنت منعزلين عن الله معًا.

إنما أن يكون أحدنا في حصن الله.. أقسم لك أنه أبدًا لن يجرؤ مخلوق على المساس به.

تعقيب:

مصداق ذلك ما قاله أحد الصالحين من العلماء قديمًا: من خاف الله خاف منه كل شيء... ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء.

* * *

قتل العدول من الحاكم

س : كان عمر بن الخطاب من أعـدل الحكام، ومن المؤكد أنه كان في حصن الله، ومع ذلك فقد صاره. . أليست هذه مصيبة؟

جـ : ولمن تظن المصيبة، هل هي مصيبـة. . لعمر أم هي مصيبة لقاتله إن الذى بيتـصوره البـعض أنهم برصاصـة يغيـرون التاريخ كـما يريدون. والرصاصة تنطلق.

الله من أرادوا. . ولكن الله بحكمته ولحكمته يقول للناس من خلال ما تثمر عنه الجريمة:

هذا الذي أخطأ وتصور أنه سيفسـد الكون بعمل سأقول له: يا غبي، ارتكبت جريمتك، وسـأجعل جريمتك تعـاقب عليها في الدنيـا والآخرة، ولكنني على عكس مـا تتوهم. . سأنفع بهـا الناس. . ولا أحقق هدفك الفاسد.

عندنا سعد زغلول مثلا. . أطلق عليـه أحد الناس الرصاص ليقتله. . فماذا كانت النتيجة.

الرصـاصة التـي أطلقهـا القـاتل لم تقـتل سعـدًا، وإنما بسـبب هذه الرصاصة ودخولها جسم سعد شفى من مرض السكر الذي كان يعانيه. . فهل الذي أطلق الرصاص كان يعلم أو يريد أن يشفيه من مرضه؟

إذن الخطأ والمصيـبة ليست فـيمن وقعـت عليه. . ولكن فيـمن وقعت منه.

يقـول له الحق: اعمل جـريمتك. . ولكني سـوف أجعل من جـريمتك مصيبة عليك، وفائدة لا يعرف حكمتها سواي.

المحرم لا نعرف نتيجة عمله، ولو أنه عرفها لما أقدم عليها بل لضن بأن بفعلها، ولكن هذه هي عظمة الخالق.

بين الشيوخ والشباب

س : كثير من الشباب يرفض مناهج الشيوخ في العمل الاجتماعي والسياسي والإصلاحي بوجه عام، ويغمض عينيه تمامًا عن تراث الآباء والأجداد.. حتى أصبح التحرر من تقاليد الجيل الماضي مذهبًا له أنصاره.. فما هو الحق في هذه القضية؟

جـ : الشباب قدرة بلا معرفة.. والشيوخ معرفة بلا قدرة... الشباب أقدر على العمل.. والشيوخ أقدر على المعرفة والحكمة.. ونريد من شبابنا أن يأخذوا من حكمة الشيوخ ومعرفتهم أداة لهم، حتى تكتمل لهم المعرفة بطريق العمل، وحينئذ سيكون عملهم مبرورًا إن شاء الله، ومباركًا إن شاء الله. والشاعر العربي يقول:

أواه لو عرف الشباب وآواه لو قدر المشيب

والعكس صحيح إذا استقل الشباب بقدرته دون معرفة الشيوخ.. سيكون التخبط والتردي والفشل.

❊ ❊ ❊

مفتاح العون الإلهي

س : كثير من الناس حائرون، ويقـولون: إننا مؤمنون بالله، وقائمون بالأمـر والنهي، ولكـننا لا نجـد عـونًا من الله ولا توفـيـقـاً في أعمالنا. . فماذا نقول لهؤلاء؟

جـ : الله سـبحانه وتـعالى لا يريد منا إلا أن نتـوجه إليـه بقلوبنا مع العمل. . وبعد ذلك ستكون منه المعونة حتما إذا صدق العبد في هذا السلوك. . والله جعل المفـتاح في يدك بمجرد إيمانك فـقال: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي»(١) . فكأنه جعل المفتاح في يدك.

«من ذكرني فـي ملأ ذكرته في مـلأ خيـر منه، ومن تقرب إلي شـبراً تقربت إليه ذراعًا». فإذا أردت أن يتقرب الله إليك ذراعًا فتقرب أنت إليه شبراً.

«من تقرب إلي ذراعًا تقربت منه باعًا». فإن أردت أن يتقرب الله إليك باعًا، فتقرب أنت إليه ذراعا.

إذن المفتـاح في يدك فـبـمجـرد إيمانك بالله، وإقبـالك على منهج الله بإخلاص، ستجد المعونة، وستجد الرضا، وستجد الإشراق.

وأنا أقول: لو عشت فترة من الزمن في إيمان، ولم تجد لك نورا، ولم تجد لك إشراقًا، فـاتهم هذا المنهج، وبعد ذلك دع هذا المنهج. . ولكنني

---

(١) صحيح : أخرجه البـخارى ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالـى ويحذركم الله نفسه حديث (٨٦٥٦) ،ومـسلم ،كتـاب الذكـر والدعـاء والتوبة ،بـاب الحث على ذكر الله تـعالى حـديث (٤٨٣٢) ، والترمذى ، كتـاب الدعوات ، باب فى حسن الظن بالله حديث (٣٥٢٧) ، وابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب فضل العمل حديث (٣٨١٢).

واثق من أنك إذا أقبلت على منهج الله، وعشت فيه عيشة إسلامية فترة من الزمن، فستدرك حلاوة تأسف على ما فاتك من عمرك بدونها.. وسيشجعك ذلك النور على أن تتوغل في منهج الله الذي يعطيك هذه الحلاوة.

* * *

لماذا لا تدركه الأبصار؟

س : من المتعارف أن اليقين بوجود ما يدرك أسهل وايسر من اليقين بوجود ما لا يدرك.. فإذا كان الله تعالى لا يدرك، فلماذا لا يدرك؟ وكيف نصل إلى اليقين بوجود وهو لا يدرك؟

جـ : لقد تركنا الله تعالى في الحياة لنصنع أشياء.. وذلك ليدلنا على الكلمة التي كانوا يقولونها منذ زمان، وهي: أن الصنعة تدل على الصانع.

لكن هناك شيئًا هامًا، هل تدرك الصنعة صانعها؟

إذا صنعت كرسيا، هل يدرك الكرسي من صنعه؟

لا.. الصنعة لا تدرك صانعها أبدًا.. وأنت صنعة الله، إذن أنت لا تستطيع أن تدرك الله.

ومن عظمته أنك لا تدركه.

ولو أدركته لما صلح أن يكون إلها.. لماذا؟

لأن إدراك العقل لشيء، أو إدراك العين لشيء، يجعل هذا الذي أدركته بعقلك أو عينك وداخلا في مقدور عقلك أو عينك.. إذن فأنت

إذا أدركت الله القادر، انقلب القادر مقدورًا، والمقدور قادرًا.. ولا ينقلب القادر مقدورًا، والمقدور قادرًا أبدًا.

ولكن الله قد وصف نفسه بأنه نور، والنور كاشف، فلماذا لم تدرك ربنا مع أنه نور؟

ـ نعم.. قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾. لم يعطنا مثلا إلا بالنور؛ وبعدها يجيء النور من الضوء، وبعدها يجيء العلم الحديث فيقول لنا: إن الضوء في ذاته لا يرى، وإنما ترى به الأشياء..

فإذا كان شيء من خلق الله لا يرى، وإنما ترى به الأشياء، فهل نقول للذي خلق هذا: كيف لا يدرك ولا يمكن أن يدرك أبدًا، لأن من خلقه ما لا يرى ما لا يدرك، فكيف من أنت لتدركه هو؟

إذن مقدم إدراكه دليل عليّ أنه حقًا هو الإله.

والضوء الذي يقولون عنه إنه موجود حين صوّر في الجو، واستطاعوا أن يقتربوا من الشمس مصدر الضوء، كان المفروض أن يوجد ضوء أكثر، ولكنهم لم يجدوا نورًا هناك أبدًا.. إنما وجدوا ظلامًا.. لماذا؟

لأن الضوء لا يرى إلا إذا كان فيه أشياء مادية، مثل الذرات المائية، أو ذرات الغبار.. إذن فالضوء لا يرى بذاته.. وإنما يرى فيه أشياء.

إذن حين يقال لك: إن الله لا يرى إلا في كون وفي أشيائه، تستعجب، لأن هذا هو ما انتهيت إليه بعملك.. وما انتهيت إليه بعلمك هو ماذا؟

هو أن الضوء لا يُرَى، ولكن إذا وجدت ذرات غُبَار يُرَى.. إذن حين نقول: إن الله لا يرى، وإنما يرى في صنعته، فهذا كلام سليم.. وكلام علمي.. وكلام منطقي.

ولكنهم يأتون فيقولون لك: هذا الكلام صدر من مادة فانية، فكيف وجد؟

ونقول: لا بد أن تكون هناك مادة، لأنك لا تتعامل إلا بالمادة، ولا تعمل شيئًا لا من مادة، أنت إلا تعيش المسائل بقدراتك ولا بعلمك، وإنما تعيش بقوانينه وقدرته سبحانه وتعالى. لكن هو نور.. ومن نوره خلق الأشياء.

والآن يقولون: إن الضوء ممكن أن يتحول إلى مادة، والمادة ممكن أن نفرقها وتبقى ضوءًا.. إذن فالإشكالات التي كانت موجودة قديمًا أمام العقل ابتدأ يفسرها العلم والنشاط الذهني.. والناس يعكسون المسألة.. كلما تقدمت الأدلة نحو الوجود الأعلى هم يأخذونها ضد الوجود الأعلى.

- وكيف هذا؟

- كان يجب أن تكون الأدلة أدلة على الوجود الأعلى. وتفسر لك هذه المسائل، فلماذا تأخذها أنت بالعكس؟

لأنك سرت بمسألة مجنحة.. لم تسر بالارتقاء.. بكل ملكات نفسك.. ارتقيت في ملكة واحدة، وانحططت في ملكات أخرى.. فحدث عندك تجنيح.

أنت قلت: البطن فقط.. ولا شيء غيرها.. أشبع البطن. وكأن الإنسان ليس له ملكات إلا البطن.. فتقول له: يأخي.. إذا كان الإنسان له ملكة إلا بطنه فالرجل الذي يحدد إقامته في فيلا عظيمة، يأكل ما يأكل، وفي خدمته ناس كثيرون.. فبالله هل هذا سرور نفسي، أم هو تعب؟

هو تعب مؤكد.

لماذا هو تعب؟

لأن هناك ملكات أخرى عنده جائعة.

* * *

لماذا متاعب الزوجين

س : إذا أرادت المرأة أن تخفف عن زوجها متاعبه وشقاءه، فقامت بدورها كسكن، وأدت رسالة المودة والرحمة، ثم خرجت للعمل من أجل تخفيف العبء عن الزوج، ألا يكون هذا السلوك محمدة للمرأة؟

جـ : هي في الواقع لم تخفف عن الزوج شقاءه.. فهو ما زال في تعبه.. ما زال في شقائه.. وازدادت هي شقاء.. فهو لم يأخذ نصف عمل في الخارج.. بل ما زال يعمل عمله كله..

وإذا تعللت بمشاركة الرجل في عمله لتزيد الدخل من أجل مستوى حياة أفضل، فليس المفروض في الإنسان الذي يخضع لقيم سماوية أن يفرض مستوى الحياة أولا، ثم بعد ذلك يحمل الدخل على هذا المستوى.

لا.. المفروض: أنه على قدر دخله يحدد مستوى حياته.

والذي يتعب الناس: أنهم يحددون مستوى الحياة أولا، ثم إذا لم يكف الدخل يبدأون في عمل الأشياء الأخرى.. فقد ينحرفون. أو يرتشون..

فالمستوى المعيشي لا يحدد إلا على أساس الدخل.. وتحديد الدخل على أساس المستوى المعيشي هو الخطأ.

حول لباس النساء المسلمات

س : ما هو القدر الذي يجب أن يستره الثوب من المرأة المسلمة؟

جـ : يقول الله تعالى: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾. إلى أن يقول: ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

فالخمار هو: غطاء الرأس.. والجيب هو النحر مع مقدم الصدر.. والمطلوب: أن يضرب غطاء الرأس على النحر والصدر والنساء أكثر دراية من الرجال في كيفية تطبيق هذا النظام.

وهذه الآية الكريمة تعطي حدود الصورة من أعلى، ولكن أين حدودها من أسفل؟؟

الجواب في الآية ذاتها.. ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾.. فزينة الأرجل هي الخلاخيل: ولما كن يخفينها بأثواب سابقة كما تدل عليه الآية، فإنهن كن يضربن بأرجلهن حتى تعلن هذه الخلاخيل عن نفسها من وراء حجاب.. إذن فلابد بموجب هذه الآية من ستر الساقين حتى مكان الزينة فيها.

وقال رسول الله ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها عندما دخلت عليه في ثياب رقاق: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا»[(١)]. وأشار إلى وجهه وكفيه.

---

(١) مصحيح : أخرجه أبو داود ، كتاب اللباس ، باب فيما تبدى المرأة من زينتها حديث (٣٥٨٠).

وتحكي السيدة عائشة رضي الله عنها حال النساء في عهد النبوة فتقول: «كن نساء المؤمنين يشهدن مع النبي ﷺ صلاة الفجر متلفعات بمروطهن، ثم ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة، لا يعرفن من الفسق.

وهذا يدل على كيفية ترجمة التوجيهات الصادرة من الله ورسوله إلى سلوك وواقع في صفوف المسلمين.

والرسول ﷺ حين قال: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه ليوم القيامة»(١). ردت أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها فقالت: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ فقال: «يرخينه شبرًا». قالت: إذن تنكشف أقدامهن: قال: «فيرخينه ذراعًا لا يزدن عليه».

ومعنى الكلام: أن الواحدة كانت تجر ثوبها وراءها على الأرض، فحذر الرسول ﷺ من أن تفعله إحداهن للاختيال، وأرشد أنها ترخى ثوبها شبرًا أو ذراعًا من نصف الساق حتى تغطي القدم.

نريد أن تعرف المرأة المسلمة الحديثة مدى استجابة المرأة في عصر النبوة لتعاليم الرسول ﷺ في شأن اللباس.

تعرف الإجابة من هذه القصة:

جاءت أم ولد لإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف إلى أم سلمة رضي الله عنها وسألتها فقالت: إني امرأة أطيل ذيلي، وأمشي في المكان القذر؟

---

(١) حديث: أخرجه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم جر الثوب خيلاء حديث (٣٨٨٧) والترمذى، كتاب اللباس، باب ما جاء فى كراهية جو الإزار حديث (١٦٥٢)، والنسائى، كتاب الزينة، باب إسبال الإزاز حديث (٥٢٤٠)، وأبو داود، كتاب اللباس، باب ما جاء فى إسبال الإزار حديث (٣٥٦٣)، أحمد حديث (٥٨٤٩) ومالك حديث (١٤٢٥).

فردت أم سلمة وقالت: قال رسول الله ﷺ: «يطهره ما بعده»(١).

إذن فلا بد أنه ﷺ سئل عن حل لهذه المسألة من نساء أطلقن ذيولهن، وصادفن القذر في الطريق.. وهذه الأخرى تلتمس حلا عند أم سلمة.. فلا مفر من القول بأنها ظاهرة ماضية في هذا المجتمع الطاهر.

وهل ستر هذا القدر من المرأة يكفي بأي ثوب؟ إن هناك شروط أخرى يجب أن تتوفر في الثوب نفسه قبل أن يسمى ثوبًا إسلاميًا؟

هناك شروط أخرى ومنها:

١ ـ ألا يكون الثوب نفسه زينة.. وهذا الشرط مفهوم من قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾.. وقوله ﷺ: «ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيا، وأمة أو عبد أبق فمات، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده، فلا تسأل عنهم»(٢).

٢ ـ أن يكون صفيقًا لا رقيقًا.. لقول رسول الله ﷺ: «سيكون في أمتي نساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة، البخت، العنوهن فإنهن ملعونات»(٣). وزاد في حديث غيره: «لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»(٤).

---

(١) وفيه ضعف: أخرجه الترمذي، كتاب الطهارة، باب ما جاء في الوضوء حديث (١٣٣)، وأبو داود، كتاب الطهارة، باب في الاذى يصيب الذيل حديث (٣٢٦) وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها و باب الأرض يطهر بعضها بعضاً حديث (٥٢٤)، وأحمد حديث (٢٥٢٨٣)، ومالك في المؤطا حديث (٤١)، والدرامي، كناب الطهارة، باب الأرض يطهر بعضاً حديث (٧٣٥) وفيه أم ولد لإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال الذهبي: اسم مبهم.

(٢) مصحيح: أخرجه أحمد في مسنده الحديث(٢٨١٧).

(٣) صحيح أخرجه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النساء، الكاسيات العاريات المائلات حديث (٣٩٧١)، أحمد حديث (٨٣١١) و (٦٧٨٦) ومالك في المؤطأ حديث (١٤٢٢١).

(٤) صحيح أخرجه مالك (١٤٢١).

ولقصة حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر لما رأتها أم المؤمنين عائشة بخمار رقيق فشققته وقالت: «أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور؟ ثم دعت بخمار فكستها.

٣ ـ ألا يكون مجسد الهيئة الجسم، لقول أسامة بن زيد: كساني رسول الله ﷺ قبطة كثيفة مما أهداه له دحية الكلبي، فكسوتها امرأتي، فقال: «مرها فلتجعل تحتها غلالة، فإني أخاف أن تصف حجم عظامها» (١).

فالرسول ﷺ يخشى على نساء أمته أن يلبسن ثيابًا تصف الحجم. وهذا يختلف عن الشرط السابق الذي يخشى فيه ظهور اللون لرقة الثوب.

٤ ـ ألا يكون معطرًا أو مبخرًا.. لقوله ﷺ «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية» (٢).

٥ ـ ألا يشبه لباس الرجال، لقوله ﷺ «ليس منا من تشبه بالرجال من النساء، ومن تشبه بالنساء من الرجال» (٣).

٦ ـ ألا يشبه زي الكافرات.. لأن المسلمين مطالبون في كثير من آيات القرآن بألا يتبعوا أهواء الكفار.. وكان ﷺ يتحرى مخالفتهم في كل شئ، حتى في الهيئات البسيطة، مثل فرق الشعر أو إسداله.

---

(١) أخرجه مالك حديث (٢٠٧٨٧).

(٢) صحيح أخرجه الترمذى، كتاب الأدب، باب ما جاء فى كراهية خروج المرأة متعطرة حديث (٢٧١٠)، والنسائى، كتاب الزينة، باب مما يكره للنساء من الطيب حديث (٥٠٣٦)، وأبو داود، كتاب النزجل، باب مما جاء فى المرأة تتطلب للخروج حديث (٣٦٤٢)، وأحمد حديث (١٨٧٥٧)

(٣) صحيح أخرجه الترمذى، كتاب الأدب، باب ما جاء فى المتشابهات بالرجال من النساء حديث (٢٧٠٨)، وأبو داود، كتاب اللباس، باب فى لباس النساء حديث (٣٥٧٤)، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب فى المخنسين حديث (١٨٩٣)، أحمد حديث (٢١٥٠).

وقال عبد الله بن عمر بن العاص: رأي عليَّ رسول الله ﷺ وسلم ثوبين معصفرين فقال: «إن هذه من الكفار فلا تلبسها»(١).

انتحار الأغنياء

س : تقول الإحصائيات: إن مستوى المعيشة في السويد يعتبر من أرقى المستويات وإن الشباب فيها يكثر بينهم الانتحار والشذوذ والجنون.. وهكذا الحال في أميركا وغيرها من الدول ذات المستوى المعيشي الرفيع.. فلماذا ينتحرون طالما عندهم وسائل الترفيه والنعيم؟

جـ : يحدث ذلك لأنه في مَلَكَه واحدة من مَلَكَات نفسه، وجاع في ملكات أخرى، فلما جاَع في ملكات أخرَى بقى عنده قلق واضطراب، ونتج عن ذلك أن بعض ملكاته لا تنمو النمو المتناسق مع غيرها.

ـ ولكن الحيوان هو الآخر هكذا، فلماذا لا ينتحر؟

ـ الحيوان مختلف.. فالحيوان يجوع.. وإذا جاع فإنه لا يعيش في ألم الفقر وخوف الحاجة. ومن ثم لا يفكر في هذه الحكاية أبدًا.

والحيوان يلد، ويموت ابنه، بل ويذبح أمامه، ولكنه لا يذوق ألم الفراق، وفجيعة الثكل أبدًا.

هل رأينا حيوانًا نم على حيوان آخر؟ وامتلأ حقدًا عليه؟ أو وشى بحيوان آخر؟ أو نظر إلى أنثى وحاول معها شيئًا؟ بل ساعة يراها حاملا فقد انتهى كل شيء.

(١) صحيح أخرجه مسلم ، كتاب اللباس والزينة و باب النهى عن لبس الرجل الثوب المعصفر حديث (٣٨٧٢) ، والنسائى ، كتاب الزينة باب ذكر النهى عن لبس المعصفر حديث (٥٢٢١)، أحمد حديث (٦٣٣٦)

ـ لنقف هنا قليلا . . إن الحيوان يمارس شهواته دون حدود، وليس كما قلتم: إنه معتدل.

إننا نظلم الحيوان، ونقول عن أنفسنا حين تنفلت شهواتنا: إنها شهوة بهيمية . . يا ليتنا جعلناها عندنا بهيمية لحفظ النوع فقط . . فإن وجدنا الأنثى حاملا ابتعدنا عنها . . أو جعلناها بهيمية ليس فيها شذوذ جنسي . . ولم ننظر إلى اللذة في الجنس المشارك . . بل يجب أن نقول عن الشهوة المنفلتة: شهوة إنسانية لأن الحيوان يتخذها لحفظ النوع فقط.

إذن الإنسان أشقى من الحيوان.

نعم . . فالحيوان يدرك بما وهبه الله من غرائز ما ينفعه وما يضره . . والإنسان عندما يموت ابنه أو عزيز عليه ماذا يصنع؟ يذوق ألم الثكل والحزن . . إذن فالإنسان أشقى من الحيوان.

وإذا لم يكن عندي رصيد إيماني يقول لي: إن هذه مصيبة لها أجرها، وجزاؤها كذا وكذا، فإن الخطب يكون عظيما وتختل المواهب، ومن ثم يلجأ الإنسان إلى الانتحار أكبر مصيبة حين تدخلها في الميزان النفسي تهون . . لأن الثمن يكون كبيراً، ولو لم تكن هذه الخاصية عندي فأنا أشقى من الحيوان، ولست سيداً لهذا الوجود، وليست حياتي مستقرة، أنا عرضة لأن أنهيها بنفسي.

❊ ❊ ❊

المصيبة بين الإيمان والكفر

س : الإنسان معرض للمصائب، مؤمنا كان أو كافراً.. فما الذي يهون المصيبة على المؤمن، ويضخمها في نظر الكافر؟

جـ : الفرق بين ملحظ الإيمان وملحظ الكفر: أنه ساعة ما تأتي المصيبة لإنسان كافر تكون المصيبة عليه.. ولكنها حين تأتي لمؤمن يقول: هي مصيبة لي.

إذن حين تعانى أي بلاء بأجر يهون البلاء.. وإنما الذي يضخم البلاء في أذهان الناس أنهم ينظرون إلى البلاء ويغفلون عن أجره.. وكل تكليف من التكاليف إن كان طاعة لله أمر بها، أو كان معصية نهى عنها، لا تجترئ النفس عليها إلا حين تغفل عن الجزاء عليها.. أما إذا وضعت أمام المصيبة الجزاء، وأمام الطاعة الجزاء، وأمام المعصية الجزاء، فإني أتحدى أن يجترئ الإنسان على ترك الطاعة، أو على اقتراف المعصية، أو على الانهيار أمام المصيبة، بشرط أن يكون وضع الجزاء وضعًا إيمانيًا صحيحًا.

* * *

الإنسان مختار.. لا مجبور

س : هل يمكن أن تثبت بالدليل للرجل غير المتعلم: أنه مختار في أعماله، غير مجبور عليها، حيث إن الأدلة التقليدية يصعب على العامة فهمها؟

جـ : نعم. . . إذا ادعى أحد أنه مجبور على العمل نقول له: لماذا لا يتدخل القدر معك في بعض المسائل؟

مثلا: يأتي أول الشهر، فلا يمتنع أحد عن صرف راتبه الشهري. . أروني واحدا امتنع في أول الشهر عن أن يذهب ليصرف راتبه؟ لا يمكن أن يوجد. . إلا أن يأتي للشخص ظرف قاهر ظاهر يعقده عن الحركة.

لماذا لم يتدخل القدر هنا؟

ولنتصور أن رئيس الدولة قال: أنا مسافر في الساعة الرابعة صباحًا، وأريد الوزراء وكذا وكذا. . ليكونوا في توديعي. . فمن الذي يتأخر لا أحد. . لماذا لا يتأخرون ويقولون: إن القدر قد تدخل فأرغمهم.

ولكن إذا قيل: إن الفجر يؤذن فيها إلى الصلاة، فإنك لا تذهب، وتقول: لقد تدخل القدر ومنعني. لماذا تدخل القدر هنا، ولم يتدخل هناك؟

أروني واحدًا من الذين تقدموا لامتحان الثانوية العامة تأخر عن موعد الحصة من الامتحان مهما كانت المسافة بينه وبين مكان الامتحان بعيدة؟ لماذا رتب أموره هكذا حتى وقع على ما يختار؟

لكن إذا قيل له: صل، أو اعمل خيرًا، يقول: لقد تدخل القدر. لماذا لم يتدخل القدر إلا في الأمور المطلوبة تكليفًا. . وفي أمور دنياه يرتب الأمور، ولا يتدخل القدر؟!.

العدل الإلهي في العقوبة

س : قد يكون جزاء المعصية خلودًا في النار كما جاء في القرآن الكريم، فهل يتناسب عقاب العاصي بالخلود في النار على عمل معصية من المعاصي ويكون ذلك عدلاً؟

جـ : بالنسبة لتناسب العقوبة نقول أولا: هل أنت مؤمن بالمعاقِب (بكسر القاف) أم غير مؤمن به؟

هناك أولا الإيمان بالمعاقب، والإيمان بعدالته، فإذا كنت مؤمنًا به، فلا يصح مطلقًا أن ترد الأعمال إلى تشكيك في أصل القضية، لأنك تسأل: هل تتناسب العقوبة مع الذنب؟ فهو الذي خلقك وقال: هذه جريمة، وهو الذي قنن لها العقوبة، فلا أستطيع أن أقول: هل تتناسب العقوبة أو لا تتناسب.

نعم تتناسب، لأن الإنسان لو نظر نظرة عامة بدون ما يدري أن هناك دينًا، فإنه يهتدي بفطرته إلى أن وراء هذا الكون قوة، فيكون إنكار هذه القوة خيانة عظمى.. والخيانة العظمى لا نستكثر عليها عقوبة الخيانة العظمى في ذات الإيمان بوجود الحق وفيما عدا ذلك هل هو داخل في نطاق المغفرة أم لا؟

الإجابة عن هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾. فما دام الذنب داخلا في قمة الكفر وهي الخيانة العظمى وفي الإيمانية، فلا يجوز أن يقال: إن العقوبة أكبر من الذنب.. لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

إذا ذهبنا لنقارن بين الجريمة وعقوبتها بعقولنا نقول لك: هناك فرق بين جريمة في القمة، وجريمة في غير القمة.. فالجريمة التي تكون في ذات

الله تعالى سبحانه ليس أكبر منها جريمة، إن الخيانة، وعقوبتها كبيرة، أما فيما عدا ذلك فالحق يتجلى بالمغفرة، حتى لا ييأس عباده.

* * *

المغفور من الذنوب

س : يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.. فهل يغفر الله تعالى الذنوب جميعها كبيرها وصغيرها، أم يغفر الصغائر وحدها؟

جـ : لكي نفهم هذا لا بد أن نرى الآيات الأخرى، لعلها تهدينا إلى الفهم الصحيح دون أن يقع في أذهاننا وهم وجود الاختلاف والتناقض.. أو نجد ما يهدينا إلى ما يجعلنا نقيد هذه أو نطلق تلك.

فهذه الآية لا يدخل فيها الشرك.. لأن الشرك ليس ذنبًا، لأن الذنب: أن تفعل شيئًا منصوصًا في إيمانك على عقوبته.. أما الشرك فخيانة عظمى كما قلنا، بدليل أن الآيات الأخرى تقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾. فيكون قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾. يعني ما يسمى ذنبًا، والشرك لا يسمى ذنبًا.. فهو أكبر من الذنب، لأن الذنب أن تؤمن بمنهج، ثم بعد ذلك تخالف صاحب المنهج.

حين يقول لك: اعمل كذا، ولا تعمل كذا، فلا تعمل، يكون هناك ذنب.. لكن كونك لا تؤمن بصاحب المنهج نفسه يكون ذلك غير داخل في الذنب.

إذن الغفران هو رتبه الله على مجرد المشيئة، أم هو سياق الآية؟ ـ ماذا قال الحق سبحانه وتعالى؟

قال الله تـعالى: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ .. أي: لا تتكلوا على أنه سيغفر الذنوب جميعًا، فهو قد قال:
﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ۞ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ۞ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾

فإذا قـال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾. ثم قـال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾. فإن كانت الإنابة هي التوبة، فتكون التوبة محواً لما قبلها.. وإذا لم نتب فـالآية فيهـا كلام في أن الحق سـبحـانه لا يغفرهـا، لأنه قال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾.

فالإنسان لا يأخذ بظاهر الآيات إلا إذا أخذها لنهايتها. فآية: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ لا تقل فيها: إن أذنبت ذنبًا فإن الذنب سيلازمك. لكن التوبة تمحوه عنك.. الحسنات تبدل السيئة حسنة.. فلا يصح أن يتكل العبد على الله بالأماني.. فهذا ممنوع في الإسلام.

❊ ❊ ❊

لباس المرأة في الإحرام

جاء في الفتاوى ٢/٣٣ ما يلي.

س : ما هو لباس المرأة في الإحرام؟

جـ : اللباس العادي للمرأة هو لباس الإحرام.

* * *

الإيمان والعلم

س : بعض الفلاسفة قال: إنني لست في حاجة إلى المعرفة، ولكنني في حاجة لأن أتعلم أن أعرف.. كيف ذلك؟

جـ : نعم.. وسبب صدق هذا الكلام: أن الإنسان حين يؤمن، يحصل على قدر كبير من مصادر المعرفة والعلم ،سيعطية الله تعالى عطاء تامًا، وإن لم يؤمن فيظل علمه محصورًا في المادة.

المادة. وعندئذ يكون عبثًا في عبث محاولاته وطمعه في معرفة شيء وراء المادة.

فالسبيل الوحيد لم يريد التعرف على ما وراء المادة هو الإيمان.

إذا آمنت وعشقت ربك، ودخلت عليه بطريق الود، يفيض عليك خصوصية، وهذا هو ما يحدث للبشر عندما يكون شخص قويًا، وآخر ضعيفًا، ثم التصق الضعيف التصاقًا الأخوة بالشخص القوي: فهل تنتقل إليه القوة أم لا؟

بدون شك سيساعد القوي الضعيف وليسعده..

إذن حين يقبل الضعيف وهو الإنسان، ويلتصق بربه التصاقًا لقرب والمودة، أتئذ يفيض الله عليه.. أما من يريد الوقوف عند المادة والعلم المادي فليقف.

***

الإنسان والطين

س : يقرر القرآن الكريم أن الإنسان خلق من الطين. فهل استطاع العلم الحديث أن يحقق النص القرآني ويصدقه؟

جـ : في عام ١٩١٧ وجدوا بالتحليل أن عدد العناصر ٩٣ عنصرًا.

وبعد المفاعل الذري ارتفع الرقم إلى ١٠٤ عنصراً.

وعندما قاموا بتحليل جسم الإنسان وجدوا فيه ١٦ عنصر.. وبالكشف عن نسب هذه العناصر، والمقارنة بينها، اتضح أن هناك تفاوتًا كبيرًا بين نسب بعض العناصر. ويأتي في مقدمة هذه العناصر الأكسوجين الذي يكون ٣٧٪ والكربون ونسبته ١٩,٣٨٪ والنتروجين ١٤٪ والإيدروجين، والمغنسيوم، فالفسفور، فالصديوم، فالكلور، فالفلور، والكبريب، والحديد، واليود، والسليوز، والمينجنيز، وهكذا بهذا التسلسل وصلنا إلى نسبة المنجنيز ٠٠٠١,٪.

وعندما حللوا طين الأرض الذي ينبت فيه الزرع وجدوا ١٦ عنصراً أيضًا وكانت نسبة الأكسوجين والمنجنيز بنفس النسب السابقة.

إذن حين يقول الحق سبحانه وتعالى: إن الروح لا قدرة للإنسان على فهمها، فهذا صدق، لأنه صدق فيما نعلم..

إنه صادق فيما لا علم لنا به ما دام قد ثبت أنه صادق فيما دخل تحت تجربتنا العلمية.

أذن بأذن والرأس زيادة

لما نزلت سورة الرحمن قال رسول الله ﷺ لأصحابه الذين سمعوها: «من منكم يقرؤها على قريش؟» وكان أن ندب سيدنا عبد الله بن مسعود نفسه لهذه المهمة، وكان ابن مسعود دقيق التكوين، صغير الجسم.

فسكت رسول الله ﷺ ثم قال: «من؟» فإذا بعبد الله يندب نفسه ثانية وثالثة.

إنها حكمة الله في أن يندب ذلك الضعيف نفسه لكي نلمس عملقة العقيدة.. فليست المسألة مسألة شكل.

ولما قرأ عبد الله بن مسعود سورة الرحمن جاء أبو جهل فلطمه فأدماه، وشق أنفه، فلما عاد عبد الله إلى الرسول ورآى الرسول ما هو عليه، وجد الرسول ﷺ صورة جبريل يبتسم.

وسأله رسول الله: ما يضحكك؟

قال: ستعلم.

وكان رسول الله ﷺ ينتظر شيئًا سيحدث لأبي جهل.. وأبو جهل هو الوحيد من الكفار الذي قال عنه الرسول ﷺ في موقعة بدر: «تحسسوا أبا جهل».

ونظرًا لما كان بينه وبين عبد الله بن مسعود من ثأر، فقد مضى عبد الله يبحث عن أبي جهل إلى أن وجده جريحًا، فركب صدره. فقال له أبو جهل: رقيت مرتقى صعبًا يا رويعي الغنم.

وعندما حرك عبد الله سيفه في أبي جهل لم يعجل به.. عندئذ قال له أبو جهل: خذ سيفي، وحز به رأسي، فهذا المنظر أشق على من

القتل.. يقصد منظر عبد الله رويعي الغنم وهو جاثم على صدره، وهو ما لم يكن يتصوره على الإطلاق.

وتناول عبد الله سيف أبي جهل، وحز به رأسه، وبعد ذلك شق أذنه، ووصلها بحبل، وراح يجرها، حتى وصل إلى رسول الله ﷺ

فلما رآه رسول الله ﷺ وجد جبريل الذي قال له: «يا أخي يا محمد أذن بأذن، والرأس زيادة».

* * *

الأجر على تعليم العلم

س : ما حكم ما يأخذه العلماء من مكافآت على ما يقدمونه للجمهور من علم الدين في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية؟

جـ : أنا لا أرى مانعًا من ذلك.. ولكن يجب أن نسلك السبيل التي أرشدنا إليه سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وعلى هذا فإن لم تصادف المكافآت التي تمنح للمفكر حاجة عنده وجب توجيهها إلى مصارف الخير المختلفة.

* * *

لماذا يتكبر الإنسان

س : نلاحظ أن جـميع الكائنات لا يتـكبر بعـضهـا على بعض، ولا يتعالى بعضها على بعض، ما عدا الإنسان، فإنه وحده الذي يتيه عجبًا، ويتعالى، ويتكبر على أمثاله.. فلماذا؟

جـ : نعم.. الإنسـان هو المخلوق الوحيـد الذي يتكبر.. وقـد سئل أحد العـارفين هذا السؤال: لماذا لا يوجد الكبـر إلا في الإنسان؟ فقال:

لأن الأجناس الأخرى من الكائنات لم تشهد من الحق سـبحانه وتعالى إلا صفة الجبروت، وصفة القهر، فلا اختيار لها مطلقًا.

أما الإنسان فقد تجلى عليه الحق بصفات اللطف والرحمة والعطف.

فلما تجـلى عليه الحق بهذه الـصفات: صـفات اللطف والجـمال، لم يشـهد الجـبروت ولو أنه شـهد الجـبـروت الإلهي لم يتكبر أبدًا.. كـان يتضاءل ولا يتكبر أبدًا. لكنه لم يشهد صفات القهر.. نسيها حينما تجلى عليه باللطف والعطف، وحينئذ ظن أنه كبير فتعالى وتكبر.

ولهذا عندما نجد إنسـانًا متعاليًا على قوم لأن له سمـة وهيئة ممتازة عن الآخـرين، ثم يدخل عليه إنسـان أرفع منه في هذه الصـفة، مـاذا يكون موقفه؟ بعد ما يكون شامخًا يتضاءل على الفور.

* * *

هل يمكن قتل الجن

س : جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «طلع لي الجن، وأردت أن أربطه بسارية المسجد، حتى يتفرج عليه صبيان المدينة»(١).

وفي الصحيح أيضًا أن أبا هريرة رضي الله عنه قبض على جني كان يسرق من تمر الصدقة.

وجاء أيضًا أن النبي ﷺ قال: «لكل إنسان شيطان». فقالت عائشة رضي الله عنها: حتى أنت يا رسول الله؟ فقال: «حتى أنا ولكن الله أعانني عليه فقتلته».

والذي نريد أن نعرفه: كيف يمكن القبض على الجني وهو من النار، ويمكنه التشكل والتخلص.. وإذا أمكن القبض عليه فكيف يمكن قتله في هذه الحالة؟

جـ : إمكان القبض على الجني ثابت بالسنة كما جاء في الحديث الوارد في السؤال.. وذلك لأنه ما دام الجني قد تصور وتشكل بغير صورته، فقد حكمته الصورة الجديدة وقيدته وحينما تحكمه الصورة الجديدة فقد أصبح حكمه حكم ما تصور به من إنسان أو حيوان أو غير ذلك من الصور، ولذلك يمكن القبض عليه كما يمكن القبض على الإنسان أو الحيوان أو غيرهما.

ومن هنا كذلك يمكن قتله.. فلو تصور بصورة حمار أو كلب أوإنسان، ومعك مسدس أو آلة حادة، فيمكنك قتله بها، ويموت على

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد حديث (١١٣٥٤).

الفـور، وهذا هو الضمـان الذي صنعه ربنا للإنس من الجـن. ولا كان الجن والشيـاطين أفزعوا الدنيـا كلها.. حتى يجـعلوا حياتـنا كلها نكدًا وفزعًا.

والجن يعـرفون تمامًـا حين يتصـورون بأي صورة غـير صورتهـم فإن الصورة الجديدة تحكمهم، وبدلا من أن يخاف منه الإنسان ويجري يمكنه أن يهاجمه بالسلاح.. فحكم الـصورة الجديدة على هذه الصورة رحمة من الله تعالى.

ولذلك سماه الله تعالى في القرآن (الخناس) أي أن من يتنبه له يجعله يهرب والذي يغفل عنه يظهر له ويخيفه.

وفي هذا دليل على سيادة الله وقيوميته العليا على الألوان.. فالعنصر لا يتحكم في صاحبه، وإنما يتحكم في العنصر خالق العنصر.

* * *

تسليط الجن على الناس

س : جاء في القرآن الكريم أن هاروت وما روت كانا يعلمان الناس السحر، ويعلمانهم ما يفرقون به بين المرأ وزوجه.. فهل يمكن الآن تسخير الجن لإيجاد حب بين زوجين، أو كراهية بينهما، أو ما يسمى بعقد الرجل عن زوجته فلا يمكن ممارسة الجنس معها؟

جـ : نعم.. كل هذا جائز.. لا مانع من وجود السحر..

ولا مانع من تسخير الجن.. والحق سبحانه وتعالى يعطي بعض خلقه خصائص، وهذه الخصائص تسخر له الجن. فيجيء الجني القادر على التشكل للمرأة الجميلة، ويتشكل بأقنعة صور قبيحة، ويصبح هو قناعًا قبيحًا على وجه المرأة الجميلة. فيكرهها الشخص المقصود، ويقول عنها: إنها كالقرد أمامه.

وبالعكس، يتشكل بصورة قناع جميل، ويتلبس بوجه المرأة الدميمة أو العادية فيحبها الشخص، ويرى أنها ملكة جمال.

وهكذا في عقد الزوج على زوجته.. يلبسها متشكلا بصور تبعث على البرود الجنسي.. بل إنه يستطيع أن يتصور بصورة قطعة لحم تسد عضو التأنيث للمرأة، فيجيء زوجها ويقول: جئت ناحيتها فلم أجد لها كذا..

هذا كله ممكن ما دام الجن يتشكل.. والمهمة هي في التمائم والكلمات التي تستعملها في تسخير الجن.. وفي أن الله يعطي الأدنى خصائص الأعلى، والله من ورائهم محيط.

* * *

أين حضارة عاد

س : في الحضارات البائدة ذكر الله تعالى حضارة عاد في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ﴾. وجميع الحضارات البائدة وصلت إلينا أخبارها وآثارها وعرفناها، مثل حضارة فرعون، وحضارة ثمود، وغيرهما.. فلماذا لم تصل إلينا آثار «عاد»؟

جـ : حضارة عاد كانت في «الأحقاف». قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ ﴾: والأحقاف في جنوب الجزيرة العربية، بين «عدن» و«حضر موت». وإلى الآن لم نهتد لآثارهم.

فثمود عرفنا حضارتهم في «مدائن صالح». وأوتاد فرعون عرفناها في آثار الفراعنة بمصر.. ولكن المطمس علينا هو حضارة عاد، لا نعرف عنها شيئًا سوى ما أخبرنا به القرآن.

ويجوز أن يكون من مضي الزمن.. إنها بلاد رمال.. وهم يتحدثون أن عاصفة الرمل تهب فتطمر قافلة بأكملها، فلا مانع من أنه توالي العصور مع هذه الظاهرة حصل طمس لهذه المعالم.. سواء كانت «ذات العماد» يعني ذات المباني التي لها عمد مرتفعة كما يقولون في التاريخ، أو غير ذلك.

ويجوز أن يكون القدر الذي وجد في أذهان الناس المعاصرين لنزول القرآن كان متوارثًا تاريخيًا من آباء، ولا يكونوا رأوها، لكن صدق الحق فيما بقى لنا من آثار يشهد أيضًا بصدقة فيما خفى عنا من آثار.

خطأ على طريق الدعوة

س : نرى كثيراً من الشكليين يدعون أنهم قادة الناس إلى الإسلام والمبشرون به بين من يجهلونه.. وقد أنشأ هؤلاء جماعات تبشر بالإسلام تبشير يعتمد على القدوة الجماعية.. أي دون وجود جماعة نموذجية تكون دليلا على صلاحية الإسلام للتطبيق.. ومن ثم كانت أقوالهم مخالفة لأعمالهم.. فهل هذا جائز؟

جـ : لا.. ليس جائزاً.. فقبل أن تبشر بالإسلام لا بد أن تقنع المسلمين أنفسهم بأن دينهم حسن.. لا بد من تثبيت الإسلام في نفوس المسلمين.. ولا بد أن نجعل منهم نموذجًا تطبيقًا في العالم، فيلتفت العالم إلى ذلك الجديد الذي صنع ذلك النموذج.

وكذلك كانت الأسرة الإسلامية التي انتشر بها الإسلام في البلاد التي سادت فيها الثقافات الإسلامية الآن.. كلها انتشرت بالأسوة وبالسلوك الطيب فوق الأرض.

مبادىء الأرض تحاول أن تستقطب الأقوياء في شئون الأرض. وأيضًا السماء تستقطب الأقوياء.. ولكن الأقوياء في ماذا؟ هذا هو الكلام.

الأقوياء في مظهرية مادية الحياة؟ أم الأقوياء في الينابيع العقدية؟

إنهم الأقوياء في الينابيع العقدية.. وبعد ذلك هؤلاء سوف يظلون أمام الناس نموذجًا طيبًا للدعوة.

* * *

الأمانة العلمية

س : يتحدث كثير من المفكرين عن الأمانة العلمية.. وهم في الوقت نفسه يأبون أن يقولوا لشيء لا يعرفونه: إنهم لا يعرفونه.. بل يدلون بأرائهم فيما يعرفون وفيما لا يعرفون كبرًا وأنفة من أن ينسب إليهم جهل في شيء من العلم.. نريد نموذجًا من سلف الأمة يرد هذا البكاء في نفوس هؤلاء.

جـ : نعم.. قال الله تعالى: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾.. وقصة الأب هذه مشهورة.. فسيدنا أبو بكر رضي الله عنه سئل عن معناه فقال: «أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إن قلت في كتاب الله بغير علم».

فسيدنا أبو بكر توقف عند هذا اللفظ.. يعني: ما هو الأب؟ وسيدنا عمر رضي الله عنه أيضًا توقف في معنى (الكلالة) [1]، سيدنا عمر كانت

---

(١) الكلالة : الرجل الذى لا ولد له ولا وال .. وقال الليث : الكل الرجل الذى لا ولد ولا والد كلّ يكل كلاله ، وقيل : مالم يكن من النسب لما فهو كلاله . وقالوا : هو ابن عم الكلاله ، وابن عم كلاله وكلاله ، وابن عمى كلاله : وقيل الكلاله من تكلل نسبه بنسبك كابن العم ومن أشبه ، وقيل : هم الإخوة للأم وهو المستعمل وقال اللحيانى : الكلاله من العصبة من ورث معه الإخوة من الأم ، والعرب تقول : لم يرثه كلاله أى : لم يرثه عن عرض بل عن قرب واستحقاق ، قال الغزدوق :ورثتم قناة الملك ، غير كلاله ، وعن هاشم بن الأعرابى : الكلاله بنو العم الأباعد ، وحكى عن أعرابى أنه قال : مالى كثير ويرثنى كلاله متراخ نسبهم ، ويقال هو مصدر من تكلمه النسب أى تطرفه كأنه أخذ طرفيه من جهة الولد وليس له منهما أحد ، وفى تفسير كلاله روى المنذرى بسنده عن أبى عبيدة أنه قال : الكلاله كل من لم يرثه ولد أو أب أو أخ ونحوذ ذلك ، قال الأخفش : وقال الفراء الكلاله من القرابه ما خلا الوالد والولد ، سموا كلاله لاستدارتهم بنسب الميت الأقرب ، فالأقرب من تكلله النبى إذا استدار به ، قال : وسمعته يقول الكلالة من سقط عنه طرفاه ، وهما أبوه وولده ، فصار كلاً ، وكلالة أى عيالاً على الأمل

معه عصا، فهزها وقال: هذا هو التكلف يا ابن أم عمر.. وما عليك ألا تعرف معنى الأب؟ شيء امتد الله به على عباده.

وهل تعرف كل أجناس النبات التي نتمتع بها، وينتفع بها الناس؟ هل تمتعك بالشيء يوجب عليك أن تعرف اسمه؟

فكأن سيدنا عمر ينهنا بهذه المسألة إلى أن انتفاعنا بالشيء لا تعني أننا نعرفه.. وهل أنا حين أرى الناس يأكلون فاكهة لا أعرفها، يمنعني ذلك من أن آكلها؟

وكأنه قال لنا: ما تعرفونه من كتاب الله فاعملوا به.. وما لم تعرفوه فخذوه على أنه من عظمة الله، وخلق من خلقه، وشيء كبير.

على أن أبا بكر على جلالة قدره.. وعمر على سمو منزلته.. لا يجد كل منهما غضاضة ولا خذلا في أن يمر عليه لفظ لا يعرف معناه.. فكل منهما يعلمنا بذلك أمانة الأداء للعلم. الخليفة نفسه لا يعرف.

ومن هنا قال السلف: من قال: لا أدري فقد أجاب.. ما دام قال: لا أدري فهو يكلفك بأن تسأل غيره.. إنما لو أجابك خطأ فإنك تطمئن إلى أن هذا هو الجواب. فتضيع الحقيقة منك.. ويضيع الحق..

* * *

رد على الفلاسفة

س : يرى بعض الفلاسفة أن الله موجود، وهو خالق هذا الكون، وخالق حقائقه وقوانينه، ثم ترك القوانين تعمل عملها.. فالنواميس هي التي تعمل.. والله قيوم عليها.. ما المانع من صحة هذا القول؟

جـ : هذا القول غير صحيح.. لأن معناه أن الله باشر سلطانه في ملكه مرة واحدة، خلق القوانين، ثم ترك القوانين تتحكم ولكن الله شاء أن يخرق هذه القوانين في كثير من الحالات.. وأن يشذ الناموس في كثير من الأوقات، لنعلم أن فوق القانون خالق القانون، وهو الذي يستطيع أن يجعل القانون لا يعطي النتائج.

جاءت المعجزات.. كل المعجزات التي حدثت للرسل هي خرق للناموس.. وإلا فالناموس في الماء هو الاستطراق.. ليست هناك مياه تقف هكذا ومياه تقف هكذا.. ليس في الناموس أن يضرب موسى البحر فينفرق فرقين، كل فرق كالطود العظيم.. هذا خرق للناموس.

والنار ناموسها الإحراق.. ولكن إبراهيم يلقي في النار فلا تعمل النار.. ليس المقصود نجاةإبراهيم.. فلو كان المقصود نجاة إبراهيم لما مكن الله الكفار من القبض عليه.. أو كان أرسل سحابة تمطر وتطفيء النار.. ولكن مراد الله أن يطرح إبراهيم في النار، وتظل النار نارًا، ولكن ناموس الإحراق يتعطل فيها.

وهكذا يثبت أن الله هو القيوم الحق: رب الخلق، ورب الناموس.

* * *

فرض الصلاة

س : إذا كان الله تعالى قد أراد الصلاة خمسًا.. فلماذا فرضها خمسين[1] صلاة أولا؟

جـ : إن التكليفات من الله ليس لحاجة الله إلى فعلنا.. وإنما هي لصالحنا نحن.. فالأساس الأصيل أن التكاليف لا ينتفع الله بها.. وإنما هي لمصلحتنا.. فحين يكلفنا الله تكليفًا فإنه يعطينا جزاء نظير هذا التكليف.. وحين فرض الله خمسين صلاة، وصيرها إلى خمس فقط فهل أنقص ثواب الخمسين، أم ظل كما هو؟

لقد بقى الثواب ثواب الخمسين.. ومن هنا أصل العطاء كما هو.. ولكن خفف الله الوسيلة إليه برحمته.

* * *

(١) وهو حديث صحيح انظر فى البخارى حديث (٣٦٧٤) ، مسلم حديث (٤٠٩) ، والنسائى حديث (٤٤٩) ، وابن جبان فى صحيحه حديث (٤٨) ، وأبو يعلى فى مسنده (٣٤٩٩) . ويرى ابن حجر وغيره أن هناك فائدة أخرى وهى رؤية موسى عليه السلام نور ربه فى وجه محمد ﷺ لأنها طلبها فى الدنيا فلم يتسنى له ما طلب ودك الجبل لأنه لم ياحمل أنوار الذات الإلهية ، أما الحبيب محمد ﷺ فلقد أعد لتلك الرحلة حتى يكون إماماً للأنبياء جميعا ويصلى بهم فى المسجد الأقصى ، وينتهى إلى سورة المنتهى التى لم ينتهى عندها بشر ولا ملك فقط . فكانت خصوصية للنبى ﷺ ولأمته التى هى خير الأمم.

القروض الربوية

س : عامة الدول الإسلامية تتعامل مع الدول الأخرى على صورة قروض ربوية على خلاف القاعدة الشرعية . . فما الحكم؟

جـ : إذا اقترضنا بالربا من دولة أخرى نقول: يا ولي الأمر، هل اقتراضك بالربا شيء ضروري؟ فيقول: إذا لم أقترض بالربا فسيظهر اقتصادى، والدول الغنية لا تقرض بدون ربا، فأنا مضطر إلى ذلك.

نقول له: خذ الضرورة بقدرها . . لكن على شرط ألا تقول: هو حلال . . لأن أكلك الميتة للضرورة لا يجعلها حلالا أبدًا . . إنما هي حرام أباحته الضرورة . .

فإذا حللت الربا، واستمعت إلى خطباء الفتنة الذين يحلون الحرام، دخلت في دائرة الكفر . . إنما تقول: هو حرام، ولكن الظروف اضطرتني إليه . . فتبقى في نطاق بعيد عن نطاق الكفر.

ـ وهل يدخل الناس في هذا الحكم، أم هو خاص بالدولة وحدها؟

ـ نعم . . هذا الحكم شامل للحكومات والأفراد . . فإذا كان الدين له حكم في أمر ما، والقانون له حكم مخالف في نفي الأمر نقول لك وأنت الأمين على ضرورات حياتك تقطر إلى أن تخالف أمر دينك؟ إن كان كذلك فاعمل المخالفة على قدرالضرورة فقط . دون أن تتحدى حدود الضرورة.

* * *

العقيدة الراسخة والادعاء الكاذب

س : كل العاملين في حقول الدعوة يدعون أنهم أصحاب عقائد راسخة لا تزلزل.. وما أكثر ما تسخرنا أقوالهم، وتشدنا دعواتهم.. لا سيما وهم يعنون بالشكل الإسلامي الظاهري.. وبالشعارات المرسومة والمنطوقة.. فما هو الميزان الذي يكشف عن صاحب العقيدة الراسخة حقًا، وعن صاحب الدعوى الكاذبة؟

جـ : عندما نسمع قول الحكيم الذي قال: «لا يصلح آخر هذه إلا بما صلح به أوله.. فلننظر ما صلح به أولها.. نجد أنه العقيدة.. تأصلت أولا ورسخت القلوب.. فإذا رسخت في القلوب هان عليك أن تقود نفسك إلى إحدى المسنين: الشهادة أو النصر.

ولكن الذي يحدث أن تحدث هبات فردية.. فإذا أصيب أصحابها بسوء انفض أتباعها.. فيجب ألا ننخدع في وقت السلام بأن هذا له أتباع وذلك له أحباب ولكن المحل هو فى غير وقت السلام حين يقف المؤمن وحده في وجه الطغيان وكأنه جيش بأكمله.

قيل لسيدنا «خبيب» صاحب رسول الله ﷺ عندما قدمه المشركون للقتل: أتحب أن تكون في أهلك ومحمد مكانك؟ وكان يمكن أن ينجو لو أجابهم.. ولكنه قال: والله ما أحب أن أكون في أهلي ومحمد تصيبه شوكة وهو في موضعه.

لذلك يجب ألا ننخدع بالمظاهر الرخائية..

وحين تكتمل العقيدة في القلوب تهون كل التضحيات.

انظر إلى أثر التربية والعقيدة في النفوس.. رسول الله ﷺ لم يصنع سجنًا يسجن فيه المخالفين.. ولما تخلف عنه ثلاثة نفر في غزوة تبوك لم يسجنهم.. ولكنه عزل الناس عنهم وهم في المجتمع.. لا يكلمهم أحد.. ولا يعاملهم أحد.. حتى أقاربهم.. حتى أن الرسول ﷺ أمرهم ألا يقربوا نساءهم.. حتى تاب الله عليه.

فالمسلم كان في نفسه وحده جزائية.. يعمل الذنب ولا يعلم به أحد إلا الله.. فيأتي ويربط نفسه إلى سارية المسجد، ولا يتركها حتى يغفر الله له، ويفكه رسول الله ﷺ.. أو يتقدم إلى الرسول ليقيم عليه الحد، ويرده فيصر على الحد.

فإذا كان فيمن يقولون إنهم أصحاب عقائد مثل هؤلاء فهم صادقون.. وإلا فهم كاذبون.

* * *

الشباب والصيف

س: بعد الامتحانات من كل عام يستعد الشباب لقضاء العطلات الصيفية .. وقد أصبح قضاء العطلات فى المصايف مذهباً للكثير من الأسر والبيوت..والمشكلة هى أن يشبع الشباب رغبة مع المحافظة على السلوك الإسلامي.. فما هو الطريق الى ذلك ؟

جـ : إنني أعجب عندما يأتي الصيف، وتأتي إلى الأذهان أفكار مثل: البلاج.. الفراغ.. قتل الوقت.

إن فكرة قتل الوقت تغني: أن الإنسان يطول به الوقت ولا يجد شيئًا يشغل نفسه.. ومن هنا أرى أن نقول: إننا يجب أن نحيي الوقت. فالإنسان لا يحس بالوقت إلا إذا كان غير مشغول بشيء هام. ولا بد من إيجاد حركة تستوعب الوقت حتى لا تشعر أنت بالوقت فليس الضيق أن يطوف الوقت.. ولكن الضيق أن يكون الوقت قصيرًا.

والذين يتطلعون إلى المصيف وكيف يقضونه، ويعدون للصيف وكيف يستقبلونه، نقول لهم: أتريدون راحة من عناء كما توحى به كلمة عطلة؟ أم تريدون فرارا من جو؟ أم تريدونها معًا؟

لقد مرت علينا أصياف وما كنا نحتفل بالصيف هذا الاحتفال، لأن الأمر الطبيعي كان أن نتوجه إلى قرانا خلال الصيف، فنعيش فيها عيشة أهلنا، ونجد في هدوئها وفطرية الحياة فيها ما يريحنا من كثير من عناء الإلتزام، وضغوط الإزدحام.. وكنا نرى أنفسنا ونرى إخواننا شغوفين بأن نكون في مهنة أهلنا.. فنجعل راحتنا من عملنا حركة في أعمال أهلنا، لنريحهم أيضًا من تعب الحياة.

- ولكن الشباب غير الشباب والأيام غير الأيام.

- لا.. فالشباب الآن يعمل ولكن عند غير أهله، وذلك ليحصل على المال في صورة فردية وما زالت المصايف تعج بالضوضاء، فلم تعد تؤدي وظيفتها.

لقد كنا نرى في حرية القراءة لإشباع هواياتنا الخاصة التي لا يتسع لها المنهج وكأننا كنا نبعد هذه الهواية الخاصة عن مجال دراستنا المنهجية.

- ولكن القراءة يتسع لها وقت الدراسة، والصيف للراحة لا للدراسة.

- لا.. لأن الدراسة المنهجية قد قررت بحيث لا يتسع الزمن لسواها، والذين يخلطون بين الهواية الخاصة وبين البرامج كثيراً ما يغلطون ويفشلون في متطلبات المناهج.. ولو أنهم وجهوا الهواية الخاصة لزمن الإجازة الحر لأمكنهم أن يجمعوا بين نوعين من التفوق: التفوق في الاستيعاب للغرض المنهجي خلال الدراسة.. والتفوق في القراءة لإشباع الهواية الخاصة خلال الإجازة.

ولم يتفوق صاحب هواية إلا بإشباع هوايتة في زمن غير مشغول بما عداها ولذلك رأينا في بيئاتنا كل أنواع الفنون تتجلى في المواهب المختلفة. فهذا أديب شاعر.. وهذا أديب كاتب.. وهذا أديب خطيب.. وهذا يتعامل مع الطين بفنه التشكيلي البديع. وهذا يردد الطبيعة ويستوحي منها المناظر ويرسم.

فإذا أنت استقصيت النابغين في أي فن من الفنون لوجدت لعطلتهم الصيفية ولقراهم أثر عميق في هذا الفن.

- ولكن الناس اعتادوا أن يذهبوا إلى المصايف.

- أنا أعرف أن موضة العصر أصبحت تتطلب للصيف مجالا غير المجال الطبيعي لكل مواطن.. وتتطلب نشاطًا أكثر يميل إلى المتعة

والرفاهية التي قد لا تتورع عن محظور، وكأن هذه لازمة لحياة كل إنسان.

فمن لم يتغير جلده بسمرة الشمس.. ومن لم يتبقع هابه ببثور ملوحة الماء.. وأشعة الشمس، لا يعتبر إنسانًا راقيًا سويًا في عرف هذه المدينة.

ونحن والحمد لله في بلد معتدل شتاؤه، مقبول صيفه، محتمل حره، فلا يحتاج إلى هذا التأهب لغير حاجة.

- إذن بم تنصحون الشباب؟

- نصيحتي إلى الشباب أن يأخذوا من أحداث حياتهم ما يوافق متطلبات بيئاتهم وقيم عقائدهم.. فليس من المعقول أن يريح الشباب نفسه فترة، ليوقعها في التعب فترات.

والشباب ليس في حاجة إلى من يثيره.. لأن طاقته كافية في ذلك.. فهو في حاجة إلى ثلاجة تبرد عواطفه.. وتهدئ من غلو غرائزه، بدل أن يؤججها بوقود المناظر المثيرة، وزينات الإغراء المستميلة.. فهو بذلك لا يريح نفسه، ولكنه يتعبها.

لأنه لن يصل إلى الحد الذي يجعله يبني حياة طاهرة يستمتع فيها بما أهيج عليه.. فهو لا يزال في طور التكوين.. وسبيل الإيجاد لوسائل الاستقرار.

على الشباب أن يشغل نفسه بأمر تشرق الوسائل إليه، وتنبل الغايات منه، لأنه إن لم يفعل فستجرفه وسائل نازلة إلى غايات غير فاضلة.. وعلى الشباب أيضًا أن يقدر ما ينطلق إليه ولا يغفل عما ينطلق نحوه.

فكما لا يجب أن تتلصص الأنظار إلى محارمه فعليه أن يحمي أعراض سواه من تلصصه.

تعريفات

س : ما هو رأيك في أفضل أنواع الحكم؟

جـ : أن يحكم الحاكم نفسه أولا .

س : ومن هو أقرب الناس إلى الله؟

جـ : أوثقهم بمنهجه .

س : من هو أحب الناس إلى قلبك؟

جـ : الذي لا يجاملني بإخفاء عيب فيّ .

س : من أبعد الناس عن الدين؟

جـ : الذي يرتبط بفكر البشر .

س : ما هو القدر؟

جـ : ما يجري عليك . لا ما تجريه على نفسك .

س : وما هو القضاء؟

جـ : هو ما حكم فيه بحيث لا يتأثر باختيارك .

س : وما هي الحياة؟

جـ : الفرصة التي لا تعرفها إلا بعد أن تفتقدها .

س : ما هو الموت؟

جـ : هو الحقيقة التي عشنا نشك فيها .

س : ما هو التعصب؟

جـ : جبروت مستتر .

س : ما هو التطرف؟

جـ : جهل مركب.

س : ما هو الاغتيال؟

جـ : هو الجبن عن مواجهة المغتال.

***

مجتمع الجسد الواحد

س : يقول الرسول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(١).

نريد تعميقًا لمعنى هذا الحديث، حتى يمكن وضعه في إطار حقيقة علمية لها دليلها، بدلا من تلك الأساليب الخطابية التي الت تخاطب العقل ولا تشبعه؟

جـ : هذه قضية تربوية إيمانية.. والقضايا التربوية تأتي بواسطة العلم. أي نسبة واقعة مجزوم بها، وعليها دليل.. ذلك هو العلم الذي يجب أن يكون محورا تدور حوله التربية.

وهذا يكون إما علمًا يبحث في الإنسان ككل أي أجزاء، أو علمًا يبحث في الإنسان كجزئي يعيش في كل.. فإذا أنت قومت الفرد على

(١) صحيح أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والأداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتواديهم حيث (٤٦٨٥)، (٤٦٨٦) أحمد حديث (١٧٦٣٢)، وابن جبان حديث (٢٣٣)، وابن أبى شيبة فى مصنفه حديث (١١٦)، والطبرانى فى الصغير حديث (٣٨٣)، والبهقى فى شعب الإيمان حديث (٧٦٠٩).

أنه كل ذو أجزاء، وأشبعت ملكاته، كان جزءًا، ولكنه لا يعيش وحده.. وإنما يعيش في مجتمع.

والقيم الإسلامية هنا تتدخل. فبعد أن تدخلت فيه ككل له أجزاء تدخلت فيه كجزء من كلي.. فأنت في المجتمع.. وحاجتك إلى أفراد المجتمع كحاجة أفراد المجتمع إليك.. فإذا كنت تريد أن يؤدي المجتمع حاجتك فأد أنت أيضًا حاجة المجتمع منك. فلا تطلب حقًا من المجتمع إلا بواجب تؤديه إلى المجتمع.

لذلك فإياك أن تعتبر نفسك كليًا منفصلا عن المجتمع.. فالإسلام يطلب منك أن تعتبر نفسك جزءًا في كل.

وما دام الجزء في الكل فالأجزاء يحتاج بعضها إلى بعض، ليكون ذلك الكل.. فأراد رسول الله ﷺ أن ينقل القضية الأفرادية في المجتمع ليجعلها قضية كل.. وأفراد المجتمع بالنسبة للمجتمع أجزاء.

لماذا؟

حتى لا يظن ظان انعزالية الفرد عن المجتمع. ولذلك يقول الرسول عليه السلام: «كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وأنت إذا نظرت إلى المجتمع وجدت المجتمع يتطلب حركة في الحياة.. والحركة في الحياة ليست واحدة، فالحياة تريد حركات متنوعة تغطي جميع جوانبها.. فالمجتمع لا يريد أن يكون الكل أطباء، أو قضاة، أو علماء، أو غير ذلك، ولكنه يريد كل الجهات.

فالحق سبحانه وتعالى يريد أن يجعل المجتمع جسمًا واحدًا، كل عضو منه يؤدي مهمة، ويتكامل هذه الأجهزة. يكون التقويم الكامل للمجتمع.

الأمية والجهل

س : بماذا تحارب الأمية والجهل؟ وهل هما شيء واحد، أم هما مختلفان؟ إذا كانا مختلفين، فما حدود كل منهما؟

جـ : بالطبع نحن نحارب الأمية والجهل بالعلم.. ولكن دوره في محاربة الأمية أقل خطرًا من دوره في محاربة الجهل.

ولعل السطحيين في معرفة معاني الألفاظ يظنون أن الجهالة: ألا تعلم. وأنها هي والأمية سواء.. لا.. الجهالة شيء.. والأمية شيء.. الأمية: ألايعلم الإنسان نسبة ما.. فيقال له: أمي. كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾.

إذن فالأمية: ألا تعلم نسبة من النسب، أو قضية من القضايا، أو حقيقة من الحقائق.

لكن الجهل: أن تعرف نسبة خاطئة.. وهنا يكون علاج الجهل أشق من علاج الأمية، لأن علاج الجهل يتطلب مجهودين:

المجهود الأول: أنك تزيح من نفسه ما أخطأ فيه.

والثاني: أن تقرر في نفسه المقابل، وهو الحق.

إذن فهنا عمليتان عقليتان.. ولكن الأمية نكتفي فيه بأن نعطي له الحقيقة.. إذ ليس عنده نسبة أبدًا.

* * *

تربية نبوية

جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله، إني رجل أحب النساء، فأذن لي في الزنا. فقال رسول الله ﷺ له:

«يا أخا العرب، أتحب ذلك لأمك؟!!».. جاء له بأبغض شيء يكرهه، وهو أن يرى الإنسان أمه منحرفة مع منحرف.

فاقشعر بدن الرجل وقال: لا.

قال له: «أتحب ذلك لزوجتك؟».

قال: لا.

قال: «أتحب ذلك لابنتك؟».

قال: لا.

قال: «كذلك الناس يا أخا العرب، لا يحبون ذلك لأمهاتهم ولا لزوجاتهم، ولا لبناتهم»(١).

قال الرجل: فوالله ما همت نفسي بمعصية من ذلك النوع إلا ذكرت أن يفعل بأمي أو بزوجتي أو ابنتي، فأمتنع.

إذن فالرسول ﷺ لجأ إلى تبشيع المسألة من أقرب طريق يتصل به وبكرامته وبعواطفه وبمكانته وبمقامه.. فإذا أراد أن يفعل ذلك تذكر ما يمكن أن يفعل به.

* * *

(١) صحيح أخرجه أحمد حديث (٢١١٨٥)، والبيهقى فى شعب الإيمان حديث (٥٤١٥)، والطبرانى فى المعجم الكبير حديث (٧٦٧٩).

شاهد من أهلها

س : هل هناك ما يدل على أن المرأة في الغرب تكره ميدان العمل خارج نطاقها الفطري وهو الأمومة؟

جـ : نعم.. لأننا لو نظرنا إلى الواقع، وسألنا أنفسنا: هل المرأة في سلم العمل كلما ارتقت تمنت مزيدًا من العمل؟ أو كلما ارتقت وتقدمت بالسن لو أنها كانت ربة بيت؟

الحق أنها كلما تقدمت تمنت أنها كانت ربة بيت.. وتشهد «مارلين مونرو» على ذلك فتقول: إياكن أن تخدعن بالأضواء التي تسلط عليكن، فأنا لو استأنفت حياتي كنت أفضل أن أكون ربة بيت فقط.

* * *

عيد الأم

س : عيـد الأم الذي يحتفل به كل عام في مـصر.. هل ترون له أو هو شيء لا مكان له في بلادنا؟

جـ : عيد الأم اخـترعه الغرب.. فقلدناهم تقلـيداً أعمى، ولم نفكر في الأسباب التي جعلت الغرب ينكر عيد الأم.

فالمفكرون الأوربيون وجدوا أن الأبناء ينسون أمهاتهم، ولا يؤدون حق الرعـاية لهن.. فـأرادوا أن يجـعلوا يومًـا في السنة ليـذكر فـيـه الأبناء بأمهاتهم.

أما عندنا فعيد الأم في كل لحظة من لحظات الحياة. فالإنسان منا ساعة خروجه من البيت يُقَـبِّل يد أمه.. ويطلب دعاءها.. ويزورها بالهدايا.. إذن ليس هناك ضـرورة لهذا العـيد عندنا.. ولكن أخـذنا ذلك على أنه منقبة من مناقب الغرب، في حين أنه مثلبة من مثالبه.

في أوروبا يتـرك الولد أمه تعـيش في ملجأ.. وأبوه يعـيش في مكان آخر لا يدري عنه شيـئًا. وليس في حياتنا مـثل ذلك.. فالأسلام أعطانا تكاتفًا.. وعلى قـدر حاجة الأبوين رتب الإسلام الحـقوق: أمك.. ثم أمك.. ثم أمك.. ثم أبوك. لأن أباك رجل.. حتى لو تعـرض للسؤال فلا حرج.. أما الأم فلا.

* * *

لا تذكر اسم الله في هذه المواضع

س : هل هناك مواطن لا يجوز ذكر الله فيها؟ وما هي هذه المواطن؟ ولماذا لا يذكر الله فيها؟.

جـ : نعم.. وقد ذكروا من هذه المواضع بيوت الخلاء.. والحمام.. ووقت قضاء الحاجة.. وذلك تنزيهًا لاسم الله سبحانه وتعالى عن هذه المواضع المستقذرة.

وهناك مواقف تجعل المؤمن ينزه اسم الله أن يذكره فيها. كما إذا جاءك سائل يسألك شيئًا، وليس معك ذلك الشيء.. وقد اعتدنا أن نقول للسائل حينئذ (الله يحنن عليك).. فمن أول ما يسمع كلمة (الله) يعرف أنك لن تطعمه.. فيكره هذه الكلمة. وفيها اسم الله.. لأن السائل يكره ما يحرمه من العطاء.

وإذا فقدت واحدة ولدها الوحيد مثلا، وجئنا لنعزيها، فلا يصح أن أقول لها كما يقول كثير من الجهلة: الله هو الذي فعل هذا، وليست لنا حيلة. ولكن قل لها: هذا قضاء فقط.. لماذا؟ لأنها تكره هذه العملية. ولما تقول لها: الله، يمكن أن تسخط على الله.

إذن فالمؤمن لبق.. يستطيع أن يحدد الوقت الذي ينزه فيه اسم الله عن أن يذكره.. وهو بهذا التنزيه يذكره.. يذكره حينما لا يذكره، لأنه لم يذكره تنزيها له عن هذه المواطن.. وتنزيهه عما يليق به ذكر.

* * *

لماذا يستغفر الرسول

س : كان رسول الله ﷺ يقول حين يخرج من الخلاء: «غفرانك ربنا وإليك المصير»[١]. فمن أي شئ كان يستغفر؟ وهل يعتبر قضاء الحاجة ذنبًا؟.

جـ : قضـاء الحاجـة في ذاته ليس ذنبًا. . ولكن الرسـول ﷺ يعلمنا الأدب، ويحثنا على أن يكون ذكر الله تعـالى عملا دائمًا لنا في كل شئ. . فكأنه يقول: يارب اغفـر لى هذه الفترة التي مضت من عمري، ولم أذكرك فيها، وهي ساعة قضاء الحاجة.

* * *

(١) صحيح أخرجـه الترمذى ، كتاب الطهارة ، باب ما يقـول إذا خرج من الخلاء حديث (٧) ، وأبو داود ، كتاب الطهـارة وسننها ، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء حـديث (٢٩٦) ، وأحمد حديث (١٩٦٦).

الإسلام والشرور العالمية

س : هل يتميز الإسلام على غيره من الديانات من ناحية العمل الإصلاحي؟ بمعنى: هل تزيد رسالته عن التذكير وبيان الأحكام، وتفصيل الجزاء؟.

جـ : في الرسالات السابقة على الإسلام كان كل رسول غير مطلوب منه أن يؤدب الخارجين.. بل حينما يطغى الكافرون أمام أي منهج رسالى فالسماء كانت تتدخل. يحصل طوفان يغرقهم.. أو صيحة تزلزلهم، حتى تفنى القوم.. والقضية لم تخالف إلا في الإسلام.

وذلك لأن الله أرسل رسوله مهيمنًا على الأديان كلها.. وائتمن أتباعه علي أن يكونوا عامل تقويم للانحراف في الأرض. ولذلك نجد هذه الخاصية لا تنطمس أبدًا عند المسلمين. فلابد أن يوجد أهل خير في أمة الإسلام.. ولذلك يقول الرسول ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»[1].

وهذا هو السبب في أن المسلمين أو أتباع محمد ﷺ الذين آمنوا به هم امتداد ارسالته.. وهذه ميزة الإسلام.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

---

(١) صحيح أخرجه كسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ لا تزال طائفة حديث (٣٥٤٤) والترمذى، كتاب الفتن، باب ما جاء فى الشام حديث (٢١١٨)، وأبو داود، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها حديث (٣٧١٠)، وابن ماجه، كتاب المقدمة. باب اتباع سنة رسول الله ﷺ حديث (٦)، أحمد حديث (٨١٢٨).

ولذلك آمن الرسول وآمن المؤمنون به على أن يحملوا حملة التأديب للبشر حين يخالفون منهج الله، جهادًا في سبيل الله، وضربًا على أيدي العابثين، وتذكيرا لهم دائمًا بمنهج الله.

* * *

الله والمغفرة

س : تردد في القرآن الكريم كثيرًا أن الله غفور رحيم.. وأنه قابل للتوب.. وأنه تعالى يفرح بتوبة العبد المؤمن. ولكن الناس لم يستقروا على فهم واضح لطبيعة الذنوب القابلة للمغفرة والذنوب غير القابلة للمغفرة. مع أنه تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾. ونحن نريد بيانًا شافيًا في هذا الموضوع؟

جـ : قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ ثم قال: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾

فالتوبة مقبولة ممن يعمل الذنب بجهالة. يعني: بغير ترتيب للذنب.. المعصية تقع على العبد وقوعًا.. لا يعمل لها (تكتيك). يعني: بدون سبق إصرار.. لا تكون لديه نية عمل السوء، ثم يقع عليه السوء من حيث لا يحتسب.

وكلنا ضعيف، تطرأ عليه المعصية من غير ترتيب مسبق لها، فهذه المعصية هي محل المغفرة، والتوبة منها مقبولة.

* * *

كلمة التوحيد ودخول الجنة

س : جاء في الحديث: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر»[١]. والناس لذلك يعتقدون أن مجرد نطقهم بالضهادتين يدخلهم الجنة دون حساب على ذنوبهم. . فما هو وجه الحق في هذه المسألة؟.

جـ : الذي يقول: (لا إله إلا الله) لابد حين يقولها أن يكون جازمًا ومؤمنً بأنه سيجند حركته في خدمة هذه الكلمة. ومن أصول هذه الكلمة طاعة الأمر، واجتناب النهي، فإذا ما غلبته نفسه على معصية دون سبق إصرار عليها فهي مغفورة كما قلنا بالتوبة منها.

أما إذا قلت (لا إله إلا الله) وعصيت متعمدًا فقد أفسدت قولك: لا إله إلا الله. . إذن لابد أن تقولها بحقها.

ثم لابد أن يفهم المسلم الكلمة أولا. . دخل الجنة ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر. . صحيح. . إنما دخل الجنة لبتداء، أم بعد أن يحاسب على عمله؟ كان يجب نفهم هذا أولا. .

والخلاصة: أن الذنب من غير إصرار مغفور بالتوبة ولو كان مثل زبد البحر. . والذنب مع الإصرار يدخل صاحبه المؤمن بلا إله إلا الله الجنة، ولكن بعد حسابه.

---

(١) صحيح أخرجه الترمذى ، كتاب الدعوات ، باب ما جاء فى فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد حديث (٣٣٨٢) بلفظ «ما على الأرض أحد يقول لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كفرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر » وأبو داود كتاب الصلاة ، باب التسبيح بالحصى حديث (١٢٨٦) ، وابن كاجه ، كتاب الأدب باب فضل التسبيح حديث (٣٨٠٢) .

الصحف الأولى

س : يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾. ما المراد بالصحف الأولى؟ وما الذي كان فيها؟.

جـ : الصحف الأولى ليست مقصورة على صحف إبراهيم وموسى.. وإنما فيها الصحف التي أنزل الله على رسله مثل: شعيب وإدريس، وغيرهما. والصحف غير الكتب التي سماها الله بالتوراة، والإنجيل، والقرآن، والزبور.

أما ما في الصحف الأولى فقد ورد أن أبا ذر رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ عنه، فأخبره: أن ما كان في صحف إبراهيم إنما هو أمثال وعظات وعبر.

ومعنى هذا أنه يتعلق بوجدانيات الدين، ولا يتعلق بها تشريع حركي في الحياة.. بل هو استحضار للصورة العقيدية في كل تصرفات الحياة.

وسأله أبو ذر عن بعض هذا، فقال: «مما أنزل الله في صحف إبراهيم خطابًا للملوك: (أيها الملك المغرور، المتسلط على المبتلى، أنا لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض، وإنما بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم، فإني لا أردها ولو كانت من كافر)».

وفيها أيضًا يقول: «على العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله (يعني مجنونًا) أن تكون له في دنياه ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها إلى حاجته من الحلال».

وهذا هو منهج جاء مفصلا في دين الإسلام.

الرزق

جاء في الفتاوى ١/ ٨٨ قول الشيخ تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ .

«إن رزقك من المال والشـهرة أعرف بمكانك منك بمـكانك». ولو عرف الناس ذلك مـا أبقوا أنفـسهم.. فلـيهـدأوا وليعـملوا أن الرزق من المال والشهرة لن يخطئ الذي قدر له.

* * *

التصوف

وجـاء في الفـتاوى ١/ ٥٦ عن التـصـوف قـول الشيخ الـشعـراوي: «التصـوف الحقيـقي: أن يعيش في الســوق، وتعايش أحداث الحـياة.. وليس من التـصوف النأي عن الحـياة.. وأبو الحـسن الشاذلي كـان أبرع الناس في التجارة».

* * *

من يدخل الجنة بغير حساب

وجاء في الفتاوى ١/ ٩٧:

- هل هناك من يدخل الجنة بغير حساب؟.

- أجل.. أولئك الذين أباح الله لهم الأسباب فلم يستـعملوها احترامًا لقضاء الله عليهم.. وأولئك هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون.

التلفزيون

وجاء في الفتاوى ١/ ٦٥ عن التلفزيون هل هو حلال أم حرام بقلم محرر الفتاوى ما يلي:

«علمني أستاذي الشيخ الشعراوي وأبي الروحي أن أنظر دائمًا بعين العقل الفاهم المدرك.. فلابد من تحديد الوجهة من ذلك، واستقصاء النية، وكما قال نبينا الكريم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[(١)].

«يصبح التلفزيون حلالا إذا ما خلصت النية في الاستمتاع به. ولولا ذلك لما شاهدنا الصور والمشاهد العلمية الناطقة بالإيمان في حركتها وسكناتها مثل عالم الحيوان...».

* * *

(١) صحيح : أخرجه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب قول النبي ﷺ إنما الإعمال بالنيات حديث (٣٥٣٠) ، والترمذي ، كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا حديث (١٥٧١) ، والنسائي ، كتاب الطهارة ، باب النية في الوضوء حديث (٧٤) ، وأبو داود ، كتاب الطلاق ، فيما عني به الطلاق والنيات حديث (١٨٨٢) ، وابن ماجه ، كتاب الزهد . باب النية حديث (٤٢١٧).

فوائد البنوك.. وشهادات الاستثمار

جاء في الفتاوى ١/ ٩٤ أن الشيخ قال عن فوائد البنوك وشهادات الاستثمار: إن البعد عن هذه الطريقة أمثل وأوفق.

* * *

الإسلام والطفولة

س: المنهج الإسلامي لبناء الإنسان ما زال يدهش الكثيرين من مفكري العالم عبر التاريخ.. فما الذي قرره القرآن بالنسبة للإنسان في طفولته الأولى؟.

جـ: الطفولة الأولى هي مرحلة الرضاع، والقرآن هنا يقول:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾.

وقد دلت الدراسات النفسية والطبية على أن ذلك هو الزمن الضروري حتى يتغذى الطفل من لبن أمه هذه المدة.. وبعد ذلك يحرص على أن تكون الأم هي المرضعة، ولو كان ذلك بعد الانفصال.. وعلى الأب أن يدفع لها أجر الرضاع.

وبعد ذلك ينتقل من مرحلة الرضاع إلى مرحلة الحضانة، فيعطي الطفل لمن يناسب عمره وتكوينه.. فيجعل الحق للأم، لأن الطفل في صغره ليس محتاجًا إلى العقل الحازم الجاذم، لكنه في حاجة إلى الحنان، وإلى العاطفة الرقيقة التي تناسب طبيعة تكوين الأم.. وبعد ذلك يسير الإسلام في منهجه نحو التربية. والتربية لا يمكن أن يصلح لها فرد واحد، ولا جهد واحد.. فالمادة من يقوم عليها، وللعقل من يقوم عليه، وللعواطف من يقوم عليها، وللعلم والمعرفة من يقوم عليه.

والوليد لا يحضـر إلى المعلم إلا بعد فترة طويلة، هذه الـفترة الطويلة ليس معناها أنه ليس أهلا للتربية، ولا موصفًا لها، ولكنه أهل للتربية في موضع لا يحسن فيه إلا الأم، ولا يحسن فيه إلا الأب، والقرابة المحيطة به، لأن الحـقائق التي تتـواجد في نفس الـطفل ليست من غـرس المعلم فحسب.

ولكنها توجـد وقت أن تتفتح أذنـه ليسمع، وعـينه ليرى، وحين يرى التصرفـات من حوله، فتنطبع في نفسـه مقومات تنطبع انطبـاعًا وإن كان بطيئًـا، ولذلك يحرص الإسلام على أن ينـمي في الناس عاطفتـهم نحو أبنائهم الصغار، حتى لا يصابوا بشـذوذ ولا انحراف ولا عقد ولا مركب نقص.

والرسول ﷺ ونحن نعرف أن الصـلاة كانت قرة عينه[1]، وأنه كـان يقف بين يدي ربه إلى أن تتـورم قدمـاه[2]، ولكنه كـــان حين يكون في الصلاة ويسمع بكاء الطفل، يسرع في صلاته.

فتلك تربية الـعاطفة بالنسبة للطفل الـصغير الذي لا يعرف أسـباب ما يوجعه ولا ما يؤلمه، حتى يسرع الإنسان في علاج هذه الحالة.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح : أخرجـه النسائى ، كتاب عشـرة النسـاء ، باب حب النساء حديث (٣٨٧٩) ،لفظه :«حبب إلىَّ النساء والطيب وجعلت قرة عين فى الصلاة » ، وأحمد (١٣٥٢٦) .

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم ، كتاب صفـة القيامة والنار ،باب إثار الأعمال ولاجتهاد فى العبادة حديث (٤٠٤٥) ولفظه عن زيادة بن علاَقَةَ سمع المغـيرة بن شعبة يقول قال النبى ﷺ حتى ورمت قدمـاه قالوا قـد غفر الله لك مـا تقدم من ذنبك ومـا تأخر قال أفـال أكون عـبداً شكوراً، والنسائى ، كـتاب قيام الليـل وتطوع النهار ، باب الاختلاف على عـائشة فى إحيـاء الليل حديث (١٦٢٦)

آيات الله الكبرى

س : يقول الله تعالى عن محمد ﷺ ليلة المعراج: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾. فما هو المراد بآيات ربه الكبرى؟.

جـ : هذا إخبار من الله تعالى، ولم يكن من محمد ﷺ. كأن محمداً قال ما تطيقه عقول البشر، فقال الله تعالى:

﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾.

الله سبحانه وتعالى رحمة بالعقول لم يمتحنها بما يعييها. جاء في شئ من الأشياء وقال: لماذا تجادلونه في هذا؟ ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾. فكان ذلك إخبار ن الله تعالى، وليس إخباراً من محمد ﷺ والمفسرون يجعلون الكبرى (وصفاً للآيات، فهو قد رأى آيات ربه، الآيات الكبرى العظيمة).

لكن التحقيق الذي يقبله الذوق السياقي أن قوله: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ . أي: إنه رأى الآية الكبرى من آيات ربه. فكأن آيات الله التي حدث عنها هي آيات من آيات الله، وحسبها عظمة وعجباً أن تنسب إلى الله. لكن فيه آية كبرى، وهي التي تقف العقول فيها وقفة، فما بالكم بها مع الآية الموصوفة من الله بأنها الآية الكبرى؟.

أي لقد رأى الكبرى من آيات ربه، فإن الكبرى هو المفعول، وليست وصف الآيات.

ولكن ﴿قَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ ماذا رأى؟ رأى الكبرى من الآيات التي هي أعلى من هذه الآيات؟.

لاشك أن جبريل كان معه في الأرض، كان يشاركه في هذه المرائي، وفي السماء أيضًا كان معه جبريل.. ولا أحد من الملائكة، وانفرد بها رسول الله ﷺ.

- وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾.. من الذي دنا فتدلى؟.

- أنا شخصيًا لست مع المفسرين حين يفسرون دنا بأن الداني جبريل، لأن جبريل معه، وما دام جبريل معه، فماذا دنا فكان قاب قوسين أو أدنى؟.

ذلك آخر يعطينا أن الدنو بشئ آخر، أو ربة منه، إيناس بما يكون من رؤيته للحق، أو من كلام الحق له هنا.

* * *

الشباب والحق

س : كيف يمكن للشباب أن يفرق بين ما هو حق لا خلاف عليه، وما هو باطل يتخفى في ثياب هذا الحق؟.

جـ : الخـميرة الديـنية هي التي يجب أن تعمل ذلك.. والدولة هي التي يجب أن تعمل على وضع هذه الخميره.

إن عقل الإنسان بطبيعته فطري، والعقل الفطري يكفي لتوجيه الإنسان وقيادته حينما لا يكون لديه حاجة للانحراف، أما حينما تتوافر أسباب أو إغراءات أو سـعار الانحـراف، فإن العقل الفطري لا يكـفي. فلابد من وجود نوع آخر هو العقل المبرر، الذي يفرمل صاحبه عن الانقياد والجنوح لأصحاب العقول الماكرة.

وخمـيرة الإيمان هي التي توفر العـقل المبرر، ومهـمة الدولة أن تكون جادة في غرس هذه الخيرة.

❊ ❊ ❊

مصر ومكانتها في الإسلام

س : هل ترى في تراث الإسلام مـا يشير إلى مكانة مـصر في تاريخ الإسلام؟.

جـ : عندما قـال الرسولﷺ : «إن أهلها في رباط إلى يوم القـيامة» فإنه كان يشير إلى مصر.

ومعنى رباط: أنهم جـالسون ينتظرون الصيحـة لنصرة دين الله. هذا هو معنى الرباط، لأنها مأخـوذة من رباط الخيل، ولهذا قال عنها الرسولﷺ : «كنانة الله في أرضه».

والكنانة هي جعـبة السهـام، وأنت قديمًا كنت ترى المقـاتلين يحملون سهامهم في جعبة إلى خلف ظهورهم أو إلى جانبهم. هذه الجعبة هي الكنانة. فكأن مصـر هي الأرض تؤخذ منها السـهام ليقـذف فى وجه أعداء الله.

* * *

المسلم غيبة الإمام العام

س : مـا موقف المؤمن الملتـزم حـينما لا يكـون للمسلمين إمـام ولا جماعة؟.

جـ : سأفترض أن مـؤمنًا متمسكًا بتعاليم إسـلامه، وضاق بما يراه من عدم إعمال أحكام الإسلام في بلده، وجاء يسألني: ما العمل؟.

أقوله له: إن الرسـول ﷺ لم يدع لنا اجتهادًا في الإجـابة، فهو عنـدما سئل من أحـدهم: بم تـنصحني إن أدركـني هذا الزمان؟ قال:

أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

قال: فإن لم يكن للمسلمين إمام ولا جماعة؟

قال: فعليك خاصة نفسك، ولو أن تعض بأصل شجرة إلى أن يقضي الله أمرًا. عليك خاصة نفسك، وإن وصل بك الحال إلى أن تمسك بأصل شجرة وتعض فيها بأسنانك لكي تكظم غيظك.

ـ ومـا هي جمـاعـة المسلمين المرادة في هذا الحـديث؟ هل هي مـثل الجماعات التي نسمع عنها الآن؟.

ـ لا عـلاقة إطلاقً بين الجـمـاعة التي يـشيـر إليـها الحـديث، وهذه الجماعات.

الجمـاعة في حديث الرسـول ﷺ تعني: كل الناس واجتمـاعهم على رأي واحد. كلنا نقول: إن هذا الأمر فاسد أو صالح، ونجمع عليه.. إذا قالوا: فاسد، وأجمعوا كلهم، خلاص.

ولكن إذا لم يكن للمسلمين إمام ولا جماعة يترك كل واحد منهم الأمر لله. لم يقل الرسول لمن سأله: اذهب أنت ، وخذ المبادرة بنفسك، فتضيع نفسك.

لا . . الإسلام حريص على هذا الشخص، باعتباره مؤمنًا، وعنده خميرة إيمانية، وسؤاله وغيرته عن إيمان حقيقي، ولا يريد الإسلام أن تخدعه فتنة ويضيع نفسه، فيخسر الإسلام أحد أفراده، ويفقد إحدى خلاياه بدون ثمن.

أبدًا . . يقول له الإسلام: اعتصم بإمام يعينك على الفتنة. والإمام هنا هو الذي اختاره الناس، وأجمعوا عليه، وصعدوا به من تحت إلى فوق . .

الإسلام يقول لهذا المؤمن: اعتصم بإمام، أو بجماعة المسلمين. ليس هناك هذا ولا ذاك لا يقول لك الإسلام: اعمل العملية الانتحارية. وإنما اجلس في بيتك، واحرس دينك أنت، وعليك بخاصة نفسك، ولو أن تعض بأصل شجرة إلى أن يقضي الله أمره.

* * *

الشباب والفراغ الديني

س : يتحدث الجميع في هذه الأيام عن ظاهرة الفراغ الديني لدى الشباب. ونحن ننسب الأحداث المزعجة إلى هذا الفراغ. . فكيف يكون هناك فراغ والعلماء والكُتّاب والوعاظ يملأون الدنيا بالكتب والخطب والدروس والمواعظ؟

جـ : الفراغ أوجدته لهم الدولة نفسها. . لنكن واضحين، فهناك تيارات سياسية عالمية متعددة، عندك الشيوعية مثلا، والاشتراكيات المختلفة. . وهذه التيارات السياسية كانت لها في مصر تنظيمات ولكن لأن الدولة احتضنت نظامًا خاصًا يختلف عن هذه التيارات، وهذا من حقها، فإنها لكي تنفذ النظام الذي احتضنته تولت في وقت واحد الدفاع عنه بقوة، وتصدت لتلك التيارات الأخرى.

ولكن لو أنها احتضنت الدين أيضًا ودافعت عن تنفيذه بنفس القوة التي دافعت بها عن نظامها السياسي، لأغلقت الأبواب أمام النزعات الفردية التي وجدت أمامها فراغًا دينيًا، وجعلت كل زاوية من الزوايا تقول بأن لها فكرًا، وتطلق أحكام التكفير هنا وهناك.

* * *

كتاتيب سيدنا

س : ألا توافق على أن تعليم الـدين عن طريق سيـدنا في الكتـاتيب كان أفضـل كثيرًا من تعليـمه هذه الأيام، وكان له فضل حـماية الأجيال القديمة من الانحراف والتطرف؟ .

جـ : من ناحية غرس الدين في الصغـر، فأنا أقول تمامًا: إنه أساس، بل هو الأساس في تعليم الدين.

إن طفولة الإنســان كما قلت وأقـول: أطول فترة طفولة في حـياة أي كائن حي. . والحق أراد أن تطول هذه الطفولة، لكي تتكون فـيها الجذور التي تمنح الإنسان قوة التماسك عندما يكبر، ويتعرض لشهوات وإغراءات الانحراف.

إن الشجرة عندمـا تحرم من الماء، ولا تجد ما يرويها، تبـدأ أوراقها في الذبول، وبعـد الأوراق تذبل الأغـصـان، وهـكذا، آخـر شئ يموت في الشجـرة جذرها، بحيث إذا حـدث ووصل إليهـا قرب الموت بعض الماء عادت وارتوت بالحياة، وأثمرت من جديد.

ونفس الشئ يحدث للإنسان إذا كانت له الجـذور المؤمنة. فقد يحدث أن ينسى تعالـيم دينه فترة، ويذبل في تصـرفاته سلوك الدين، حـتى قد يبدو أنه غير مسلم. ولكن لسـبب الجذور يحدث أن يحدث أن تصادفه، أو يسمع آية من القرآن، أو حديث، فيـروي ما يصادفه من جذور الإيمان فيه، ويجد نفسه وقد عاد أو حاول العودة إلى تعاليم الدين وأحكامه.

هذه هي أهميـة الجذور، وتعليم الدين في الصـغر. لكنني من ناحـية أخرى وأنت تقارن بين الماضي والحاضر لا أستطيع تجاهل أن الوسائل التي

كانت تؤدي إلى انحـراف البشر في الماضي كانت أقل منهـا في الحاضر. فوسائل الانحراف ومغريات اليوم عديدة.

ـ وما هي الجـهود التي يجب أن يناط بها إنقـاذ الشباب من مـغريات الانحراف؟.

ـ جهود البيئة التى يعيش الفرد فيها.. جهد الدولة أولا في التطبيق.. وإلا فـإنني أظلم العلمـاء، لأنني أطلب منهم مـا ليس في أيديهم، وإلا فهل الأزمة الموجودة هي أزمـة عدم علم؟ إن الناس لا يجهلون، ولكنهم لا يعملون. لو أنهم طبـقوا ما يعلمون من الدين لكان كـافيًا.. إن الحق يجزي صـاحب الحسنة بعـشر أمثـالها، مـاذا يعني هذا؟ إنه يعني لو أن واحدًا فقط من عـشرة أفراد. أي عشـر هذا العالم كان مجسـنًا، لتحمل سيئات التسعة أعـشار الأخرى.. ولكن من الواضح أنه حتى عشر العالم ليس محسنًا.

* * *

نحن والحكومة

س : ما هي الدولة؟.

جـ : الدولة هي الحكومة.

س : وما هي الحكومة؟ أليست هي أنا وأنت وهو؟. فهل المسئولية الإصلاحية ستبدأ من الحكومة أو من المواطن.. أو هي مثل قضية البيضة والكتكوت، لا نعرف من يسبق الآخر؟.

جـ : قضية البيضة والكتكوت تقولها الألسن من غير وعي، فالذي يسأل عن البيضة قبل الكتكوت، أو الكتكوت قبل البيضة أقول له: إن هذا السؤال يرد، أو أن التفكير فيه يضل طريقه إذا كانت كل بيضة يخرج منها كتكوت.

ولكن الحكاية ليست كذلك، فليست كل بيضة تنتج كتكوتًا البيضة الخصيبة فقط هي التي تنتج. ولكي تكون مخصبة، يكون من الضروري وجود ديك. إذن فيجب أن يكون الزوجان أولا قبل البيضة.

لا نقول إذن: حاكمًا ومحكومًا، لأني لا أقول: الحاكم بصورة مطلقة، ولا المحكوم بصورة مطلقة، ولكن الذي يجعلني أركز على الحكام أنني أرى أنهم استطاعوا أن يسيروا شعوبهم على النظم التي يريدونها، على أي لون كانت هذه النظم.

وما دام الأمر كذلك أفلا يستطيعون أن يحملوا الناس على منهج الله؟.

لماذا هذه فقط التي لا يقدرون عليها؟.

لو أن الحكومات لم تستطع أن تسير الناس على نظم تريدها كنت أعذرها.

لكنني أجد أنها فعلا قادرة على تسيير الناس بالنظم التي تراها.. ولذلك ترانا معذورين إذا قلنا: الحكومة أولا عليها الحمل الأكبر في القدوة وفي التطبيق، وفي حمل الإنسان على تعاليم الدين.

* * *

دفع التضارب عن القرآن

س : الله سبحانه وتعالى حينما سأل إبليس عن سبب امتناعه عن السجود كما أمره سأله بأسلوبين، أحدهما: قوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ** ﴾؟. والثاني قوله تعالى: ﴿ **يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ** ﴾.. والمرجفون يقولون: القرآن فيه تضارب. فمرة يقول: ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ** ﴾. ومرة يقول: ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ** ﴾ بدون «لا». وهي: إما أن تسجد، أو لا تسجد.. فما الرد على هؤلاء المشككين؟.

جـ : نقول لهم : أنتم لا تفهمون سر البلاغة العربية.. أعاجم بلهاء أغبياء.. لماذا؟.

لأن: ما منعك أن تسجد بدون (لا) لها معنى، و: ما منعك ألا تسجد، لها معنى، كيف هذا؟.

إذا أمر إنسان بشئ من أبيه، وبعد ذلك لم ينفذ هذا الشئ، ألم ينفذه لأن واحدًا جاء فأكرهه وأرغمه على ألا ينفذ؟ هذه صورة.. أو واحدًا جاء له فأقنعه بأن هذا الأمر خطأ، ويجب أن يعدل عنه، ففعل بدون إكراه، ولكن بعد اقتناع.

الوجه الأول: أنك تريد أن تنفذ، ولكن جاءت قوة فوقك فقهرتك على ألا تنفذ، وأنت تريد أن تنفذ. هنا يقول الله: ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ** ﴾. كأنك كنت تريد أن تسجد، فجاءت قوة أخرى فمنعتك من السجود.

أو جاءت قوة أخرى، فلم تمنعك قهرًا من السجود، ولكن ناقشتك في الأمر، وأقنعتك به، فاقتنعت أنت، وامتنعت بذاتك عن السجود.. وهنا يقول الحق: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ ﴾.

إذن الآية الأولى تفيد أنه كان هناك مانع يكرهه إبليس، ولكنه كان أقوى منه.. والآية الثانية تريد أن هناك مقنع أقنع إبليس، فارتضى ألا يسجد.

حين يقول الحق: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ يعني ما منعك من السجود؟ سهلة. يعني: أكنت تريد السجود بنيتك وقلبك، فجاءت قوة أخرى، فمنعتك من السجود وأنت تريد.

لكن الصورة الثانية: أأنت كنت تريد السجود، فجاءت قوة فأقنعتك بخطأ الأمر بالسجود، فاقتنعت، وبعد ذلك امتنعت من السجود طوعًا منك. يعني القوة لم تقهرك على الفعل، وإنما أقنعتك فقط، ففعلت أنت باختيارك.

حين تجد أمرًا، وتجد مانعًا للأمر.. أمر الله إبليس بالسجود ثم قال له: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾. المنع يصادم الأمر أو يوافقه؟ يصادم الأمر.

الأمر: طلب فعل، ومصادمة طلب الفعل ما هي؟ طلب ترك. إذا طلب هذا أن تفعل يطلب هذا أن تترك.

إذن (ما منعك) في القضية الثانية، أي أقنعك بألا تسجد، لماذا؟ بأن جاء يطلب مصادم أمر الله لك.

إذن ما منعك؟ أي طلب منعك.. ألا تفعل، لأن الأمر طلب أن يفعل، والامتناع طلب ألا تفعل.. إذن ما منعك، يعني من الذي صادم أمري. أمري طلب منك ألا تفعل؟.

فكأن ﴿أَن تَسْجُدَ﴾و ﴿ أَلاَّ تَسْجُدَ﴾التقيا ليدلا على عناصر الامتناع . . فالامـتناع قد يكون من إبليس قـهرا عنه، وكـان يريد أن يسجـد . . وقد يكون لأن قوة أقنعته، فطلب الله منه أن يفـعل، فطلبت القوة التي أقنعته ألا يفعل .

إذن لابد أن تجئ هنـا (لا) وأن تمتنع هناك (لا) وهنا يـكون الأسلوب بليغًا .

* * *

دلالة التسول

س : ينتشر المتسولون والشحاذون والعراة والفقراء في كل مكان العالم العربي والإسلامي، فما دلالة ذلك من وجهة نظر الدين؟ .

جـ : الذي يستر العـورات الاجتماعية هو لبـاس التقوى . . هو منهج الله . فإذا سرت في بلد، ورأيت إنسانًا عـاريًا، فتلك عورة، فما دلالة هذا العرى إذن؟ .

دلاله : أن القوم الذين يعايشون هذا الرجل قد سـرقوا حقه الذي قدره الله له . . لأنهم لو أعطوه حـقه الذي قدره الله في مـالهم لما تعرى ذلك الإنسان .

وأيضًا لو رأيت إنسـانً جائعًا، فـتلك عـورة في المجتـمع، لدل علي نقص في مروءة ذلك المجتمع، وفي رجولته، وفي همته .

وأن لباس التقوى قد قطع، ولذلك كان هذا جائعًا، أو هذا عاريًا .

ولو لم يكن هناك قطع في لباس التقوى ما رأيت جائعًا ولا عاريا ولا متسولا .

إذا ما رأيت المرابين فاعلم أن لباس التقوى قد خرق، وما دام قد خرق فلابد أن تبدو عورات المجتمع.

* * *

عناد

كان من الضروري أن يؤمن أهل الكتاب بالنبي ﷺ بمجرد أن يقول لهم: أنا رسول الله إليكم.

كان ينبغي أن يؤمنوا لأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم.

وما تزال قصة سيدي عبد الله بن سلام ماثلة في الأذهان. أراد عبد الله بن سلام - وهو يهودي - أن يسلم، لأنه رآى البشرى بعينيه، قال:

«لقد عرفته حين رأيته كمعرفتي لابني، ومعرفتي لمحمد أشد».

وعندما ذهب إلى محمد عليه الصلاة والسلام لإعلان اسلامه، قال له يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت (أي يجادلون بالكذب). وإذا أعلنت إسلامي وبلغهم ذلك قالوا في شراً. ثم أضاف ابعث إلى رءوسهم، ثم سلهم عني.

فأرسل النبي ﷺ إلى رءوسهم، فلما جاءوا سألهم الرسول ﷺ عن رأيهم في عبد الله بن سلام فأجابوا:

«سيدنا وابن سيدنا»[1].

---

(١) صحيح أخرجه البخارى حديث (١٤٢٣)، وابن حبان فى صحيحه حديث (١٣٣) وحوار الظمآن (١ / ٥٥٨)، والبيهقى فى الكبرى (٦ / ٧٠)، وأبو يعلى (٦ / ٤٥٩)، ومسند ابن حميد (١ / ٣٩٠).

عندئذ قـال ابن سلام على مـرآي ومسـمع من الحاضـرين: ما دمـتم قلتموها فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

وفي الحال قـال رءوس قومه من اليهـود وهم على مقربة من كلمـتهم الأولى التي أثنوا فيها على عبد الله بن سلام: «هو خبيثًا وابن خبيثنا».

فقال ابن سلام: يا رسول الله، ألم أقل لك: إنهم قوم بهت.

❊ ❊ ❊

ظلم النفس

س : وصف الله سبحانه وتعالى الإنسان بأنه ظالم لنفسه.. والإنسان يضاهد وهو يظلم غيره، فكيف يظلم نفسه؟.

جـ : الذي يأخذ المال الحـرام مثلا، إنما يسعى ليتـمتع بما ليس له حق فيـه.. ولو صبر هذا العبـد لجاءه رزقه حـلالا، ولكن الشيطان استبد به، فذهب يطلب ويسعى إلى هذا الرزق حرامًا.

هذا الإنسان حصل على لذة عاجلة، وهي أنه أخذ مالا نهي الله عنه، وأنفقه ليتمتع بلذة عاجلة في الدنيا.

وكذلك الذي يخالف أوامر الله، يسـعى للحصول على لذة عاجلة.. أعماه الشيطان فنسي الجزاء الذي ينتظره مقابل ما اقترفته يداه.

ونأتي إلى الذي يظلم نفسه.. فهو الذي يوردها موارد التهلكة دون أن يعطيهـا حتى اللذة العاجلة. كـمن يعرف أن زميـلا له سيرقى، فـيذهب ويكتب شكوى فيها كثير من الأكاذيب ضده ليمنع عنه الخير.. أو يكتب شكاوي كيـدية ضد الناس.. أو ينقل كـلاما كاذبًا من شـخص إلى آخر محاولا أن يثير النفوس بعضها ضد البعض الآخر.

هذا الإنسان ظالم لنفسه.. لماذا؟

لأنه لا يحصل على لذة عـاجلة من وراء ما يرتكبه من مخـالفة أوامر الله.. بل هو يورد نفســه موارد الهلكة دون أن يعطيــها حـتى لذة الدنيا العاجلة.

* * *

والله يعلم وأنتم لا تعلمون

س : يقول الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾. وقد ارتـبط هذا المعنى بعلم الله الذي يعلم مالا نعلم.. ولكن كيف يكون الخـير في الكراهية؟ وكيف يكون الشر في الحب؟.

جـ : الله تعالى أخبرنـا أننا قد نكره شيئًا بينما هو قد وضع فـيه الخير الكثير.. وقد نحب شيئًا بينما وضع فيه الشر الوبيل.

إننا يجب أن نفهم أن كراهيتنا للشئ أو حبنا له ليست هي الخير بالنسبة لنا، فأنا قد أحب أن أتزوج امرأة ولا يقسم الله... ولو تزوجتها لجعلت مني قاتلا أو سارقا.

وقد أحب أن أملك من مـتاع الدنيا الـكثير.. وقـد يورثني هذا المتاع هلاكًا، ويقودني إلى شر كبير، كمـا نرى في أحيان كثيرة. وهذا الشر لا يكون في الآخرة فقط، ولـكن في الدنيا أيضًا. ولكن الناس ينظرون إلى ظاهر الحياة الدنيا، ولا ينظرون إلى حقيقتها.

وأشياء كـثيرة تجعل الإنسان يحســب أنه استغنى عن الله.. ومع بداية البعد عن الله يبـدأ زوال النعم، ويبدأ العسر في كل شئ، ويبـدأ الشقاء داخل النفس وخارجها.

فليس كل بيت زخرفة جميل حياته سعيدة، بل ربما يكون أشقى البيوت بلك التي تمر عليها فنحسد سكانها.. وهم من أشقى أهل الأرض.

من دلائل الاختيار

س : مازالت قضية الجبر والاختيار حديث الناس إلى عصرنا هذا.. وهناك فوائد من الأحداث والأدلة تقطع بأن العبد مختار.. فهل من فريدة من تلك الفرائد؟.

جـ : نعم.. لقد أعطى الله لسليمان عليه السلام ملكًا لم يؤته أحدًا قبله، ولن يؤتيه أحدًا بعده. وكان كل ما في الأرض من القوى مسخر لخدمته.

كان يستطيع أن يفرض قهرًا على كل ما يريد... وعندما أرسل إلى ملكة سبأ يدعوها للإسلام، وكانت ملكة ذات بأس شديد، لم يخش بأسها ولا قوتها، ولكنه كان يعلم أنه يستطيع أن يأتيها بجنود لا قبل لملكة سبأ ولا لجيوشها بمقاومتهم.

معه قوى الدنيا كلها..

معه الريح.

ومعه جيش الجن والإنس.

ومعه الغلبة وقوة الله.

إذن فقد كان من الممكن بدلا من هذا الصراع القائم في الدنيا أن يرسل رسولا يعطيه من القوة والقدرة ما يخضع الناس للإيمان قهرًا.

بل إن الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾

أي إن الله يستطيع أن ينزل من السماء آية تخضع هؤلاء جميعًا للإيمان.

ولكن الله لا يريد ذلك... إنه يريد أن يأتي الإنسان إليه مؤمنًا باختياره... ولذلك ميز الإنسان عن سائر المخلوقات بالاختيار.

يريد من الإنسان أن يقول:

يارب اخترت طاعتك.. واخترت الإيمان.. وبعدت عما نهيتني.. مستخدمًا في ذلك ما أعطيتني من حرية الاختيار.. ليكون جزائي عندك عظيما.. فآتي إليك باختياري هكذا يريد الله الإنسان.

ومن هنا فإنه يترك له حرية الاختيار في افعل أو لا تفعل، ويميزه عن خلقه بالاختبار.

❊ ❊ ❊

خطيئة آدم.. وخطيئة إبليس

س : أخطأ آدم . . وأخطأ إبليس . . فهل هناك فرق بين الخطيئتين؟ .

جـ : الفرق بين خطيئة آدم وخطيـئة إبليس : أن آدم ندم على ما فعل، واعترف بذنبـه، واستغفر ربه . . أما إبليس فـإنه أمعن في الغرور محاولا رد الأمر على الآمر سـبحانه وتعالى، فكأن جزاؤه الطرد الأبدي من رحمة الله تعالى .

وهنا استعان إبليس بعزة الله التي تجعله لا يتأثر بطاعة الخلق جميعًا أو موصتهم . . تلك العـزة التي فيها استغناء الله سبحـانه وتعالى عن جميع خلقه، استعان بها إبليس، ليبقيه الله إلى يوم البعث .

وهنا يكون الغرور أول مراتب الخطيئة .

فإذا اغتر الإنسان بقوله أو بماله أو بجاهه أو بسلطانه أو بأي شئ منحه الله إياه في الدنيا، فإنه يكون قد فتح أول أبواب المعصية . . وفتح مدخلا للشيطان يمكن أن يؤدي إلى الهلاك .

❊ ❊ ❊

اسعوا إلى ذكر الله

س : من أهداف صلاة الجمعـة السعي إلى ذكر الله . . ألم يكن يجوز أن يذكر الإنسان الله وهو في بيتـه في هذا الوقت من كل أسبوع بعد صلاة الظهر مثلا . .؟ فلماذا كان الاجتماع؟

جـ : هذا الذكـر يذكرنا بعظمـة الله، ولا ينشئـها من جـديد . . لأن الإنسان عـرضة لأن ينسى بمرور الأسـبوع، والإنسـان منه القوى ومنه الضـعيف، فيـتأصل في ذهن الضـعيف أنه ضـعيف، وفي ذهن القوي أنه قوي، إذن فـلابد أن تتذكر أنك عبـد، ولا صفة لك إلا أنك عبد، فتذهب حتما إلـى صلاة الجمعة حيث يستوي الناس جميعًا في العبودية.

وهذا علاج لمرض خطير من أمراض النفس.

واستشعار الولاء الجماعي يصنع ولاء مستطرقًا معتديا للغير.

* * *

إياك نعبد

س : حين أقرأ الفاتحة منفردًا أو في الصلاة المنفردة أقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ والمفروض أن أقول: إياك أعبد.. اهدني الصراط المستقيم.. فلما عدل القرآن عن أسلوب الإفراد إلى أسلوب الجمع؟.

جـ : أنت تقول: (نعبد) و(أهدنا) عنك وعن غيرك. وغيرك يقول ذلك عن نفسه وعن غيره.. فكل قارئ أو مصل دعا لك وأنت دعوت له.

وربما كان أحد الصالحين موجودا في الجماعة، فيستجيب الله دعاءه للجميع.. وإذا كان الصالحين موجودا حشرت نفسي معه في الصفقة، فالله تعالى يقبلها كلها، أو يرفضها كلها.. فحين أقول: (إياك نعبد) احشر نفسي بين ناس مقبولين.. والله تعالى بكرمه يقبل عن الجميع بفضل الصالحين في الجماعة.

فإذا وجدت إنسانًا مقبلا على العبادة وأنت غافل منه فإياك أن تحتقره، لأنك ستتمحك فيه وقت ما يتقبل الله عملك معه.

من خيرك أن يوجد أناس منقطعون للعبادة، فلا يكون حظهم منك أن تحتقرهم، لأنك حينئذ تقلل على نفسك أطواق النجاة.

لا تحتقر عابدًا لأنه يقدم لك طوقًا من أطواق النجاة.

إذا عملت عملا وحدك فقد يكون غير مقبول، ولكن إذا دخلت معه فهو مقبول.. إذن فمن مصلحتك أن تحترم العابدين، لأنك وجدت طوقًا من أطواق النجاة تنحشر فيه.

ليس هذا هو الإسلام

س : لقد انشغل الناس بالحياة، ولم يعودوا يهتمون بأمور دينهم، ولا بثقافتهم الإسلامية، فكيف يتعلمون دينهم بحيث لا يكون هناك افراط ولا تفريط؟

جـ : إن المشكلة الموجودة ليست هى مشكلة علم بالدين.. فدع الناس يعملون بما يعلمون أولا.. ودع مالا يعلمون.

هل يوجد مسلم لا يعرف أن الصلاة واجبة؟ وهل هناك من لا يعرف أن الصوم واجب فى شهر رمضان كل هذه أمور معروفة وأولية، ولكن هل ينفذ المسلمون هذه المبادئ الأولية لدينهم؟

إن الإسلام فى البلاد الإسلامية فى غربة. ويجب أن نعرف ان هناك فرقا بين اسلام وبين مسلم.. فما دام الاسلام قد حرم هذه الأفعال، فذلك دليل على فهمه إن المسلم يمكن أن يعمل عملا خاطئا كالسرقة مثلا، فقال: من يسرق تقطع يده.

ووضع حدا على شارب الخمر.. وطالب برجم الزانى.. إذن فما دامت هناك عقوبات لأفعال أثمها الدين، ثم رأيتها فى الناس فلا تقل: هذا خطأ الدين.

وكيف ذلك وقد حرم الدين هذه الأفعال.. ولو رأينا المسلم الذى صنع شيئا محرما قد وقعت عليه العقوبة لما استطاع أحد أن يقول شيئاً.. ولكننا نرى المسلم يحرم ولا تقع عليه العقوبة.. وقد نص الإسلام على جرائم، ووضع للجرائم عقوبة.

فحين يرى واحد جريمة، ولا يرى العقوبة عليها، يعتقد أن هذا هو الإسلام.. وهنا نقول «لا».. لأنه يوجد هنا شئ معطل.

حكم البيئة

س : تختلف البيئات والمجتمعات. . فنرى بيئة صالحة، وأخرى فاسدة، فيأخذ من ينشأ فى البيئة الصالحة فرصته، فى التربية، بينما لا يجد الآخر هذه الفرصة، فما ذنب هذا، وما فضل ذلك؟

جـ : ما دام الإنسان قد أصبحت له ذاتية فإنه يسأل ويستفسر عن كل شئ. . فيختار لون القماش الذي يريد أن يرتديه، ويستذكر مجتهدا فى الثانوية لدخول الكلية والجامعة التى يريدها. إذن لماذا كانت لـه ذاتية فى اختيار هذه الأشياء، ولا تكون له ذاتية فى معرفة دينه؟ فالذى ينشغل بأمر يهتم به، ودليل ذلك وجود كثيرات ممن نشأن فى مثل تلك البيئة الفاسدة، ولكنهن تعرفن على دينهن، وتمسكن به والعكس صحيح، فكثير من ينبت فى بيئة طيبة صالحة ينشأ فاسدا فاسقا.

ولذلك فقد قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها، وأداها إلى من لم يعلمها».

وذلك لكى يحدث تكامل بين من حصل على نعمة التربية الصالحة، فينقلها إلى غيره، ليستفيد منها، وهذا من خير المؤمن نفسه أيضاً. . لأننى عندما أعلم شخصا خصلة خير، فيسألنى خيره، وان تركته على شر سينالنى شره.

فهذا من مصلحتى، لأن أثر المستقيم يعود على غيره، إذن فمن مصلحتى أنا صاحب الخير أن يعرف غيرى الخير، ليعاملنى به، فكأننى

أعمل الخير لنفسى، ولذلـك قال رسول الله ﷺ :«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(١) فهذا يعود إلي حب النفس.

فان كنت أنا أمينا فـسيعود خير أمانتى على من حـولى، فيأمنون على أموالهم وأعراضهم. وفى بيئة أخرى يوجد سارق، فلابد أن يمسنى شره، بسرقة مالى وخيرى يذهب اليه.

إذن لكى ينالنى خيرهم لابد أن أنقل الخير إليهم.

* * *

(١) صحيح أخرجه البخارى ، كتاب الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه حديث (١٢) ، مسلم، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخسه ما يحب لنفسه حديث (٦٤) ، والترمذى كتاب صفة القيامة والقائق والورع حديث (٢٤٣٩) ، والنسائى ، كتاب الإيمان وشرائعه ، باب علامة الإيمان حديث (٤٩٣٠).

الدين متين

س: ما معنى قوله ﷺ: «إن هذا الدين متين، فاوغل فيه برفق»[١].

جـ : إن الدين لا حدود له، ولقد فرض الله تعالى علينا الحد المحتمل والضـــروری منه، ولكن إذا أردت أن تـتـصـــدق بكل مـــالك فتصدق، إذن فليس للدين حدود يقف عندها.

هناك حـد أدنى، وهناك حـد أعلى، ولـكنك لا تلزم نفـسك بالحـد الأعلى حتى لا تمل، فأوغل فيه برفق. وخير الأعمال أدومها وإن قل.

فإذا صليت فى اليـوم مائة ركعـة فمن الجائـز أن تفعل ذلك فى وقت نشاطك، ولكنك قد لا تسـتطيع المداومة على ذلك، وهنا الخطأ، فكأنك قد جربت الله فى الود فلم تجده أهلا لذلك، ولذلك فإياك من ذلك.

فالإيغال هو الزيادة عن المطلوب.. فافعل أو لا المطلوب وإن أردت أن تزيد فافعل برفق.. إن الله لا يمل حتى تملوا.

* * *

(١) صحـيح أخرجه أحمـد حديث (١٢٥٧٩)، الأحاديث المخـتارة (٦ / ١٢٠) والهيـثمى فى المجمع (١ / ٦٢) وقال: رواه أحـمد ورجاله موثقون، والبيـهقى فى الكبرى (٣ / ١٨). ومـسند الشهـاب (١٢ / ١٨٤)، والبـيهـقى فى شـعب الإيمان (٣ / ٤٠٢)، والزهد لابن المبارك، (١ / ٤١٥)، والفـردوس بمأثور الخطاب (١ / ٢٣٥)، والتمـهيـد لابن عبـد البر (١/ ١٩٥).

الغيبة والنميمية

س : ما هى الغيبة؟ وما هى النميمة؟

جـ : الغيـبة هى: أن تذكر أخـاك بما يكره، حتى ولو كان مـا تذكره صحيحا، فإن كان صحيحا فقد اغتبته، وان لم يكن صحيحا فقد بهـته. أى افـتريـت عليه الكذب. والزخـوة هنا بمعنى الأخـوة الإيمانية.. فالمؤمن أخو المؤمن.

أما النميمية فهى: أن تؤتمن على سر فتنقله للغير..

أما الشخص الذى يتعرض للرأى العـام، وللحكم العام، فلا غيبة له، لأنه عرض نفسه للحكم العام، فلا غيبة له، لأنه عرض نفسه للحكم من الناس عليه.. وإن كنت أسأت فـلا مانع أن اقول: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ .

لأن القول هنا يجئ تنفيسا عن الظلم أو لرفعه.

ولا مانع من المشورة.. فـإن استشارنى أحد فى زوج ابنته مـثلا فعلى أن أقول الحق ولو كان فى غير صالحه.

وبذلك نقول : إن الغـيبة يقصد بهـا شفاء النفس بحقـد على واحد. وبعد ذلك قالوا: لا غيبة لفاسق فالفاسق الذي يتعالى بفسقه لا غيبة له.

* * *

كظم الغيظ

س : ما معنى كظم الغيظ فى قوله تعالى : ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾.

جـ : إذا أساء إلي إنسان، فإن قلت إننى لم أتأثر بالإساءة فلن أكون صادقا. لأن هناك مؤثراً خارجيا، ولابد من وجود انفعال يقابله.

ولكن من الناس من يأخذ الانفعال، ولا يستطيع كتمانه.. ومنهم من يستطيع كظمه وكتمانه.

إذن فكاظم الغيظ يحتفظ بالغيظ فى نفسه، ولكنه لا ينفس عنه بسئ. فكأننى ملأت بالونة بالهواء، واحتفظت بالهواء داخلها.

وشخص آخر تجاوز هذه المرحلة وعفا، فأخرج سبب الغيظ من نفسه وعفا بالتماس العذر مثلا، والله يحب المحسنين. فهذه مرحلة أخيرة، ليستوفى الحق أحوال الناس، ومراتب النفوس البشرية.

* * *

شعور الأموات بالأحياء

س : هل يشعر الأموات بالأحياء؟ وهل الدعاء لمن لا نعرف من الأموات يؤدى إلى رحمتهم؟

جـ : نعم.. ولو لم يكن هناك شعور لما أمرنا الشارع بأن نقول حين نذهب لزيارتهم: «السلام عليكم ديار قوم مؤمنين، أنتم السابقون ونحن اللاحقون».

أمر الشارع لنا بأن نسلم عليهم يؤكد أن هناك استجابة وتجاوب، ويقولون: إن الميت يشعر بكل شئ، حتى أنه يسأل عن هرة بيته.

أما عن الدعاء فما الذى يمنع من وصول ثوابه بالرحمة.. بالله انظر فى الحياة.. ألا تجد انسانا يهذب انسانا، فيمر آخر، فيشفع له ويمنع عنه العذاب؟ وما الهدف من هذا؟ الهدف أن أعلم أنى محتاج إلى رأى الغير فىّ، وأن رأى الغير فىّ ينفعنى، وذكراى الطيبة تنفعنى، فأحاول جاهدا أن أرضى الناس عنى، فأترك الدنيا ولى فيها رصيد خير عند كل الناس، لعل واحدا منهم يدعو لى.

إذن فهذا استحثاث لك أنت، لكى لا تترك عند الناس الإ كل خير.. لا يجب أن تأخذ المسائل منفصلة، فلقد خلق الله الكون فى نظام، لكى يسعد بعضه ببعض، ولكى يوجد التساند والتعاضد، فعندما أجد خصلة خير فى شخصى أنميها، فإن لم استطع أنا أن أفعل الخير بنفسى فعلى الأقل لا استهزئ بفاعل الخير، لأنه عندما يفعل الخير سينالنى أنا منه شئ، وبذلك فالمقصود أن أترك الخير لدى كل الناس.

* * *

ناقصات عقل ودين

س: ما المقصود بأن النساء ناقصات عقل ودين؟

جـ : ما هو العقل أولا؟ العقل من العقال بمعنى أن تمسك الشئ وتربطه، فلا تعمل كل ما تريد.. فالعقل يعنى: أن تمنع نوازعك من الانفلات، ولا تعمل إلا المطلوب فقط.

اذن فالفعل جاء لعرض الآراء، واختيار الرأى الأفضل .. وآفة اختيار الآراء الهوى والعاطفة. والمرأة تتميز بالعاطفة، لأنها بطبيعتها معرضة لحمل الجنين، واحتضان الوليد الذى لا يستطيع أن يعبر عن حاجياته..

فالصفة والملكة الغالية على المرأة هى العاطفة.. وهذا يفسد الرأى.. ولأن عاطفة المرأة أقوى فإنها تحكم على الأشياء متأثرة بعاطفتها الطبيعية.. وهذا أمر مطلوب لمهمة المرأة.

إذن فالعقل هو الذى يحكم الهوى والعاطفة.. وبذلك فالنساء ناقصات عقل، لأن عاطفتهن أزيد.

فنحن نجد الأب عندما يقسو على الولد ليحمله على منهج تربوى، فإن الأم تهرع لتمنعه بطبيعة عاطفتها والإنسان يحتاج إلى العاطفة والحنان من ألزم تحملها لمتاعب الحمل والولادة والسهر على رعاية طفلها. ولا يمكن لرجل أن يتحمل ما تتحمله الأم.. ونحن جميعا نشهد بذلك.

أما ناقصات دين فمعنى ذلك أنها تُعْفَى من أشياء لا يعفى منها الرجل أبدا..

فالرجل لا يعفى من الصلاة.. وهى تعفى منها فى فترة الدورة الشهرية.. والرجل لا يعفى من الجهاد والجماعة والجمعة والمرأة تُعْفَى منها.

ولذلك فإن مطلوبات المرأة الدينية أقل من مطلوبات الرجل.

وهذا تقدير من الحق سبحـانه وتعالى لمهمتها وطبيـعتها، وليس لنقص فيها.. ولذلك حكم الله تعالى ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾. فلا نقول: إن هذا عـمله أكثر من ذلك، ولكن أنظر إلى مهمة كل منهـما. فإذا قلت: إن المرأة غير صائمه لعـذر شرعى فهذا ليس ذماً لهـا لأن المشرع هو الذى طلب منهـا عدم الصـوم هنا. كذلك أعفاها من الصلاة فى هذه الفتـرة. إذن فهذا ليس نقصا فى المرأة ولا ذماً لها ولكن وصف لطبيعتها.

* * *

مكـر الله

س : ما المقصود بمكر الله، وكيف يكون الله سبحانه وتعالى ماكرا؟
جـ : ما هو المكر أولا؟

المكر هو: أن يعلن المرء شيئا، ويضمر شيئاً آخر . . وهناك مكر حسن ومكر شئ، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

المكر هو: تبييت باطن، وتغليفه بظاهر، لكى يحقق شيئاً لو اطلع عليه الممكور به لتلافاه.

إذن كلما كان للإسان قدرة على أن يغلف مراده فى ظاهره كان ماكرا.
ولكن مراد فى ظاهره لمن يجب أو لمن يكره؟ بالخير أم بالشر؟

فإذا كان المكر لمن يحب بالخير فهو مكر محمود. وأكون قد مكرت به لفائدة له. أما العكس فهو مذموم.

إذن فالمسألة هى «تبييت» والتبييت يقتضى أن المبيت له جاهل ما يبيت له، ولكن عندما يريد الله تعالى أن يبيت أمرا فمن ذا الذى يستطيع أن يعرفه؟

إذن لا يمكن لأى مخلوق أن يمكر مع الله أبدا. ولقد قال تعالى عن نفسه : ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ يعنى: أنه عندما يمكر، فمكره خير.

* * *

حول التعبد بالقرآن

س : يقرأ الإنســان القرآن أحيانا بلا انـفعال . . ومع ذلك يستـمر فى القراءة ويحمل نفسه عليها، رغبة فى الثواب، فهل هذا صحيح؟

جـ : الافضل فى هذه الحالة ألا يقرأ القــارىء . لأن القرآن ليس حملا على القراءة، يستطيع الإنسان أن يقــرأ ما دام يريد القراءة، سواء فهم أو لم يفهم ولكنه لا يصح أن يحمل نفسه على القراءة بدون رغبة أو اقبال.

– اعتاد مسلم أن يتعبد بتلاوة جزء أو سورة من القرآن ولا يتعدى هذا المقدار من القرآن. فهل هذا ينقص الثواب؟ وهل القراءة أفضل أم الحفظ؟

– المسلم يقــرأ القرآن لعــقله، وهناك من يقــرأ لقلبه فــمن يقرأ لعــقله يبحث عن التقريب للفــهم، وهذا لا ينقص الأجر، لأن الله تعالى قال : ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ .

ولـم يحدد الـقراءة ولا المقروء، ولـم يكـلف الله تعالى الإنســان بحفظ القرآن، ولكنه كلفه بحفظ القدر الذي يقيم به عبادته.

أما إذا ألزم الإســان نفســه الحفظ لرقى الدرجــات فهذا أمــر زائد ينال ثوابه، وكذلك فإن قراءة القرآن أمر زائد، فــالمفروض فيه أن يحفظ الفرد ويقرأ بقدر ما يقيم عبادته.

❊ ❊ ❊

الموظفون والعدالة

س: نلاحظ فى كل المجتمعات أن الموظف هو أقل الطوائف حظا من المال.. فهل يمكن أن نسمى هذه القسمة: قسمة عادلة؟

جـ : هى عين العدالة الإهية.. لأنه ليس هناك موظف - إلا من عصم الله - يعطى للدولة فى حقها العام ما كان يعطيه لنفسه إذا عمل عملا حرا.. ولهذا كان نصيبه يعطيه على قدر عمله فعلا.

* * *

العمل الوضيع والعمل الرفيع

س : هل يعترف الإسلام بالتفرقة بين الأعمال وتصنيفها إلي عمل رفيع وعمل وضيع ما دام الكل مما تقره الشريعة ولا ترفضه؟

جـ : لا... الإسلام لا ينوع الأعمال أبدا.. ولا يفرق بين عمل وعمل.. وكل حركة فى الحياة سواء كانت فكرية أو غير فكرية فهى عمل شريف..

الخلافة نفسها اعتبرها أبو بكر حرفة.. كلمة حرفة عندنا تعنى جزماتى، أو سمكرى، أو سباك ، ولكن خليفه المسلمين قال: «وأنا أحترف فى ذلك الأمر للمسلمين، وآخذ ما يكفينى» ورسول الله ﷺ سمى كل من ولاه عاملا من العمال.

الإسلام لا يتعرف بالتفرقة بين الأعمال ما دامت على منهاج الشريعة.. بل هذه نظرة بشرية.. هذا يمسح أحذية.. وهذا يسلك مجارى.. ياأخى لو المجارى تعطلت تفسد الحياة.. إذن فليس هناك فرق

بين عمل وعمل، انما قيمة كل امرئ بما يحسنه.. وذلك هو العمل فى الحياة.

* * *

المرأة والتقليد الأعمى

س: من منطلق التقليد للمدينة الغربية تنادى المرأة بحقوقها.. وتتهم الإسلام بأنه سلبها تلك الحقوق.. حتى أعادتها إليها مدنية الغرب.. فهل من تبصرة لنسائنا بهذه القضية؟

جـ: المدينة الغربية تفقد المرأة خواصها..

ما هى الخواص الأولى للإنسان؟ هى: شكله وسمته، ثم اسمه.

فحينما تتزوج المرأة فى أروبا تنسب إلي زوجها فيقولون: «مدام فلان». وليس من حقها أن تحتفظ باسمها واسم والدها.. وعندما جاء المقلدون فى أوائل عصر النهضة الحديثة ووجدوا هذا، عز عليهن أن ينسين اسمهن، وقبلن أن ينسين أسماء آبائهم وأسماء عائلاتهن، واستمرت تحتفظ باسمها.

قالوا «هدى شعراوى». أخذت اسمها (هدى) ونسبته إلى اسم زوجها «على شعراوى باشا». لم يهن عليها أن تترك اسمها.. ولكن فى أوربا وأمريكا تترك اسمها واسم أبيها واسم أسرتها، وتتسمى باسم زوجها.

فأى حق.. وأى مساواة للمرأة بعد أن تسلب اسمها؟

ولكن فى الإسلام زوجات الرسول ﷺ وهو أشرف الخلق، وتتشرف بالنسبة اليه أى امرأة، ولم يقولوا (مدام محمد بن عبد الله). لم يقولوا زوجة محمد» ولكنهم قالوا: عائشة بنت أبى بكر.. حفصة بنت عمر.. زينب بنت جحش.

احتفظن بأسمائهن وأسماء آبائهن. . وبعد ذلك يأتى المفتون ويقولون: نريد أن نكون مثل الغرب. والغرب لم يعط المرأة حقا لا فى اسمها ولا فى مالها. ولكن الحرية التى أخذتها المرأة كانت بسبب الحرب. عندما جندوا الذكور للحرب، احتاجوا إلى المرأة لتحل محلهم في العمل المدنى، فأعطوها بعض الحقوق ليحلصوا على انتاج من عملها.

* * *

سر اضطراب العالم

س: العالم الآن فى حركة صدام دائمة، وكذلك الأفراد فى كل المجتمعات، وقد أثر هذا الصراع على الفكر البشرى، والأمن الإنسانى، فما السبب فى ذلك؟

جـ - واقع الوجود فيه انسان هو أعلى أجناس الوجود. والإنسان له حركة. وهذه الحركة تصدر عنه سواء كان مؤمنا بشئ أو غير مؤمن. وهذه الحركة لابد لها من زمن ومكان تحدث فيه.

اذن فالانسان قمة فى الوجود متفاعل من عنصرين هما: الزمان، والمكان اذن فالحياة كلها تفاعل انسان مع الزمان ومع المكان.

وعناصر التكوين الكيماوية لا تؤدى مهمتها المزاجية إلا إذا أحكم خلط هذا المزاج احكاما مبنيا على قدر وعلى تقدير. . فلو زاد عنصر فيه لم تنتج العملية الكيماوية مطلوبها.

اذن فالإنسان عنصر، والزمان عنصر، والمكان عنصر، والفعل هو الذى يربط الإنسان بذلك المكان. . والزمان كما يقول: ظرف تحدث فيه الاحداث، وهو ظرف غير قار، أى غير ثابت. تكون صباحا ثم تكون

مســاء، ثم أمس، ثم اليــوم، ثم غدا. ولكن المكان ظرف قــار. أيمكان ثابت.

اذن فــالإنسان مــتــفاعل مع ظرفين: ظرف قــار، وظرف غــير قــار. وتفاعله لابد أن ينشأ عن حركة، إذن فــالإنسان حين يتحرك نقول له: إن أطلقت حركــتك، وجعلت نفــسك متحــركا فقــط بلا هدف فى الوجود فستتضارب حركتك مع حركات الآخرين.

إذن فلابد حــتى لا تتعاند الحركــات، ولا تتعارض التفــاعلات من أن نحدد جميعا الهدف الذى نتحرك من أجله، ونتحرك فى اطاره، فحين لا نتحد فى هدف ستصبح قوانا جميعا متعاندة، لا قوى متعاضدة.

وحين يوجد التعاند بين القوى فسينشأ الفساد حتما.

* * *

الغسل من الجنابة

جاء فى الفتاوى ١/٢٨ ومـا بعدها عن حكمة الغسل من الجنابة: أن الحكمة فى كل أمر تكليفى من الله لمن آمن به علته الأمر، ولا تسأل عن حكمة لكـل شئ إلا إذا كان الأمر مـساويا للمأمـور.. والإيمان هو علة كل حكم صادر عن الله سبحانه وتعالى.

* * *

الرهبة فى مكة.. والسرور فى المدينة

س : يشعـر المقترب من الكعبـة بالرهبة والخوف.. بينما يشـعر زائر الحرم النبوى بالراحة والطمائنينة والسرور، فلماذا؟

جـ : إن لله سبحـانه وتعالى صفات جـمال.. فهو الرحـمن الرحيم الودود الكريم.

وكذلك له صـفات جـلال.. فهو العـزيز الجبار المتكـبر. وهو الملك القوى القهار سبحانه.

أما من يتجلى عليه الله بـصفات الجمال فيشعـر بالراحة والطمأنينة.. ومن يتجلى عليه بصفات الجـلال يشعر بالرهبة والخوف. وهذا يأتى فى مرحلتين: مرحلة الخوف تأتى حينما يشعر الانسان بالتقصير.. فإذا شعر بفضل الله شعر بالطمأنينة.

وفى المدينة تجلى الله باسم الجمال.. ففى المدينة يكون اتصال الانسان بموجود هو قبر الرسول ﷺ وهو رحمة للعالمين.. بينما فى مكة يكون

الاتصال بالغيب، فالله غيب، وبيته غيب، فيكون الشعور بالرهبة والخوف. وكلا الشعورين مطلوب.

* * *

آدم وحواء .. ولباس التقوى

س: يقول الله تعالى عن آدم وحواء: ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ .. ومعنى هذا أن لباسهما ذهب عنهما؟ وبدت سوءاتهما وحاولا سترها بورق الجنة.. ما هي حقيقة للباس الذي ذهب عنهما؟

جـ : اقرأ القرآن بامعان.. فمن قال: إن آدم وحواء كانا عريانين فى الجنة نقول له: لا .. نص القرآن يقول: ﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ﴾ .. ولهذا لما آكلا من الشجرة طارت عنها الثياب، فبدت السوأة.. فأى ثياب هذه؟

يقول الله تعالى ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾ واللباس الذي يوارى السوأة هو لباس الضرورة.. ﴿وَرِيشًا﴾ ، أى لباس الترف والنعيم. وهو أمر زائد على الضرورة.. ثم قال﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ﴾ .

فكأن الله أنزل لنا شيئا يوارى السوأة المادية، وهو اللباس والريش. ومنهما يوارى سوءاتنا المعنوية.

فالله تعالى لما خلق الجسد المادى جعل له سوأة ولباسا يواريها. ثم نفخ الروح وجعل له معانى وقيما، فأعطانا منهج السماء، فكأنه لنا كاللباس بالنسبة لاجسامنا.

وما دام اللباس المادى جاء لستر العورة المادية، فمنهج السماء هو لباس التقوى الذى يستر العورة المعنوية. فعورات المعانى شر من عورات الحس.

والناس يستحون فيوارون عورات الحس، ولا يستحون فيوارون عورات المعانى. بل يبدون عوراتهم المنهجية.

اذن لباس التقوى خير من اللباس والريش الماديين.

اذن لما ذاقا الشجرة خرجا عن منهج الله، وخرقا لباس التقوى، فبدت عوراتهما المنهجية، وليست الحسية.

* * *

فنون التسبيح

س : روى الامام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه والبيهقى أن سورة ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[١] كانت احب المسبحات اليه.. حتى كان يقرؤها فى صلاة الجمعة والعيدين دائما. ومعنى أنها كانت احب المسبحات إليه أن المسبحات - وهى السور التى افتتحت بالتسبيح - كانت هى الأخرى حبيبة إليه، وان كان أحبها سوره الأعلى. فما هو سر هذا الحب؟

جـ : لكى تدرك سر حب الرسول ﷺ التسبيح بوجه عام، ويجب أن نستعرض أساليب التسبيح فى القرآن ودلالتها على التنزيه - كما أشرنا اليه فى سؤال سابق.

لقد استهل الله تعالى سورة الاسراء بالمصدر فقال﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ﴾ وإذا كان المصدر هو أصل الكلمة ، فالتسبيح ثابت لله.. التنزيه ثابت له أصاله كأصالة المصدر للكلمة.. قبل أن يوجد من يسبحه وينزهه.. فهو متنزه كما قال :﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ .. شهد لنفسه بالوحدانية قبل أن يشهد له بها أحد.

وبعد ذلك يوجد من يسبحه وينزهه.

ففى اول سورة الحشر وسورة الحديد نجده سبحانه يستهلها بالاشتقاق الاول، وهو الفعل الماضى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ..

---

(١) الحديث أخرجه النسائى ، كتاب الأفتتاح باب ترك القراءة خلف الرمام فيما لم يهجر به حديث (٩٠٨) ، وأبو داود ، كتاب الصلاة ، باب من رأى القراءة إذا لم يهجر الإمام بقراءته حديث (٧٠٤) ، وابم ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب التسبيح فى الركوع والسجود حديث (٨٧٧) ، وأحمد حديث (٧٠٤) .

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ . . . فهل سبح هؤلاء وانتهى التسبيح ؟ لا .

جاء فى سورة الجمعة وسورة التغابن: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ .

اذن (سبح) فى الماضى قبل أن تعلموا، و (يسبح) الآن ومستقبلا.

وفى سورة الاعلى جاء ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ ﴾ .

اذن ما دام التسبيح ثابتا لله قبل أن يوجد المنزه وما دام ثابتا بعد أن وجد المسبحون، ولا زال ثابتا، فالمنطق . أن يشغل الانسان نفسه بالتسبيح دائما، وهذا هو السر فى حرص الرسول ﷺ على التسبيح وحبه له.

* * *

- ولكن هذا المعنى قد يكون بعيدا عن كثير من الأفهام، والقرآن الكريم نزل لكل المستويات، فهل عرض القرآن هذا المعنى بطريقة مبسطة أخرى يفهمها العامة من الناس.

- نعم . . فما دام الله تعالى يريد من عبده ألا يشذ عن الوجود فى التسبيح، فقد بين ذلك بصريح العبارة فقال: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وقال:

﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ . ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾

وأمر الله الانسان بالتسبيح بحيث يشمل جميع الأوقات والأحوال فقال:

﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾

﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾

﴿فسبح بحمد ربك وكن من الشاكرين﴾

إلى آيات كثيـرة تدل على أهمية التسبيح فى بناء العـقيدة. . ومن هنا كان حب الرسول ﷺ أمرا واجب الاتباع.

* * *

سلوك الصالحين

س : ما هـي أجمع الأقـوال لسلوك الصالحين، بحـيث لا ندخل فى متاهات تنسينا بعض الحقائق؟

جـ - سُئِلَ بعض الصالحين عن منهجه فى حياته فقال:

«علمت أنى لا أخلو من نظر الله طرفة عين، فاستحييت أن أعصيه.. وعلمت أن لى رزقا لا يـتجاوزنى فـقنعت به.. وعلمت أن علىّ دينا لا يؤديه غيرى فاشتغلت به.. وعلمت أن لى أجلا يبادرنى فبادرته».

وأهم ما فى هذا المنهج هو الحـياء من الله.. فساعـة ما توقن بأن الله ناظر إليك فأنت تستـحى أن تعصى الله .. والإ فهاتو إلىّ انسـانا يعتدى على حرية غيره وهو ناظر إليه. لا يمكن أن يكون هذا أبدا.

* * *

ولهذا يقول الحق فى الحديث القدسى: «إن كنتم تعتقدون أنى لا أراكم فالخلل فى إيمانكم.. وإن كنتم تعتقـدون أنى أراكم فلم جعلتمونى أهون الناظرين إليكم»(١).

فأنت لا تقدر أن تعتدى على حرمة زميلك وهو يراك.. فلماذا جعلت الله أهون عليك من زميلك؟!!

* * *

(١) أنظر تفسير ابن كثير (٤ / ٩٧).

الرجال قوامون

س : يشتد الصراع الذى يشجعه أعداء الاسلام بين الرجل والمرأه حول موضوع «القوامة» بحجة أنه امتهان لكرامة المرأة التى يجب أن تتساوى بالرجل.. فهل صحيح أن قوامة الرجل على المرأة تنتقص شيئاً من فضل المرأة؟

جـ : إذا قيل إن فلانا قائم على أمر فلان، فما معنى ذلك؟ معناه أن هناك شخصا قائم، والآخر جالس فمعنى (قوامون على النساء) أنهم مكلفون برعايتهن، والسعى من أجلهن، وخدمتهن، إلى كل ما تفرض القوامة من تكليفات.

اذن فالقوامة تكليف للرجل.. والله تعالى يقول : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فقوله ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ليس تفضيلا من الله عز وجل للرجل على المرأة كما يعتقد الناس. ولو أراد الله ذلك لقال: بما فضل الله الرجال على النساء. ولكنه قال ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. فأتى (ببعض) مهمة هنا وهناك.. وذلك معناه أن القوامة تحتاج إلى فضل مجهود وحركة وكدح من ناحية الرجال، ليأتى بالأموال يقابلها فضل من ناحية أخرى، وهو أن للمرأة مهمة لا يقوى عليها الرجل، فهى مفضلة عليه فيها، فالرجل لا يحمل ولا يلد، ولا يحيض، ولذلك قال تعالى : ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾لمن الخطاب هنا؟ إنه للجميع. وأتى بكلمه البعض أيضاً لكى يكون البعض مفضلا فى ناحية ومفضولا فى ناحية أخرى.

ولا يمكن أن تقيم مقارنة بين فردين لكل منهما مهمة تختلف عن مهمة الآخر.. ولكن إذا نظرنا إلى كل من المهنتين معا فسنجد أنهما

متكاملتان. فللرجل فضل القـوامة بالسعى والكدح. . أما الحنان والرعاية والعطف فهى ناحـية مفـقودة عند الرجل، لانشـغاله بمتطلبات القـوامة، ولذلك فـإن الله عـز وجل يحـفظ المرأة لتـقـوم بمهـمـة الحنان والعطف والرعاية، ولا يحملها تكاليف القوامة، لكى يفرغها للعمل الشاق الآخر الذي خلقت من أجله.

ولكن الشارع بَيّنَ أن الرجل عليه أن يساعد المرأة.

فقـد كان رسول الله ﷺ اذا دخل البـيت ووجد أهله منشـغلين بعمل يساعدهم، مما يدل على أن مهمة المرأة كبيرة، وعلى الرجل أن يعاونها.

إن المرأة تتعـامل مع أكمل الأجنـاس على الاطلاق، فهى تربى سـيد الوجـود، بينما الرجل يتـعـامل مع الجمـاد والتراب والنبـات والحيـوان والحجر.

* * *

لا تنفذون ألا بسلطان

س : ليقول الله تعالى ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ . فهل فى هذه الآية الكريمة احتمال أن ينفذ الجن والانس من أقطار السموات والارض؟

جـ : لا . . فإنه تعالى قال بعد ذلك ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ ﴾ .

لقد تصور الناس عندما وصلوا إلى القمر، او اقتربوا من المريخ: أنهم قد وصلوا. . فنقول لهم: أين القمر والمريخ من أقطار السموات والأرض؟

ما هو القطر أولا؟

القطر هو الخط الواصل بين نقطتين على المحيط مارا بالمركز. اذن أقطار السموات والأرض تعنى أن السموات والأرض خلقت على شكل دوائر، ولأن الأرض كرة فإن لها محيطات لا تنتهى، ولو كانت سطحا مستديرا لاصبح للأرض محيط واحد.

وكذلك فإن كرة الأرض تحيط بها السماء من كل جانب. اذن فالأرض محاطة بدائرة من السماء. فعندما يقف الانسان فى أى مكان على سطح الأرض ويحد بصره إلى أخره فإنه يجد حوله دائرة تلتقى فى نهايتها السماء بالأرض، وهو ما نسميه بالأفق.

اذن فالكون كله عبارة عن دوائر متداخلة، ويحيط الكون كله سماء، ثم سماء ثانية فى دائرة أوسع، وهكذا.

وبذلك فهناك أقطار لهـذه الدوائر. وهنا يقول الحق سبحـانه وتعالى: انكم لن تستطيعوا أن يتنفذوا من أقطار السموات والارض.

ولنترحم ذلك أرقام. فلـقد أمضى من وصل القمر ســتة أيام فى عدد ثانيتين ضوئيه، أى بسرعه الضــوء. وهى المسافة التى بيننا وبين القمر فى ١٧٦ ألف ميل وهى قيمة الثانية الضوئية.

اذن فقد استغرقت الثانية الضوئية ثلاث أيام. بيننا وبين الشمس ثمانى دقائق ضوئية.. فى ستين ثانيــة.. فى ثلاثة أيام.. فنكون محتاجين إلى ثلاث سنوات وخمسة وأربعين يوما لنصل إلي الشمس.

ثم اذا انتقلنا إلي كوكب المشترى الذي يبعد عنا بمسافة أربع عشرة سنة ضوئيــة فى ٣٦٥ يوما فى ٢٤ ساعة فى ســتين دقيقة فى ســتين ثانية فى ثلاثة أيام.. فـإذا أردنا أن نصل إلى هناك فـما هى عـدد الأجيـال التى تستغرقها الرحلة؟ ملايين الأجيال.

ثم أى سفــينة فضاء هذه التى تــستطيع أن تحمل مــا يكفيهــا من وقود وطعام لهذه الفترة حتي تصل بعد ملايين السنين.

وبعد المشترى نجد «المجرة المسلسلة» التى تبعد عنا بمائة سنة ضوئية. ثم «الطريق اللبنى» ويبعد عنا بمليون سنة ضوئية، وبهــا مائة مليون مجموعة شمسية.

هذا ما يقــوله علماء الفلك غيــر المسليمن.. هؤلاء العلمــاء يقولون: اذهب إلي شواطئ العــالم، واجمع رمالهــا، ثم أحصهــا عداً، فستــجد كواكب بعدد الرمال.

وبذلك نجد أنه من المستحيل حســابيا أن نصل حتى إلى السماء الدنيا. هذا إلى جانب الشواظ والنيازك الموجودة فى الفضاء.

ثم نتساءل: لماذا إذا جاء الحق تبارك وتعالى بالاستثناء فى الآية؟ وهو ما يحمل معنى اخراج من الممنوع؟

تقول: إن ذلك الاستثناء معراج الرسول ﷺ .

اذن فعندما يقول تعالى: ﴿إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ فليس معناه سلطان العلم، للاستحالة كما رأينا. . ولكنه سلطان واذن من العلى القدير بأن تجتاز أو لا تجتاز.

* * *

الغرور باب المعصية

س : ما هى الخطوة الأولى على طريق المعصية، حتى يمكن للمسلم أن يجتنبها، ويبتعد عنها ابتداء؟

جـ - أول خطوة على طرق المعصية هي «الغرور». . تعرف ذلك من أول معصية وقعت فى الكون، وهي معصية إبليس لله رب العالمين ، فقد كان بابها الواسع هو «الغرور».

والغرور دفعه إلى التمرد على الله تعالى فقال﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ . رفض أمر الله تعالى، لأنه اعتقد أنه من معدن أفضل من معدن الانسان. ومنعه الغرور من الندم فى الانسان هو مدخل الشيطان لذلك لم يغتر الانسان إلا حينما حسب أنه استغنى عن الله وإن لم يشعر بذلك.

ومنعه الغرور من الندم بل عصى ورد الأمر على الله . . رفض ان يعترف بأنه مخطئ.

ولذلك لا يعترف المغرور بالخطأ أبداً﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ﴾

عمران الدنيا والآخره

س: بعض المسلمين ينعزلون عن الحياة تماما، ويعتقدون أن هذا عمل في سبيل الله. وبعضهم يركز نشاطه فى الدنيا للدنيا.. ولا ينظرون للآخرة.. فما هو وجه الصواب؟

جـ : الذين يتكاسلون فى الحياة الدنيا، ولا يعبأون بها، ويضعون كل اهتمامهم فى الحياة الأخرى الموعودة نقول لهم:

إن الحياة الأخرى الموعودة لا يسعد الإنسان فيها إلى على قدر توفيقه واخلاصه فى حركة حياته الأولى.. والآخرة ليست موضوعا للدين.. ولكنها جزاء على موضوع الدين. والجزاء على الشئ غير موضوعة.

فيجب أن يعلموا أن الدنيا والحركة فيها هى موضوع ذلك الدين، ولذلك يجب أن تكون الدنيا مهمة بحيث لا تنسى ولا تهمل.

* * *

الكون والصدفة

س : المذاهب الالحادية توهم الشباب أن العالم قد وجد بالصدفة، وليس بالعمد والتقدير من إله حكيم قدير .. فكيف يمكن أن نقنع الشباب ببطلان مذهب الصدفة؟ حتى يستقيم إيمانهم، ويستطيعوا الرد على هذه الدعوات المسمومة التى توجه إليهم.

جـ : نعم.. قال مفكر فرنسى اسمه «دينيه» : العجيب أن الذين يقولون بالصدفة لم ينتبهوا إلى شئ، وهو أن الصدفة من أعداء الرتابة، يعنى إذا كنت أقابل فلانا كل يوم عندما أمر فى ليست صدفة، بل هى تحكم منك فى مواعيدك، المكان الفلانى فى الساعة التاسعة.. فإن هذه وتحكم منه فى مواعيده، لأن الصدفة عدو الرتابة والنظام.

والصدفة يحكمها قانون الاحتمال. وهذا القانون فيه نسبة ١ - ٢٠٠ مليون. وقالوا: إذا جئنا بحروف مطبقة، فها جت الحروف فأخرجت لنا ديوان شكسبير.. فهذا مستحيل أولا.. ولو حصل فنسبة حصوله تحتاج إلى عقل الكترونى لحسابها.. رقم لا يستطيع أن يقرأه الانسان.

وقال الفيلسوف الفرنسى: من المستحيل أن يكون قانون الزوجية صدفة.. لماذا؟ لأنه إذا كانت الثدفة خلقت لنا رجلا فمعقول أن تخلق لنا امرأة.. لكن ليس معقولا أن يلتقيا غريزيا فينتج بينهما مولود ذكر مرة وأنثى مرة بالصدفة.

إذن فقوله تعالى ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ . دليل على القصد والعمد والتدبير، وبطلان الصدفة.

الدين والعلم

س: كثير من يكيدون للاسلام فى الخفاء يرددون أنه وغيره من الاديان يتعارض مع العلم.. ومن هذا الادعاء الخبيث يشككون فى حقائق الأديان.. الطرف الآخر ما دامت العقيدة قد اهتزت..

فهل صحيح أن الدين يتعارض مع العلم؟

جـ : قبل أن تناقش هذه القضية، وهى أن العلم يتعارض مع الدين كما يقولون، لابد أن نسألهم ما هو العلم؟

وتقول لهم: إن العلم هو الذى يصل بنا إلى حقيقة ... اذن لا تعارض بين كون الله وبين كلام الله أبداً.

الله هو الذى خلق الكون.. وهو الذى قال القرآن.. يبقى اذن لا تعارض أبداً يأتى التعارض من أى شئ اذن؟

يأتى التعارض من أن تعتبر حقيقة فى القرآن بحسب فهمك وهى ليست حقيقة.. أو تعتبر حقيقة فى الكون على حسب فهمك وهى ليست حقيقة.. هنا يأتى التعارض.. من تدخل العقل وحكمه على الشئ بأنه حقيقة، وهو فى الواقع حقيقة.

أما أن صرت إلى حقيقة قرآنيه كحقيقة قرآنية وإلى حقيقة كونية كحقيقة كونية، فلا يمكن أن يكون تعارض أبدا.

ولكن الناس دائما يتعجلون.. كلما رأوا بارقة من علم لم تستقر لتكون حقيقة، فإنهم يحاولون أن يفسروا بها غيب الله.. وكان الأولى بهم أن يرفعوا مستوى العقل البشرى إلى مستوى الحقيقة الغيبية أولا .. حتى يمكن أن يفهمها على وجهها الصحيح.

- وكيف يرتفع العقل البشرى إلى مستوى الحقائق الغيبية، حتى يستطيع أن يقوم بمهمة التوفيق بين حقائق الدين وحقائق الكون؟

- بالانتظار والترقب، وجمع الظواهر العلمية، والآيات الكونية بعضها إلى بعض، حتى تستقر، وتكون حقيقة ثابتة.

أسرار الله دائمة وماضية عبر الزمان.. كل يوم يعطى الله سبحانه وتعالى خلقه بعض الأسرار، لكى يصل بهم إلى الحقيقة. ولن يظهر لهم الحقائق دفعة واحدة، وذلك لكى يشجع العقل على النظر ودوام البحث.

استمع إلى قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.

لقد قال: (سنريهم).. ولم يقل: أريناهم.. وسنظل نقرؤها هكذا: (سنريهم) إلى يوم الساعة. وعنى هذا: أن كل يوم لابد أن يأتى بجديد. وعلى العقل أن يؤدى وظيفته حتى يصل إلى أنه الحق.. الله.

وحقائق الكون التى خلقها الله، وكل شئ غائب عن الأذهان، كل ذلك سيتبين أنه الحق. أما أن يقف العقل عند جزئية من الجزئيات التى أظهرها الله للناس، تم يحكم على حقائق الوجود بها، فهذا هو الخطأ والعجز.

* * *

المرأة والعمل

س: هل تستطيع ان نقول: أن الاسلام يحظر العمل على المرأة غير البيت؟ أم أنه أباح لها نوعا من العمل عند الضرورة؟ فإن كان فما هى حدوده؟

جـ الاسلام واقع .. فإذا ما حدثت ظروف أدت إلى أن تعمل المرأة فالكلام فى عملها يختلف.

هناك عمل المرأة فى مهمة زوجها وفى بيته وفى حقله ورعاية أولادها وزوجها، مثل أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنها قالت:

«كنت أحمل لابن الزبير الطعام على مسافة كذا فرسخا.. وكنت أسقى له الحصان واعفله.. وأملا له بالقربة.

كانت تعمل فى بيتها وفى مهمة زوجها.

اذن هناك فرق بين أن تعمل فى مجتمع لها به صلة، وبين أن تعمل فى مجتمع آخر.

اعملى فى مجتمعك مثلما تريدين.. نحن نرى المرأة الريفية تمتزج مع زوجها فى حقله، وهناك نساء مكلفات بعمل خاص.. لكن المشكلة هى العمل الذى يجعلها تخرج فتزاحم الرجال فى أعمالهم.

عملها مع زوجها أو أخيها أو ابنها وأحد محارمها صحيح.. أما العمل الذى يخرجها لتلتحم بالرجال فالاسلام هنا واقعى.

يقولون: قد تجد المرأة ضرورة فى أن تعمل.. ونقول: هذه الضرورة أمر طارئ على طبيعة المرأة، فنحن فى ذلك نوافق، ولكن الضرورة تقدر بقدرها، وتفهم على أنها ضرورة، ولا ننسى أنها أنثى ويجب عليها أن

تمشى فى المجتمع بحساب، وتزاول عملها قدر المستطاع، وألا تحتك بالغير.

ومستندنا فى ذلك قصة نبينا شعيب فى القرآن:

خرج سيدنا موسى من مصر، وورد ماء مدين، ثم ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ وجد حشدا خارجين لكى يستقوا من العين ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾. يعنى تمنعان الماشية من أن تشرب.. أذن لماذا خرجتا؟

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما حكايتكما؟ ﴿قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ يعنى بعد ما يسقى الرجال نبدأ نحن فى مسقى ماشيتنا.

هنا الضرورة.. وقد أخذ الضرورة بقدرها، ولم تلتحما بالرجال، ثم ذكرنا السبب ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.. ضرورة.. وإيجاب للضرورة.

- ما زلنا فى هذه المشكلة التى لم تستقر بعد فى عصرنا تختلف فى تقدير هذه الضرورة، فما هو تحديدها؟
- الناس يختلفون فى تقدير الضرورة حقا.. ولكن هناك فرق بين ضرورة الحياة وضرورة ترف الحياة.

ضرورة الحياة هى القوت الضرورى.. ولكن ترف الحياة أن يقول الانسان: لا أقدر أن أتزوج.. لا أقدر أن أجد سكنا من أربع غرف.. لا أستطيع أن أوثث بيتا به ثلاجة وبوتاجاز وتليفزيون ملون ومكنسه كهربائية. ترف الحياة.. إنهم يريدون أن يبدلوا حياتهم بما لم تنته به حياة آبائهم.

لا.. الذى يريد أن يرفه حياته لابد أن يرفع مستوى حركته فى الحياة.. قبل إن تحدد مستوى حياتك لابد أن تحدد مستوى عملك.. إذا لم يكفيك دخلك. فحاول أن تندى حركتك فى الحياة ليزداد دخلك.

لا تحاول أن ترتبط بعروس وأنت لست مستعد لذلك بحجة أنها ستعمل، والحياة مشاركة وكفاح.

- ولماذا لا نقر مبدأ أن الحياة مشاركة وكفاح؟ ماذا يحدث لو أقررنا هذا المبدأ؟
- ربما يحدث خلاف فى أول الشهر بسبب راتب الرجل وراتب المرأة.. وربما اعتمد على راتب زوجته فشرب دخانا بنصف مرتبه، وجلس على المقهى بالنصف الآخر.

ما هذه الحكاية؟ يريدون أن يعيشوا فى مستويات نهائية للحياة، ولا يستطيعون أن يعيشوا فى مستويات طبيعية.

- وما السبب فى إصابه الشباب بهذا الداء فى هذا العصر؟
- لسبب أن الناس لا يعرفون قدر أنفسهم.. والمجتمع لا يفقد توازنه لا حينما لا يعرف الانسان قدر نفسه، وعدم معرفة الناس لأقدارهم هو الذى أتعب المجتمع، فلو احترم كل انسان قدر الله فيه فسيرضيه الله فيما يعطيه، ولو نظرتم إن الذين سلكوا الحياة بلا كبرياء هم الذين نجحوا.

ولكن الناس يريدون أعمالا خاصة.. يريدون عملا على مكتب، لكى يظلوا فى خروجهم ودخولهم نظيفين، وهل ضنت الحياة على من يريد أن يعيش فيها بأى عمل؟ لا. ولكن الحياة ضنت على من يريد أن يعيش من عمل خاص والحياة مستعة.

- الكل يبحث عن طريق الثروة حتى يحدد مستوى حياته، وهذه مشكلة شباب اليوم، فأين هو الطريق؟
- لو قارنا بين الطبقة التى ألفت أن تعيش فى مستوى النعمة والراحة، وبين الطبقات التى عاشت فى المستويات الأخرى، نجد أن الطبقة

الثـانية هـى التى أخذت الثـروة وعـاشت فى بحـبوحـة. لأنهم يعملون فى ميادين حرة، ويقيمون حركة حياتهم كما يحبون.

ولكن الموظف لا يستطيع أن يقـيم حركة حياته.. العـامل الحر يحدد أجره بنفسه على حـسب مستوى المعيشة. أمـا الموظف فهو مرتبط بكادر وميزانية، ولا يستطيع أن ينظم دخله مع آماله.

فليتجه الشـباب نحو العمل الحر مادام شـريفا، والاسلام لا يفرق بين عمل وعمل. والخلافـة نفسها فى الاسلام حرفة. والخليـفة عامل، وكان الولاة قديما يسمون عمالا.

* * *

- ولكن المرأة اليـوم هى التى تصـر على العـمل ولا يرغـمهـا عليـه الزوج.

- المرأة التى لا تريد أن تقتنع بمهمتها هى امرأة فاشلة.. فالمرأة تريد أن تؤدى مهمـتها كربة بيت وزوجة وأم لا تجـد من الوقت ما يسمح لها بأن تعمل.. فلتعلم أبناءها وتغنينا عن مدرس خصوصى، أو تتعلم حـياكه الملابس وتطريزها لهـا ولأولادها وتغنينا عن أجور (الترزية) لو فعلت ذلك لوفرت علينا أضعاف ما تاأخذ من راتب هزيل ، ووفرت تكاليف زينتها، ومتطلبات خروجها للعمل.

* * *

- اذن من أين جاءتنا هذه البدعة؟

- إنها بدعة الغرب المتحلل الذى تشتت فيه الأسرة، وأصبح كل واحد فى أفرادها مسئولا عن حياته.

* * *

الله.. من خلال الكشف التاريخي

س : الذين يفصلون الدراسات الدينية عن التاريخ والجغرافيا والفيزياء والفلك وغيرها من العلوم، نرى أنهم يسيئون إلي الاسلام جهلا أو لؤمـا، فهل يمكن أن نعطى المسلم سلاحا يشهره في وجوه هؤلاء الهدامين من خلال الكشوف التاريخية مثلا؟

جـ - نعم.. عندما يذكرنا تاريخ قدماء المصريين يقولون لنا: تاريخ قدماء المصريين لم يعرف إلا بعد اكتشاف حجر رشيد الذى اكتشفه (شامبليون) فى الحملة الفرنسية.. ولما حلت رموزه عرفنا ذلك التاريخ.

وعندما درسنا التاريخ وجدنا أنه كان هناك ملوك سموهم «فراعنة».. وبعد هذا جاءت فترة سموهم «ملوكا» لا فراعنة، ثم جاءت فترة أخرى سموهم فراعنة فالتاريخ يقول ذلك، ولذلك سموهم ملوك الرعاع أو الهكسوس. كانت هذه فترة مرت على الفراعنة.

ونقول لك: انظر إلى القرآن قبل حجر رشيد. ففيه ما يدل على ذلك.. فعندما يتكلم عن قوم فرعون المعاصرين لعاد وثمود سماهم الفراعنة. وحينما تكلم عن القوم المعاصرين ليوسف من رؤساء مصر سماهم الملوك.. واقرأ قول الله تعالى: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ﴾ أيام عاد وثمود سماهم الفراعنة. وبعد ذلك فى أيام موسى قال له ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ لكن فى يوسف لم يقل ذلك. لو كانت المسألة كلاما عن ملوك مصر بصفة عامة كان سماهم فراعنة. ولكن أنظر إلى الدقة

المعجزة ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ . ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ﴾ . . ولم يقل فرعون.

اذن هذه دلالات فى التاريخ لو أننا نبهنا أذهان الشباب إلى أن القرآن قدمها قبل اكتشاف حجر رشيد لعرف أن الذى تكلم بهذا القرآن هو رب العالمين العليم بالأشياء على وفق ما كانت الأشياء. . ولاستطاع الشباب أن يدعو إلى دينه على بينة وعلى نور وهدي حق، ولم يعيش فى حيرته التى هو فيها.

اذن حين لا ينفصل العلم فى أى من فنونه عن الله يكون العلم قد أدى ثمرته المطلوبة منه وخاصة بين أمة اسلامية.

وبذلك يظل الاعجاب بين المسلمين بدينهم، غير مفتونين بما يفد عليهم من الحضارات الأخرى. . فهم يسحبون هذا الاعجاب على غير دينهم من المبادئ التى قد تشوه دينهم، وتحرفه وتدعوهم إلى أن يتخلصوا من منهجة ومن أسلوبه.

* * *

دستور لرجال التربية

س: ما دامت المسألة هكذا.. وما دام فى الامكان دراسة الحقائق الاسلامية من خلال العلوم المختلفة، وما دام هذا بالفعل هو الطريق الأقوم والأوفق لدراسة الدين، بدلا من تلك الطريقة الخطابية العقيمة التى يصر عليها أنصار الفصل بين العلوم، وأنصار القصام بين درس الدين ودوس العلوم الأخرى، فنحن نريد نماذج أخرى، فربما كانت هاديا لمن يضفون كتب الدين للتلاميذ؟

جـ : الذى يبهر الناس الآن هو القوة الذرية، هو الانشطار النووى، هو تحطيم الجوهر الفرد، وهو الجزء الذى لا يتجزأ. أى : الذرة.

ظن المتعصبون ضد الدين أن هذا الاكتشاف يهدد الدين، وخاصة الاسلام، فقال:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾

وقد تبينت الحقيقة بعد تحطيم الذرة أن هناك شيئا أقل من الذرة.. اذن الذى يعمل أقل من الذرة ماذا يكون حكمه فى القرآن؟

ظنوا أن ذلك يهدد القرآن، لأن جعل الذرة أصغر ما فى الوجود، ولكنهم أخذوا الظاهر، ولم يستوعبوا أى القرآن.

هناك آية أخرى تقول:

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ﴾

أصغر من الذرة، وهو الجزء الذى يسـمى الالكترون والبرتون. وكلمة (أصغر) فيها الرصيـد الإلهى العالم بالغيب كله، لأن أصغر مرحلة تأتى بعد صغـير. يوجد صغيـر ويوجد أصغر، فهنا ذرة، فـلا يأتى أصغر الا بعد أن يوجد صغير. فذرة وصغير وأصغر.

لو أن المعلمين فى المعـاهد أدركـوا ذلك حين يعجـبون باخـتراع مـثل انقسام الذرة، وسمعوا أن قرآنهم مس هذه الأشياء، لأن الذي قال القرآن هو الذى قال هذه الحـقائق.. لتحول الاعجـاب إلى القرآن بدلا من هذه المخترعات.

وحينمـا تدرس الجغـرافيا وتـتعرض لنظرية كـروية الأرض، ثم لدورة الأرض، ثم يأتى نزول المطر فى عـالم الطبيعـة.. لو أن المعلم كان على بصر بدينة، وعلى معرفة بقـرآنه، وبمعطيات ذلك القرآن لكان يستطيع أن يثير اعجاب تلميذه وسروره.

يقول له: انظر إلى قرآنك كيف تعرض لهذه المسألة بطريقة تعطى لكل العقول غذاءها، فى كل عصـر من العصور.. لقد انتهى إلي أن الأرض كرة.. وأصبح ذلك أمرا مشهـديا، بمعنى أنهم عندما صعدوا إلى الفضاء وصوروا الارض قالوا: انها كرة أو شبه كرة.

وبعد ذلك أمر مشهدى محسن، فـالأمر مستدل عليه بالأدلة.. ظهور أعالى الأشياء قـبل أسافها.. مثلا كانوا يقـولون إن الانسان إذا سار أمام دائما ينتهى من حيث بدأ.

تجربة «والاس» فى البحـر، والخاصة بالأعمدة كل هذا كـانوا يستدلون به، ولكن المسألة أصبـحت مشهدا بأن القوم الـذين صوروا رأوها بالفعل بعيونهم وصور لها صور كرة.

والقرآن نزل كتاب كون، مس حقائق الكون على أنها واقعة ولكنه كان يحترم العقول المعاصرة فيقول: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ فيحضر العقل الذى لم يكن يعرف الحقيقة فيقول: مددناها. أى بسطناها. ما هو البسط؟ البسط يأخذ أشكالا متعددة، وأنت إذا جئت إلي قطعة من القماس ولففتها على مكعب، فأنت قد كعبت القماش.. لففته مربعا. يبقى ربعت القماش.. لففته على كرة يبقى كورت القماش. اذن لما الحق سبحانه يقول عن آيات الليل والنهار التى تظهر على الأرض: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾.

اذن ما دام تكويرا فيكون المكور عليه وهو الأرض كرة بالقطع.

ما معنى الكرة؟

معناها: انحناء سطح. وانحناء السطح كيف يأتى؟

شعاع البصر حين يمتد يرى شيئا، ثم ينحنى الشئ من مسار البصر إلى ألا يرى ومن الذي عنده قدرة امتداد لشعاع بصره حتى يدرك سطح الأرض إلى أن ينحنى سطح الأرض؟

اذن لا يمكن بالعين المجردة أن نرى هذا الانحناء. ولكن عندما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾. الخطاب لمن؟ للانسان بخصوصه أم لكل الناس؟ لكل الناس بالطبع. فإذا كانت الارض مسطوحة، فإن لها نهاية وحافة، والذى يقف هنا لا يجد أرضا أمامه، إنما يجد حافة، وتصبح (مددناها) غير واقع بالنسبة إليه.

اذن الأرض تمتد لكل راء، ولا لكل واقف على بقية، إلا إذا كانت مكورة، كلما مشيت تكون أمامك ممدودة، ولو كالنت غير كروية لا تصح كلمة مددناها..

اذن كلمة (مددناها) من أخذها دليلا على أنها مسطوحة فقد أصبحت دليلا على أنها كرة.

وأيضا فنحن حين علمونا نأتى بخيط ونمرره على المحيط، ثم نقيس الخيط على المسطرة نعرف المحيط.. وعلمونا طريقة أخرى: أن نحضر الفرجار ونقسم المحيط إلى مستطيلات صغيرة (١ مللى أو ٢ مللى) ونعد عددها ونضربه فى ٢ مللى يطلع المحيط. ولكن حين أخذت بالفرجار مستطيلا على المحيط أخذت (٢ مللى) و ٢ مللى هذه مستطيلة.

لكن إذا كانت الدائرة محيطها كبير فالمستطيل يطول.. وبالنسبة لدائرة الأرض فمستطيلها الذى هو قطاع منها يصبح أكثر من مستوى البصر ومرماه.

اذن لا يمكن أن تراه العين.

فالمدرس حينما يقول لتلميذة هذا الكلام ليثبت أن القرآن قرر كروية الأرض ولم يحتقر نظر الانسان العادى، فان التلميذ يعجب بدينه لا بنظريه «والاس».

هل كان لمحمد ﷺ معرفه بهذه الحقائق؟ هل كان يجازف ليصنع هذه الحقائق وبعد ذلك يأتى الكون بحقائق أخرى فتكفر به وينصرف الناس عن دينه؟

لا.. إن محمدا لم يأت بشئ، ولكن القرآن آيات الله والكون آية الله، فلابد أن تتطابق الآيات مع الآيات.. ومحمد يقولها وهو واثق من انطباقها فى المستقبل على ما يقوله القرآن، لأنه ليس من عنده ولكنه عند خالق هذا الكون.

فإذا ما تجاوزنا هذا الكلام إلى مسألة الدوران ، فهذه مسألة معقدة جداً، لأن الناس لا يرون الأرض وهى تدور بهم. لذلك لا يزال كثير

من الناس فى بعض البلاد الاسلامية إلي الآن لا يصدقون هذه الحكاية. . نقول له: لماذا؟ يقول: لأنى أراها ثانية. نقـول له: عجيب. كيف تعرف حركة المتحرك؟ لا نعرف حركة المتحرك إلا إذا قسناه إلى ثابت.

الانسان والسفينة. كيف يعرف أنها سائرة؟ إذا رأى الجبل أمامه. وبعد ذلك رأى الجبل الـثابت على الشاطـئ الآخر بعد أن كـان بينه وبين خط عمودى أصبح بينه وبين خط مائل. وبعد ذلك كلما ابتعدت السفينة يزيد ميل الخط.

اذن عرفت أنى متحرك عندمـا قست نفسى إلى ثابت. ولكن إذا كانت الأرض متحـركة بما عليها فـما هو الثابت الذي يمكن أن نقيـس به حركة الارض؟ لا يمكن.

هب أننا فى غرفة، والغـرفة مقفلة، وبعد ذلك هذه الغرفـة موضوعة هندسيـا على شكل آلة تدور كالرحى. . إذا كـانت الغرفة مـقفلة ونحن جالسـون فيهـا فإننا لا ندرك هذه الحركـة. فمواقـعنا بالنسبـة لأنفسنا لا تتغير. هذا أمامى وهذا جانبى، هذا على اليمين وهذا على الشمال.

لكن إذا فتحنا نافذة فى الغرفة، ورأينا شجرة تبدو مرة وتختفى أخرى عرفنا أننا نتحرك. . اذن لا تعرف حركة المتحرك إلا إذا قيس إلى ثابت.

القرآن يتعرض لهذه القضية التى تخالف العقول الفطرية التى عاصرت القرآن، فـيأتى الحق سـبحانه فـيمسـها مسـا، بحيث لا يخـدش العقل المعاصـر، ولكنه يعطى العقل غيـر المعاصر زاده أيضا. فـيأتى الحق ويمر على المسائل مر الكرام، ويقول: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾. الله!!

جعل فـى الأرض جبالا لئـلا يمتد بنا. والميـدان هو الاضطراب. لأن الأرض إذا كانت مخلـوقة على هيئة الثـبوت. فما الذي يجعلـها تميد أو

تتحرك. فما دام الله قال: حتى لا يمتد، فهى مخلوقة على هيئة الحركة.. والجبال مجعولة مثقلات فيها. ولكن كيف عرفت؟

يأتى «نيوتن» بقوانين الحركة

«الجسم المتماثل فى الكثافة حول محور لا يميد ولا يضطرب إذا دار حول المحور»..

«كل جسم متحرك لا يتغير فى اتجاهه ولا فى مقداره إلا بما يغير من هذا الاتجاه والمقدار من قوة أخرى» الله!!

اذن كتلة الأرض فى أى قطاع من قطاعاتها مساو للآخر، بمعنى أنى إن جئت وبينت عمارة ٢٠ مليون طن فانك، إن وجدت نقلا في مكان فتاتى بتعويض يعوض هذا الثقل، فيخف شئ من هذا وثقل شئ من هناك. ويسمى هذا بالقوة الطاردة.

ولو لم تكن كذلك لكان كل شئ زائد عن الكثافة يطير. كما اذا اتيت بكرة ووضعت عليها شيئاً آخر مخالفا لكثافتها، ثم ادرتها فان هذا الشئ يندفع خارجا.

وهذه المسألة مسها الله سبحانه وتعالى فى قوله ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾. وجاء فى آية أخرى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾. الله!!.

اذن مر الجبال كمر السحاب، هل السحاب يتحرك بذاته؟ لا يتحرك إلا بالرياح. اذن حركة السحاب بحركة الرياح اذن حركة السحاب حركة تباعة لحركة الرياح، اذن حركة الجبال تابعة أيضا. وما دامت ثابتة وراسية كالأوتاد فى الارض، اذن لابد أن تكون حركة الجبال تابعة لحركة الأرض.

يأتى واحد ويقول: هذا يوم القيامة.

نقول له: افهم النص هكذا: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾. وهل يوم القيامة يكون حسبان أم يقين؟ بل يقال: تحسبها: أى تظن أنها على هذه الحالة. اذن يوم القيامة يكون يقينا.

* * *

فشل الدعوة بالكلمة

س: وعلى طريق الدعوة الاسلامية تكثر التوصيات بمتابعه الوعظ والارشاد، وملاحقة الناس به فى أماكنهم، والجد فى تخريج أفواج أخرى من هؤلاء الوعاظ.. ونحن نلاحظ أن الوعظ لم يجد شيئا فى الماضى حتى نستنكر منه فى الحاضر والمستقبل.. فماذا؟ وكيف تكون الدعوة الصحيحة؟

جـ: ليست قيمة العلم فيما يعلم الانسان إلا أن يخرج العلم إلى حيز الوجود والتطبيق. وعلمك بالفضيلة إن لم تفعلها يكون شهادة ضدك مما لو كنت تجهلها.. وإذا لم يترجم العلم إلى تطبيق وسلوك عملى ظل علما نظريا لا فائدة منه.. قال الله تعالى:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.

والتطبيق العملى لابد أن يكون فى الواعظ والمعلم أولا.. بحيث لا يفهم الطالب أو السامع فى أى مكان أن هناك علما تحشى به الرؤس، وسلوكا آخر منفصلا على غير مبدأ ذلك العلم، لأنه حين تنفصل الكلمة عن السلوك تهدر قيمة الأخلاق وقيمة العلم.

نفرض أنك تربى ولدك بالكلمة طيلة عمرك على أن الكذب شئ قبيح ضار.. صفة خسيسة، وتحثه على الصدق وفضائل الصدق، ثم بعد ذلك جاء انسان وطرق بابك فقلت لولدك: قل له: أبى غير موجود.. حينئذ تهتز كل القيم فى نفس الولد، ويستقر فى ذهنه أن هناك كلاما يقال، وعملا يفعل.

وحين ينفصل السلوك عن الكلمة فذلك هو الفساد المطبق الذي لا يمكن علاجه أبدا فأنت حين تتعلم الصلاة والصيام، وبعد ذلك يراقبك والدك مراقبة غير مقصودة، فجلس معك وقد أذن الظهر والعصر، ولم ير منك أنك قمت إلي الصلاة، علم أن هناك كلاما يقال غير الفعل الذى يفعل. وتكون الأسوة سيئة للغاية. وإذا ما كانت الأسوة سيئة انهدم العلم وانهدمت قيمته، وأصبح الوعظ هباء وضياعا للوقت والمال.

* * *

بركة الحياة

س: بعض الناس يبارك الله حياتهم ومعيشتهم، والبعض الآخر ينتزع البركة من حياتهم ومعيشتهم، وأصحاب البركة المنزوعة يشكلون عطبا وفسادا فى الحياة دائما، فما هو السر فى ذلك؟

جـ : لو أن كل الناس أخذوا أعمالهم فأتقنوها للناس كما يتقنونها لأفسهم لما وجد فساد فى الحياة ولا عطب.. ولكن الواقع أن الأمر الذي يتعلق به يتقنه، والذي يتعلق بالآخرين يهمل فيه.

نقول له: أنت غبى.. الذي يقف هذا الموقف من قضية الحركة فى الوجود غبى غباء يعود عليه بالضرر كيف ذلك؟

أنت ليس فى يدك إلا حالة واحدة من حالات الحياة.. وكثير من الناس زوايا حياتك فى أيديهم. فإن أنت أتقنت وراعيت ربك فيما فيه حركة حياة الناس، رقق الله قلوب كل من يعمل لك كل زوايا الحياة ليتقنها لك.

وحينئذ نقول: فلان حياته فى بركة.. فلان مستقر.. فلان كيف يعيش؟

لابد أنه يتقن ما فى يده للناس، فيأتى الحق سبحانه وهو قاذف الخواطر فى القلوب حين يجد له عملا فى يد الغير ولو كان ذلك غاشا فيعطى له من الظروف ما يتقن لذلك الرجل وحده عمله.

حتى إذا أراد أن يغشه بسلعه رخيصة فربما يبحث عن هذه السلعة الرخيصة فلا يجدها، ولا يجد إلا السلعة البالية، فيعطيها له، حتى ولو قهر عنه.

اذن ما دام الانسان أتقن ما في يده للناس فالحق سبحانه وتعالى يقذف في خواطر الناس أن يتقنوا له ما في أيديهم من عمل له..

وبركة الحياة كلها من هذا اللون.

❊ ❊ ❊

حول الأمن الغذائي

س : يضج الناس بالشكوى من قلة الانتاج، ويفكرون بالتالى فى تحديد النسل لمواجهة مشاكل الأمن الغذائى، وفى الأجيال الماضية لم تكن هذه المشكلة موجودة على الاطلاق، بل كانت الأرزاق موفورة، والناس منطلقون فى الانجاب، فما هو السر فى هذه الشكوى من منظور الاسلام؟

جـ : الكسل عن استنباط أسرار الوجود هو السبب فى هذه الشكوى.. فالناس لم يستمعوا إلى قول رسول الله ﷺ «التمسو الرزق فى خبايا الأرض» ولم يستمعوا إلي قول الله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾[1].

وحين تصاب الأمم بقوم يكسلون، فإن الجيل الذى بعدهم يجوع.. لأنهم يؤدوا مهمتهم فى حركة الحياة.. ولو أنهم أدو مهمتهم فى حركة الحياة لكان التقدم موصولا.

---

(١) ضعيف : أخرجه الهيثمى فى المجمع (٧ / ٢٤٧) وقال : رواه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط وفيه هشام بن عبد الله بن عكرمه ضعفه ابن جبان ، والطبرانى فى الأوسط (١ / ٢٧٤) ، وأبو يعلى فى مسنده (٧ / ٣٤٧) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢ / ٨٧) والفردوس بمأثورة الخطاب (١ / ٨٠) ، والتمهيد لابن عبد البر (٦ / ١١٢).

لو نظرت إلى التفجر السكانى أو التطور إلي أعلى كما يقولون، لوجدت أن السبب هو تقصير الجيل السابق عن أداء مهمته فى حركة الحياة كما أمر الله.

لقد أراح الاختراع الحديث الانسان، وبعد أن كانت الحركة مطلوبة من الانسان أصبح يحرك آلة صماء لا تتعب ولا تكل، وتصنع ما يصنع آلاف من المتحركين، فكان من المفروض عندما يزداد العالم ان تزداد طاقة الحركة نتيجة لا زدياد عدد الآلات التى تعمل للناس.

فإذا حصل قلق من ناحية الجوع، فاعالم أن هناك شيئاً فى نفس الانسان أصابها، وهو أنها اغترت بما هيئ لها من زرق، وغفلت عن أن تهيئ للغير ما يضمن لها استمرار النماء.

فالذى يزرع النخلة وهو كهل يعرف أنه لن يأكل منها، ولكنه استغل طاقة لجيل آخر. فلو ظل الناس يزرعون ما يأكلون فقط، ما وجدت الأشياء التى تبطئ فى ثمارها، وبالتالى سنحرم منها مستقبلا.

اذن حركة الحياة لابد أن تكون موصولة.

- اذا وصل الناس حركة حياتهم فى نطاقهم فهل يكفى انتاجهم لاطعام هذه الأعداد الضخمة التى يشير اليها التعداد؟

- نعم استمع إلى قول الله تعالى:

﴿ئنكُمْ لتكْفُرُونَ بالَّذي خلَقَ الأَرْضَ في يوْمَيْن وتجْعلُونَ لهُ أَندادًا ذلك ربُّ العالمين ۞ جعل فيها رواسي من فوْقها﴾إن فالأقوات فى كون الله موجودة.. ولكنها موجودة بالقوة، وليست موجودة بالفعل. ومعنى موجود بالقوة أنه موجود بالعناصر الصالحة لايجاده، فإن أردت أن توجده فأعمل طاقتك وذهنك وفكرك.

مثلا: يحضر الرجل لزوجته تموين البيت كله، من سمن وأرز ولحم. هل يكفى ذلك فى ان يهئ وجبة طعام؟ أم لابد من عمل يومى فى المطبخ؟

هكذا مادة الكون مثل التموين الموجود فى البيت.. وبعد ذلك يطلب منا الحق أن نعمل عملا. ولكن فى المرحلة النهائية الكون فيه عناصره، فيه وسائل الخير، بدليل أننا نفكر فى استصلاح الأراضى.. لماذا لم نفكر فى ذلك فى الماضى؟

حينما تجد ضيقا فى رزق الله فاعلم أن هناك كسلا.. وإذا لم تجد كسلا فأعلم أن هناك قوما نشيطين قد أخذوا خير الله بأعمالهم، وضنوا به على الغير.

❊ ❊ ❊

عظمة الصلاة

قال أبو جهل: إن رأيت محمدا يصلى لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه بالتراب.

ثم ذهب بعد ذلك لانجاز ما قال، فإذا به يكر واجفا. وحين سألوه: ما دهاك؟

- لقد وجدت بينى وبينه خندقا، ورأيت أشياء لها أجنحة. ولو تقدمت منه لأخذتنى.

وحينما سمع النبي ﷺ بهذه القصة قال: «والله لو دنا منى خطفته الزبانية»[١].

* * *

(١) ضعيف : أخرجه الهيثمى فى المجمع (٧ / ٢٠٩) وقال : رواه الطبرى وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف ، والطبرانى فى المعجم الكبير (٨ / ١٦٧).

سفاهة بعض الوعاظ

س: بعض الوعاظ والخطباء يتاجرون باسم الدين، فيحاولون تغذية عواطف السفلة من الناس بتوزيع الشتائم والسباب المقذع، والمرارة فى النقد، وفرح هؤلاء بالتفاف المرضى والشذاذ من حولهم.. وكذلك تفعل بعض أجهزة الاعلام المنسوبة إلي الدين باسم الصحابة.. وقد شرع اللين والأدب فى الدعوة فما هى الأبعاد العملية لتشريع الدعوة فى الاسلام؟

جـ : إن الدعوة إلي الله تعالى وإلي دينه يجب تبنى على سماحة العرض، ولين القول، والموعظة الحسنة ، والجدل الحكيم، لأن ذلك لم يقنع خصمك، فسيعطيه الدرس القاضى بأنك انسان مهذب بمنهج الله.

لا تعرض على الناس ما يخرجهم مما ألفوه بأسلوب يكرهونه، فتكون قد جمعت عليهم مشقتين: مشقة اخراجهم مما زلفوه واعتادوه، ومشقه الطريق المؤدى إلي ذلك، من سوء الأدب وعدم الحكمة فى الموعظة.

لذلك نجد الأدب العالى فى منهج القرآن: ان الرسول ﷺ يعلمه الله أن يدعو لخصومه فيقول:

(قل) يامحمد. أى قل لخصومك ﴿لاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ يعنى كل واحد منا محاسب على عمله، فأنتم ياخصومى، يعنى ياخصوم الاسلام لا تسألون عما أجرمنا. فنسب الاجرام إلي نفسه، لأنه هكذا يراه خصومه. ولكنه حين رد الأمر بالنسبة اليهم قال: ﴿وَلا نُسْأَلُ عَمَّا﴾ كان قياس الكلامان يقول: عما تجرمون تجرمون. ولكن الله يعلم نبيه عليه

الصلاة والسلام أدب الجدل فيقول :﴿وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ . . ولا يذكر الاجرام.

هذا بالنسبة لمن تحقق عند الله أجرامهم، ومع ذلك لم يجابههم بالاجرام. بل أسند الاجرام إلي نفسه وقال عنهم ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ .

فانظر إلى أدب الجدل كيف يسمو بصاحبه إلى منطقة تقرع المجادل، وتلذعه بالسياط، وتعلم أن الذى يجادل لا يجادل بشهوة البشر فى الاستعلاء، ولكنه يجادل بمنطق الحق فى السماء. هكذا يجب أن يكون عرض الاسلام. . وهكذا يجب أن نستقبل كل خصومة للاسلام.

- وماذا نفعل اذا علا صوت الباطل على صوت الحق، واستطاع المبطلون أن يصبحوا قوة تهدد شرائع الاسلام؟

- الاسلام يطلب منك ألا تدع للفتنة بذورا تكبر، بمعنى أنك إذا كان خصمك فى الدين أحب أن يعيش مسالما لك، وهو فى تصوراته وتشخيصاته، وهو تارك لمنهج الله الذى آمنت به الأغلبية أن يسيطر، مادام لا يظاهر علينا، ولا يقاتلنا فى ديننا، ولا يحاول أن يخرجنا من أرضنا، فى حضانة رحمة هذا الدين فله ذلك.

أما اذا فكروا تفكيرا غير هذا فالاسلام يتطلب منا أن نضرب على آيديهم من أول الامر، حتى تكون كلمة الله دائما هى العليا.

لماذا؟

لأنه إذا أصبح ظاهر الأمر فى بعض الأحايين أن أصحاب الحق صاروا دون أنصار الباطل. . فذلك درس يعلمه الله للبشر.

كيف يكون أمر الحياة إذا ما علا الباطل في الأرض؟

إن لم تلدغ بباطل يغلب علينا ويستند لنا، فلن نجد الدليل على صحة منهج الله . أما أن يترك الحق أمر الناس إذا قصروا فى أمور دينهم،

واستعلى عليهم أصحاب الباطل فلا. لابد أن يلدغ الباطل أصحاب الحق، فلا فرق بين أن يسيطر حق، أو يسيطر باطل.

اذن يجب علي كل داع أن يقف الموقف الذي يؤيد حق اسلامه.. لكن بأدب الجدل، وقوة البرهان ولا يستعدى أحدا على أحد الا بمنطلق الحق.

والإسلام يأمر دائما بالدعوة إلي الله على بصيرة ووعى.

﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

* * *

ذكر عيوب الآباء للأطباء

س : سيدة مـرضت بمرض نفسى بسبب سوء معـاملة والدها المتوفى، فاضطرت أن تعالج عند طبـيب نفسى، واضطرها العلاج إلي أن تذكر له المعاملات السيئة التى لاقتـها من أبيها، وضميرها يؤنبها لذلك، والعلاج يقضى بالاستـمرار فى الحديث عن الأب.. فما الحكم فى ذلك ؟ ومـا حكم بقـائهـا مع الطبـيـب مـدة طويلة منفردين، مع أنه طبيب مسلم ومؤتمن؟

جـ : أولا: ما معنى العلاج؟ إنها كلمة تؤدى معني المجادلة.. فنحن إذا أردنا أن نخلع مسمار من الخشب، فـإننا نحركة يمينا ويسارا، ثم أماما وخلفا، ونكرر هذه الحركة، لمحاولة الخلع.

اذن فالعلاج هو محاولة الوصول إلى هدف بأسباب.

والطب يعالج ولا يشفى، فـهو يحاول أن يأتى بالأسباب، لعل سـببا يصـيب الداء فيـشفى.. عنـدما عـجز الطب عن ادراك سـبب عضـوى للمـرض قـالوا عنه: إنه مـرض نفـسى. أى أن السـبب فى هذا المرض مجهول لنا.

وتبين لنا بعد ذلك أن كثير من الأمراض النفسية تتسبب عن اختلال فى أجهزة بالجـسم، لكننا لا نعرفها، مثل غـدة صغيرة جداً فى حـجم حبة السمسم.. وعندما يحـدث اختلال فى افرازها يحدث لصاحبهـا اكتئاب نفسى - أو أى عرض آخر.

وقديما لم يكن العلم قـد توصل إلى أن كل انفعال أو ادرك فى الحـياة البشرية إنما يترك أثرا عضويا نتـبينها، وإذا اختل توازنها انقلبت الموازين، فعندمـا لأن فى الانسان أجـهزة بلغت من الدقـة درجة لا نكاد يتـعرض

الانسان لصدمــة تتأثر تلك الزجهزة فــتنقبض فإذا استطــاع أن يتحدث مع المريض ليكشف ســبب الصدمة، ويوضــح له وهمه فيــها، انبــسط الجزء المنقبض مرة زخرى.

اذن فكل تأثير على الكائن الحى يفيد شيئا فى كيماويته، وقد لا ندرك ذلك فى حينه، إلا أنه يحــدث فيه اختلالا، ولا ضــرر فى أن أعالج هذا الاختلال.

وأما عن ذكر ما أصحاب السائلة من سوء معاملة أبيها المتوفى للطبيب فلا ضــير منه، مادمت تقــصدين بذلك مــعاونته على تشــخيص المرض، والمنهى عنه هو قصد التشفى، أو تبرير غدم البر والصلة مثلا.

وفى هذا المجــال أحب أن اذكر أن الله تعالى قــال عندما أوصى بــالبر بالوالدين فقد ذكر سببين:

أولهما: أى انهما سبب فى الوجود.

والسبب الثانى: التربية.

قال تعالى:

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ .. وهناك يظل حق الانسان ثابتــا لهما وان لــم يربيا. وفى آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

وبذلك فإن حق التــربية ينتقل إلــى من ربى وإن لم يكن والدا.. وأما من تجتمع فيه الصفتان فيصبح له حق الوالدية، وحق التربية.

وبالنسبــة للبقــاء فترة طويلــة مع الطبيب المعالج فــلا شئ فيــه ما دام الطبيب مسلما مؤتمنا، وما دام العلاج يقتضى ذلك.

❊ ❊ ❊

ولاية الله

س: يتـردد الناس على بعض الصـالحين على أنهم أوليـاء الله، وأنهم أعطوا بعضا من علم المغيبات. . فمن هو ولى الله على الحقيقة؟

جـ : حين يتخذ الله من انسان وليـا، فإما أن يكون من فيض جوده، أو من بذل المجهود، فالله لا يحكمه سبب، كأن لا يصل إليه إلا من أطاع.

فـمن الناس من يصل بطاعـة الله إلي كـرامـة الله. . ومنهم من يصل بطاعة الله إلى كرامة الله . . ومنهم من يصل بكرامة الله إلى طاعة الله. . هذا يطيع الله أولا فيكرمه الله. . والأخر يكرمه الله أولا فيطيعه.

فلو أن كل شئ لا يحـدث إلا مترتبـا على سببـه، واستمـرت الأمور هذا، ليئس المسرف على نفـسه من رحمة الله. . واذن لزوال الله سلطانه مرة أخري.

ولكن طلاقـة القدرة لله، وهو سبـحانه يفـعل ما يشـاء، ولذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ .

كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾.

فلا شئ يحكم الله سبحانه وتعالى جلت قدرته. . أن أقرب الناس إلي الله الذين لا يعـلمـون هذا. . وأتعـت الناس فى الوصـــول إلي الله هم العلماء، لأنهم يناقشون، ويتباهون بعلمهم، فيصيبهم الغرور.

ولقد عـرفنا أن سيدنا عمـر رضي الله عنه وقف ليستـسقى، فلم ينزل الماء ، وفى طريق عودته وجد عـبدا عجوزا يقف يستسـقى وحده، فقال عمر: والله ما وضع يديه حتى نزل الماء بغزارة. فذهب عمر إلى النحاس

(تاجر العبـيد) وطلب منه عرض عبيده.. فظن النحـاس أن أمير المؤمنين يريد عبيدا، فـعرض عليه الأقوياء، المفتولى السـواعد، ثم قال: لم يعد عندى ياأميـر المؤمنين إلا عبد هو كل على مولاه.. فلمـا رآه قال: أهذا أنت؟

فنظر إليه الرجل وقال: «اللهم كما فضـحتنى بين خلقك، فخذنى غير مفتون» فقبض من ساعته.

إن ستر العيب نعـمة كبيرة.. أنعهما الله علينا.. ومعـرفته هتك لهذه النعمة، فلنترك الأمور تقع، لأننا نعرف أمرا محزنا، فنعيش فيه معزولين عن اللطف الذى يأتى به الله عز وجل مع الحدث.

ثم إن هناك أمرا آخر، هل إذا عـرفت غيبا استطيع بمعـرفته له أن أمنع حدوثه؟ لا يمكن طبعا.

اذن لماذا هذا التـعب الذى أجلبه لنفـسى.. وعلى كل انسان أن يـترك أمـوره لله، ما دمت لا أملك من الأمـر شـيئـا.. ولذلك خلق الله هذه الأشيـاء ليزيـدنا اطمئنانا ورسـوخا، وتعـبنا، لا أن اتشتت بهـا فكريا، وأشغل بها بالى.

* * *

طفل الأنابيب

س : هل يعتبـر الانجاب عن طريق الأنابيب خروجـا عن شريعة الله، وتحديا لارادته؟

جـ : مـا الخروج عـلى شريعـة الله فى هذا؟ ومـا الذى فـعله هؤلاء العلماء؟

إنهم يأخذون بويضـة المرأة وحيوان الاخـصاب من الرجل، ويهيـئون لهما مناخـا مناسبا، ومرحليا، لوجـود عطب عند الزوجة، مما لا يسمح لها بالحمل فى تلك المرحلة، ثم يعـيدون الأمور بعد ذلك إلى طبيـعتها. فما الذى اخترعوه من عندهم؟

فمن غيـر المعقول أن نتحدى ارادة الله بما صنع لنا هو سـبحانه.. ولو أن الأمر فيه تحد لقلنا لهم: هاتوا بويضة وحيوانا منويا من عندكم.

وهذه المحـاولات وجدت أسـاسا لحل مـشكلات مـرضيـة عند بعض السيـدات، فنحاول أن نقلد المثال الصـالح الذي أعطانا الله أياه، فنجعل للأنابيب البيئة، ودرجة الحرارة والرطوبة، وكل شئ فيها مماثلا لرحم الأم الطبيعى، والموجود فى الأصل.

اذن أنا آخذ مصنوع الله لأصنعه فى بيئته على وفق مصنوع الله.. فأنا أستلهم من الله.. اذن فأين التحدى هنا؟

ولكن يأتى الكلام إذا أخذنا بويضة غير زوجة لحيوان منوى لغير زوج. ففى هذه الحالة ينسب الطفل .

❊ ❊ ❊

اللعان

س : فى الشريعة الاسلامية شئ اسمه اللعان فما هو؟

جـ : هو ما يحدث عندما يرمى زوج زوجته بتهمة الزنا ولا شهود عنده إلا نفسه، فيشهد اربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين.
والخامسة يقول فيها لعنة الله علي أن كنت من الكاذبين.

فى هذه الحالة ماذا يكون موقف المرأة؟

هل تثبت عليها تهمة الزنا بذلك؟

إذا سكتت عن قسم زوجها، يكون الزنا قد ثبت عليها.

ولكن إذا شهدت بالله العظيم أربع مرات أنه من الكاذبين. وفى الخامسة تقول: غضب الله عليّ إن كان من الصادقين.. فتكون بذلك قد دفعت عن نفسها تهمة الزنا. إلا أنه لا تستقر الحياة بينهما، ويفرق بينهما بما يسمى تفريق اللعان، وينتهى الأمر بينهما وحسابها عند الله تعالي.

ولقد نزلت آية اللعان عندما سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ قائلا: إذا دخلت على أهلى ووجدت رجلا معها، وتركته حتى آتى بأربعة شهود يشهدون؟ فأنزل الله آية اللعان.

ونلاحظ أن الرجل يدعو على نفسه بلعنه الله إن كان كاذبا.. بينما تدعو المرأة بغضب الله عليها إن كان من الصادقين.. وهذه لأن اتهام المرأة بالزنا أفظه من اتهام الرجل ، لأن زنا المرأة يسبب اختلاط الأنساب.

* * *

اقـرار وانكـار

س : قال الله تعالى فى الأعراف ١٧٢ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ . . كيف يعتـرف الناس هنا بالله، ويجيبون بنعم. ثم يخـتلفون بعد ذلك فى الله؟

جـ : الحقيقة أن الله سبحانة وتعالى أشهد الناس على ربوبيته. . وهى شئ لا يختلف عليه أحد. . والله سـبحانه هو الذى يعطى عطاء الربوبية عطاء متساويا للجميع.

فالشـمس ترسل أشعتـها للكافر والمؤمن سـواء بسواء، ولا تأتى على أرض المؤمن فتشرق عليها، ثم تحتجب عن أرض الكافر.

وكذلك الأرض تنفعل لكل من حرثها، ووضع البذرة فيها، ثم سقاها بالماء، سواء كـان هذا الإنسان مؤمنـا أم كافرا. . فـهى لا تفرق بين هذا وذاك، وإنما تعطى للشـخص بقـدر عمـله واخلاصـه فى زرعـها وريهـا والعناية بشئون الزرع.

هذا كله عطاء الربوبية.

فلا أحد يستطيع أن يقول أنه خلق الشمس، ولا أحد يستطيع أن يقول أنه أوجـد الأرض، ولا البـحار ولا الـريح، ولا الجبـال، ولا خـواص الغلاف الجوى، إلي آخر ما نستفيد منه جميعا.

هذا عطاء الربوبية خـصصه الله للانسـان على اطلاقه، ولم يخصـصه لمؤمن دون كافر.

ولا أحد ينكر عطاء الربوبية لأنه ظاهر، ولا أحد يمكن أن يدعيه لنفسه من دون الله. اذن فعطاء الربوبية لا يختلف عليه أحد.

ولكن المسألة هى فى العبادة والتقرب إلي الله.. فالله تعالى قد قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ولم يقل: ألست بإلهكم.

اذن فعطاء الربوبية الذى نراه أمامنا واضحا جليا كان يجب أن يقودنا إلى العبودية لله سبحانه وتعالى.. ولكن الناس اختلفوا فيما بعد الربوبية.

* * *

ذكر للعالمين

س: يقول الله تعالي: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ التكوير ٢٧. أى القرآن، والذكر هو التذكير، فهل علم الناس شيئا ونسوه حتى يذكرنا به الله تعالى؟

جـ: نعم.. علمنا الإيمان بالفطرة.. الإيمان فينا بالفطرة.. وقضية الدين دائما تتبعها الغفلة. لماذا؟

مثلا لماذا لم يغفل الانسان أو لا يغفل عن صنع الخبز؟ وهى عملية منقولة إلينا عن الآباء.. هم الذين علمونا كيف يطحن الحب ويعجن ويترك حتى يخمر ثم يخبز.. وقالوا لنا: إنه إذا لم يترك حتى يخمر فسد الخبز.. وحرصنا على ذلك. ثم سمعنا منهم عن منهج الله، ولكننا لم نحرص عليه.. لماذا؟

لأن المنهج يقف دائما أمام شهوات النفس فى أن تغتصب ما لا حق لها فيه، وأن يعتدى على الضعيف، وأن تحصل على مال بدون وجه حق، والنفس بطبيعتها تريد أن تتملك، وأن تملك بلا حدود.

ورغم علم الانسان أنه سيأتى إليه يوم قريب أو بعيد يترك فيه هذه

الدنيا، ويخرج منهــا كما دخل لا يحمل شيــئا من متاعها ولا زخــرفها، رغم علمنا بذلك فان الطمع البشرى يجعلنا نريد أن نملك ونملك.. حتى ولو عرفنا أننا تاركوه.

فالله تعالى حين يقول : ﴿ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ يعنى بذلك أن هناك قضية.. هى قضية الغفلة.. الغفلة من المنهج.. والله تعالى يريد أن يذكرنا بها.. لعلنا نناقش أنفسنا.. وأن نذكر أبناءنا ومن حولنا.

* * *

ولكن الآباء يقومون بهذه المهمة

- لا.. فالعــجيب أننا فى أشــياء كثيرة جدا نتــرك التذكيــر تماما.. فالابن إذا أصيب بمرض، فإن الأب يأتى له بأمــهر الأطباء.. وقد يحمله من بلد إلى بلــد، باحثا عن أحداث مــا وصل اليه الطب، طلبا للشفاء.

ولكنه إذا عــرف أن ابنه لا يصلى، تجـاوز ذلك ببــساطة، ولم يذكــره بالصلاة.

* * *

لباس الجوع والخوف

س : يقول الله تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ النحل (١١٢). ونحن نفهم أن الجائع قد يتذوق لباس الجوع والخوف. ولكن كيف يذوقه الشبعان؟

جـ : لنتأمل سويا معنى هذه الآية. . إن الله تعالى يضرب لنا المثل بقرية تحيا فى اطمئنان. . يأتيها الرزق من كل اتجاه. . لكنها لم ترع حدود الله فى هذا الرزق. . فلم تداوم على استخراجه. . أو داومت علي استخراجه ولكنها لم توزع عائده بما يرضي عدل الله.

هنا يجعل الله في أيامها مذاق الجوع والخوف ويكون هذا المذاق شاملا لحياتها في كل التفاصيل، بحيث لا يوجد انسان لا يشمله الجوع والخوف.

فكأن الجوع والجوع لباس يضم كل عناصر حياة أهل هذه القرية.

واذا سألنا: كيف يحدث ذلك؟

فإن الإجابة تأتينا من تصور وضع هذه القرية.

إن الجائع فيها سيهدد الشبعان. . وهنا يصيب القلق الجائع والشبعان جميعا. . وهكذا ينبت الخوف فى أعماق الجائع وأعماق الشبعان معا.

هنا يصبح القلق والخوف هما لباس كل انسان فى هذه القرية. . وهنا يصبح مذاق الخوف متبادلاً بين الجائع والشبعا.

الجائع جائع لطعامه. . والشبعان جائع لأمانه . . وهنا لا يصبح هناك مفر من الجوع والخوف.

وهكذا يصور لنا الحق سبحانه وتعالى هذا الموقف بدقة، حيث لا يشفى واحد فى الكون فقط، ولكن يشقى الكون كله.. ولا يقتصر التعب على فرد واحد.. ولكن ينتشر التعب فى الكون كله.

والسبب في ذلك أن حدا من حدود الله قد تعطل.

* * *

لا تطغوا فى الميزان

س: يقول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ الرحمن ١:٧.. ما هو التسلسل التعليمى الوارد من الحق لعباده فى هذه الآيات.. وما غايته؟

جـ: فى الآيات نرى التسلسل فى المهمة على ظهر الأرض.

فى البدء كان الله الذى علم الانسان بالقرآن، وتعلم الانسان البيان الواضح من الحق سبحانه وتعالى. وتعلم الانسان من الظواهر التى خلقها الله سبحانه وتعالي.

فالشمس تسير بنظام.. والقمر بحساب.. والنجم يسجد لله.. والشجر يسجد لله.. والسماء مرفوعة بميزان.. كل ذلك يجرى بنظام عادل.

وعلينا أن نقيم - نحن البشر - ميزان العدل فى الأرض.. لا طغيان فى ميزان حدود الله.. حتى لا نصاب بالخسران.

وعلينا أن نضع أمامنا الغايات الواضحة، وأن نتبع الوسائل التى

حددها الله . . فالغاية قبل الوسيلة . . والوسيلة لابد أن تكون واضحة فى قدرتها على تحقيق الغاية .

والذى يرهق الناس أنهم لا يعرفون الغايات إلا بعد أن يسيروا بالوسائل . لكن الذين يحددون الغايات ، ويتعرفون على الوسائل ، ويستفيدون من التجارب ، هم الذين يصلون إلي روح الجمال فى هذا الكون .

- إذا كان الأمر كذلك ، فلابد أن نتلمس الغايات أيضا كما حددها الله تعالى ، فما هى الغايات المحددة للإنسان اذن؟

- الحق سبحانه وتعالى حدد الغاية من خلق الانسان ، وهى : أن نعبد الله . . وأرسل لنا المنهج الذى نعبده به وهو القرآن .

وهنا تصبح غاية الإنسان عبادة الله . . والإنسان نفسه غاية كل الموجودات التى سخرها الله لخدمته . . والكون منتظم لخدمة خليفة الله فى الأرض وهو الانسان .

الشمس لا تتمرد على مهمتها . . ولا القمر . . أما ما تركه الله لاختيارنا فإن المسائل تضطرب إذا لم تقم ميزان العدل فيه . . لذلك أوصانا الحق أن نقيم الوزن بالقسط ولا نخسر الميزان .

إن أقمنا منهج الله كان النجاح . . وإن لم نقمه كان الخسران .

* * *

من أعلام النبوة

حين بعث الرسـول ﷺ جيش «مـؤتة» أخبر بتـتابع الثـلاثة: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبى طالب، وعـبد الله بن رواحة، وقال: إن قتل زيد فالأميـر جعفر، وإن قتل جعـفر فالأمير ابن رواحة، فـإن قتل فليرتض المسلمون رجلا من بينهم.

وبعد ذلك بمدة نادى منادى رسول الله ﷺ فى الناس «الصلاة جامعة» ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان ، وقال: «أيها الناس، أخبركم عن جيشكم هذا الغازى إنهم انطلقوا فلقوا العدو، فقتل زيد شهيدا، فاستغفروا له.. ثم أخذ الراية جعفر، فشد على القوم حتى قُتِلَ شهيدا، فاستغفروا له.. ثم أخذ الرايـة عبد الله بن رواحـة، وأثبت قدمـيه، حتى قـتل شهـيدا، فاستغفروا له.. ثم أخذ الراية خالد بن الوليد»(١).

كل ذلك ولم يكن أحد عـاد من الغزوة، وإلا لوجد المشـركون فى رد هذه المعجزة دليلا على أنه أخبر بعد أن أبلغ من بشر.

ولما قدم يعلى بن أميـة رضي الله عنه على النبي ﷺ ، وهو أول وافد بخبر الجيش قال له النبي ﷺ: «إن شئت فـأخبرنى، وإن شئت أخبرتك». قال : فأخبرنى يارسول الله لأزداد يقينا.

فأخبره رسول الله ﷺ الخبـر كله، ووصف له ما كان، فقال: «والذى بعـثك بالحق ما تركـت من حديثـهم حرفـا واحـدا، وان زمرهم لكمـا ذكرت»(٢).

---

(١) حديث : أخرجـه أبو داوود ، كتاب الجنائز ، باب الجلوس عند المعصـية حديث (٢٧١٥) . وأحمد حديث (١٦٥٩) و(٢٢٠٣).

(٢) الحديث السابق .

المعراج

س: حينما تعرض القرآن الكريم للإسراء تعرض له صراحة.. وحينما تحدث عن المعراج تحدث عنه التزاما.. لأنه لم يقل: سبحان الذي عرج به من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى؟ بل قال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ - إلى قوله - وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ النجم ١: ١٤.. فاللازم من وقوفه عند سدرة المنتهى أنه صعد اليها، ولكنه تعالى لم يذكر ذلك صراحة.. فلماذا؟

جـ: إن هذا من رحمة الله بخلقة.. الأمر الذى أمكن لرسول الله ﷺ أن يقيم الدليل المادى عليه لسكان الأرض أتى به صراحة.. أما الأمر الذى قد تقف فيه العقول بعض الشئ فقد تركه لمدى يقينك الإيمانى، أو مدى تسليمك بالمقدمة التى تلى النتيجة الأخرى.

لأنك أنت ما دمت مؤمنا فستقول: ما دام صنع به كذا فيما أعلم، اذن يصنع به كذا فيما لا أعلم.

لأنه حين يكون قد طرق لي القانون، يكون قد خرق لى القانون.. فما المانع ما دامت صيغة القانون هى هى؟

أيكون قانون السماء صعبا على الله، وقوانين الأرض ليست صعبة عليه ما دام قد غير القوانين؟

وهل المعجزات التى أمد الله بها رسله عليهم السلام إلا خرق لنواميس الكون، وخرق لقوانينه، وخرق لحقائقه؟

وما دامت خرقا للقوانين، فلا أستبعدها أن تحدث لرسول الله ﷺ.

دفع شبهة عن القرآن

س : يقول الله تـعالى : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الـلَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ المنافقون ١ . هم قـالوا: انك لرسـول الله . وهو رسـول الله حـقـا، فكيف سماهم الله تعالى كاذبين مع أنهم قـالوا الحقيقة، وهى أنه رسول الله؟

جـ : نقـول: إنك أخذت مـتعلق الـفعل، وتركت الفـعل. . هم لم يقولوا: انك لرسـول الله فقط. . هم قالوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ . . فالتكذيب فى قولهم (نشهد) لأن هذه ليست شهادة ، لأنه كلام من لسانهم لم يصادف ايمانا فى قلوبهم.

فالتكذيب ليس لقولـهم: إنك لرسول الله، بل لقولهم : ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الـــلَّهِ﴾ . . لأن الشـهادة أن يقـول اللسـان قولا مطابقـا لما في الضمـير. . وهم غـير مـؤمنين بذلك، بل قالوها بألـسنتهم، وهم غـير مؤمنين بذلك، بل قالوها بألسنتهم فقط.

* * *

ما لا عين رأت

س: يقول الرسول ﷺ عن نعيم الجنة: «فيها ما لا عين رأت» إلى آخر الحديث. ولكن الله تعالى حدد نعيم الجنة بأنهار اللبن، وبالأعناب ولحم الطير، والحور المقصورات، وغيرها، وهذه كلها أشياء رأتها العين وسمعت بها الأذن.. فما هو القول في ذلك؟

جـ: كلام الرسول حق.. وقد أيده الله فى قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ﴾.

واذ كانت النفوس لا تعلم شيئا عما أخفى لها، وإذا كان ما فيها لم تره العيون ولم تسمع به الآذان، ولم يخطر على القلوب، فكيف يوجد فى لغة الناس ما يؤدى معانيها؟

يوجد المعنى فى الذهن أولاً، ثم يوضع له اللفظ الذى يؤدى معناه، اذن فلا لفظ فى اللغة إلا وقد سبق الذهن إلى معناه.. فهل عندنا فى لغتنا ألفاظا تؤدى مدلول هذه الأشياء؟ لا.. فمن أين تجيئ الألفاظ التى تؤدى هذا؟

وإذا لم تكن عندنا ألفاظ تؤدى ما فى الجنة من نعيم فالله أعطانا أمثالا لها من نعيم الدنيا. ولذلك قال: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾.. ولم يقل: الجنة التى وعد المتقون. وحتى المثل معدل، ﴿أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ﴾ معدل ﴿غَيْرِ آسِنٍ﴾، ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾ معدل ﴿لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾، ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ﴾ معدل ﴿مُّصَفًّى﴾ محمد ١٥.

اذن حين يقول: إنى أعطى لكم أمثله من الدنيا لنعيم الجنة، فهذه الأمثلة معدلة، وليست كما هى فى الدنيا.

- اذن ما الحكمة فى أنه تعالى جاء بها على هيئة ما نحن فيه من الدنيا، ولم يجيئ بأشياء ليست موجودة فى الدنيا؟
- لأن الف النفس للأشياء هو الذى يشجعها على تناولها . . فأنت إذا ذهبت إلي مكان من الأماكن، ثم وجدت فاكهة لا يوجد فى بيتك مثلها، هل تقبل عليها؟ لا . . بل تتهيبها .

اذن فمجيئه مشابها لفواكهه الدنيا أو نعيم الدنيا يجعلك تتناوله بدون غضاضة، ثم بعد ذلك تحكم بأنه مخالف لما كان فى الدنيا . لأنه لو جاء من غير الدنيا وبما زهدت النفس فيه .

* * *

من مواقف الآخرة

س : يقول الله تعالى عن الناس فى الآخرة: ﴿لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ النبأ (٣٧). . ما معنى هذا، ولماذا؟

جـ : معناه: أن الخلق كلهم مقهورون. . فكما كان هناك قهر فى الخلق أولا، كان قهر في الحساب ثانيا.

لماذا لا يملكون منه خطابا؟

لأن الحق سبحانه حينما خلق الدنيا، جعل فيها أسبابا هو خالقها أيضا، ولكن الانسان قد يغفل بالسبب عن المسبب. . تبقى الأسباب هى التى أمامه دائما.

لكن فى الآخرة الأسباب ممنوعة، والإنعام كله من الله مباشرة، والمسألة ليس فيها، وسائط، بل أصبحت فى القدرة المباشرة. . فى(كن).

وإذا كانت المسألة هكذا، اذن لا يملك أحد من الله خطابا. ليس منكم فقط؟ بل من الذين ﴿لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ . . قال تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ النبأ (٣٨).

* * *

- إذا كانوا فى الدنيا لم يقولوا إلاصوابا، فهل من المعقول أن يقولوا فى الآخرة غير الصواب؟
- ما معنى الصواب الأول؟

الصواب هو: موافقة الحق والواقع. . هذا هو الصواب. . والله تعالى لا يأذن لأحد أن يشفع لأحد وإلا لمن رضى الله أن تكون شفاعته

مقبولة.. اذن ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ يعنى: لا يشفع إلا باذن الله، والله لا يأذن لأحد بالشفاعة لأحد إلا وهى مقبولة.

يعنى: ساعة ما يقول له: اشفع لفلان.. يبقى معناها: شفاعة مقبولة.. يعنى: مجرد الإذن بالشفاعة اعلام بالقبول.

* * *

- وما فائدة الشفاعة اذن ما دام مجرد الإذن بالشفاعة اعلاما بالقبول، فما جدوى الشفاعة؟

- هذا فقط تكريم للشافع.. ولذلك نقول: عنده تقع الأشياء لابد فيريد الله أن يكرم منزلة الشافع.. فيأذن له أن يشفع.. وما دام يأذن له بأن يشفع فهى مضمونه.. فهى إيذان بأن الشفيع مكرم عند الله.

* * *

جزاء ... وعطاء

س : حينما يتحدث القرآن عن عقاب الكافرين والظالمين يعبر عنه بلفظ (الجزاء).. وعندما يتحدث عن ثواب الظالمين يعبر عنه بلفظ (العطاء).. فما الفرق بين المعنيين؟

جـ - نعم.. حين تحدث القرآن عن العصاة قال: (جزاء وفاقا).. وحين تحدث عن المؤمنين قال: (جزاء من ربك عطاء) اذن ففى الشر: جزاء وفاق.. وفى الخير: جزاء وعطاء.

والجزاء جعل علىّ عمل.. والعطاء جعل علىّ غير عمل.. لماذا؟

لأن الحق سبحانه وتعالى من يعمل سيئة يعطى له سيئة مثلها. لكن فى باب الخير ماذا يصنع؟ من يعمل حسنة يعطى له عشرة، فحسنة تقوم أمام حسنة تبقى جزاء .. والتسعة تبقى هى العطاء.

* * *

وسائل القرب من الله

س: القرب من الله تعالى أمل كل مؤمن بالله واليوم الآخر. . لا سيما وأن المقربين من الله تعالى يفاض عليهم من القبول والإكرام ما يجعل الناس يلتمسون عندهم الأمن والراحة من الخير. . كما يلتمسون عندهم الدعاء المستجاب الذى يمن الله به على المقربين، مما جعل للقرب من الله تعالى سحرا خاصا يجذب إليه الكثيرين، ولكنهم يضطربون فى منهج القرب، وفى وسيلته. . فما هى الوسيلة الحقيقة للحصول على هذه المنزلة. . منزلة القرب من الله؟

جـ : ورد فضيلة الشيخ قائلا: الإنسان حدث، والكون كله حدث، وطبيعة الأحداث أنها متغيرة، أو يطرأ عليها ما يغيرها.

فحين يذكر الإنسان أن له ربا، وأن إلها يطئمن قلبه إلى أنه لا يواجه الأحداث بقوته، بل بقوة ربه ومدده. . فيطمئن قلبه، ولذلك قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد (٢٨).

ومعنى اطمئنان القلوب بالذكر: أنها بغير الذكر تكون مضطربة قلقة. . وقد شرع الله وسيلة لمن يريد القرب منه. . فهناك قدر ضرورى بالافتراض، وقدر مقبول من العبد إذا أراد أن يلزم نفسه به، ولم يلزمه الله به.

أتظن انسانا الزم نفسه فوق ما ألزمه به ربه يتساوى مع آخر لا يؤدى سوى ما ألزمه به ربه؟

غير معقول.. فلابد أن يكون لهـذا العبد الذى ألزم نفسه بما لم يلزمه به ربه من المنزلة بقدر هذه الزيادة.

ولذلك فـالذين يعـتـادون على هذا العـمل يكثـرون منه كلمـا ذاقـوا حلاوته.. حتى فى الدنيا قبل جـزاء الآخرة.. ولذلك فإننا لم نر واحدا سار فى طريق الله ثم رجع، لأن الحلاوة فى الطريق أمامه دائما تغريه.

وما دام الله سـبحانه قـد شرع لنا فروضـا، فمن أراد أن يكون مع الله دائما فعليه أن يأخذ من جنس ما فرض الله عليه ما سنه رسول الله ﷺ، ويلتزم به أيضا.. وهو ما يعرف فى الشريعة بالنوافل.

وفى الحـديث القـدسى: «مـا تقـرب إلى عـبـدى بشئ أحب إلى مما افترضته، وما يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمـعه الذي يسـمع به، وبصره الذي يبـصر به، ويده التى يبطـش بها، ورجله التى يمشى بها، ولسانه الذي ينطق به، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه»(١).

وفى رواية: «وقلبـه الذى يعقل به، فـإذا دعانى أجـبته، ولذا سـألنى أعطيته، وان استنصرنى نصرته، وأحب ما تعبدنى به النصح لى»(٢).

فمن أراد أن يتـقرب إلى الله عز وجل فلـيزد على ما فـرض عليه من الفروض التى هى ضرورية لأى انسان.

والمقام المحمود يكون بأخذ قدر أكبر من جنس ما كلف به فرضا.

والمقام المحمود هو الذي إذا رآك فيه أى انسان حمدك عليه.. فلا يرى الوجود كله منك إلا محمودا، ويكون ذلك عندما نكون على منهج خالق الوجود.

---

(١) صحيح أخرجه البخارى (٥ / ٢٣٨٤)، والبيهقى فى الكبرى (٣ / ٣٤٦)، القرطبى (٦ / ١٣٥)، ابن رجب فى جامع العلوم والحكم (١ / ١٨٩).

(٢) أخرجه الهيثمى فى المجمع (٢ / ٢٤٨).

ولذلك نجد دائما من تشغلهم الحياة يلجأون إلى من هم فى معية الله، لكى يلتمسوا عندهم شيئا من الراحة.

- اذن ما هو المنهج الذى أسير عليه لكي أكون مقربا من الله؟

- الله تعالى افترض علينا خمس صلوات فى اليوم والليلة.. فأنا أزيدها عددا فأجعلها أكثر من خمس.

وافترض على قدرا معلوما من الزكاة، فأنا أزيد عليها.

وكذلك افترض على صوم رمضان، ولكنى أصوم زيادة عن رمضان.

والحج فرضه على مرة.. فأنا أحج ان استطعت أكثر من مرة.

وكذلك قراءة القرآن الكريم.. قال العلماء إنه من أعظم ما يتقرب به إلي الله من النوافل أن يكثر من ترتيل القرآن الكريم، ومن سماعه بتفكر وتدبر وفهم.

وكذلك ذكر الله تعالى بحضور القلب، ونفى الخواطر، وانفعال اللسان.

* * *

الذين لا يريدون العلو ولا الفساد

س : يقول الله سبحـانه وتعالى فى كتابه الكريم: ﴿تِلْكَ الـدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا﴾ القصص: ٨٣ . فما هى الصفات أو السمات التى تجعل الانسان ممن لا يريد علوا ولا فسادا، حتى يكون من أهل الرضا فى الدار الآخرة؟

جـ : إن الله تبارك وتعـالى يريد من كل انسان فى الحـياة أن يتـحرك فيها . . إما حركة سلبية، بأن يمنع نفسه من الإفساد فى الأرض . فلا يأتى إلى الصالح فيفسده . . أو بحركة ايجابية، بأن يأتى إلي الصالح فيزيده صلاحا .

والفـساد لا ينشـأ فى الكون إلا من عـمل الانسـان بما يخالف أوامـر الله . . ولا يوجد شئ فاسد بطبيعته أبدا . . فالكون صالح بطبيعته .

والمطلوب من الانسان المتحـرك عندما يجد بئر ماء أن يتركـها صالحة، زو يزيدها صلاحا . . يزيدها صلاحـا بأن يطهرها، أو يبنى لها سورا، أو يجعل لها آلة رافعة توصل الماء إلي البيـوت . . ولا يفسدها بأن يلقى فيها القاذورات، أو يردمها، وهذا هو المراد من زيادة الصلاح .

اذن فقد جعل الله تعالى للحركـة فى الكون فائدة قريبة تعود علينا . . وفائدة بعيدة تعود على النماس وان لم يقصدوا .

فإذا أردت أن أبنى قـصرا مشـيدا لنفسى فـلابد أن أستعين بأشـخاص يستفيدون من بنائى لهذا القصـر دون أن أقصد . . فأنا أستأجر من يحمل الطوب ومن يبنى، ومن يدهن، وهكذا .

فكل عمل أقوم به يعود على بالفائدة . . وقد أقصد فائدتى فقط، وقد

أقصد إفادة الناس معى.. وبذلك تكون حركتى قد وسعتنى ووسعت غيرى.

أما من لم يرد إلا مصلحته وفائدته فقط، فهذا الذى يريد علوا على الناس.. بأن يتميز عليهم.. أما من أعطى الناس، وقصد نفعهم مع منفعته، فله جزاء ذلك نماء فى الآخرة، وهو ممن لا يريد علوا فى الأرض.

* * *

حول قضية الجبر والاختيار أيضا

س : من القلائل الذين استطاعوا كشف النقاب عن مشكلة الجبر والاختيار: فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى... إذ أنه أفاض فى استنباط الدلائل عن أن الانسان مختار فى أفعاله، بما لم يستطعه علماء الكلام التقليديون، ولما كانت قضية الجبر والاختيار فى حقيقتها هى قضية امتياز الاسلام على ما سواه بأنه احترام الانسان، ووضعه فى مكانه اللائق به من حيث هو خليفة لله فى الأرض.. وقد سألته سائلة فى مجلة حواء المصرية: هل الانسان مسير أم مخير؟ فقال: وهو من أعظم ما قال فى هذا الصدد؟

جـ : خلق الله الإنسان ، وله اختيار فى أشياء، ومجبر على أشياء.. فلا إرادة له فى تاريخ ميلاده ولا لونه، ولا جنسه، ولا طوله، ولا شكله، ولا صحته، ولا موته، ولا نبض قلبه.

وترك الله له بعض الاختيارات التى تقع على حسب ما يقدر عليه ويختار.. فأنا أريد أن البس كذا، أو أكل كذا، أو أعلم ولذى فى مدرسة كذا، فإن الأمور كلها تقع كما أقرر أو قريبا مما أقرر.

اذن فهناك أمور نختارها، وأمور أخرى ليس لنا فيها اختيار.. ومن هنا نشأ التساؤل.

إن الانسان ليس هو الجنس الوحيد فى الأرض، ولكن يشاركه فى الوجود الجماد والنبات والحيوان، والانسان يمتاز عن غيره من الأجناس الأخرى بالعقل الذى يختار بين البدائل.

ورغم كون الانسان أعلى الأجناس، ففيــه قدر من الجمادية، وقدر من النباتية، وقدر من الحيوانية.

فالانسان يسقط كقطعة الحجر، لأن قــانون الجماد يتحكم فيه، وقانون الجاذبية يحكمه ويشده إلى أسفل.. وهو كالنبات، ينمو ولا دخل له فى ذلك النمو.. كذلك فإنه يحس ويتحرك كالحيوان، وتعمل أجهزة جسمه بلا ارادة منه أو اختيار.

اذن فالانسان مسير فيما فيه من جمادية ونباتية وحيوانية.

وهو مخــير فى مجال الاخــتيار، والعقل هو مــنطقة التكليف من الله تعالى، ولــهذا فإن فــاقد العــقل لا يكلف من الله تعالى، لأنه فــقد أداة الاختيار بين البديلات، كذلك الذى لم ينضج عقله بعد لا يكلف أيضا، لأنه لم يصبح أهلا للحكم علي الأشياء.

فالذى يقــول: إن الانسان مــسير عــلى اطلاقه يكون مخــطئا، والذى يقول: إنه مخير على اطلاقه يكون مخطئا.

الله هو الخالق، فهو الفعال لكل شئ، وهو أيضا العدل.

والذى يقول: إن الله هو الــذى يفعل للانسان كل شئ يــريد أن يحقق لله صفة الخلق دون صفة العدل..

فما دام هو الذى فعل كل شئ، فلماذا يعذبنى حينما أعصاه؟

ونحن نقول: لابد أن تأخذ كل صــفة مجالها، فــهو خالق لكل شئ، ولكنه عدل أيضا.. وكلمــة «عدل» تتطلب منا أن نفهم أن الله لم يكلفنا إلا بما خلقنا صالحين لفعله، وصالحين لعدم فعله.

فعندما يختار الانسان طريقا فهو لم يخلق الفعل، وإنما وجه طاقة أمده الله بها، بعقل خلقه الله، لمادة خلقهــا الله.. وما على الانسان إلا توجيه الأدوات فقط.

وهنا تأتى مهمة الرسل، بأن يرسموا منهج الله، فيقولون لنا: افعلوا كذا، ولا تفعلوا كذا. والله خلقنا صالحين لأن نفعل أو لا نفعل.

وهنا نجد أن هداية الرسل للناس معناها أنهم يدلونهم على طريق الخير، وهذا قدر يشترك فيه المؤمن والكافر.. والحق سبحانه وتعالي يقول فى ذلك: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فصلت: ١٧.

فكلمه «هديناهم» هنا تعنى: دللناهم على الطريق الموصل إلى الخير فلم يستجيبوا.

ووردت كلمة الهداية أيضا فى القرآن بمعنى المعونة على فعل الخير.. مثال ذلك ولله المثل الأعلى: أنا أمضى فى الطريق، وأريد أن أذهب إلى رأس البر، ولا أعرف الطريق إليها، فجاء جندى المرور وقال لى: هذا هو الطريق، فدلنى على الطريق بكلامه، فإذا وافقته وشكرته واتجهت إلى الطريق عقبة فى مكان كذا، ويصح أن تفعل كذا.. أى أنه يرشدنى إلى شئ فى الطريق، وقد يطلب منى أن يذهب معى حتى يخلصنى من هذه العقبة.

اذن فهو دلنى أولا على الطريق، ثم أعاننى على أن أسلك الطريق.

اذن فالله خلقنا.. وترك لنا الاختيار فى أشياء وأجبرنا على أشياء..

ولقد أجبرنا الله علي تلك الأشياء لكيلا نعتقد أننا خرجنا من دائرة قدرته سبحانه، وترك لنا بعض الاختيارات ليختبرنا: أنأتى لله اختيارا أم لا.. فإن القهر لله كما هو حادث للنبات والحيوان والجماد يثبت قدرة الله، فلا أحد يستطيع الافلات من هذه القدرة.. ولكن اختيار الانسان لمنهج الله يثبت حب الانسان لله سبحانه وتعالى.

فالجبر يثبت القمر، والقدرة لله سبحانه وتعالى، والاختيار يثبت له الحب.. فترك الله للانسان الاختيار ليعلم من الذى يختار أن يذهب اليه حبا وطواعية.

فعندما يترك الانسان المعاصى وهى فى قدرته ويختار الطاعة، يكون بذلك قد فنى حبا فى الله.

ولذلك فكلنا عبيد الله، ولكننا لسنا عباد الله.. العباد هم الذين تنازلوا عن اختياراتهم لمرادات ربهم، فالمؤمن يقول: لقد خيرتنى يارب، ولكنى سأجعل طلبك فوق اختيارى.

- وهل يكون للانسان هذا الاختيار فى الدار الآخرة؟

- لا.. ففى يوم القيامة يسلب الله تعالى الانسان هذا الاختيار.. فنصبح جميعا عبيده.

قال الله تعالى : ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً۝ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً﴾.

حتى ما كان لكم فيه اختيار لم يعد لكم فيه اختيار، ولذلك فإن لنا فى الأرض زملاك فى الدنيا.. أما فى يوم القيامة فالله تعالى يقول: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ غافر: ١٦.

حتى أجسامنا تعصينا.. فهنا أجسامنا تخضع لنا ولارادتنا ، فتسير قدماى إلي حيث أريد، وتبطش يداى بمن أريد، وأشتم وأسب بلسانى من أريد، وأقول به ما أريد فجورا فيطيعنى.. أما هناك فإنها تعصينى، وتشهد على لأن عهد الاختيار والسيطرة عليها قد انتهى ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فصلت: ٢١.

❊ ❊ ❊

وعد للرجال دون النساء

س : وعد الله تعالى الرجال بالحور العين فى الجنة، ولم يعد النساء بذلك، فماذا؟

جـ : سبق الكلام فى تعدد النساء للرجال دون المرأة فى الدنيا، وفى الآخرة قال الشيخ الشعراوى: الحق سبحانه وتعالى جعل نعيم الجنة مناسبا لما تحبه النفس المستقيمة.

فالمرأة فى ذاتها لا تحب بفطرتها السليمة أن يتعدد عليها الرجال، حتى أن بعض السيدات يموت زوجها فتأبى أن تتزوج بعده، مع أن زواجها بعد وفاة زوجها حلال، ولكنها تعتبر أن من كرامتها على نفسها ألا يتعدد عليها الرجال.

ومن فحولة الرجل أنه يحب أن تتعدد عنده النساء.. فأعطى الله للرجل ما يثبت له الفحولة، وأعطى للمرأة ما يثبت لها العفة والاعزاز.

وفى الجنة لن تغار الزوجة كما تغار فى الدنيا، لأنها لن تذهب إلي الجنة بطبعها، ولكن يتغير الطبع ، قال الحق تبارك وتعالى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾ الأعراف :٤٣ .

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ الحجر: ٤٧ .

* * *

تكرار الحج والعمرة

س : يقول البعض: إن تكرار الحج فيه مزاحمة لمن يحج، وإن تكرار العمرة فى السنة الواحدة مكروه.. فهل هذا صحيح؟ وهل صحيح أيضا أن التصدق بمصاريف الحج المكرر أثوب؟

جـ : أكبر دليل على خطأ هذه الفكرة: أن أكثر الحجاج هم العوادون. كما أن المتطوع لا يجبر على تطوعه فى لون معين، بل له أن يفعل ما يشاء، وما يخف له نفسه.. ولا شئ أفضل من شئ.

أما عن تكرار العمرة فلا شئ فيه.. وقد قال الله تعالى ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ﴾ البقرة :(١٨٤).

ويقول البعض: إن العمرة دون الحج، فلا يصح أن أكرر الأقل، ولا أكرر الأصل.. ونرد عليهم بأن الحج مربوط بزمان.. وما دام مربوطا بزمان فلا أستطيع أن أكرره فى غير زمانه.. لا أقول: سأحج فى شوال أو صفر.. ولكن للحج وقت محدد لا يصح فى غيره.

أما العمرة فغير مقيدة بزمن.. فأستطيع أن أؤديها فى أى وقت، ولو أتيحت لى الفرصة لأكررها فلا حرج.

* * *

الصلاة على النبي ﷺ

س : لماذا نصلى على النبى ﷺ وكيف نصلي عليه؟

جـ : لقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالصلاة والسلام على النبي ﷺ ، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الاحزاب (٥٦).

وأصل كلمة الصلاة فى اللغة «الدعاء» فإذا أطلقت انصرفت إلى المعنى الاصطلاحى، وهو الأقوال والأفعال المخصوصة التى نبتدؤها بالتكبير، ونختتمها بالتسليم.

وأنت لا تدعو لانسان إلا اذا كنت تحب له الخير. . ولا تدعو إلا من يقدر على هذا الخير. . فإذا كان الذى يقدر على الخير هو الذي يدعو. . اذن فهو يعطى مباشرة. . وبذلك فالصلاة من الله هى الرحمة العاجلة. . لأنه جل وعلا لا يدعو أحدا أن يعطى، ولكنه هو المعطى.

وما دام ذلك فإن دعاء الله هو الرحمة العاجلة. . ومعنى قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ الأحزاب (٤٣). أى يرحمكم. . دعاء الملائكة دعاء مقبول، لأنه دعاء من طاهر لم يعص الله قط.

وعندما يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ التوبة (١٠٣). يعنى ادع الله لأمتك، لأن دعاءه ﷺ لأمته يكون سكنا لهم.

وأما صلاتنا على الرسول ﷺ فهى ليست لجلب الخير له، ولكنها

لخيرنا نحن.. لأن كل خير يصيبه ﷺ عائد على أمته.. فكأننا عندما نصلى عليه ندعو لأنفسنا نحن بالخير.. فإذا صليت عليه مرة صلى الله عليك بها عشرا كما ورد فى الحديث[1].

وعندما نطلب له المقام المحمود والشفاعة، فإننا نطلبها لـ لنستفيد بها نحن، لأنه بهذا المقام سيشفع لنا فى الآخرة.. ليعطينا الله الخير. وبذلك فعندما أدعو للرسول ﷺ فإنما أدعو لنفسى.

وأما عن طريقة الصلاة عليه ﷺ فإنه يكفى تنفيذا للتكليف أن نقول «اللهم صل على النبى وسلم».. فهذا نص القرآن الكريم.

أما إذا انفعلت انفعال أدب معه ﷺ فقل ما شئت، وما يفئ الله به عليك، ولقد رأينا من انفعل معه ﷺ فقال: «اللهم بجاهه عندك، ومكانته لديك، ومحبتك له، ومحبته لك، والسر الذى بينك وبينه، نسألك أن تصلى وتسلم عليه وعلى آله وصحبه، وضاعف اللهم محبتى فيه، وعرفنى بحقه ورتبته، واجمع بينى وبينه، ومتعنى برؤيته، وقربنى من حضرته، واسعدنى بمكالمته، وارفع عنى العلائق والعوائق والوسائط والحجب، وشغف سمعى منه بلذيذ الخطاب، وهيئنى للتلقى منه، وأهلنى للأخذ عنه، واجعل صلاتى عليه نورا فائضا ماحيا عنى كل ظلمة وظلم، وكل شك وشرك، وافك وغفلة».

ومنهم من قال:

---

(١) صحيح: أخرجة مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه حديث (٥٧٧)، والترمذى، كتاب الصلاة، باب ما جاء فى فضل الصلاة على النبى ﷺ حديث (٤٤٦)، والنسائى، كتاب تقصير الصلاة فى السفر حديث (١٤٢١)، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سمع المؤذن حديث (٤٣٩).

«اللهم صل على سيدنا محمد بكل صلاة تحب أن يصلى بها عليه، اللهم سلم على سيدنا محمد بكل سلام تحب أن يسلم به عليه، فى كل وقت، صلاة وسلاما دائمين عدد ما علمت، وملء ما علمت، ومداد ما علمت، وأضعاف أضعاف ذلك، اللهم لك الحمد ولك الشكر فى كل ذلك، وعلى ذلك».

هذا ولقد رأينا عندما جلس الرسول ﷺ مع أبي بكر، وانفعلا بذكر الله، وجلس معهما أعرابى، فقال: يارسول الله، أنا لا أحسن دندنتك، ولا دندنة أبى بكر، ولا أعرف إلا «لا إله إلا الله محمد رسول الله». فقال ﷺ: «ياأخا العرب، حولها ندندن»(١).

وبذلك فإنه يكفى أن نقول: «اللهم صل على النبي وسلم».

* * *

(١) صحيح: أخرجة ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقال بعد التشهد والصلاة على البنى حديث (٩٠٠)، وأحمد حديث (١٥٣٣٣)، وأبو داود كتاب الصلاة، باب فى تخفيف الصلاة حديث (٦٧٢)، والذى كان جالساً مع النبى ﷺ هو سيدنا معاذ رضى الله عنه.

القضاء والقدر

س : يتردد لفظ القضاء والقدر على ألسنة المسلمين، وقد يعبرون بأحدهما عن الآخر.. فهل هناك فرق بين معنى كل منهما ومعنى الآخر؟

جـ : القضاء: حكم لا ارادة لى فيه.. ولكن القدر هو ما كنت أقدر أن يحدث كذا، فتأتى الأمور على وفق التقدير.

فمثلا إذا كتب وزير الزراعة تقديراً عن القطن فقال: «إننا نزرع منه كذا فدان، ومتوسط انتاج الفدان كذا، فنقدر أن يكون انتاج هذا العام كذا قنطارا.. فهو يقدر أنه علم.. والعلم هنا قد يصيب وقد يخطئ لظروف لم تكن فى الحسبان.

ولكن حين يقدر الله سبحانه وتعالى فلن يغير عنه أمر، فتأتى الأمور فى الكون على وفق ما قدر الله سبحانه وتعالى.

فالقضاء أمر لا اختيار لى فيه، كالمرض والموت.. وعندما يقدر الله علىَّ أن أفعل كذا فى أمر اختيارى فهو لم يجبرنى على فعله، ولكنه قدر وعلم أزلاً أننى سأختار هذا الطريق.

فلو أننى أرسلت الخادم ليشترى لى زجاجة من «الكازوزة» فأبطأ، فقلت لك: لقد أبطأ لأنه قابل ولدا على ناصية الشارع ولعب معه، وضيع النقود، وهو خائف أن يأتى.. أنا قلت هذا الكلام وأنا معك فى البيت، وبعد ذلك جاء الغلام، ولما سألناه قال ما حدثتك عنه تماما.

هل يا ترى عندما تكلمت أنا معك عما حدث، وأنه سيحدث كذا

وكذا، هل أرسلت معة قوة ترغمه على فعل ما أقوله؟ أم أننى أعرف سوابقه فقط، ولم أرغمه على تنفيذ ما أقول؟

كذلك ولله المثل الأعلى.. علم الله سبحانه وتعالى أزلاً ما يكون من عبده، فكتب عنده، لا ليلزم عبده بما كتب، ولكن لعلمه بما يكون من العبد، فهى قدره.

والفرق بين الصورتين أن العلم فى البشر قد يختلف فيه، فمن الجائز أننى أعرف هذا عن الخادم، ولكنه يمكن أن يخرج مرة وبالصدفة تصدمه سيارة وينقل إلى المستشفى، ولا يحدث شئ مما قلته.

هذا خطأ فى علمى.. لكن الحق تبارك وتعالي لا يحدث الخطأ فى علمه أبداً.

* * *

فضل مكة

س : جاء فى الحديث أن الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة[1]، فهل هناك مزيد بيان لهذا الفضل؟

جـ : لقد ترك ابن عباس مكة قائلا : «مالى ولبلد تضاعف بها السيئات، كما تضاعف الحسنات أنا أوثق بمعاصى من طاعتى».

فمكة هى البلد الوحيد الذي يحاسب فيه الانسان على النية، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾الحج (٢٥).

فمجرد الإرادة، وهى النية، يحاسب الله عليها العبد فيه.. وذلك يرجع إلى أن من يعصى الله فى بيته، فانما يدل على خروج زائد عن الحد.

وقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ابراهيم (٣٧). كأنه يريد أناسا يتفرغون لخدمة البيت، ورعاية الوافدين إليه، وآداء العبادات فقط، ولا ينشغلون بالحياة اليومية العادية التى تسبب احتكاكات وذنوبا.

* * *

---

(١) صحيح : أخرجة مسلم، كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدى مكة والمدينة حديث (٢٤٦٩) بلفظ «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه» .

حجاب المرأة فى العمرة فقط

س: ما حكم المرأة التى تحتجب أثناء الحج والعـمرة ثم تخلع الحجاب عند عودتها من أرض الحجاز؟

جـ : قال الله تـعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ :فصلت (٤٦) فكل انسان يأخذ الجزاء من جنس عمله.. يعنى كله بحسابه.

* * *

طلاء الأظافر بالمانيكير

س : هل يسمح للمرأة أن تتزين بطلاء أظافرها بالمانيكير؟

جـ : هذا ممنوع.. والذين حللوا طلاء الأظافر بالمانيكر خلطوا بين «الصبغ» الذى هو «الحناء» وبين الطلاء المعروف.. والفرق بين الاثنتين كبير.. بدليل أن المرأة تستخدم عند إزالة الطلاء مادة تعرف «بالأسيتون» والحناء لا يفلح عند إزالتها ألف «أسيتون».

وباقى المساحيق كلها حرام.. أما الكحل فهو حلال، وهو للشفاء والزينة، فالزينة منه جاءت تبعا.

والأصل فيه وقاية للعين وعلاجها. ولو علمت المرأة ضرر هذه المساحيق على بشرتها لابتعدت عنها.

* * *

السهو فى الصلاة

س : كثيرا ما يحدث للانسان حين يصلى أن ينشغل رغما عنه بأمور الدنيا.. كأن يتذكر الرجل مثلا مشاكل عمله، وينشغل ذهن المرأة بالطعام الذي تركته فوق «البوتاجاز» فلماذا يحدث هذا السهو؟

جـ : ظاهرة السهو فى الصلاة ظاهرة صحيحة، تدخل تحت خيمة «الإيمان».

ولا تظنوا أن الشيطان يناوئ الله تعالى، وإنما كل شغله وعمله موجه لخلق الله سبحانه.. أما عند خالقة فهو ضعيف كالأرنب.

الشيطان لا يهتم بمن هم على المعصية، ولكن كل همه وهمته موجه لمن هو على الطاعة، أما الذين فضلوا المعصية فهؤلاء قد انتهى أمرهم.. يعنى جاهزين، يقول السيطان: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ الأعراف (١٦ ، ١٧).

ويقصد هنا الطائعين.. لكن الجهات ست: أمام، وخلف، ويمين، وشمال، وفوق ، وتحت.

انظر لقد جاء الشيطان من الجهات الأربع فقط، ولم يقترب من جهتين اثنتين: الفوق، والتحت. لأن الذي يعيش بين فوقية الألوهية وذل العبودية لا يمكن أن يأتى له الشيطان.

وما دام سيقعد لعباد الله الصراط المستقيم كما ذكر، فهو وجد عملا صالحا يتدخل ويحوم حوله لافساده.

اذا وجد انسانا فى الصلاة يتدخل ليفسد خلوة هذا الانسان مع ربه، وهذه ظاهرة صحيحة، لأن الانسان فى هذا الموقف يكون فى أشرف موقف مع الله. . والا لما جاء اليه الشيطان.

لكن خيبتنا: أن الشيطان حين يأتى بخواطره، يعطينا الخيط، ثم يتركنا ويتجه لغيرنا، ثم نمسك نحن بهذا الخيط بكل أسف، ونشتغل به.

وكان المفروض فى هذه الحالة أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم كما أمرنا الله سبحانه وتعالى، حتى ولو كنا نقرأ القرآن، فإننا يجب أن نقطع القراءة، ونستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم نكمل القراءة بعده.

وحين نفعل ذلك مرة أو مرتين وثلاثا، يكتشف الشيطان أنه مرصود منك، وفى النهاية لا يجد أمامه إلا أن يفر، ويتركك وحال سبيلك.

الشيطان يشبه اللص . . فهل وجدت لصا يغزو بيتاً خاوياً أو خربا ؟ إن اللص دائما يبحث عن البيت العامر ، لكن إذا اتجه الى البيت ووجد صاحبه يقظا فانه يلوذ بالفرار .

اسمعوا هذه القصة :

جاء رجل إلى سيدنا الإمام أبى حنيفة يشكو له حاله . . كان لهذا الرجل مال خاف عليه من الضياع ، فحفر حفرة وأخفى فيها ماله ، ولكنه نسى موضع المال ، وطلب المساعدة من الإمام أبى حنيفة .

فقال له الامام : يا بنى ، ليس لى فى ذلك علم ، ولكنى أحتال

لك . . قم فى الليل وتؤضـا ، وقف بين يدى الله ، وأقم الصـلاة ، ثم أحضر الى فى الصباح لنرى سويا ماذا حدث .

وعند صلاة الفجر ذهب الرجل لأبى حنيـفة ، وهو فى غاية السعادة . . فقال به أبو حنيفة : قص علىّ ما حدث .

قال الرجل : لقد فعلت ما أمرتنى ، أثناء الصلاة تذكرت مكان المال .

قال أبو حنيفة رضى الله عـنه : لقد علمت أن الشيطان لن يدعك تتم ليلتك مع ربك ، فكان لا بد أن يحـوم حولك ، لبفـسد عليك خلوتك مع ربك .

* * *

اللحاد في حرم الله

س : ما معنى قـوله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيـه بِإلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الحج :(٢٥)

جـ : قال الشيخ الشـعراوى : الحق سبحانه يجـعل ألسنة العوام تنطق بكلمات تستقى منها الفتوى أحيانا . .مثلا يأتى لك من يقول : وفى بيت العالم وتسكر ؟ ما معنى هذا الكلام ؟

يعنى : لوكان السكر فى غير هذا المكان «بيت العـالم» حلالا مباحاً ، يبقى فى بيت العالم حراما .

وكـذلك الانحراف ، لو أبيح فى غـيـر بيت الله ، فهـو فى بيت الله حرام .

لماذا ؟

لأنك لا تذهب الى بيت الله إلا طامعا فى رحمـته وفى الاغتسال من ذنوبك ، فهل يصح أن تـاتى فى زيارة قد لا تكون إلا فى العمـر مرة ، ثم ترتكب معصية ؟

لقد أبيح الاختـلاط فى « بيت الله » ، لأن كل انسان مشغـول بنفسه ، وقد تطوف وخلفك سـيدة لا تشعـر بها ، وقد تمر أمـامك ولا تتبين شكلها .

اذن فإباحة الاختلاط فى هذا المكان الذى يذهب إليه الإنسان فى العمر مـرة ليغـتسل من ذنـوبه، ويعود مـغفـورا له، ليس مـعناها: أن يذهب الإنسان إلى هذا المكان، ويفكر فى معصيته، ولو بمجرد نظرة.

وحتى لو كان الأمر ليس متعلقا بالدين فإنه يكون «جليطة».

ونصل إلي معنى الالحاد.. ما معنى الإلحاد هنا..؟

إذا كان الإلحاد فى القمة، أى فى «الألوهية» فقد غير الانسان حكم الله فى الو حدانية.

استمع إلى قوله تعالي:

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ المائدة (٤٤).

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المائدة (٤٧).

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ المائدة (٤٥).

فالظالم دون الفاسق، والفاسق دون الكافر. والبعض تصور خطأ أن الحكم واحد.. والحقيقة أن اختلاف الحكم يأتى باختلاف المحكوم به.

فإن حكم بغير ما أنزل الله فى قضية القمة والعقيدة، وأشرك، فهذا هو الكفر بعينه.

وإن حكم بغير ما أنزل الله فى كبيرة ، وغير، فهذا هو الفسق.

وإن حكم بين اثنين بالظلم، فهذا هو الظلم.

اذن هناك اختلاف بين الالفاظ الثلاثة.. ولماذا قلت: كفرا، ثم فسقا، ثم ظلما؟

وهنا نقول: قسم المخالفات بدرجاتها: الضلال فى القمة يسمى كفرا، وبعد ذلك فسق، وبعد ذلك ظلم.

فلماذا اذن رجحت كلمة ﴿هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ على كلمة ﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ و ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.

حين تختلف النصوص والصدور متفقة تبقى الجهة منفكة.. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ فى قضية بين اثنين ﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.. ولا يصح أن تأتى بالألفاظ الثلاثة مع بعض.

وحتى تتضح هذه القضية نقول: لو تأملنا هذه الآية:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ الإنعام (١٥١).

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ الإسراء (٣١).

وهنا قد نسمع من يقول: ان هذا مجرد تفنن فى العبارة.. تارة يقول ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ وتارة يقول: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ .

ونقول لصاحب هذا الرأى: لا ياسيدى.. ليس الأمر كما تقول، مجرد تفنن فى العبارة، لأن الحق تبارك وتعالى قال فى الأولى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ ، وقال فى الأخري : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ .

انظر إلي الصدر لترى كيف اختلف فى الحالتين.. فحين قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ فالمعنى: أن الاملاق وهو الفقر موجود بالفعل.. وإذا كان الفقر موجودا بالفعل، فكل همى منصب على رزقى، قبل اهتمامى بالفعل، فكل همى منصب على رزقى، قبل اهتمامى برزق ولدى الذى سوف يولد.

فإذا كان الفقر موجودا فكل همى وشغلى وفكرى فى زرقى أولا.. لكن حين يقول : ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ فالمعنى: أن الفقر غير موجود.. ونخشى حين يأتى الطفل أن يأتى معه الفقر.

فالحق سبحانه يقول فى هذه الحالة: حين يأتى الطفل يأتى معه رزقه ﴿نَحْنُ نرزُقهُم وإيَّاكُم﴾ .

هذه قضية.

وفى قضية أخرى قال الحق سبحانه وتعالى ﴿وإن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إنَّ الإنسَانَ لَظَلُومٌ كفَّارٌ﴾ ابراهيم (٣٤).

وقال فى آية أخرى ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ النحل (١٨).

وهنا نجد: نعمة ، ومنعم، ومنعم عليه.. أما النعم فهى كثيرة ﴿وإن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ لأن فى الاحصاء فطنة الاحاطة.. وهو ظلم، لأنه غير ممكن من العبد، وبالنسبة للمنعم والمنعم عليه لولا أن المنعم غفور رحيم لقطع نعمه كلها عن العبد جزاء لكفره للنعم.

وبعد هذا الايضاح نعود إلى الآية التى كنا فيها (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) الالحاد هنا هو اخفاء الحكم.. فالالحاد هنا يبقى ظلم.. أو الحاد مشوب بالظلم.

* * *

الخضر صاحب موسى

س : شاع وذاع أن اسم العبد الصالح الذي رافقه سيدنا موسى عليه السلام «الخضر» فهل هذا صحيح؟

جـ : لا علم لنا. . فلو أراد القرآن أن يعرفنا اسمه لعرفنا. . وإنما جاء بالوصف الذى يمكن أن يأتى فى أى وقت ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ الكهف (٦٥). . يعنى: أيا كان اسمه. . وأيا كان وصفه، والخوض فى مثل هذا الموضوع علم لا ينفع، وجهل لا يضر.

* * *

فوائد الإيداع فى البنوك

س : هذه هى قضية العصر.. بل هى أخطر قضية فى العصر، لاتباطها بعصب الحياة، وهو اقتصاد الدول.. وقد أفتى كثير من المشتغلين بالفقه الاسلامى بجوازها وحلها.. كما افتى كثيرون بحرمته.. ومن أحلوها سموها مصروفات إدارية.. أو : أنها جزء من العائد، ولا مانع من أن يكون منسوبا إلى رأس المال.. بل إن بعضهم رأى أخيرا اعادة فتح باب الاجتهاد فى أمثال هذه المسائل لتقرير حلها.. فما هو حكم الاسلام فيما يعطى البنك من فائدة على الودائع، أو يدفعه المقترض من فائدة على ما اقترضه من البنك؟

جـ : هذه القضية قتلت بحثا، وانتهينا فيها إلى أنها حرام.. والعلماء الذين يديرون البنوك قالوا: إنهم سينشئون بنوكا خاصة للمعاملات الاسلامية.

ومعنى هذا الكلام: أن معاملاتهم غير اسلامية، والمعنى واضح ولا يحتاج إلي تعليق.

وكل ما أعجب له أن البلاد التى أخذنا عنها نظام البنوك بدأت تسعى جاهدة من أجل تعديل هذه النظم.. أمريكا مثلا أخذت منا (٦٨) نظام بنك اسلامى، ونفذتها فى مختلف الولايات، وألمانيا أخذت (١٦) نظاما، وفرنسا أخذت (٧) أنظمة.

وحين أنشئ أول بنك اسلامى فى «دبى» أرسلت هذه الدول الأروبية

رجال الاقتصاد لدراسة نظام البنك الاسلامى، وحين اكتشفوا نجاحه أخذو وطبقوه.

وماذا قال عالم الاقتصاد «كنز»؟

قال بالحرف الواحد: «أن المال لا يمكن أن يؤدى وظيفته بالكامل إلا حين تنخفض الفائدة إلى صفر».

ما معنى هذا الكلام؟

معناه باختصار شديد: «انتفاء الربا».. وتحرج «كنز» أن يقولها بصراحة.. والسبب أن الاسلام يحرم الربا.

ومن أين تحصل البنوك التى تتعامل بالربا على الفائدة ؟

- إذا استثمرت هذه البنوك أموالها فى أبواب من الحلال فلا نستطيع أن نسمى ذلك ربا. لكن للاحظ أنها تعطى عمولة ٥٪ وتعطى لشخص آخر عمولة ٧٪، وهذا الفرق تحصل عليه البنوك.

وقالوا في تبرير العمولة: أنها نظير المصاريف ونحن نقول لهم: لا فرق بين العمولة والمصاريف، والاثنان لا يختلفان باختلاف المبالغ.. فهناك على سبيل المثال من يقترض مائة جنيه، وآخر يقترض ألف جنيه، وفى كلتا الحالتين نعد كذا صورة، وكذا كمبيالة، وكذا كشف.

وهنا نسأل: وما الفرق بين المال والسلعة؟

السلعة: ما يستفاد به مباشرة، أما المال فلا يستفاد به مباشرة.

يعنى: أفرض أنك تملك جبلا من الذهب، وتعيش فى صحراء، وفى حاجة إلي كوب ماء لتشرب، وتنقذ نفسك من العطش، فماذا تفعل؟

إن جبل الذهب يمكن بيعه بكوب مـاء . . أما المال فحين يكون سلعة، فهـذا هو البطلان بعيـنه لأنك نقلت المسألة من مـوضعـها، لأن المال لا يصير سلعة، وإنما نشترى به السلعة.

ونحن حين نشترى من السـوق فى حياتنا اليومية، هل نشـترى سلعة، أم نشترى ثمنا؟ نشترى سلعة.

انظر إلى البطلان في هذا الموضوع . . حين أرادوا أن يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا . . مع أن المفروض أننا نشترى بالثمن.

إذا هـم أرادوا يقلبوا قضية الكون . . وجعلوا المال ثمنا.

والذين أرادوا أن يحللوا الباطل قالوا: ان العملية تتم برضا الطرفين.

ونحن نقول لهؤلاء: متى يكون العقد صحيحا برضا الطرفين؟

اذا لـم يقع الضرر على طرف لا دخل له فى العقد . . وفى البنوك: من الذى يقع عليه الضرر؟ على المستهلك.

اذن حدث ضرر فى عقد لم يكن صاحب الضرر طرفا فيه.

والمسألة فى غاية الوضوح: لا ائتمان فى البنوك الاسلامية . . يعنى: لا تقرض ولا تقتـرض، تأخذ الأموال، وتدخل فى مشـاريع، وحتى يمكنها أن تقف أمام المنافس الذى يملك بيده الفائدة، تلجأ هذه البنوك إلى تنويع أعمالها وتوزيعها على الزمن، تكون بطيئة الأجل، وسريعة الأجل.

* * *

الفاتحة أم القرآن

س : الفاتحة هى السورة التى يكثر جريانها على ألسنة المسلمين عما سواها من السور، فهى تتكرر فى الصلاة، وهى دعاء المسلم فى الأزمات، وهى افتتاح المسلمين لأعمالهم رجاء بركتها، وقد سميت «أم الكتاب» أو «أم القرآن». فلماذا سميت هكذا؟

جـ - سميت هكذا، لأن مقاصد القرآن ثلاثة:

١ - المقصد الأول: العقائد.

٢ - المقصد الثانى: الأحكام.

٣ - المقصد الثالث: القصص.

فالعقائد هى: مرحلة التربية قبل السلوك.. والأحكام هى: النظام الذي يكون عليه السلوك والقصص جاء ليحكى قصة العقيدة فى التاريخ بواسطة مواكب الرسل، والقصد منها: تاريخ العقيدة والأحكام فى الأمور.

اذن فالمقاصد الأصلية هى: العقائد والأحكام والقصص جاء عونا وتثبيتا لهذين المعنيين.. فإذا كانت مقاصد القرآن هكذا وجدنا فى فاتحة الكتاب جماع كل ذلك. ففيها العقائد، وفيها الأحكام وفيها القصص.

فالعقائد تتمثل أمهاتها فى الإيمان بالله ذاتا وصفات.. وبالتبليغ عن الله ثبوتا.. ومن نهايته اليه معادا.. وذلك كله مستوفى فى قوله تعالى ﴿الحمدُ لله ربِّ العالمين ۞ الرَّحمن الرَّحيم ۞ مالك يوم الدين﴾.

وبعد ذلك يأتى عنصر الأحكام وهى مـؤجزة فى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

وبعد ذلك يأتى القصص، وهو مـركز فى قوله تعالى " ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

فكأن سورة الحمـد، أو سورة الفاتحة، جـمعت المقاصد الأسـاسية فى القرآن، وليس القرآن الا مذكـرة تفسيرية وتفصيلية لهـا.. ولهذا سميت «أم الكتاب».

❊ ❊ ❊

الوحوش والإيمان

س : الوحوش، وهى الحيوانات غير المستأنسة، هل لخلقها على هذه الصورة صلة بالإيمان؟ وما الحكمة من خلقها على هذه الصورة بوجه عام؟

جـ : خلق الله الوحوش لكى يبين لنا أنه هو الذى ذلل لنا بقية أنواع الحيوان، وليس تذليلها من صنع الإنسان.

هناك ولد صغير يمسك الجمل وينيخه ويركبه، وآخر يركب الحمار ويسيره، والبغل، والحصان، والجاموس، والثور، وغير ذلك من الحيوانات.

وبعد ذلك يجئ أسد، وهو أقل جسما من الجمل ومن الحصان.. أو يجئ ثعبان، وهو أقل من الجميع، ومع ذلك لا يستطيع أحد أن يقربه.. اذن أنت لم تستأنس ما استأنس من الأنعام، لا بقوتك، ولا بسيطرتك، ولا بحسن ريادتك، ولكن الله وحده الذي خلقها، وهو الذي ذللها.. بدليل أنه ترك بعض هذه الحيوانات الضعيفة عن هذه التى استأنستها، وأنت لا تستطيع أن تستأنسها.

اذن قوله تعالى ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ من قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ يس (٧١, ٧٢). وذلك هو الامتنان. بمعنى أنه لو لم يذللها لامتنعت عليهم بدليل أن الشئ الصغير جدا لا يستطيع الانسان أن يذلله، بل يهرب منه كما يهرب من العقرب مثلا.

ومن هنا فـخلق هذه الأنواع من الوحـوش يعيـد الإنسان إلى حظيـرة الإيمان بالله وحده لا شريك له.

* * *

تزويج النفوس

س: يقول الله تعالى فى سورة التكوير بصدد الحديث عن يوم القيامة: ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ فما معنى تزويج النفوس يوم القيامة؟

جـ: أولا.. ما هى النفس؟ لكى نعرف: ما معنى زوجت.. كلمة النفس تخبط الفلاسفة فى تحديد معناها، مرة قالوا: هى الروح.. ومرة قالوا: هى الكلية.. كلام فارغ.. لم يستطع أن يحددها سوى القرآن.

كلمه (نفس) تطلق على امتزاج عنصر الروح بالمادة.. قبل أن يمتزج عنصر الروح بالمادة لا تكون هناك.. فالروح وحدها ليست نفسا، والمادة وحدها ليست نفسا، ولذلك حين يقبض الله تعالى معنى الحياة فى أى انسان يقول ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ﴾ الزمر (٤٢).

ما معنى يتوفاها؟

يفصل روحها من جسدها.. هذا هو معنى ﴿ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ ﴾.. اذن فمدلول النفس هو: امتزاج الروح بالجسد.. وما دام هذا مدلولها، فكيف تكون قد (زوجت) يوم القيامة؟

بعض العلماء قال: يعنى عادت الأرواح إلى أجسادها بعد أن افترقت بالوفاة، فقد جمع شيئا إلى شئ، أى زوجها، زوج المادة بالروح فعادت.. هذا معني.

ومعنى آخر.. وهو: أن خلق الله أصبحوا أزواجا، أى أصنافا..

المتقون فى الـدرجة الأولى وحدهم، وفى الدرجة الثانـية وحدهم، وأهل الشمـال وحدهم، ولذلك يقول الله سبـحانه وتعالى فى سورة الواقـعة: (٧, ١٠): ﴿وكُنـــتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ . فـمـعنى زوجت وزعت أصنافا.

أو أنها ساعة الحشر تأتى كل فرقة بداعيها، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ الاسراء (٧١).

أو أن النفـوس زوجت، بمعنى أنها كـان لهـا عمل، والعـمل افتـرق عنها.. ولكن افتراقى عن عملى فى الدنيا ليس طبيعيا.. ونقول لمن ظن أن عمله افتـرق عنه: لا.. ستجد عملـك جاء إليك، ولا رفيق لك إلا عملك، فـمعنى ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قرنت بأعمـالها، والذى كنت تهرب منه، أو نسيته، أو فى غفلة تجـده مقترنا بك. قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ آل عمران (٣٠).

اذن فالعمل مقترن بالنفوس، وهذا هو تزويجها.

* * *

الحسد، والمنافسة، والتمني

س : يقول الله تعالى في سورة المطففين بعد أن ذكر الأبرار وما أعد لهم من نعيم: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ .. فما هو التنافس؟ وما الفرق بينه وبين الحسد والتمني؟

جـ : المنافسة هي: المغالبة على الشئ النفيس.. تقول : نافست فلانا، يعني: غالبته على شئ نفيس.. أنا أريد أن أخذه، وهو يريد أن يأخذه فكل واحد منا يريد أن يحصل على ذلك النفيس.

أو أن المنافسة هي: لون من مجاهدة النفس للحصول على صفات عالية ظفر بها الفضلاء فأتشبه بهم من غير أن ألحق بالغير ضررا.. يعني: أن أجتهد لأظفر بشئ ظفر به الفضلاء بدون أن ألحق ضررا بالآخرين.

وبذلك تختلف المنافسة عن الحسد.

لأن مراتب التمني في الخير أن يرى واحد واحدا في خير، فيغيظه أن يوجد ذلك الرجل في الخير وإن كان المغتاظ نفسه في خير.. يعني يوجد غني يغيظه أن يغتني شخص آخر.. هذه هي الصورة الأولى.

ثانيا: فقير يرى واحدا غنيا.. تنوعت الصفة هنا.. والموقف هنا يتطلب: أن تتمنى مثل ما معه أو تتمنى أن يزول ما عنده.

أول مرتبة في هذا القسم: أن يتمنى أن يزول ما عنده مهما بقيت فقيرا مثله.. وهذه مرتبة ما عنده مهما بقيت فقيرا مثله.. وهذه مرتبة دنيئة.

وثاني مـرتبـة: أن الذي عنده يزول ويجـئ لك. أو تتـمنى أن تكون مثله.

لكن كل ذلك لم يتعـد التمنى.. والتمنى كـما يقول الأدباء: بضـاعة الحمقى، وكونك تتمنى الأشيـاء دون أن تعمل للوصول إلى تلك الأشياء هو من عـمل الحمـقى الذين ليس عنـدهم همة عـاليـة.. ليس عندهم طموح.

والمنافسة غير ذلك.. لماذا؟

لأن المنافسة التى جاءت فى القرآن بصدد عرضها: منافسة فى شئ من الممكن أن يأخذ المتنافسون جميعا حظوظهم منه ولا ينقص.

فى أمور الدنيـا فيه خـير محدود ظـاهر.. هذا يريد أن يأخذه، وهذا يريد أن يأخذه.. بحيث إذا أخذه هذا لم يظفـر به الثانى.. فأنت تتمنى أن تأخذه منه وهو لا يأخذه.

لكن المنافسة فيما عند الله تختلف.. فالله تعالي يقول: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ النحل (٩٦).

فيتنافس المتنافسون ما شـاءوا.. وأنت ستأخذ.. وأنا سأخذ حظك لا ينقص حظى.. وحظى لا ينقص حظك.

اذن تلك أشرف أنواع المنافسة.

وغيرها هى التمنى.. فإذا تمنيت زوال النعمة فأنت حاسد.

* * *

التقدم البشري ودمار القيم

س : نلاحظ أنه كلما ازداد تقدم البشرية نحــو الرفاهية، تقدمت القيم الإلهية نحو الدمار والزوال، فلماذا؟

جـ: الإجابة علي ذلك هي: أن الحضارة طالما كانت قائمة على أسس من وضع البشـر، وغير محـروسة بقيم إلهـية، فإن نهايتـها هي الفناء.

ومفهوم معنى الحضارة هو: كل شئ إذا حـضر. . فشهوات النفس فيه محققة، وطلباتها مجابة، لكن النفس محتاجة إلي من يكبح جماحها، . ويوقفها عند حدودها، ويمنعها من تحقيق شهواتها البهيمية.

وهذه النقطة هي أساس مهمة الديـن الذى يتولى ضبط حركة النفس، وتهذيب شهواتها.

ولذلك يصف أدعـياء التحلـل من يتمسك بـدينه بأنه رجعي، وغـير تقدمي، أي ليس منطلقا مع شهوات نفسه.

وهذا هو السبب الأول في اسهام الحضارة في زوال القيم.

أما السبب الثاني فسأعطي له مـثلا، ليكون قريبا من الأذهان. . فقديما كان الناس يذهبـون إلى بئر للشرب، ولا يجدون ماء، فـيلجأون إلي الله فورا بالدعاء، ليستجيب الله لندائهم.

وهذا راجع إلى أنهم لا يزالون فـي الفطرة والبداوة، التـي هي قريبـة عهد بنظام الله وآياته في الكون.

أمـا الآن فإنهم حين لا يجـدون الماء يبـحثـون فى الصنابيـر، ثم فى «المواسـير». . وهكذا تعـددت الأسبـاب الظاهرة، وانشغل الناس بــها، وذهلوا عن الفاعل الحقيقى الخالق القدير . الله .

فطالما بعد الإنســان عن الفطرة بدأ العقل البشرى فى الغـرور والطغيان والنسيـان، واتباع الهوى، ثم الفســاد والقلق والاضطراب والحروب، ثم الدمار .

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ المومنون (٧١).

* * *

شريعة الميراث فى الآخرة

س : كما أن الاسلام يقرر شريعة الميراث فى الدنيا بين المتوفى وعصباته وذوى أرحامه، كذلك نجد القرآن يقرر نوعا من تشريع الميراث لا نعلم فيه من هو الموروث، فالله تعالى يقول عن المؤمنين: ﴿أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ المؤمنون (٩ , ١٠) فكيف يكون هذا الميراث؟ ومن يرثون هذا الفردوس؟

جـ : شئ آل إليك، وكان لغيرك.. فهل كانت الجنة مملوكة لأحد، ثم ورثها المؤمنون؟ نقول: إن علم الله واسع، يعلم عدد الكفار، وعدد المؤمنين، منذ بدء الخليقة إلي أن تقوم الساعة، ولا يعجزه أن يعد لكل فريق مكانه من النعيم أو العذاب دفعة واحدة.

ولكن الله تعالى لم يفعل ذلك.. بل إنه كلما خلق نسمة أعد لها مكانين: مكانا فى الجنة، ومكانا فى النار. فإذا دخل أهل الجنة الجنة بقيت أماكنهم فى النار خالية.. ومن دخل النار بقيت أماكنهم فى الجنة خالية، فأهل الجنة ورثوا أماكن أهل النار من الجنة.

هذا هو معنى الإرث.

- هل يمكن أن يكون لقوله تعالى فى سورة الرحمن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ صلة بهذا التفسير؟ وهل يرث الخائف جنتين؟ وكيف؟

- الجنتان هما: جنة حق بالإيمان. وجنة إرث للذين كفروا.. وهذا من بعض معانيها.

القصص الحق

س : القصص كما هو معلوم فى القرآن جاء هادفا إلى جوانب اصلاحية عظمى، منها تثبيت قلوب الدعاة فى مواجهة الأحداث، وتثبيت قلوب المؤمنين فى مواجهة الدعوات الهدامة، وتأصيل ما يمكن أن نسميه تجاوزا «فلسفة التاريخ فى القرآن» ونعنى به: قانون الحضارات فى القرآن.. وما دام القصص يؤدى هذه المهمة الكبرى، أفلا يمكن أن يتعاون القصص الأدبى مع القصص القرآنى فى هذا السبيل؟

جـ : كلمة «قصة» وردت فى القرآن كثيرا، وردت لتدلنا على سبب وجود القصص فى القرآن، وجاءت أيضاً لتدلنا على صدق الله سبحانه وتعالى فى الاخبار بالقصة.

فكأن الله تعالى قد أراد أن ينبهنا حين يقول: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ الكهف (١٣) ، وحين يقول: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ آل عمران (٦٢) على أن كلمة «الحق» ايحاء بأنه قد يكون هناك قصص، ولكنه بغير الحق.

فالله تعالى أراد أن يخرج قصصه عن دائرة القصص الذى يعهد فيما يأتى فى مستقبل الزمان، كان يوضع كما يوضع الآن قصص، خيالى بحت لا مكان للواقع فيه.. يريدون بها ابراز حقيقة فى الوجود، أو علاج داء فى الوجود.

فالحق سبحانه وتعالى يقول عن قصصه: إنه الحق، حتى تعلم أن القصص الذى يقصه الله فى القرآن ليس من نوع القصص الذى سيحدث

فى تاريخ البشرية.. ليس قصصا خياليا لا مكان للواقع ولا للحقيقة فيه.

وكنت أحب من الذين يسمون هذا اللون الشائع فى الأدب «قصة» أن يفطنوا جيدا إلى أن ما يضعون من القصص يجب أن يوضع له اسم غير هذا الاسم، لأن كلمة «قصة» مأخوذة فى ذاتها من «قص الأثر».

ومعنى قص الأثر: أن يسير المتتبع للأثر على الأثر نفسه، بحيث لا يتجاوز الأثر أبدا ليصل إلى مراده فى نهاية الأمر.

فقصاصو الأثر حينما نأتى بهم ليكتشفوا لنا جريمة وقعت، ويرون آثار أقدام، يسيرون مع الأقدام ليعرفوا أين ذهب صاحب هذه الأقدام.. أو يفحصون بصمة صاحب القدم حتى يستطيعوا أن يعرفوه.. فمعنى قص الأثر: أن نتتبع الأثر بدون تصرف.

اذن كلمة قصة يجب ألا تقال أبدا فى أمر خيالى ولا فى أمر متوهم، ويجب أن تطلق على واقع لا يتعد له القاص بخيال أو بغيره أبدا.

***

- والآن بدأت الخطورة تتضح على الأطفـال أولا، وعلى الكبار ثانيا، إذ أن خبـراء التربيـة يعتمـدون أساسا فى تكوين مـواهب الطفل على عنصر القـصة، ويخترعـون القصص الخيالى لهـذا الهدف، كما أن كتاب القصة الكبار يكتـبون للكبار أيضا ويخترعون لنفس الهدف، فما هو اذن هدف القصـة فى القرآن حتى يمكن أن يتنبه المربون والأدباء إلى الهدف والخطر، ويعودوا إلى سواء الصراط؟

- **القصـة فى القرآن لا تزيد فيهـا أبدا.. وهى شئ واقع، والله تعالى بين لنا سـبب ورود القـصص فى القـرآن، ليلفـتنا إلى أنه يجب علينا ألا نخـرج القصص عن مـراده.. بمعنى ألا نؤلف قصـصا لقـتل الوقت.. أو للهـو.. لأن الحق سبـحـانه وتعالى يقـول: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ هود (١٢٠).**

اذن يجب أن يكون مناط كل قصة: تثبيت فؤاد قارئها لمعنى من المعانى يجب أن يعيشه، ويجب أن يتفانى فيه، وألا يحيد عنه..

لم توضع القـصـة لقـتل الوقت.. لـم توضع للاتجـار.. لم توضع لزخرف نريد أن نزينه للـناس ولا لاباحية .. نريد أن نخطط لهـا لنلقنها للأطفـال فى صغـرهم.. بل لتـثبـيت الأفـئدة على منـطق ينفع حركـة الحياة.. لا منطق يضر بحركة الحياة.

* * *

الاعتكاف فى آخر رمضان

س : مع إيماننا العميق بأن تنفيذ الأمر واجتناب النهى يجب أن يكون سببه الرئيسى: إن الله تعالى أمر به، ونهى عنه، دون انتظار لمعرفة الحكمة من الأمر والنهى، وبأن الخضوع للأمر الإلهى بالفعل أو الترك لأنه أمر الله هو مناط الثواب.. غير أننا نريد أحيانا أن نعرف الحكمة من الفعل لا لنتوقف عن العمل حتى نعلمها، ولا لنعمل العمل من أجل حكمته، بل لنتخذ من هذه الحكمة مادة للدعوة إلى معالى الاسلام، فينشط الكسالى إي العمل، ويزداد العاملون إيمانا بدينهم، وحتى يمكن اقناع غير المؤمنين بعظمة الاسلام.. فما هي حكمة الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان؟

جـ : فى نهاية رمضان يسن الاعتكاف، وهو: الزام النفس بالإقامة فى بيت منسوب لله تعالى، ليقطعه عن كل منسوب لخلق الله، فيخرج من الف بيته إلي بيت ربه، ويخرج من الف وجوده مع أهله إلي وجوده فى مناجاة ربه، ويخرج عن كل ما اعتاده خارج بيت الله، ليخلص وقتا فيه يصفو لله، وتكون له فيه الخلوة.

وكل ذلك يأخذ الانسان من الأنس بالموجود إلى الأنس بالموجد.. فوجود الانسان فى بيت ربه يعطيه شحنه، وبعد الشحن يخرج الانسان ليستقبل أمور حياته بما أفاض الله عليه من فيض ايمانه، وفيض تقواه، وفيض بره، وفيض رضاه، ليزاول حركة الحياة بهمة ونشاط كما يجب.

وحين سن رسول الله ﷺ أن يأخذنا فى آخر رمضان لنعتكف، فهذا

تصـعـيـد ارتقـائى فى التكليف.. لأن الف المكـان والف السكان والف الأهل يعمل فى النفس البشرية بعض العوائق عن الله.

فيـخرجنا الرسول ﷺ هذا المخـرج، لنجرب الصفـاء الذى يتأتى لنا، ونتعود أن نترك الأهل لبعض الوقت، لأنه يريد أن يعدنا لرحلة أخرى.. هذه الرحلة تعتبر الركن الخامس من أركان الاسلام.

لأنه بعد وقـت معين من شهـر الصوم سنتـرك كل شئ، ونذهب إلى الحج، فـأعطانا شيـئـا من الف الترك للأهل والمـال والولد والبيت لهـذا السبب.

* * *

الزكاة.. هل تطهر الفقير؟

س : الزكاة كما نص القرآن الكريم تطهير ونماء، فهى تطهر المال وصاحبه وتزكيهما.. ونحن نستطيع أن نفهم كيف يكون التطهير والنماء للمال ولرب المال.. ولكننا لا نستطيع أن نفهم كيف تكون تطهيرا ونماء للفقير الأخذ للزكاة.. فكيف يكون ذلك؟

جـ : نعم .. الزكاة تطهر آخذها، لأن الفقير وهو ضعيف ينظر إلي من هو أقوى منه، فقد تتحرك فى نفسه قوى الغيرة والحقد والكراهية والغل، ولكنه حين يرى انسانا أنعم الله عليه، ثم مد يد المعونة إليه على بساط الأخوة لا على أساس المن والأذى، فإنه يقول: إن هذه النعمة عند أخى القوى نفعتنى.

وحينئذ لن يوجد الحقد والغل على النعمة وصاحبها، فقد طهرت نفسه، ولم يتعب روحه، وهذا من ناحية التطهير.

أما من ناحيه النماء، فان الزكاة تعطيه ما لا تعطيه حركته فى الحياة.. وأيضا تدله على أنه فى مجتمع متكافل.. وحين يذوق المزكى عليه حلاوة العطاء من المزكى، فإنه يجهد نفسه ما وسعه الجهد ليذيق غيره هذه الحلاوة، ولا يأنس إلى الكسل والعجز.

* * *

قول رسول كريم.. كيف؟

س : يقول الله تعالى فى سورة التكوير: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ يعنى: القرآن.. فكيف يقرر الله تعالى أن القرآن قول الرسول الكريم ﷺ، ونحن نؤمن بأنه كلام الله سبحانه وتعالى؟

جـ : مسألة الحق سبحانه وتعالى هذه قضية منتهية.. كأنها أصل فطرى.. لا خلاف عليه،، وإن نشأ خلاف فإنما يكون فى الوسائط التى تبلغ عن الله.. أما الله فحقيقة فطرية لا يمكن للعقل أن يقف فيها.. أما الذي يقف فيه العقل فهى الوسائط التى يصلنا بها هذا الشئ.

وذلك لأن الحدث الواحد يمر بمراحل متعددة، فينسب مرة إلي المصدر الأول، ومرة ينسب إلى الوسيط الأول، ومرة ينسب إلى الواسطة الثانية.

ومثال ذلك قبض الأرواح.. فالله تعالى هو الذي يطلبها، ولكنه سبحانه لا يزاول جزئيا قبضه، فيقورل: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الزمر (٤٢). لأنه لا تتوفى نفس الا بأذنه.. ثم يقول :﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ السجده (١١). نسب الوفاة إلي ملك الموت.. ثم قال: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ الانعام (٦١).

اذن فمرة يجئ بها من المصدر.. ومرة يجئ بها من الوسيلة الأولى، ومرة من الوسيلة الثانية.. فكذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هو قول الله تعالى ، لماذا؟

لأن الله قاله ونحن لا نعرف أنه قاله.. فحـينما بلغ جبريل رسول الله ﷺ فأول بلاغ كان من جـريل عليه السلام.. فهـو فى هذا الوقت قول جـبريـل عن الله.. وعرفنـا أن الله أذن للقرآن أن يبـاشـر مـهمـتـه فى الوجود.. فالقرآن كان فى لوح محفوظ ات يعرف به ولا جبريل نفسه.. فلما أذن الله للقرآن فى مبـاشرة مهمته، ابتدأ باذن جـجبريل فى أن يأخذ القرآن ويبلغه لرسول الله ﷺ.

فحينما بلغ جبريل رسول الله ﷺ كان القرآن قول جبريل.. ونحن لا نعرف هذه المرحلة، إلى أن بلغنا رسول الله ﷺ بالقرآن.

اذن.. من الذى قال لنا؟

قال لنا رسول الله ﷺ، تبليغا بما قاله له جبريل.. الذى قال له الله.

انظر إلى كلمة (رسول) تجدها توحى بأمرين: الرسول الذى هو واسطة فى التبليغ بين مرسل (بكسر السين) ومرسل اليه.. المرسل إليه لا رأى له فى السرول الذي بلغ.. إنما الرأى لمن؟ لمـن أرسله. فما دام رسوله فـهو مرسل باختياره.. فمجرد علمنا بأنه رسول يكفى لأن نعلم أنه رسول من الله، لأن قضية الله قضية فطرية لا تحتاج إلى دليل غير دليل الفطرة.

* * *

فتنة الاستغراب

س : جرت على الألسنة كلمة «الاستغراب» فى العصر الحاضر، وذلك حينما يحذرنا المفكرون المخلصون من فتنة الاستغراب، أو التغريب.. وجهل الشباب بهذه الكلمة يحول بينه وبين الاستفادة من ذلك التحذيرات.. فمن هم أهل الاستغراب، وما هى فتنتهم باختصار مفيد؟

جـ : أهل الاستغراب، أو التغريب، هم الجماعة الذين مكنت لهم ظروفهم أن يذهبوا إلي دول الغرب، ويأخذوا من عملهم، ثم جاءوا إلينا لكى يفهمونا أنهم أصبحوا أمة ثانية.. وحاولوا جاهدين أن يأخذوا منا شيئاً، ولكن الخميرة موجودة، والمناعة موجودة، فماذا هم صانعون؟

لابد أن يدخلوا علينا بترف الحياة.. لابد أن يدخلوا علينا بزخارفها، حتى إذا ما ألفنا مفاتنها انهارت نفوسنا.

* * *

الكفار وسماع القرآن

س : كان الكفـار في عصـر رسول الله ﷺ حـريصين على عدم سـماع القرآن.. وعلى منع الناس من سماعـه.. وعلى ضرب من جهر به في المجالـس.. وطرد من جهر بـه في الصلاة.. مع أن القـرآن كان مشهوراً بينهم باعتباره معجزة التحدي الموجهة إليهم.. فلماذا..؟

جـ : القرآن فيه من عطاء الله ما تحبه النفس البـشرية، وما يستميلها، لأنه يخاطب ملكات خـفية في النفس لا نعرفـها نحن. . ولكن يعرفـها الله سبحانه وتـعالى. . وهذه الملكات تنفعل حينمـا يقرأ القـرآن. . ولذلك كان حـرص الكفـار على ألا يسمع أحـد هذا القرآن، حتى الذين لا يؤمنون بالله.

وذلك أن كل من يسمع القرآن سيجـد له تأثيراً وحلاوة قد لا يستطيع أن يفسرها. . ولكنها تجذبه إلى الإيمان.

ومن هنا كان أئمة الكفر يخافـون من سماع الكفار للقرآن أن يميلوا. . ولو كان القرآن لا يعـطي شيئًا من هذا، ولا يخاطب الملكات الخـفية في النفس، لما اهتم الكفار بأن يسمع أحد القرآن أو لا يسمعه.

ولكن شعورهم بالقوة والقدرة القـرآنية على النفس البشرية جعلهم لا يمنعون إسمـاع القرآن فقط، ويعتدون على من يتلوه في الأمـاكن العامة، بل قالوا: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

ومـعنى (الغوا فـيـه): شوشـروا عليـه. . ولا يمكن أن يكون هذا هو مـسلكهم، وتلك هي طريقتـهم، إلا خـوفًا مما يفعله القـرآن الكريم في النفس البـشرية. . وكيف يـستطيع أن يؤثر فـيها. . وأن يجـذب النفس الكافرة أو غير المؤمنة إلى حظيرة الإيمان.

وتلك من معجزات القرآن الكريم التي يتميز بها عن أي كتاب في هذا العالم . .

* * *

والرسول نفسه معجزة

س : يتردد في القرآن كثيرًا أن رسـول الله ﷺ هو البشير النذير المبلغ عن ربه . . وأنه لا يستطيع الزيادة أو النقـصـان على الوحي . . وأنه ليس مسيطرًا على النـاس . . ومن هنا درج السطحيون على إشاعـة القول بأنه بشر مـثلنا لا يزيد علينا . . فهو حـامل رسالة فقط لا يزيد عن رجل البـريد إلا أنه أمين . . ونحن نرى أن هذا السلوك يشكل مـعجـزة في شخص الرسـول الله ﷺ نفسـه . . فكيف نقيم الحجة على هذه الدعوى . . ؟

جـ : هذا صـحـيح . . فـعندما نـطق الرسول ﷺ بـالقرآن المعـجـز لأصحـاب المواهب البلاغـية النادرة . . نقـول في هذه الحالة : إن هذا القـرآن ليس من عنده . . فـليس من المعـقـول أن يكون عند عبقرية فذة هكذا ، ثم يكتمها إلى سن الأربعين .

ولذلك يعرض الله تعالى للمتـشككين فيقول : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ .

فـهكذا يقـول رسـول الله ﷺ : إنه ليس هو قـائل هذا القـرآن حـتى يبدله . . ثم تمضي الآية الكريمة فـتقول : ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ .

فرسول الله يرفض أن ينسب الكمال إلى نفسه، والناس بطبعها تدعى الكمال لنفسها، وتنسب للنفس ما لم تفعله، كل واحد منا يريد أن يثبت أنه عبقري.. وأنه عالم.. وأنه في فنه مسيطر.. وأنه لا يوجد من يفهم مشاكل الدنيا كلها إلا هو..

وهو في سبيل ذلك مستعد أن يسرق جهد غيره، وينسبه إلى نفسه.. أي إن الطبيعة البشرية كلها تحاول أن تدعى الكمال ولو كذبًا.. ولكن الناس يريدون أن يعطوا الكمال لرسول الله فينسبوا إليه أنه هو الذي قال هذا القرآن..

وبدلا من أن ينساق رسول الله وراء هذه الكمال الذي يحاولون أن يلصقوه به، لا يزيد في رده عليهم علي ما أوحى الله إليه به أن يرد فيقول: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.. ثم بعد ذلك يوحي إليه الله بالدليل ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. أي إنني عشت معكم أربعين سنة قبل أن يوحي إلي، ولم أحاول حتى مجرد الدخول في مزايدات البلاغة والخطابة والشعر.. ولم يشتهر عني ذلك.. بل كنت أقول كلامًا عاديًا..

فإذا كان هذا هو خلقي وطبعي كما تعرفون فيجب أن تعلموا أن الكلام الذي أعجزكم والذي أتلوه عليكم هو وحي من الله، وهو كلامه، فلو كنت أحسن فن الكتابة والخطابة فربما ساوركم الشك.. ولكني كنت أقول كلامًا عاديًا ولا أسابقكم في مضمار الخطابة ومن هنا كان الرسول في ذاته معجزة.. وهذا هو الدليل.

* * *

توثيق نقل القرآن

س : يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ . . والشيعة بدورهم يقولون: إن تحريفًا حدث في القرآن . . فكيف نرد عليهم من واقع تدوين القرآن وقت نزوله . . ؟

جـ : كان الرسول ﷺ ينزل عليه القرآن . . وكان يملي على أصحابه الآية أو الآيات . . ويدونها كتبة الوحي . . وقد تطول الآيات وقد تقصر، ولكنها أصبحت مدونة مكتوبة . . من جهة . . وأصبحت محفوظة في صدور الحفاظ من جهة أخرى . . أي إنها أصبحت موثقة بالكتابة والحفظ .

ثم يأتي رسول الله ﷺ وهو الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، ويقرأ بهذه الآيات المدونة والمحفوظة في الصلاة، وعلى أصحابه، وعلى الوفود التي كانت تفد عليه . . ويتطابق ما يقرؤه الرسول ﷺ مع المدون المكتوب ومع المحفوظ بدون زيادة حرف ولا كلمة . . ولا تقديم ولا تأخير . . تمامًا . كما نزل من عند الله . . وهذا دليل وثيق على وثاقة نص القرآن .

* * *

المضاربة الكريمة بمال الله

س : حينما نستعرض آيات الملكية في القرآن نرى أن الله تعالى يعطينا حق الملكية في المال على أن نعمل فيه بطريقة تشبه المضاربة.. ولكنها مضاربة كريمة، لأن حق الله تعالى في الربح يعود أثره على من أعطاه الله المال للعمل فيه.. نريد بيانًا لهذه اللفتة.

جـ : يقول الله تعالى عن الأغنياء الكانزين للمال: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾.

ويقول لك بعض الناس: لماذا تكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم على الترتيب؟

لأنك عندما تلاقي المحتاج تكشر بوجهك، إذن فهذا أول ما يكون.. ثم بعد ذلك تحاول بلباقة أن تتصنع أنك لا تراه.. فتعطيه جانبك.. ثم تعطيه ظهرك وتمشي.. فيكون الجزاء تباعًا: جباههم ثم جنوبهم، ثم ظهورهم.

دين بهذا الشكل، يعلمنا بهذه الصورة، ويجعلنا جميعًا عمالا، ولا فضل لأحد على أحد إلا بحسن العمل، وأنت يا غني لا تعطي الفقير من مال أبيك، بل من مال الله وحقه.

وما دام الله قد خلقه فلا بد أن يرزقه، إذن رزقه مطلوب من الله تعالى، طالما يعطيه طاقة الرزق، وهي القدرة.

إن رزقه من حصة الله في مال الغنى، وحصة الله ليس فيها ظلم، لأن

الله قال للغـني: أنت مضارب فـيمـا أملك، فأنت قد دخلت الـدنيا بلا مال، فمن أين أتيت بالمال؟

إذن تأخـذ أجرة عـملك على قـدر عـملك، وآخـذ حقي، لا آخـذه لنفسي، بل آخـذها لك.. لأنك عندما تعطي وأنت غني ستـأخذ وأنت فقير.. إذن فإني أعمل لك تأمين حياة.

* * *

توثيق الديون.. لماذا؟

س : يأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نوثق الديون بالكتابة . . وقد يكون المدين عاجزًا عن رد الدين . . فما فائدة التوثيق إذن . . ؟

جـ : عندما يقول الله تعالى : ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ فقوله : ﴿ اكْتُبُوهُ ﴾ يضمن المال لصاحب المال . . صحيح هو يضمن المال لصاحب المال . . لكنه في الوقت نفسه يحمي المقترض من نفسه . . ويحمي المجتمع أيضًا . . فقد يأكل المقترض المال طالما ليست هناك كتابة أو توثيق . . فالمسألة ليست في أكل المال . . ولكنها تجعل كل ذي مال يضمن أن يستدين أحد منه ويرد له المال . . أما ألا يرد المال المقترض، فعندئذ تقف العجلة .

لكنه عندما يكتبه يعرف أنه لا بد عليه أن يؤديه، فيعمل ويجد ويؤديه لصاحبه . .

إذن كتابة المال ليست حفاظًا على صاحب الدين . . ولكنها حفاظ على المدين نفسه من نفسه . . وحفاظ على المجتمع من أن تتسرب إليه ظاهرة عدم الثقة .

ـ كأن الإسلام يمنع الدين إلا بتوثيق . . ؟

ـ نعم . إلا إذا كانت المعاملة بينك وبين حبيبك، ومن ماله كمالك، فيقول الله تعالى في مثل هؤلاء : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ .

فالذي وضعته أنت في هذا الوضع، ليس هناك ما يمنع من ألا تكتبه .

وكذلك إذا كانت المعامـلات كثيرة وزائدة وبشكل مستمـر، فيقول الله تعـالى: ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيـرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا﴾.

لأن عملية الكتابة هنا متعذرة في الديون التجارية.

* * *

الزكاة من يد الحاكم

س : أيهمـا أفضل.. أن يجمع الحكام والولاة الزكاة ويوزعـونها. أم يترك ذلك لكل من تجب عليه الزكاة، ليوزعها بنفسه..؟

جـ : حينما كان الولاة والحكام يحكمون بشريعة الله ودينه، كانوا هم الذين يجمعون الزكاة، لأنهم كانوا يخافون على مال الله..

وحكمة الإسلام في هذا حكمة سـامية.. لأن كوني آخذ من يد الوالي خـير على نفـسي من أن آخـذ من الذي يوجد مـعي في الشارع. لأني عندمـا آخذ من الذي يوجد مـعي في الشارع تولد عندي ذلة نفس لنفس متكافئة.

أما الوالي الكبير فنحن مسئولون منه جميعًا.. والفقير يستتر من الذلة وهو يأخذ من الوالي.

إذن المجتـمع مصـونة كرامـته.. وصـاحب الطاعـة فيـه مضمـون له الثواب.. ليس هناك أحد تنكسر نفسه لأحد.. وليس هناك أحذ تنخدش عزته.. حتى ولو لحماية غير المكلفين.

ـ ما معنى حماية غير المكلفين؟

ـ يعني مثلا أن رجلا مكلف ورب أسرة وعيال صغار. . ويراني أولادي أتصدق على امرأة. . إذن يمكن لأولادي أن يتكبروا على أولادها. . وقد يكسروا خاطرهم يومًا بكلمة. . ولذلك من الحرام أن يعرف الصغار أنك تعطي لفلان شيئًا. . حرام لأنها لم يكلفوا بعد.

إذن فحين تعطي يجب أن يكون العطا مستورًا.

ـ هناك حالات لا يثق الإنسان فيها في الجهاز الحاكم بسبب شيوع التسيب والاختلاس فما موقف المتصدق حينئذ؟

ـ عندما لا يثق الناس، وعندما لا يجئ الحاكم باختيارهم، وإنما هبط عليهم بالباراشوت، ويرون الحاكم والذين معه يعيشون في بذخ وترف، يقولون: هذا كله ما لنا. . في هذه الحالة لا آمن إلى أن أعطي الذين أعرفهم من الفقراء.

***

الإسلام والمصطلحات الحديثة

س : من مظاهر المفكرين لكل ما هو غريب عن الإسلام أنهم يكتبون كثيرًا في موضوعات مثل «الديمقراطية في الإسلام» «والإشتراكية في الإسلام». وما أشبه ذلك من مصطلح حديث.. فهل يعتبر هذه الاتجاه تجديدًا في مفاهيم الإسلام.. أم يعتبر جريمة في حق الإسلام..؟

جـ : الذين يقولون في الإسلام: إنه يمين أو يسار، أو اشتراكي، أو ديمقراطي.. أقول لهم: الإسلام ليس من هذه الجهات.. لأن الإسلام فوق ذلك كله.

والفوق من الجهات لا يعتبر تقديمًا ولا رجعيًا ولا يمينًا ولا يسارًا، ولا اشتراكيًا ولا ديمقراطيًا.. لأنه فوق ذلك كله، لأن هذا كله اصطلاح بشر.. ولا يمكنني أن أحكم اصطلاح البشر.

وما دام الإسلام قد سبق إلى ما هو أسمي وأرقى من الاشتراكية وهو الأخوة.. فما فضول الاشتراكية في أن تتدخل فيما جاء الإسلام بأعظم منه.. لماذا يأتي هذا الاسم عندي؟ إنه اسم ليس له مدلول.. وإنما يكون له مدلول إذا كان مفقودا عندي وجاء لي بموضوع جديد.

ولماذا آتى بكل ما فيه خير من الإسلام ثم ألصقه باسم من الأسماء المحدثة المقرونة بالنظرية الإلحادية.. وأنا عندي الاسم الاسلامي الأرقى؟

إما أن يكون الإسلام أوسع، أو مساويًا، أو أقل.. إن كان أوسع فما دخل الضيق في أن يدخل على الأوسع؟ إذن فليس هناك حاجة لهذا اللفظ عندي. وكون مدلولات الألفاظ تلتقي فهذا موضوع آخر.

والناس الذين فكروا في الاشتراكية على فرض حسن الظن بهم معذورون في أن يذهبوا باستنباط بشريتهم إلى أشياء تخفف ويلات العالم، لأنهم ليس عندهم اسلام، ولم يكن عندهم دين.

ونحن نقول لهم: ما دام في الاسلام أرقى منها فما حاجتنا إليها؟

ما الأسبق، هي أم الاسلام؟

متى نشأت الديمقراطيات والاشتراكيات؟

أنا لا أتهم هذه المبادئ بأنها شر كلها، بل لها أشياء وجد فيها خير.. لكن هل كنت أنا خلوا من هذا الخير؟ أبدًا.

أنا لا ألوم روسيا، ولا ألوم غير المتدينين في أن يبحثوا قضايا الخير لأنفسهم بأي لون، إنما ألوم المسلم، لأن عنده الخير كله.

وما دام لديه الخير كله، فلماذا يحتاج إلى هذه المبادئ؟

هل يمكن أن يكون الإنسان مسلمًا وشيوعيًا في آن واحد؟

هم معذرون في أن يقولوا إن القرآن ليس فيه هذا التحقيق.. لكنهم لا يعرفون شيئًا عن القرآن.. الذي يقول إن القرآن فيه كذا وكذا يجب أن يكون دارسًا ومستوعبًا.. وأنا أتحدى أن يكون واحد من هؤلاء قرأ القرآن، أو استنبط منه.. إذن هو يحكم على شيء دون أن يتصوره.

قرأ عن الماركسية ألف كتاب، ولم يقرأ شيئًا عن القرآن، وعن الإسلام.

- ولكن بعض الماركسيين يقيمون الصلاة، ويحجون، ويتسمى كبارهم بالحاج فلان، ولا يرون مانعًا من أن يكون الشخص ماركسيًا ومسلمًا في آن واحد..؟

ـ عندما يقول لك: أنا ماركس.. أليس معنى هذا أنه يؤمن بما آمن به ماركس؟. وما أول ما قاله ماركس؟

قال: الدين أفيون الشعوب. فكيف نقول له: أنت مسلم؟

وإنما يحرصون على الاحتفاظ بالإسلام أخيرًا فقط لأنهم تلقوا الأوامر من أسيادهم هناك بأنه لم يحن الوقت بعد لأن نهاجم الإسلام.

فشلت هذه القضية.. ونحن لا يهمنا ذلك.

وهو عندما يقول: إن القرآن غير صالح لقيادة الزمان نقول له: أنت كفرت لأنك اتهمت الله فى أنه وضع منهجًا لا يصلح للبشر.

* * *

الإسلام يتسامى بالأنانية

س : الأنانية داء البشرية العضال.. فهي التي تصنع الفصام بين الأفراد والمجتمعات.. وهي التي تصنع الصراع المدمر بين الأمم.. وهي التي تجعل الإنسان يعيش في «قوقعة» هي نفسه.. فكيف وقف الإسلام من هذا الداء..؟

جـ : كل واحد في الوجود يحب نفع ذاته.. حتى المتدين الورع الزاهد، هو أناني يحب نفسه.. أليس يؤثر غيره على نفسه ولو كان به خصاصة؟ وما ذلك إلا لأنه يريد أن يأخذ لنفسه في الآخرة.

إذن الحق سبحانه وتعالى يحترم في الإنسان أنانيته.. ولكنه يتسامى بها.. وعندما ننظر إلى المجتمع نجد أن الإسلام ينظر إلى أن يكون كله لله.. والإنسان مخلوق.. وأراد الله أن يعطي وقودًا لحركة الإنسان في الحياة فقال:

الذي يأتيك نتيجة لحركتك في الحياة هو لك.. وأنا آخذ منك قدرًا.. والباقي أنت حر فيه.

وما دامت المسألة بهذا الشكل، فالذي يصير فقيرًا فهذا جزاؤه، لأنه ليست له حركة في الحياة.. أما الفقير المضطر فنحن متكلفون به.. ويلفت الحق نظرنا إلى ذلك فيقول: ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ ..

ـ ولكن النظام الاشتراكي يدعي أنه يقسم المال بين الناس بالسوية..؟

ـ لنفرض أننا جئنا إلى مجتمع من المجتمعات، وأخذنا المال، وقسمناه

بالسوية، فبعد فترة من الزمن ستنقلب المسألة مرة أخرى حسب همة الناس، والإسلام نظام محتواه أنك تملك ولا تملك.. أنا أملك المال، والله يقول لي: اعمل كذا في مالك.

- وما هو العنصر الذي يقضي على الصراع الطبقي في النظام الإسلامي؟

- عندما طبق نظام الإسلام بالمعنى الدقيق، من أن الحاكم مفتوح العين، يوجد لكل إنسان عملا، ويحمل الناس على أن يعملوا في الحياة، حاولوا أن يجدوا من يستحق الزكاة فلم يجدوه، لأن الإسلام يقول: اليد العليا خير من اليد السفلى.. والعليا هي التي تعطي، يعني: حاول أن تكون معطيًا.

إذن الإسلام يراعي الحركة في الحياة.. والله يرعى آثارها.. ما دامت الحركة في النطاق المشروع: استنباط المال، واستثماره، ومصرفه.

وهذه الثلاث هي الدعائم الاقتصادية: شرعية في الاستنباط، شرعية في الاستثمار، شرعية في الصرف.

والدين فرض عليهم العجز، وعدم الوجود نتيجة العجز، وهؤلاء يعيشون من الدولة. وما داموا يعيشون من الدولة، فالنظام الإسلامي نظام سليم.

* * *

متى يظهر الفساد؟

س : تكفل الاسلام بأن يحمي المجتمعات من الفساد . . ونحب أن نعرف: كيف يظهر الفساد في المجتمع، حتى نكون على بصيرة من أمر ديننا . . ؟

جـ : إن العالم لم يكد يفسد لو أن فساد الناس كان فيما اختلفوا عليه من الجزئيات . . أنا لا أريد منهم إلا أن ينفذوا ما ليس عليه خلاف . . والذي يجمع الكل على صحته .

ولو أنا مضينا في الاختلاف في ١٠٪ من المسائل، فلا يضر هذا الخلاف الـ ٩٠٪ . . إنما أصل الفساد فيما هو معلوم بالخلاف . فاعطني أولا الاستقامة على ما لا خلاف فيه، ثم تعال إلى الأشياء التي فيها خلاف، تجدها لا تضر .

لو أن عشر الناس محسن لتحمل التسعة أعشار . . فالحسنة بعشر أمثالها . . المحسن يعوض عشرة مسيئين . . إذن فلو أن عشر العالم محسن لا يظهر الفساد . . ولكن متى يظهر الفساد؟ . يظهر عندما تزيد النسبة .

* * *

الإسلام.. والصراع العالمي

س: الصراع الدائر الآن بين القوى العظمى في العالم يدل دلالة قاطعة على فشل هذه النظم كلها.. ويدل بالقطع على أن الوقت قد حان لظهور الاسلام حلا حتميًا لمشكلات العالم.. ولكن الدعاة عندنا بعيدون عن هذا الاتجاه.. نريد بيانًا يساعدهم على خوض هذه المعركة، ويبرز دور الاسلام في هذا الصراع..؟

جـ: لا بد أن تكون الحضارة منسجمة مع النفس كلها.. بحيث تصبح النفس ذات طموح.. ولا يصح أن نعلي ناحية من النفس ونخفض الأخرى.

كان هذا يكفي بأن نضمن حقوق العمال وحياتهم. ونخفف ساعات عملهم، ونعطيهم تأمينات صحية.. ولا مانع من أن يشترك العمال الأكفاء في إدارة المؤسسة.. لكن الأمر كان على غير ذلك.. وانتقل الظلم من الرأسمالية إلى العمال.

إذن هناك ظلم.. ظلم طبقة.. طبقة أصبحت قوية.. وخاصة أن مظهر قوتها الشرس في أنها هي التي تتحكم في تولية الحكم.

إذن الرأسمالي كان عنده مال يستغله، ولم تكن عنده سلطة يحكم بها.. لكن الآن انتقلت إليه ومعه السلطة التي تحكم.. ومن هنا يجئ الخطر.

هل بقيب المكاسب التي قالوا عنها للعمال عمومًا، أم بقيت لأفراد خاصة يسمونهم الحزب؟

ومن العجيب أنهم ينادون بالاشتراكية في كل شيء إلا الاشتراكية في الحكم.. لماذا تكون طبقة واحدة هي التي تحكم؟. هم ينادون بالاشتراكية.. ولكننا لا نجد أبدًا إلا الاحتكار في الحكم. وأن يكون الحاكم من طبقة العمال. أو من الحزب القائم.. فلماذا لا تكون الاشتراكية في الحكم؟

ومع ذلك، هل ثبتت عند هذا الحد؟

لا.. لم تثبت عند هذا الحد.. لماذا؟

لأن من الجائز جدًا كما حدث في مصر حينما أصابتنا هذه العدوى، وأممنا المؤسسات، وفرضنا الحراسات، ظلت المؤسسات بقوة الدفع الأولى، وبما فيها من دسم الخير الذي كان موجودًا سائرة في الحياة مدة طويلة.. وبعد ذلك خارت قواها، لأنها لم يعد لها رصيد ذاتي من القوة، فلما خارت قواها انكشفت وأصيبت الخسائر.. وأصبح هناك ضعف في الإنتاج.

فماذا كان هناك في الدولة الشيوعية الأصلية؟

بدأوا في الرجوع بعض الشيء عن مبادئهم.. فسمعنا كلمة «الحافز» ومعناه أننا نملك المجتهد شيئًا.. نملك المتقن شيئًا.

إذن هم رجعوا عن مبادئهم الأصلية.. لماذا رجعوا عن مبادئهم الأصلية، مع أنها لا تزال في دور التطبيق منذ خمسين سنة؟

قالوا: إن العجلة تسير.. سارت بقوة الدفع الأولى.. فلما وكلت إلى قوتها الذاتية لم تعد قادرة على السير، فكان لا بد لها أن تتراجع.

والنظام الثاني الرأسمالي بدأ أيضًا يرى هذا الغزو الطبقي، فماذا صنع؟

تنازل قليــلا عن تحكم الرأسمالــية. . أعطى للعمــال حقــوقًا. . حدد ساعات العمل. . وكون للعمال نقابات. . وأعطاهم أجورًا أعلى. . وغير ذلك من الحقوق.

إذن الرأسمالية ثبتت فسادها حينما ترا [illegible] . . والشيوعية ثبت فسادها فتراجعت. .

ولم يتراجــعا كمــذاهب اقتــصادية فقط. . بل ابتــدأ الاثنان يتراجــعان ليلتــقيا فــي الطريق. . وبدآ يسيــران في طريق المواجهــة وليس في طريق المدابرة، لأن طريق المدابرة مـعناه: أن الرأســمالي يســير وظهــره للمبــدأ الآخر. . والشيوعي يسير وظهره للمبدأ الآخر.

معنى هذا: أن المذهب الإصلاحي أصبح يحتم عليــهما أن يلتقيا، بأن هذه تتنازل عن خطئها وهذه تتنازل عن خطئها.

حين يوجــد ذلك ينبــت الاســلام. . لأن الاســلام دين الوسط لهــذا السبب.

* * *

وحي الله إلى البشر

س : حينما ندرس سير الأنبياء والمرسلين، ونريد أن نثبت لجماعات الملاحدة صدقهم فيما ادعوه من إيحاء الله إليهم.. فأي علامة من العلامات التي يدركها الباحث، ويركز عليها، ليثبت رأيه في صدق النبوة أو كذبها..؟

جـ : حين يوحي الله لبشر، تجد التسليم المطلق في كل ملكات النفس.. ولا تجد أية معارضة، ولذلك فإنه قد يأتي وحي من الله بأمر مناقض للعقل، ومع ذلك نقوم به ونتبعه. مثلا: أم موسى قال لها سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي﴾.

ولو أنك ذهبت إلى أي إنسان يخاف على ابنه من خطر، وقلت له: ألقه في البحر، لاتهمك بالجنون، ولم يقبل كلامك.. لأنك في هذه الحالة تريد أن تنجي الابن من موت مظنون إلى موت محقق.

فالابن إذا كان يتعرض للخطر، فإنك تأخذه وتخفيه في مكان آخر.. أو تهاجر به من دولة إلى دولة أخرى.. أو تقوم بإخفائه بحيث لا يظهر أبدًا.. ولكن أن تلقي طفلا بلا حول ولا قوة في البحر.. فإنك تحكم عليه بموت محقق، لأنك تقذف به إلى أمواج وتيارات قد تقتله.

إذا نجا من تيارات البحر فهناك الطيور الجارحة.. وهذا طفل صغير، لا يستطيع الدفاع عن نفسه، فإذا نجا من الطيور كانت له الريح

بالمرصاد.. تستطيع أن تقلب الصندوق الصغير الذي يرقد فيه.. فإذا نجا من الريح كانت هناك الأمطار يمكن أن تملأ الصندوق فيغرق.

وهكذا إذا نجا من واحدة لقى مصرعه في الأخرى.. ولكنك توصله إلى موت محقق.

ولقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا من ذلك: أنه مهما حفت بنا الأخطار فلا نحس أن هذا غضب من الله.. فقد يكون هذا الطريق المغلق طريق نجاة رسمه الله سبحانه وتعالى.. فلا يدخل اليأس إلى نفوسنا أبدًا.. ولا نحس ولا نعتقد أننا انتهينا.

ولكن الذي نريد أن نصل إليه هو أنه حين أوحى الله إلى أم موسى أن تلقيه في البحر أو النهر، قامت أم موسى بوضع طفلها في صندوق، وألقته في الماء دون أن يكون في نفسها أي معارض يمنع هذا، رغم أن العقل يرفضه.. وهذه هي سمات الوحي في مخاطبته لملكات البشر.

والله سبحانه وتعالى حين أوحي إلى أم موسى: أن ألقيه في اليم، جعلها تسمع أمره إلى الماء أن يلقيه بالساحل في قوله تعالى: ﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾.

والأمر هنا قد صدر من الله للماء. وعرفت أم موسى أن اليم سيلقيه بالساحل.. فأرسلت أخته لترى أين يذهب.. وفي أي مكان سيلقيه الماء.

* * *

يائس الكفار من حرب الإسلام

س : اضطرب منطق الكفار في مكة بعد أن يئسوا من حرب الإسلام في شخص رسول الله ﷺ . . فما مظاهر هذه الاضطراب، وما دلالته . . ؟

جـ : حين أرسل الله سبحانه وتعالى محمدًا ﷺ، وفاجأ الناس بهذا البيان، ذهلوا . . ولم يستطيعوا أن يردوا . . كانوا يريدون تكذيب القرآن، ولكنهم لا يعرفون كيف يكذبونه .

قالوا: هذا ساحر . . وكان الرد ببساطة: أن المسحور ليست له إرادة مع الساحر . . ولذلك نقول لهم: إذا كان محمد ساحرًا، وسحر الناس، فلماذا لم يسحركم أنتم؟ لماذا لم يسحركم حتى تؤمنوا به . ؟ لو كان ساحرًا لما امتنعتم عليه . . إنما كونكم الآن جالسين ترددون، معناه أنه لم يسحركم . . وهذا دليل على أنه ليس بساحر .

وقالوا: هو مجنون . . ونحن نقول لهم: إن الجنون هو عمل بغير رتابة . . بمعنى أنك لا تستطيع أن تتنبأ بما سيفعله إنسان فاقد العقل . . بل إنه قد يكون جالسًا معك يتكلم . . ثم بعد دقيقة واحدة يضربك أو يقتلك .

رتابة العقل هنا غير موجودة . . فغير العاقل لا يمكن أن نقول: ماذا سيفعل في الدقيقة التالية .

ورسول الله ﷺ كان على خلق عظيم . . بشهادة الله سبحانه وتعالى . . وبشهادتكم أنتم . . حتى كنتم تلقبونه بالأمين . . وتأتمنونه على

أموالكم.. وعلى كل شيء له قيمة. وكيف يمكن أن تأتمنوا إنسانًا بلا عقل؟ إذن فأنتم تردون على أنفسكم.

ـ ربما قالوا: إن الموهبة جاءته فجأة.

لا يوجد إنسان تأتي إليه المواهب فجأة.. فأنت إذا أردت أن تتعلم شيئًا لا بد أن تبدأ بالتجربة والخطأ، فإذا أردت أن تقود سيارة لا بد أن يأتي إنسان يعرف قيادة السيارة ويعلمك.. فتخطئ وتصيب.. ثم بعد ذلك تقود السيارة آليًا.. ورسول الله ﷺ لم يعلمه أحد البلاغة. ولم يتدرب عليها.

وكان خلقه الحق والصدق.. ولقبه الأمين.. والسلوك هو: انطباع النفس على خلق معين انطباعًا ييسر الحركة فيه بدون فكر.. فيقال: فلان خلقه الكرم. أي: إنه كريم حتى ولو كان يملك القليل.. خلقه الصدق. أي: إنه صادق حتي ولو على نفسه.. خلقه الأمانة. أي: إنه أمين مهما بلغت قيمة ما تأتمنه عليه.. لا يطمع ولو كان فقيرًا.. ورسول الله ﷺ عرف بهذه الطباع كلها.. وعرف بأنه على خلق عظيم.

ولقد تعب الكفار من أن كل ما حاربوا به هذا الدين أظهر الله كذبه وبطلانه.. ولهذا قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾.

وكان المنطق أن يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه، إنما هذا دليل على كراهيتهم للحق، وتبنيهم للباطل.. وقالوا: ﴿وَلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾. لأنهم يريدون واحدًا منهم، يأمنونه في أن يكون معهم، ولو كان هذه ضد الحق.

فالاعتراض هنا على أنه ليس من هؤلاء الأغنياء الذين يمكن أن يتعاطفوا معهم، أو يمكن أن يتبعوهم دون أن يحسوا بأن شيئًا قد تغير.

* * *

نهاية الخلق

سئل العارف عبد القادر الجبيلي رضى الله عنها: ما هي النهاية؟ أي: ما هي نهاية البشر والدنيا؟ فقال:

هي الرجوع إلى البداية.. أي إن الله سبحانه وتعالى يعيد الخلق مرة أخرى.. فكأننا حين ننتهي نعود إلى البداية من جديد. قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾.

* * *

إدراك الغيب.. لكل الناس

س : الفلسفة المادية أو النفعية تتشبث بكل محسوس.. وتنكر ما عداه.. والإسلام يقرر الغيب حقيقة واقعة.. فهل أعطانا الله سبحانه وتعالى في حياتنا نماذج من إدراك الغيب يمكن أن نرد بها على هؤلاء..؟

جـ : نعم.. فالإنسان في علاقته بالله سبحانه وتعالى يدخل في حالات تتغير فيها طبيعة اتصاله بما هو غيب عنه(١).. حتى بالنسبة للشخص الواحد.

فأنا مثلا في اليقظة.. وفي حياتي اليومية أرى أشياء بقدر ما تعطيني هذه اليقظة من وعي دنيوي.. أو بقدر ما يحجبه عني جسدي المادي من أشياء لا أستطيع أن أراها. فإذا نمت تغير الحال، وتغير قانوني مع الكون، وأصبحت أرى أشياء لا أراها في يقظتي.. ولا تدخل في نطاق العقل البشري. كأن أرى نفسي أطير في الهواء بدون طائرة.. أو أرى نفسي في أماكن لم أرها في حياتي.. أو أتحدث مع أشخاص انتقلوا إلى رحمة الله منذ طويلة، وفارقوا هذه الدنيا.. أراهم رؤية العين.. وأتحدث إليهم حديث البشر للبشر.. أو أرى أشياء عجيبة تحدث ولا تتفق مع

(١) وهناك غيب جزئى نعلمه بعد فترة زمنية قصرت أن طللت فلو طرق فأنا لا أعلم من هو خلف الباب ولكن بعد فترة زمنية أعلمه وهناك غيب أخبر به رسول الله ﷺ مثلا فى رحلته ﷺ فى الإسراء والمعراج وإخباره بما فى الجنة والنار ، وهناك غيب استأثر الله به لم يعطه لأحد مثل الإخبار عن الروح.

ومن يؤمن بالغيب فإنه يحترم مناط التكليف ، وايضا يحترم عقله الذى قدحه بحدود معينة فلو أراد أن يدخل عقله فى غيب قد حجب عنه فانه لايحترم عقله لأنه لأنه بالتالى سوف يهذى بكلام وآراء يستمع إليه أو يقرئها لا يحترم ما قال أو كتب.

العقل والمنطق.. كأن أسقط من فوق جبل عال جدًا ولا يصيبني سوء..
أو يضربني إنسان بآلة حادة ولا أموت.

والعجيب أن الرؤيا تتم والعين مغلقة.. أي إن كل ما أراه لا يتعلق ببصري الدنيوي الذي يحتم وجود شيئين:

أولهما: أن تكون العين مفتوحة.

والثاني: أن يكون هناك ضوء، أو بصيص من الضوء.

فإذا أغمضت عيني في الحياة الدنيا لا أرى.. وإن كان الظلام حالكًا لا أرى.. ولكن كلا الشيئين يكون موجودًا وأنا نائم.. فالعين مغلقة.. والظلام حالك، ومع ذلك أرى.. وأرى بوضوح شديد جدًا.

إذن فالروح لها قوانين مختلفة عن قوانين الجسد. وهي يمكن أن تلتقي مع الذين فارقوا الحياة وتتحدث معهم. والإنسان حين يكون نائمًا ينتقل إلى عالم غير عالم اليقظة.. فتلتقي روحه مع أمه وأبيه.. فإذا استيقظ ضاع كل هذا.

والعلم فيهذه الحالة عاجز عن أن يفسر لنا هذه الظاهرة.. فإذا سألت أبرع العلماء عن هذه الظواهر حدثنا بكلام لا دليل عليه من العلم. فإذا سألته أن يشرح لك القانون الذي يخضع له الإنسان حين ينام.. وكيف يمكن أن يرى وعيناه مغمضتان.. وأن يسير ورجلاه فوق السرير راقدتان، وقف عاجزًا عن أن يقدم لك شرحًا لهذا القانون.. أما نحن فلا نملك إلا أن نقول: سبحان الله.

* * *

الله والزمن

س : قلتم مـــرارًا وتكرارًا إن الله تعــالى لا زمن عنــده. . ليس عنده ماض ولا حاضر ولا مـستقبل. فماذا نفـسر حرف «السين» وهي تدل على الزمن المسـتـقبل القـريب. «وسـوف» وهي تدل على المستقبل البعيد. وكلاهما وارد في القرآن، وهو كلام الله. . ؟

جـ : نقول لهؤلاء: إن الله تعــالى لا زمن عنده، ولا تحده حدود ولا قـيود، ولكن القـرآن كـتاب منزل من عـند الله. . ولذلك فهـو يخاطب الناس على قدر عـقولهم، ويعطيهم بالقدر الذي تفـهمه بشريتهم. . ويتفق مع القوانين والأسـباب التي وضعها الله تعالى في الأرض.

* * *

الثواب والعقاب

س : بعض الناس ينظر إلى الثواب والعقاب كواقع.. ولا ينظر إليهما كدافع إلى العمل.. ويقولون: إن الله حين يشرع الثواب أو العقاب على شيء، فليس معنى ذلك أنه يريد حدوث الأمر المعاقب عليه.. فعندما يقول: إن السارق تقطع يده.. فهو لا يريد من الناس أن تسرق.. ولكن الغرض هو عدم السرقة.. فما الرأي في هذا..؟

جـ : أنا أريد أن أسأل من يقولون هذا: ألم ينظر أحدهم في حياته اليومية ليجد البشر بتفكيرهم ولو كان غير ديني، يضعون قوانين ثواب وعقاب؟

ألم تضع الأم ثوابًا وعقابًا لأبنائها، وهي أحن الناس عليهم.. وكذلك الأب؟. والدولة تضع ثوابًا وعقابًا لمن تربيهم من أبنائها؟

إذن فكل راع على شيء يضع ثوابًا وعقابًا لرعيته.. فما دام الناس قد آمنوا بأن الله هو الذي خلق، فمن المنطقي أن يضع ثوابًا وعقابًا.. ولو لم يضع الثواب والعقاب لوجدت فجوة كنا نسأل عنها، لأن أتفه الأفكار في الدنيا يضع الثواب والعقاب.

فوجود الثواب والعقاب ضرورة مع وجود الاختيار.. فما دمت مختارا لأن تفعل أو لا تفعل فلا بد من وجود ثواب وعقاب.. وإلا انطلقت حرية الفعل.. ما دمت مختارًا فلا بد أن تتحمل نتيجة اختيارك.

فالتلميذ يذهب إلى المدرسة وهو حر في أن يستمع إلى مدرسة أو لا

يستمع.. يفهم أو لا يفهم.. يذاكر أو لا يذاكر.. فهو مختار طول العام.. ولو لم يجد اختبار آخر العام ونجاح ورسوب لما حاول أي تلميذ أن يجهد نفسه في الاستذكار والتحصيل أثناء العام.

إذن فوجود الثواب والعقاب هو ضمان لعدم انحراف حرية الاختيار.. ولذلك لا نضع ثوابًا وعقابًا لأمر لا اختيار لنا فيه.

إذ فلا يصح أن نسأل: لماذا يوجد ثواب وعقاب.. ولكن لو لم يكن الثواب والعقاب موجودًا لكان يجب أن نقول: لماذا لا يوجد ثواب وعقاب؟

والمراد من العقاب ليس أن يقع المحظور.. ولكن تلافي وقوعه.. فعندما أقول: إن السارق تقطع يده فليس معناه أنني أقول له: اسرق لأقطع يدك، بل معناه أني أقول له: إياك والسرقة، وإلا قطعت يدك.

ثم ننظر إلى شخص سلك في حياته مسلكًا نافعًا للمجتمع، وعاش لا يعتدي على حقوق الغير.. وإنسان آخر على عكسه.. أمن العدل أن يكون العدل أن يكون هذا مثل الآخر؟. هل من المعقول أن يتساوى إنسان منحرف في الحياة يقتل ويسرق ويعتدي على الغير مع إنسان شريف أمين مسالم؟

إذن فالجزاء يجعل حياة الإنسان في الدنيا والآخرة وحدة لا تنعزل إحداهما عن الأخرى، فلا يكون سعيدًا في الآخرة إلا إذا أحسن في الدنيا.. فلا ينفصل عمله في الدنيا عن جزائه في الآخرة وحدة واحدة.

كذلك عندما يعمل إنسان عملا شريرًا فإنه يكون أسوة لمن يراه ولا يجد عقابًا يردعه.

جرم الإنسان

س : يسأل الكثـيرون عن الجرم الذي فـعله الإنسان ليـعذب كل هذه المراحل من العذاب يوم القيامة..؟

جـ : إنه لا يعذب المؤمن بالله.. ولكن من يعذب هو من يأخذ نعمة الله التي أنعمها عليه ثم يستعملها فيما لم يأمر به الله.

ويكفي الإنسان من الله نعمـة وجوده في الكون.. وإمداد الله للإنسان بما يكفل له الحياة.. وأنه وهب للإنسان عـقلا يخطط، وجوارح تنفذ ما خططه العقل، ووهب له المادة التي يستعملها في تنفيذ حاجاته. وبعد كل هذا يأتي الإنسان ليجرم في الكون.. فلابد أن يكون نـتيجة هذا الجحود والنكران شقاء الجاحد المنكر في الآخرة.

❊ ❊ ❊

العبودية للإنسان

س : سألت سائلة فقالت: ما سبب الشقاء والذل والعبودية من الناس بعضهم لبعض..؟

جـ : وأجاب فضيلة الشيخ فقال: إنه لا يعتد على الدين بأمر ليس من الدين. ولكن فعل الناس ذلك لأنهم على غير منهج الدين. فلا تأخذي مخالفات الدين على أنها حجة ضده. وما دام الناس قد فعلوا ما تقولين من ذل وعبودية بعضهم لبعض.. فلماذا نستكثر عذاب الله لهم وقد استبشعنا فعلهم الخاطئ هذا؟

* * *

حائرة في دينها

بعثت سيدة حائرة بعدد من الأسئلة إلى فضيلة الشيخ فأجاب عنها في مجلة حواء بتاريخ ٦/ ٣/ ٨٢. ومن هذه الأسئلة.

- ألا يكفي الله نفسه العناء من خلق آدم[١]. . ؟

العناء من الفاعل يحدث عندما يفعل بالمعالجة. . ولكن الله سبحانه يفعل ما يريد بلا معالجة. . فإذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون. فهو سبحانه وتعالى لا يتعب.

***

- أين هو المكان الذي يمكن أن يتسع لبلايين البشر يوم القيامة. . ؟

يبدو أن السائلة لا تعرف أن هناك أرقامًا فوق البليون. . فالبلايين لا تساوي شيئًا بالنسبة لخلق الله منذ آدم إلى النهاية.

ونحن الآن فقط الذين نحيا على الأرض في هذه اللحظة أربعة بلايين. . ونحن خلفاء لمن قبلنا. . ثم كم يخلفنا بعد ذلك؟.

ويبدو أنها أيضًا لا تتصور حجم الكون. . فالأرض كوكب من أحد عشر في المجموعة الشمسية. . والمجموعة الشمسية واحدة من مائة مليون

---

(١) فهذا رأى اليهود إنهم يقولون إن الله خلق الأرض والسماوات فى ستة إيام فتعب فى اليوم السابع فكان هذا اليوم عيداً وراحة لهم إنه يوم السبت ، فأى إله هذا الذى يتعب ، على الله فلو كثيراً عما يقولون ، فمن الحمق والغباء أن نجعل لله تعالى بشرية ، فهذا نهج اليهود دائما ، فهم قتلة الأنبياء ، وسفكة دماء ، ولا يراعون لله حرمة ، فقد حكى القرآن سخفهم مع الأنبياء حتى قالوا لموسى عليه السلام «أذهب أنت وربك فقاتلا».

مجمـوعة شمسيـة في مجرتنا التي نعرفـها. ونعرف غير مـجرتنا مليون مجرة. وكل ذلك دون السماء الدنيا.

إذن فأين ملك الله؟ وما السموات والأرض وما بينهما بالنسبة لملك الله إلا كحلقة ألقاها ملك في فلاة.

وعلم الفلك يسر علينا هذا الفـهم.. وهو يحسب حسابـاته بالحساب الضوئي، لتقريب الأرقام الكبيرة جدًا إلى أذهاننا.

ولا يمكن أبدًا أن نتصور ملكه سبحانه وتعالى.. فأنت حينما تصورت أن العالم ينحصر في كوكب الأرض فكأنك اعتقدت أن العالـم هو العمارة التي تسكنين فيها.. أو المدينة التي تعيشين فيها.

* * *

- وتقول: إذا كـان المرء يفر من أبيـه وأمه وأخـيه يوم القـيامـة، فأين يذهب كل الحب لأبي وأمي وإخوتي..؟

- لقد أراد الله سبـحانه وتعالى أن يضرب مثـلا للإنسان بأن له ذاتية. هذه الذاتيـة تجعل حبـها دائمًا لأنفـعهم لها.. ولـذلك فإن حب الولد لأمـه لا ينشـأ لمجرد أنهـا أمـه.. ودليل ذلك أن الطفل إذا ابتعـد عن أمه.. وأرضعـته وحضنـته امرأة أخـرى.. واعتنت به وربته.. فـإن الولد لا يحب أمه، ولكن يحب من أحبـته وحنت عليه.

ووضع الله في الأب والأم حبًا لأبنائهـما قدر الحاجة. ولذلـك فعندما سئلت المرأة: من أحب أولادك إليك؟

قالت: الصغـير حتى يكبر.. والمريض حتى يشـفي.. والغائب حتى يحضر.

إذن فالحب يكون حسب الحاجة.

ويوم القيامة لا يتعرض المؤمنون الذين عملوا الصالحات لمثل هذا.. قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

أما الذي يفر من أهله فهو الذي عمل المعصية، وأغضب الله.. وجزاؤه.. فيعيش كل واحد حينئذ في مصيبته. أما المؤمنون فيعيشون آمنين مطمئنين.

* * *

- وتسأل: أيرضى الله أن أفر ممن كانوا سببا في وجودي..؟

- لا أعرف لما تستغربين ذلك إذا كان هذا الإنسان قد فر بالكفر والمعصية ممن أوجد السبب في وجوده؟.

* * *

- **وتقول إن حياتنا معلومة عند الله قبل أن نولد.. فلم يحاسبني على جرم هو مكتوب على من قبل[1]..؟**

- يجب عليك أن تعرفي أن هناك فرقًا بين أن يكتب الله علينا ما علم أننا سنفعله.. وبين أن يكتب علينا شيئًا لنفعله.

فهو سبحانه يكتب على أزلا ما علم أني سأفعله باختياري.. كما يأتي أستاذ الفصل ليقول قبل الامتحان: إن فلانًا ينجح وفلانًا لا ينجح..

(١) سأل أحد المسلمين الخفة العادل عمر بن الخطاب رضى الله عنه السؤال فقال عمر إن الله يعلم ما فى الأرض، فقال: بلى: فقال عمر: أليس الله يعلم ما فى السموات والأرض فقال: بلى فقال عمر: أو يؤثر علم الله فى عبده فيما يعمل.

وبعد ذلك تأتي النتيجة وفق ما قال.. وهذا دليل على سبق العلم.. وليس دليلا على تدخل الأستاذ في الامتحان.

* * *

دور الداعية في هذا العصر

س : سئل فضيلة الشيخ: ما هي حدود دورك كداعية إسلامي؟ وما طبيعة هذا الدور؟ وماذا تأمل وترجو منه..؟ ومتى تكون راضيًا عن نفسك في هذا..؟ وكيف يمكن أن يتطور دور الداعية..؟ وما هي حقيقة آمالك..؟

جـ : إذا كان لي أن أقدم شيئًا قبل أن أجيب على هذه التساؤلات، فإني أحب أولا أن نتفق على معطيات.. لأن العقول البشرية أجل من أن تختلف في أمور تجتمع على مقدماتها.. ولكن الخلاف إنما ينشأ في النتائج لاضطرابنا في فهم المقدمات.

فإذا ما اتفقنا على المقدمات، أمكننا بعد ذلك أن نوجد للفكر أرضية يقف عليها.. لأنني كما قلت أجل عقلي أن يختلف في أمر له أرضية يتفق عليها.

وكل ما يظهر من الخلاف حين توجد هذه الأرضية إنما نسميه نحن اختلاف وجهة نظر.. أو انفكاك الجهة.

حين نتكلم عن دوري أنا، وما أرجوه وما آمله، وما وسائلي في هذا الدور، أقول:

إن دوري أنا هو: استكمال إيماني أولا.. ومعنى استكمال إيماني: أن

هناك قضية من قضايا الدين تقول: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. فإذا كنت قد ذقت شيئًا من حلاوة هذا الدين الذي آمنت به، فإن من كمال إيماني أن أنقل هذه الحلاوة إلى غيري.

هذه أولا قضية شخصية.. وبعد ذلك أنتقل إلى دوري.

إن كل مريد للإصلاح يكون أنانيًا أيضًا.. قد يبدو في مظهر الإيثار.. ولكنه في الحقيقة والواقع في مظهر الأثرة والأنانية.. لماذا؟.

لأن المصلح لا يتحرك للإصلاح إلا إذا كان قد رأى فسادًا.. ومن الخير لنفسه ألا يوجد فساد.. فحين يحارب الفساد في أي مظهر من المظاهر لا نقول: إنه يصلح المجتمع فقط.. ولكنه يريد أن يسكب من هذا وأن يستريح.

لأن الإنسان حين يكون مستقيم السلوك يريح غيره.. وغيره إن كان غير مستقيم السلوك يتعبه.. إذن فمن صالحي أنا أن يكون الكل مستقيم السلوك.

إذن فصوت الإصلاح في كل مجال من مجالاته يعتبر حبًا للخير في ذات النفس.. والدين أيضًا يؤول إلى هذا.. فحين يريد الله مني أن أوثر غيري بالخير، فذلك لأنه يمنيني بشيء أحلى منه.. يريد مثلا مني أن أنفق قرشًا ليعطيني عشرة.. فهذا إيثار.. يريد مني أن أضحي بنعيم له فترة محدودة، لأنه يعطيني نعيما بلا حدود.

إذن فكل دعوة للإصلاح تنبع من الخير المرغوب للذات.. والخير المرغوب للذات يجب أن يكون مثاليًا. وليس خيرًا عاجلا.. لأني قد أطلب الخير لنفسي.. وبعد ذلك يأتي الشر.

إذن فكل دور المصلح إنما هو استكمال ذاتيته الإيمانية . . وحين يستكمل ذاتيته الإيمانية نقول له: إنك تريد أن تعيش في مـجتمع طاهر . . مجتمع نظيف . . مجتمع راق . . مجتمع له مثله العيا، لترتاح أنت.

فإذا مـا كان الأمر كذلك، فـيصبح حمـقًا من أي واحد ألا يكون في دور المصلح . . لأنه يُفَوِّتُ على نفـسه أشـياء كـثيـرة . . ويشقى بشـرور المجتـمع . . ولكنه إن أراد أن يعرف خـيرًا فلينقل خيـرًا . . وبذلك يكون للعلم ميزته.

ونقل العلم إلى الغـير يعطينا صـورة كريمة . . لأنه عندمـا أنقل العلم للغير أريد من الغير أن يسوس حياته على ضوء ما علم.

وأنا الذي أستفـيد . . لأن المجتمع استـفاد من العلم عندي . . وأنا لم أستفد من جهله. أنا بالعكس، شقيت بجهله . . فمن الخير أن أعلمه.

والحق سبحـانه وتعالى أراد من خلقه أن يتفقـوا على هذه الأرضية . . ونتفق أيضًا على أننا آمـنا برسالات السماء . . ونـتفق أيضًا على أن هناك رسالة جاءت هي رسالة خاتمة، وهي رسالة الإسلام . .

إذا اتفـقنا على ذلك. فنحن نـريد أن ننظر إلى المسـألة نظرة تحـدد لنا مواقع صراعات الرأي، ومواقع تحككات الرأي.

* * *

احتكاك الرأي ... وتحكك الرأي

ـ ما الفرق بين احتكاك وتحكك الرأي..؟

ـ هناك فـــرق بين احـــتكاك رأي برأي.. وبين تحـكك رأي برأي.. الاحتكاك يوري.. أي يخرج شـرارة.. ولكن التحكك يواري.. أي يغطي.

وعندما أجد كل شيء يقول اتحككنا. فمـعناه: طمسنا القضية. ولكن المطلوب في الإسـلام أن تحتك.. ونحـتك في ماذا؟ هل نحـتك في كل شيء؟.

لا.. إنما نحتك فيما سمح لنا المشرع الذي أسلمنا زمامنا له أن نحتك فيـه.. فالحياة فـيها قـضايا يجب أن تكون أصيلة مـسيطرة لا لرأيي ولا لرأيك.. لأن الأديان إنما جاءت لتـعصمني من رأيك.. وتعـصمك من رأيي.

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾.

فالذي يفســد الآراء هو الهوى.. والقضايا الأصيلة التي ليس لنا فـيها أي عمل أبدًا ضمنها الله في تشريعه.. في شيء اسمه «المحكم». لأنه لو ترك كل أمر لاجتهادنــا لأدخلنا الغاية في الصراعات. فكان لابد أن يأتي بأصول.. هذه الأصول غـير محكومة لا لهـواك ولا لهواي.. لا لعقلي ولا لعقلك.. لماذا؟

لأن العقل يأخذ حصـيلة تجارب ناقصة.. مستواه الثـقافي محدود.. والذي يدل على ذلك أن الناس الذين ارتضوا أن يسوسوا حياتهم بقوانين

من عندهم لا تنضج القوانين عندهم مرة واحدة، فهم يصنعون القوانين، وعند تطبيقها يجدون أن هناك ثغرات فيحاولون تعديلها. . ويحاولون تغييرها.

لأن المشرِع ساعة شرع غاب عن ذهنه أولا ما يؤول إليه التطوير.

ولكن الذي شرع في القضايا الأصلية يصبح من غير الممكن أن يجيء عليه استدراك من واقع المجتمع.

لكن قوانين البشر يأتي المجتمع بأحداثه ويضغط بهذه الأحداث، فيضطرهم إلى أن يغيروا. ولكن بعد ماذا؟. . بعد ما يكون المجتمع قد شقي بتجربة الأحداث.

إذن فالإسلام إنما جاء ليعصمني من هذه المسألة. . إذن فالأصول ضمنها الله لي ولك. أما الشيء الذي لا يضر إن اختلفتم فيه، ولكن الذي يحدث أن كل واحد يعتبر أن رأيه هو الصواب ورأي غيره هو الخطأ نقول له:

لا. . لو أراده الله واحدًا لجعله من المحكم الذي لا اجتهاد فيه أبدًا. . ولكن تركه محتمل للاجتهاد احترام لما يؤول إليه أي اجتهاد.

ولذلك إذا اختلفنا فأنت تفعل هذا جائز. . وأنا أفعل هذا جائز. ولكن الذي يحدث الفجوة بيننا ماذا؟.

هو أنك إذا علمت هذا أقول لك: إنك كافر. . إنك قاصر. أقول له: لا. . لو كانت المسألة كما ترى فأنت بذلك تضيع على المشرع حكمه في أن يترك شيئًا لتجتهد فيه.

ولذلك إذا نظرت إلى التشريع تجد المحكمات جاء بها صريحة لا تحتمل رأيي ولا رأيك. . ولكن الأمر الذي يحتمل رأيي ورأيك تركه الله لنبين للناس بمقدار اجتهادنا فيه.

ـ نريد مثالا يوضح هذا النظر . .

ـ الوضوء وهو مدخل العبادة الأولى وهي الصلاة . . حين أراد الله أن يهيئنا نفسيًا للصلاة أمرنا بالوضوء . . ماذا قال؟ قال:

﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ يعني الأيدي داخلة في الأمر بالغسل . . أي إن الأمر ينصب على غسل لأيد الوجوه وأي إلى المرافق. المغسول في الأول الوجه، وفي الثاني الأيدي. الوجه لم ترد فيه غاية والأيدي جاءت فيها غاية ﴿ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ كأن الله يريد أمرًا محددًا . .

لكن الوجه عندما لم يوجد في اللغة ما يختلف عليه فيه فلم يحدد، لأن الوجه معروف بالاتفاق . . إذن فليس عليه خلاف. ولكن الأيدي افيها خلاف. والله لا يريد أن يدخل الخلاف في هذه فقال: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ .

ولو لم يجيء بالغاية هنا ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ لجاء من يقول: إن الأيدي تطلق على الكف، أو إلى الكوع. أو إلى الكتف. وكنا نقول: إنه احتمال وارد. ولكن الله لا يريده احتمالا، ويريده إلى المرافق.

إذن فحين أراد أن يحدد لم يعجزه الأسلوب الذي يحدد به. فلماذا لم يقل: امسحوا رءوسكم. كما قال: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ ولماذا لم يحدد مقدار ما يمسح من الرأس؟ .

إذن الإطلاق هنا يدل على أن أي رأي يحتمله النص مقبول عند الله . . فالباء هنا للاستعانة. إذن فالأمر الذي يرد فيه الاجتهاد يحترم اجتهاد الفرد فيه. ولكن الأمر الذي يحدث فيه فساد بالاجتهاد يجيء محكمًا.

الاستشفاء بالقرآن

س : ورد فى القرآن الكريم ﴿ أنه شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الإسراء. . فهل المراد هو شفاء المرض المعنوى؟

جـ : يجب ألا نضيق واسعا.

- إذن هو الشفاء العضوى بآيات الله؟

- ان الجهاز البشرى مازال مجهولا للناس لا يعرفون منه إلا الأجهزة الواضحة الظاهرة، الجهاز الهضمى. . الجهاز التنفسى. . البولى. . التناسلى. . ثم اكتشفوا بعد ذلك الجهاز السمبتاوى. . وغيره.

وهناك أجهزة لا حصر لها ولا عدد، ولعل عدة بسيطة لا تتجاوز حبة العدس تدير عملية فى الجسم لا نعلم عنها شيئا.

وكل جهاز من هذه الأجهزة يؤدى دوره طالما هو فى حالة اعتدال، بين الانقباض والانبساط، فإذا انقبض أكثر مما هو محدد به، أو انبسط اريد من اللزوم خرج عن مهمته.

والله سبحانه وتعالى يضرب لنا المثل بقوله ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ أى التزموا حد الاعتدال. . فالإنسان الذي لا تؤثر فيه الأحداث المفرحة أو المحزنة يظل جهازه سليما مستقيما على هيئة الاعتدال، وتظل التصرفات الصادرة عن هذا الجهاز سليمة.

لذلك أقول: لا تضيقوا واسعا.. فقوله تعالي ﴿شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يمكن أن تشمل كل مرض حسى، وكل مرض معنوى.

لأن ما نسميه بالزمراض النفسية هو ظواهر لخلل فى أجهزة عضوية لم نكتشفها بعد.. ولم نعرف خباياها.

فكل مرض لا نعرف أصلـه العضوى، أو جهازه فى الجـسم البشرى، نسميه مرضا نفسيا، فإذا اكتشفنا أساسه، كما اكتشفنا مثلا الغدة النخامية أو الغدة الدرقـية، أو الجـهاز الليـمفاوى حين لا يؤدى دوره، عـرفنا أنه مرض له أساس عضوى.

وقد سـئل فـخر الدين الرازى: هل تبـرأون بالكلمة؟ فـانتهـز الرازى الفرصـة، وقذف سائله بكلمة شـديدة، فغضب الرجل وارتجف وركـبته الحمى، فقال له الرازى أمرضناك بكلمة؟

فالذى يمرض بكلمة يشـفى بكلمة.. والشفاء هو: أن تعيـد كل جهاز من زجهزة الانسان إلي حد اعتداله.

إذن فأى خلل فى الجهـاز الإنسانى سببه عضـوى لأن الله تعالى جعل للأعضاء صيانة، وصيانتها فى القيم.

سيـأتى يوم يكتشـفون فيـه أن الذى يعتدى بعـينيه لرؤيه مـا حرم الله سيصيبه شحاء، لأن من صيانة جهاز الإبصار: ألا تنظر إلي المحرمات.. وهكذا كل عضو، اليد حين تسرق.. واللسان حين لا ينطق بخير.

فالقيم تقيد الحركة.. وتقيد سـلامة العضو.. فإذا لم يتقيد انفلت.. فيقال مثلا «انفلت عيار الشئ» أى لم يسر على القيم.

ولذلك الرجل المسـتقـيم من هيـئتـه أن جميـع أعـضائه منضـبطة.. والشرس يبدو فيه غير ذلك.. وهذا معنى العلاج بالقرآن.

* * *

- إذن يستطيع الإنسان أن يعيش بلا خوف ولا حزن ولا مرض؟

- مـا دام هناك إيمان، فـلا يأتيـه الضرر الا من خـارج.. أى بفـعل فاعل.. كأن يكسر له أحـد يده، غير ذلك.. وهذا أيضا يكون نتيجة لعدم استقامة أجهزته على منهج.

* * *

الصلاة.. و «التليفون»

س : مع تطور الحيـاة تكثر المشكلات التى يواجـهها الإنسان فى دينه حين يوفق بينه وبين هذا التطور، وأحيانا يصلـى الإنسان فى بيته أو فى مكتبـه، فيـعلن «جرس» التليفـون عن متـحدث أو يطرق الباب طارق، فينشـغل الانسان عن صلاته، فمـاذا يفعل الإنسان حينئذ؟

جـ : إذا طرق الباب طارق أثناء الصلاة، فلا مانع من أن يفتح المصلى الباب، ويكمـل الصلاة، على أن تكون المسافـة قريبـة بين الباب وبين مكان الصلاة.. فلا تبعد اكثر من خطوة أو خطوتين.

وكذلك إذا دق «جرس» التليفون، يمكن رفع السماعة، ووضعها بمكان قريب وأنت تقول الله اكبر فيفهم من يطلبك أنك تصلى.

ولكن الأولى: أن ترفع سماعة التليفون قبل بدء الصلاة، وحتى تنتهى من أدائها، والحركة الممنوعة فى الصلاة هى التى إذا رآها أحد تصور أنك لا تصلى، ولكن الحركة التى لا تخرجك عن مظهـر الصلاة ووقارها فلا حرج فيها، فإن الدين يسر.

إذا انتقض وضوء الإمام

س : ماذا يفعل الإمام إذا انتقض وضؤوه وهو يؤم الناس للصلاة، أيكمل صلاته ثم يأمر الناس باعادتها، أم ماذا يفعل؟

جـ : إذا طرأ على الإمام حدث وهو يصلى، كأن ينتقض وصوؤه مثلا، فيمكنه أن يشد من يقف خلفه ليصلى بالناس إماما، ويذهب هو ليجدد وضؤءه، ثم يأتى ليكمل الصلاة مأموما.

ولذلك فلابد أن تتوفر فيمن يقف خلف الإمام شروط الإمامة، بأن يكون من أولى الأحلام، وأن يكون عارفا بأحكام الصلاة.

* * *

الأم.. كيف تربى أولادها اسلاميا

س : تنبع أهميـة الأم فى التوعية الدينية من أنهـا تعتبر العـميد الأول لجامعـة التربية الدينية وهى الأسـرة.. وعليها تقع مسـئولية هذه التربية أكثر مما تقع على الرجل، حيث أنها أطول مقاما مع الأبناء من الأب.. ونكاد نجـزم بأن الفسـاد والاضطـراب الناشئ فى المجتمعـات الإسلاميه يرجع سببه الأول إلى انعـدام العناية بتربية الأبناء منذ الصغر تربية دينية صحـيحة.. فما هى الطريقة السهلة التى تعين الأم عـلى هذه المهـمـة وسط زحـام الحـيـاة، وتنوع المسئوليات التى تضطلع بها..؟

جـ : إن مشكلتنا الحاضرة هى أننا نترك الأمور تسير وحدها، وبعد أن نفاجأ بالمشكلات نبدأ فى الـبحث عن الحل.. ونحاول أن نعالج جزءا من المشكلة ونترك الجزء الآخر.

إن المسألة من أيسـر ما يمكن .. ولكن الدنيـا غلبت الناس، وأخذت كل أوقاتهم، ولـم تترك للأنباء شيئا.

فلو أن الآباء علموا أبناءهم مـا يتعلمون فى ساعـة من نهار، أو حتى أثناء تناول الطعام، لاستفاد الابناء استفاده عظيمة من آبائهم أو امهاتهم.

ولو علم الأب أو الام أبناءهم حكما واحدا من أحكام الدين كل يوم، لتـجمع لدى الأبناء فى كل عـام ثلاثمـائه وخمـسة وسـتون حكمـا فى العـام.. والعـبـادات المطلوبة لا تحـتـوى على هذا العـدد من الأجـوبة والأحكام.

لقد كان أسـاتذتنا يبدأون اليوم كل صـباح بسؤال لا يتغـير، وهو: ما حكمه يومكم هذا..؟

فمن يعـرف منا حكاية لها مـغزى، أو حكمـة نادرة، أو قولا علمـيا يقولـه لنا.. وإذا لم يقل أحد قـال هو لنا شيـئاً فكنا نتـعلم منه.. وفى نهاية العام تكون لنا حصيلة كـبيرة، إلى جانب تكوين عادة حب العلم، وحلاوة طلب المعرفة.

فعـلى الآباء والامهـات أن يذكروا أنهم يعـملون من أجل أولادهـم.. ويجب أن نعطى أولادنا وقتاً من وقت العمل، فلا يصح أن نضيع الأصل من أجل الفرع.. فأنت تضيع ما لا يستدرك بما يستدرك.

ومثل هذه المناقـشات، وتبادل الخـبرات والمعارف بين الآباء والأمـهات وبين أبنائهم يقوى الرابط بينهم، ويفتح مجالا لمناقشة أمورهم.

ان ما يدفع الكثيـر من الشباب إلى الفسـاد أنهم لا يجدون فى حضن الآباء والأمهات الحنان والتفاهم والوقت.

فـإذا ربطنا أبنائنا بنا، فـلن تغنى أى عـلاقة خـارجـيـة لهم عن هذا الارتبـاط أبدا.. ولكن عندمـا يفتـقد الأبناء هذه الـرابطة، فإننا نجـدهـم يندفعون نحـو أول كلمة حنان يجدونها خارج البـيت، لأنهم فقدوها فى داخله.

* * *

عذاب القبر

س : هل هناك عذاب حقيقى للعصاة فى قبورهم؟ وما هو حساب القبر؟

جـ : علينا قبل أن نشغل بحساب القبر أن نسأل عن حساب الآخرة.. هل هو موجود أو غير موجود؟

فإذا عرفت أن فى الآخرة حسابا قلنا: على أى شئ نحاسب؟ وهنا نجد أننا نحاسب على ما إذا كنا أدينا ما أمرنا به الله أم لا.

إننا حتى فى الدنيا لا نحكم فى قضية إلا بعد تحقيق الشرطة والنيابة، ثم المحكمة.. ثم ينفذ الحكم بعد ذلك.

وحساب القبر هو عرض للجزاء.. والآخرة هى الدخول فى الجزاء.. قال تعالى ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾.. ثم يقول ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

اذن العرض فى غير قيام الساعة.. وبذلك نجد أن الزمان مجزء إلي ثلاثة أقسام:

١ - الحياة الدنيا.

٢ - الحياة الأخرى.

٣ - ما بين الحياة الدنيا والحياة الأخرى.

ففى الحياة الدنيا نعمل.. وفى الحياة الأخرى نلقى جزاء الأعمال فى الدنيا.. وفى القبر يعرض علينا جزاء اعمالنا، ومكاننا فى الآخرة.

وحين يعـرض عليك الجزاء في زمـان ومكان، فلن تسـتطيع أن تفلت منه، بل يصبح أمرا محققا ولا يمكن لأحد أن يتخلص منه.

واذا تسألت: كيف تكون الآخرة..؟

نقول: اننا في حـال حياتنا لنا حالات: حال يقـظة وحال نوم.. فهل قانون اليقظة هو نفس قانون النوم؟ نجد أنهما يختلفان رغم وجود الحياة.

إذن إذا قلنا : إن الموت حيـاة أخرى، ونـظام آخر فـلابد أن تصـدق ذلك، لانك ترى وأنت نائم وعيناك مغمضتان.. فهناك وسائل ادارك غير العين تستطيع أن ترى بها الأشخاص والألوان والأماكن.

فإذا حدث هذا لمجرد أن مادة الانسان هو جسم قد خمدت قليلا، فإذا قيل لنا: إن في القـبر حيـاة أخرى عندما تنتـهى الحياة الدنيـا، فلابد أن تكون هذه الحيـاة أكثر وضوحـا، بحيث تزيد فيهـا وسائل الادراك، لأن مادة الجسم قد خمدت خمودا كاملا.

إننا في الرؤية نذوق الطعـام والشـراب، وتشعـر بحلاوته أو مـرارته، ونرى هذا يرتدى ثوبا ابيض.. والآخر يرتدى ثوبا أخضر.. وعندما نرى رؤيا نحكـيـهـا في وقت طويـل، مع أن العلم أثبـت أن أطول حلم لا يستغرق أكثر من سبع ثوان فقط.

إذن فالزمن قد ألغى تماما.

كـذلك تجـد أنك حين تنام إلى جـانب شـخص يرى أنه بين أحـبـابه يضـحك ويمرح، وأنت بين أعـدائك يضربونك، لا أنـت تشعـر بما يراه صاحبك، ولا صاحبك يشعر بما تراه أنت.

ولذلك نبـهنا النبي ﷺ إلي هذا فـقـال «إنكم تموتون كـما تنامـون، ولتبعثن كما تستيقظون» (١).

فإذا اخـتلف قـانون النوم عن قانون اليـقظة، فان الموت يخـتلف عن قانون الحياة.

إذن فـلا يوجد عـذاب فى القـبر، ولكن عـرض ورؤية فـقط لموقف الإنسان من عذاب أو نعيم.

* * *

(١) أخرجه القرطبى فى تفسيره (٢٥ / ٢٦١).

ضلال العقلاء

س : فى خضم التقدم العلمى الرهيب اقتحم العقل آفاقا رحيبة ليستنبط منها عوامل الرفاهية وسعادة الحياة بزعمه، فما هو السبب اذن فى هذا الشفاء النفسى الذى يخيم على العالم، والذى يظهر فى أعراض شتى منها: الحروب واختراع المهلكات؟

جـ : هذا العقل المفكر الذى عز عليه أنه يبتكر كثيرا من أسرار الكون، كان ينبغى عليه أن يفهم مهمته أولا قبل أن يستنبط من المكون مهمة يؤديها للإنسان صاحب العقل.

تلك هى مهمة العقل الأولى: أن يبحث الإنسان عن مهمته. . فإن لم يبحث عن مهمته ليجدها، فليعتبر نفسه أدنى من الجماد، وأتفه من النبات، وأقل شأنا من الحيوان.

لابد أن تكون للإنسان مهمة تناسب سيادته على بقية الموجودات، وقفة عقلية يجب أن يقفها الإنسان.

وعليه أن يقف وقفة أخرى. . حين نقول له: متى خدمتك الأجناس التى هى فى خدمتك.؟

هل خدمتك بعد أن وجد لك عقل تفكر به لتسخرهم لخدمتك؟

أم خدمتك هذه الأجناس قبل أن يوجد لك عقل وقبل أن يوجد لك فكر؟

أخدمتك وهى فى متناول ، بحيث تقول ياسمس اطلعى، وياسماء، امطرى.؟

لا.. إنه لم تكن لك قدرة على شئ وما زالت بدون قدرة على شئ من ذلك فكان من الواجب عليك ألا تستقبل وجودك فى هذا الكون بتلك البلادة، فتنتفع بالأشياء دون أن تبحث لك عن مهمة تحاول أن تجدها لنفسك، حتى لا تكون أتفه ممن دونك.

كل شى فى الوجود يعطيك، وأنت تعطى من.. كان يجب أن تبحث هذا البحث، وكان يجب أن تفكر هذا الفكر.

* * *

الهموم أشد جنود الله

سُئِلَ الإمام على رضي الله عنه: ما أشد جنود الله بأسا؟

فقال: أشد جنود الله عشرة: الجبال الرواسى والحديد يقطع الجبال فيكون أقوى.. والنار تذيب الحديد فهى أقوى.. والماء يطفئ النار فهو أقوى والسحاب يحمل الماء فهو أقوى.. والريح يقطع السحاب.. وابن آدم يغلب الريح (يستتر منه).. والسكر يغلب ابن آدم.. والنوم يغلب السكر.. والهم يغلب النوم.. فأشد جنود الله هو الهمّ.

فإذا نظرت إلي القضية فى ترتيبها الطبيعى المنطقى وجدت أن الهم وهو معنى من المعانى، يستبد بالنفس الإنسانية، فيبدد طاقتها، ويفسد ملكتها، ولا يجعلها فيما فات، بل يجعلها تستمر فيما هو آت.

- وكيف عالج الاسلام الانسان من الهموم؟

- عالجه الإسلام بالايمان.. فقيمة الإيمان أنه ينزع من نفس الإنسان ذلك الهم.

فإن كانت المصـيبة التى أصابتك من عمل يدك فـهى تربية لك حتى لا تعود إلى سببها.. ولذلك يقولون: ما ضاع من مالك ما أدبك.

والأمور التى تصيب الإنسان نوعان:

نوع لحركتـه فيه دخل، فلا يحزن عليه لأنه إن حـزن فإنما يحزن على نفسه، وإن استفاد من التجربة فإنه لم يضع منه شئ، وإنما يمكن تعويض ما ضاع.

ونوع لا دخل لحـركتـه فيـه.. فالذى أجـراه أدبه به، لأنه حكيم، لا يجرى على الانسان الا ما يصلحه.

فإن رأيت نجارا مثلا يمسك بالمنشار ويعمل بالقطع فى دولاب جميل.. فهل تعتقد أنه يفسـده بمنشاره أم يصلحه؟ أنه بالقطع يصلحه.. فلا يمكن أن تأتى صانع إلى صنعته ليتلفها.

فيـجب الإطمئنان إلي أن كل عمل من اخـتيار الله لك أو من حـركة منك، لابد أن يكون فيـه خير.. فأنت مـربوط لله.. ووالدك سبب فى وجودك وأنت تعلم أن السبب فى وجودك تحمل بعـاطفة المحبة ما يجعله يتعب لترتاح.. فالذى سبب وجودك إلا يكون على الأقل مثل أبيك..؟ ولله المثل الأعلى.

ومن له أب لا يحمل هم شئ.. فما بالك بمن له رب.. ماذا يصنع؟ أولى به أن يحتـرم نفسه.. وصـدق الله اذ يقول: ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ .

* * *

الذين يفقدون عون الله

س : نلاحظ فى الحياة أنماط من الناس تتحدد أعـمالهم، ثم ينقسمون إلى فريقين: فريق ينـعم بثمرة عمله مبـاركة طيبة زاكيـة نامية. . وفريق يخيب مـسعاه . . أما بعدم حصـوله على ثمرة العمل. . وأما بهلاكها بعد الحصول عليهـا، أو عدم البركة فيها. . فما هو العـمل الإسـلامى الذى يجـعل سـعى المـؤمن فى حـصن الله وبركـاته. . ومـا هو السلوك الذي ينـتـهى بعـمل المـسلم إلي الدمار. . وما سند ذلك كله من القرآن الكريم.

جـ : إذا نسبت الفـضل فى العمل لله سـبحانه وتعـالى أعانك، وإذا نسبت الفضل لنفسك تركك لقـدراتك الذاتية، فتضل وتشقى فى الحياة.

ولعل فى قصة الجنتين التى رواها الله سبحانه وتعالى فى سورة الكهف اجمـالا لهذا، وتوضيحـا له. فصاحب احـدى الجنتين نسب الفضل فى ازدهارها إلى نفسه فقال لصاحبه.

﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ **الكهف (٣٤، ٣٦).**

أما الثانى فنسب الفضل إلى الله فقال: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا * فَعَسَىٰ

رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ الكهف (٣٧، ٤٠).

- والذى نسب الفضل إلي نفسه نسى أن الأرض خلقها الله، وأن الماء والمطر وفره الله له، وأن الحب والبذر هو من عند الله، لم يخلقه بشر.. فعندما ترك الله سبحانه وتعالى هذه الجنة لقدرة صاحبها، غاض الماء واختفى، لأن الله هو الذي سخره ويسره.. وسقط الثمر وهلك، لأن الله هو الذي أعطى للبذرة خاصية النمو فتصبح شجرة، ثم خاصية الإثمار، وليس هذا من قدرة الانسان ولا من عطائه.

وهكذا عندما تخلى الله عن هذه الجنة وتركها لقدرات الانسان، هلك الثمر والزرع، وذهب الماء، وأصبحت خربة لا زرع فيها ولا ماء، ولا يستطيع الانسان بقدراته أن يوجد فيها الزرع والماء.. فكل ما يهلك من أنواء وعواصف وصواعق ليس فى قدرة البشر دفعه.

أى أن الله سبحانه وتعالى يريد أن ينبتها إلى حقيقتين مستورتين عنا فى هذه النفحة، وهاتان الحقيقتان هما الأساس:

الحقيقة الأولى: أن الله سبحانه وتعالى قد أمد هذه الجنة بالماء وهو أساس الحياة فيها.

والحقيقة الثانية: أنه تعالى قد حفظها، وبارك فيها.

وكلا الأمرين ليس للبشر فيهما مشاركة.. بحيث يستطيع أن يجادل ويقول: أنا فعلت وفعلت فالانسان مثلا حين يزرع، يضع الحب فى الأرض ويرعاه، ولكن قدرة الله سبحانه وتعالى هى التى تجعل هذا الحب فى الأرض ينمو ويثمر.

ولكن هناك مـشاركة بشـرية ظاهرية قد تجـعل البشر يـقول: أنا الذى زرعت. ولكن الله تعالى أتى بهاتين الحقيقتين وهما: توفير الماء وصلاحية الأرض للزراعة.. والحفظ والبركة.. وهما حقيقتان لا يستطيع البشر ان يدعى المشاركة فيهما أبدا.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ الكهف.

ولكن لماذا أحيط بثمرة؟

أحيط بثمره حتى يعرف أنه لا حول ولا قوة.. وأن المال والنفر اللذين اعتز بهما من دون الله لا يملكان له نفـعا ولا ضرا.. ومن هنا فانه أصبح ليجد الجنة خاوية على عروشها.. وأراد الله أن يبين له: أن من يعتز بهم من دون الله لن يستطيعوا أن يوقفوا قضاء الله.. وأن الله وهبه هذه الجنة بقدرته هو سبحانه.. فلما كفر بالنعمة، واعتز بالمال والولد، زالت عنه، والتفت حوله فوجد الآية الكريمة: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ الكهف.

أى أنه بحث عن أولئك الذين كان يعتز بـهم، فلم يجد أحدا يستطيع أن ينصره أمام قدرة الله.. وحتى لو حاول أن ينتصر بما له من مال وولد فلن يكتب له النصر، وهنا تصدمه الحقيقة، فلا يلبث أن يقول: ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ الكهف.

فقد أحس عندما ذهبت النعمة: أن الواهب هو الله وحده، وهو الذى أخـذها، ولكنه كان قـبل ذلك يقول: إن المـال والنفر اللذين عنده همـا اللذان يحفظان هذه النعمة من الزوال.

* * *

- وعلى هذا الطريق لابد أن تكون هناك قاعدة عـامة شاملة نابعة من دلالة هذه الآيات تبين السلوك الحق للعمل الاسلامى المقبول عند الله . . فما هى هذه القاعدة؟

- تدلنا الآيات على أن الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك . . فالعمل الذي يقصـد به وجه الله سبحـانه يتقبله الله . . والذى يقـصد به ارضاء بشر ما، ويفـسره صاحبه علي أنه تقرب إلـي الله سبحانه وتعالى، فالله غنى عنه . . وكذلك النعم .

والله يضرب لنا هذا المثل حـتى نتخذ الطريق السليم فى الحـياة . . فلا أدفع مبلغا من المال مثلا لعمل خير، ويكون القصد الحقيقى من ذلك هو ارضاء شخص ما، أو قـضاء مصلحة دنيويه، أو الحصـول على سمعة أو شهرة، أو أى غرض دنيوى آخر .

فاذا أتيت إلي حفل ما، وقمت أعلن تبرعى بمبلغ من المال، حتى يقال عنى: أننى رجل خـير، ورجل بر وإحـسان، فـإنى لا أفعل ذلك لـوجه الله، وإنما اشركت فى ذلك ما أبتغيه من سمعة الدنيا . . والله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك .

وهناك من يريد أن يحقق مصلحة دنيوية بعمل ظاهره الخير، وكل هذا لا يتقبله الله، فالعمل الصالح لله، وحده أما إذا كان عملا صالحا، تقصد به مصلحة دنيوية، وفى نفس الوقت يقال إنه لله، فالله غنى عنه .

* * *

مشروعية التسمية

س : الله سبحانه وتعالى أمرنا بالاستعانة باسمه فى كل أمر من أمور الدنيا . . فآيات كتابه الكريم تبدأ بقوله ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وسنة التكبير على الأنعام بـ (بسم الله . . الله أكبر) . وبداية كل عمل بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ . . فماذا؟

جـ : لأن جميع النعم مسخرة لنا.. أى أنها ليست خاضعة لقدراتنا.. وهناك آيات فى الكون هى أكبر من قدرة وقوة الإنسان بملايين المرات، كالشمس مثلا، إن اقتربت قليلا من الأرض أحرقتها،وإن ابتعدت عنها قليلا حولتها إلي كتلة جليد.

ولكن هل الشمس تستطيع ذلك من تلقاء نفسها؟ أم انها خاضعة لله سبحانه وتعالى الذي سخرها لخدمه البشر؟

نعم هى خاضعة لقدرة الله . . فهى تعطى الدفء وتخدم الحياة على الأرض ، لا بقدرة الانسان الذي يمسك بما مثلا فى مكانها بحيث لا تتزحزح عنه، وليست قدرة الانسان هى التى تحفظ المسافة بين الأرض والشمس.

ولكن الانسان يسيطر على قدرة الشمس بتسخير الله سبحانه وتعالى للشمس، لتكون فى خدمة البشر.

وهكذا آيات الله الكبرى.

فإذا أنت استعنت باسم الله، فإنك تكون قد وضعت قدرة الله سبحانه وتعالى بجانبك . . وبذلك يكون كل شئ فى الأرض فى خدمتك . .

يستجيب لك.. ويعطيك أحسن الثمار.. سواء كان ذلك سعيا للرزق أو طلبا للشفاء.. أو استعـاذة من عدو.. أو طلبا للعون فى مسالة وصلت فيما إلى طريق مسدود.

اذن فأنت حينما تـبدأ عملك مستعينا بخـالق هذا الكون، وموحد كل شئ، فإنك فى هذه الحالة تكون معتمدا على الله سبحانه وتعالى.

فإذا أصابك خير فهـو من الله.. وإذا منع عنك ثمرة العمل.. أما ما تشتهيه من العمل فتلك قدرة الله قد منع بها عنك شرا لا تعرفه، أو أزاح عنك ضيقا كنت تعتقد أنه خير، وتقـبل عليه غير مدرك ما يخفيه الغيب عنك من شرور.

* * *

التحرر من القلق والخوف

س : القلق النفسى هو مرض العصر الحديث.. يدفع النفس البشرية إلى الانتحار.. وإلى اليأس.. وإلى التدمير.. وإلى كل عمل يفسد الأرض.. فما من جريمة إلا ووراءها انسان قلق خائف.. والحروب أساسها القلق والخوف.. والمعصية أساسها القلق أو الخوف.. فالقلق والخوف هما أساس الشقاء فى العالم.. فهل شرع الإسلام ما يحمى الانسان من هذا المرض اللعين؟

جـ : الله سبحانه وتعالى قد شرع لنا من الإيمان ما يحررنا من القلق والخوف.. فأنت لا تعرف معنى الخير ما دمت تجهل الغيب..

فقد تحصل فى صفقة على مال وفير.. وإذا بهذا المال ينقلب نقمة عليك.. فيفسد أولادك.. ويهدم بيتك.

وقد تعتقد أن الخير فى القرب من صاحب نفوذ والالتصاق به.. ولكنك لا تعرف ما يحمله الغيب من أن هذا الانسان سيفقد نفوذه، أو سيزول عنه الملك، مما اعتقدت بحكمك المشاهد أنه خير.

ولذلك فإنه ما دام الغيب محجوبا عنك، فإن معرفه الخير والشر هى الأخرى محجوبة عنك.. لا تستتطيع أن تدركها يقينا.

فإذا أنت استعنت باسم الله.. ووكلت الأمر إليه فإنه سبحانه وتعالى - وهو العليم بالغيب - يقول لك: هذه خير لك فخذها.. وهذه شر لك فسأمنعها عنك لاحميك.

ربما تكون أنت كارها فى هذه اللحظة.. ولكنك بعد فترة قصيرة،

وحين يصبح الـغيب حاضـرا، وتطلع عليه، سـترفع يديك إلى السـماء وتصبح «الحمد لله» لأنه منع عنك هذا الشر.

ولقد عرفنا جـميعا الشـر الذى يبدو لنا خيرا فى الحـاضر.. وأصابنا الحزن عندما منعه الله عنا.. ثم رفعنا أيدينا إلى السماء قائين «الحمد لله» عندما ظهرت لنا الحكمة، وأصبح الحق واضحا جليا.

* * *

القوة الذاتية.. والقوة الصناعية

س : على نفس الطريق.. يقـرر الاسلام أن القوة الذاتيـة النابعة من الإيمان.. ومن تفـويض الأمر كلـه لله، مع العمل على أسـاس المنهج الذى قـرره الله للبشـر، أجـدى وأقوى للانسـان من تلك القوة الصناعية التى تنبع من الثراء والجاه والولد.. نريد مثالا من الحيـاة يمكن أن يقنع هؤلاء الذين اجتـرفتهم الماديـة، فلم يعودوا يسمعون.

جـ : ولله المثل الأعلى.. لو أن لى ابنا ضعـيفا، يعتـدى عليه زملاؤه فى مـدرستـه بالضـرب، وهو عـاجز عن أن يدافـع عن نفسـه أمـامـهم.. ففـى هذه الحالة قـد يأتى هـذا الابن، ويطلب منى سلاحا، ليحمى به نفسه.

لو قلت له: نعم.. لفرح وشكرنى واعتبر أن هذا لخير جزيل.. لماذا؟ لأنه سيأخذ هذا السلاح، سـواء كان مسدسا أو سكينا أو مطوة، ويذهب

إلى المدرسة، ويخرجه أمام زملائه، فيرون أنه يمسك السلاح، ويخشون أن يقتلهم أو يؤذيهم، لأنه أصبح الأن هو الأقوى، فينصرفون عنه ويخشونه، ولا يؤذونه.

وهكذا يرى هذا التلميذ أن الخير كل الخير له: أن يكون معه سلاح يرهب به زملاءه.

ولكن الأب الذي يعرف الحكمة والعقل يرفض ذلك.. لأن هذا السلاح وإن حقق لهذا التلميذ أمانا فسيحقق له هلاكا.

فقد يتهور وهو غير ناضج العقل، فيقتل احد زملائه، وقد يحاول زميل له أن يضايقه وهو يعلم أن معه سلاحا، فتكون الجريمة هنا محققة.

إذن فلو أعطى الأب ابنه السلاح، أيكون قد تصرف لخيره أم لشره؟ الجواب: طبعا انه تصرف لشره.

ولو منع الأب عن ابنه السلاح، فهل يبتهج الابن لذلك، أم يثور ويتهم أباه بأنه يريد أن يبقيه فريسة للعدوان، ضعيفا أمام زملائه.؟

الذى سيحدث أن هذا الابن سيثور على قرار أبيه بمنعه من الحصول على سلاح يدافع به عن نفسه.

وفى نفس الوقت فإنه عندما تمر السنون، ويدرك الابن حكمة قرار أبيه، فسيشكر أباه لأنه منع عنه شرا خطيرا.

والأب العاقل فى هذه الحالة يأخذ الأمور بطبيعتها الخيرة، فيأخذ ابنه مثلا إلي أحد الأندية الرياضية، ويدربه، ويعلمه كيف يدافع عن نفسه، وكيف يواجه خصومه.. قد تأخذ هذه الطريقة فترة أطول، وربما سبب للطفل معاناة فى المدرسة، حتى يستطيع أن يطل إلي القوة البدنية الذاتية التى تجعله قادرا على حماية نفسه.

بينما لو حمل السلاح فإنه يحصل على هذه الحماية فى دقيقة واحدة، فبمجرد حصوله على السلاح يصبح قادرا على حماية نفسه، بل وارهاب الآخرين.

ولكن الأب العاقل الحكيم يأخذ بالطريقة الذاتية رغم ما فيها من وقت وتعب وتدريب، والأب الأحمق يأخذ بالطريقة الصناعية.. التى تتم فى دقيقة، ولكنها تحمل شرا خطيرا.

وهكذا أحداث الدنيا.. انسان يريد أن يصل إلى الثراء فى أيام فيعصى، ويندفع، ويلقى بنفسه إلى التهلكة.. وإنسان آخر يأخذ الطريق الشاق، طريق العمل.. ويظل يجاهد فى الحياة، فيكون ثراؤه على أساس سليم.. أو ببركة من الله وفضا.

ولكن بعض الناس يعتقد غير ذلك.. فهو يسمى كل من يستطيع أن يصل إلى رزق حرام بأنه «فهلوى» وبأنه ذكى، وبأنه يستطيع أن يحقق من أمور دنياه الكثير.

وتلك نظرة ضيقة من كل من اتخذ الدنيا وسيلة للعلو دون أن يتذكر مقاييس الآخرة.

* * *

الفنجان.. والودع.. والبخت

س : من تراث الجاهلية الذى ما زال يعيش فى عصرنا ما اشتهر بين النساء من قراءة «الفنجان» ومن استشارتهن للغجريات اللاتى يضربن «الودع» أو من يخطون على الرمل.. حتى أصبح هؤلاء الدجالون موضع ثقة الجاهلين والجاهلات.. ومع أنه تراث جاهلى محرم فإن كلام هؤلاء قد يصدق أحيانا.. فما هى الرؤية الإسلامية لهذا المضوع الخطير؟

جـ : «الفنجان» أكثر هذه الرموز شيوعا، لأنه سمر المجالس النسائية فى البيوت.. وهناك من تدس الوسطاء الذين يتصلون بشكل أو بآخر بمن يترددون على قارئه الفنجان بأجر، ليعرفوا أخبارهم، وينقلوها لها ، ثم تبنى عليها حكايات تحدثهم بها، فينبهر المتردد عليها لمعرفتها لاخباره، وبذلك تقد الناس صدق قولها.

ومن الجائز أيضا أن يستولى الشيطان على قارئة الفنجان، فيتشكل الفنجان بالشكل الذى يريد، فنراها تقول: رنها ترى فى الفنجان رجلا أو امرأة، أو طريقا مفتوحا، أو سفرا بالطائرة، أو بالباخرة، وكل هذا فى مقدرة الشيطان، لأنه يستطيع أن يتمثل فى أى صورة يريد.

وترى ذلك غالبا فيمن يقرءون الفنجان بأجر.. فهم يتعيشون من خداع الناس، ولكنه يوجد من الناس من يفتح الله عليه بأى شكل، فيجرى على لسانه أقوالا لا يقصدها، فنجدها تصدق.

وهؤلاء بالطبع لا يتعيشون من هذا العمل، ولا يأخذون عليه أجرا،

لأن هذه الفتوحات بيد الله، ولا يمكن أن يعتمد عليها الشخص، لأنها ليست فى يده.

والمقصود من مثل هذه الحالات أن الله سبحانه وتعالى قد يريد أن يكرم انسانا من أهل الخير فيظهر له كرامة من نوع أو من اخر.

وعلى هذا فهذه الأعمال كلها حرام[١].. والرسول ﷺ يقول: «من أتى كاهنا فصدقه فالجنة عليه حرام»، وعن عائشة الله عنها أن رسول الله ﷺ سئل عن الكهان فقال: «ليسوا بشئ» فقالوا: يارسول الله انهم يحدثوننا أحيانا بشئ فيكون حقا. فقال: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه، فخلطون معها مائة كذبة»[٢].

* * *

(١) صحيح أخرجه الترمذى، كتاب الطهارة، باب ما جاء فى كراهية إثبات الحائض (١٢٥)، وأبو داود، كتاب الطب، باب النهى فى الكاهن حديث (٣٤٠٥)، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب النهى عن إتيان الحائض حديث (٦٣١)، وأحمد حديث (٨٩٢٢).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى، كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم حديث (٧٠٠٦)، مسلم، كتاب السلام، باب التحريم الكهانة وإتيان الكاهن حديث (٤١٣٤)، وابن ماجه، كتاب المقدمة، باب فيما أنكرت الهمية حديث (١٩٠)، وأحمد حديث (٢٣٤٣١).

قول فصل في علم الغيب

س : ومع إيماننا بأن الغيب لا يعلمه إلا الله، فإنه سبحانه وتعالى قال ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ وقال: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ فكأن هناك قدرا متاحا من علم الغيب للإنسان.. وقدرا لا سبيل إليه، فما هى أبعاد هذا الموضوع اسلاميا..؟

جـ : الغيب نوعان: غيب مطلق، وغيب مقيد.

فالغيب المطلق هو: الذى لا يعلمه أحد سوى الله عز وجل.. والغيب المقيد هو: ما يعلمه البعض ويجهله البعض.. ولنضرب لذلك مثلا فنقول:

إذا رصدت نتائج الامتحان فى آخر العام وقبل اعلان النتيجة، فهنا تكون نتيجة الامتحان غيبا عنى وعنك، ولكنها معروفة عند هيئة التدريس والمصححين.. كذلك إذا سرق شئ منك.. فالسارق غيب بالنسبة لك، لأنك لا تعرفه، ولكنه ليس غيبا عن نفسه، ولا عمن معه.

فإذا عرفت أنّ هذا الغيب، فمن الجائز أنى اتصلت بقوة ممن تستطيع أن تعلم وتخبرنى، وليس هذا غيبا .. فمن الناس من يستعين بالجن، فهو يكلفه ليعرف أخبارا ويخبره بها..وهذه الأخبار لها واقع معلوم عند البعض؟

وكذلك معلم (بتشديد اللام وفتحها) غيب، يكون الله سبحانه وتعالى قد الهه بشئ سوف يحدث فى المستقبل، ولا علم لأحد به، فهذا معلم غيب.

أما عالم الغيب فيعلمه بذاته.. قال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ﴾

ومثل هذا الانسان المعلم يظهر الله على يديه بعض الأشياء، ولكنه لا تجد عنده جوابا عن كل ما تريد، لأنه لا يملك سوى ما أراد الله سبحانه وتعالى أن يطلعه، عليه، ويبشره به.

والغيب حدث فى الماضى، أو حدث فى المستقبل. فعندما تخبر بشئ مضى فتكون قد خرقت حجاب الزمان الماضى.. وعندما تخبر بالمستقبل تكون خرق للمكان.. فيخبرنى شخص بشئ حدث فى الإسكندرية وهو جالس معى هنا فى القاهرة.

والله سبحانه وتعالى تستوى عنده الأحداث، فعندما يخبرنا بشئ مستقبل فكأنه حاضر، لأنه لا توجد قوة تملك أن تفعل غير ما يريد، فلابد أن يحدث ما يخبرنا به الله سبحانه وتعالى عن المستقبل.

ولذلك فإن القرآن يعبر عن الغيب المستقبل بالماضى المتحقق فيقول تعالى ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾النحل.

فأتى فعل ماضى و (لا تستعلجوه) دليل على أن هذا الغيب مستقبل.. اذن فمعنى ذلك أن الأمر المستقبل حادث لا ريب، لأنه لا توجد قوة أخرى لتغير ما قاله الله سبحانه وجل شأنه.. فما قاله عن أمر مستقبل هو أمر متحقق، فكأنه قد تحقق بالفعل.

فالماضى أمر تحقق عند البشر، والمستقبل أمر تحقق عند الله سبحانه وتعالى.. ولذلك فعندما تقول: إن فلانا قد أخبرنى بغيب.. نقول: هل هو غيب عليك وعلى الخلق، أم أنه غيب عليك فقط؟

فإنه غيبا عليك ومعلوما عند غيرك، فلا يكون هذا الانسان قد عرف غيبا، لأن الخبر موجود عند البعض، فمن الممكن أن يعرف هذا الخبر بطريقة أو بآخر.

وإذا كان الحدث عند العالم الأعلى فقط، ولا يعلمه أحد، فيصبح فيضا يرسله الله فى هبة من هبات الفيوض على بعض خلقه فينطق بالشئ وقد لا يدرى به، كما أخبر سيدنا زكريا بأنه سيولد له ولد وأن اسمه يحيى.

ويمكن أن نتصور أن للعالم نموذجا مصغرا يبرزا إلى الوجود على وفق ما قضى الله قديما تماما، مثل المهندس الذى يصنع نموذجا لعمارة سيبنيها، فتأتى العمارة على وفق ما صنع، حتى ألوان الحجرات وتظام الأثاث .

وكل هذا يأتى على قدر امكانيات الفاعل، فقد يخطط المهندس على أن تكون حجرة المعيشة لون معين ولكن تقف قدرته وامكانياته ساعة التنفيذ، لعدم توافر اللون المطلوب فى الأسواق مثلا، أو لا يستطيع تكوين نفس اللون الذى كونه عندما رسم النموذج، فيأتى بلون آخر قريب منه، ولكن ليس نفس اللون.. ويكون هذا بسبب سوء فى التخطيط، أو بسبب عدم توافر الامكانيات.

ولكن ما بالنا بالذى لا تتغير امكانياته، ولا تخونه قدرته.. فعندما يقدر شيئا فلابد أن يحدث.؟

فتأتى هبات تعتبر بشرى، فمن مبشرات النبوة الرؤيا الصادقة ، فمن الناس من يرى الرؤيا وهو نائم، ومنهم من لديه صفائيات يستطيع بها أن يرى الرؤيا عندما يستيقظ.

والله سبحانه وتعالى قد أعطى للنبى ﷺ أخبارا حدثت قديما..

ومعلوم أن محمدا ﷺ لم يثقف نفســه، فهو لا يعرفها، والناس يعلمون عدم معرفته لها، فتوافق الحقيقة القرآنية التى بقولها ما عندهم.

والله سبحانه وتعالى يؤكد عدم معرفه الرسول ﷺ بها، فيقول: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ﴾.

﴿وما كُنــــتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وما كُنــــتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ . .

﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ .

وفى كل هذا خرق لحجاب الزمان الماضــى. . وعندما أخبر ﷺ بمقتل القادة فى غزوة مـؤتة فى نفس وقت حدوثه فقد خـرق حجاب المكان. . وعندمـا كان ﷺ يخطـط لمعركـة بدر فيـخط على الأرض ويقـول: هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، وبعـد ذلك يأتى المستقبل ويدق ما قال فهذا خرق لحجاب المستقـبل ويخبره به من يعلم واقعه، ولا يخرج الأمر عن ارادته.

وبذلك نرى أن هناك فـرقا. . فإذا كـان للأمر مقـدمات فـيمكن لأى انسان أن يصل لهذا الأمر بترتيب المقدمات. . كذلك إذا كان الخبر معلوما للغير، فينتفى حينئذ شرط الغيب، وهو عدم معرفة أحد به.

والكلام هنا ينحصر فى الغيب المـطلق الذى لا يعلمه الا الله، فمن علمه فى هبة من هبات الفيض يقال له «معلم غيب» لا عالم غيب.

* * *

- إننا نأخذ على الناس الحاحهم على معرفة الغيب .. هذا خطأ، لأن من نعم الله على خلقه أن ستر عنهم الغيب.. والإ فهات شخصاً عنده ألف حادثه سارة فى حياته المستقبلة، وحادثة واحدة محزنة.. وانظر إليه إذا علم الغيب.. فإنك ترى أن الحدث غير السعيد قد طغى على كل الاحداث السارة.. فهو يغتم لهذا الحادث من قبل أن يقع، ويعيش فى المصيبة معزولة عن اللطف لأن الله يلطف بنا عند المصيبة.. فلماذا هذا الاستعجال.؟

* * *

روحان فى بدن المؤمن

س : حينما قال الله تعالى ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ . . علمنا أن هناك حياة أخرى بشرع الله دخلت على حياة الانسان بالروح المنفوخ فى آدم الطينى ليصير من الطين إلى الانسان . . فما هى حقيقة هذا الامر . . ؟

جـ : الروح الأولى التى دخلت المادة ستطعى حياة الحركة والحس . . إنما المنهج الإلهى سيطعى حياة سعيدة ممتعة . . ويسلمنى إلي حياة أخرى لا تفوتنى ولا أفوتها . . وهى معنى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ .

هذه هى الحياة الحقيقة، حيث لن يفوتك نعيم، ولن تفوت نعيما، وإذا عشت بشرع الله عشت مستقرا آمنا والناس آمنين معك .

فالروح تدخل المادة فتتحرك وتنفعل، وهناك روح أخرى تدخل على المادة بروحها التى تحركها، فتعطى لها القيم الاسلامية .

أى أن هناك روحا للمادة، وروحا آخرى للروح هى روح القيم الاسلامية . . ولذلك يشير القرآن إلي هذه المسائل إشارات معبرة فيقول تعالى : ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ .

وهو يخاطبنا ونحن أحياء، ولكنها الحياة الأولى، الحياة الرعناء، وهو يريد لك حياة أخرى، فمن لم يستمع إلي منهج الله فليس عنده حياة، والمقصود الحياة التى لها قيمة، مع أن لنا حياة هى الحياة الاولى .

ومن هنا نعرف : أن هناك روحا تعطى الحس والحركة والمؤمن والكافر

سواء فيها . . وهناك روح أخرى تعطى القيم الاسلامية، لتنشأ الحياة الحقيقة، ولذلك سمى الله الروح الداخلة فى الجسم الذى يتحرك «الروح» وسمى المنهج الذى يحيي الانسان بالقيم الاسلامية «الروح كذلك» فقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ .

وهذه تعتبر روح الروح، أى الروح التى تجعل الروح المادية تعيش فى قيم اسلامية . . وسمى القرآن «روحا» وسمى الملك الذى ينزل به «روحا» فقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ .

وليست الروح المتحركة بالحس والتى يشترك فيها المؤمن والكافر هى المهمة فى مدرات الحياة، ولكن المهم هو الروح الثانية، روح الحياة بالمنهج، وهو القرآن، إذ أن تلك هى الحياة الحقيقة.

* * *

- هذا علم لابد منه لكل مؤمن، حتى يفرق بين الانسان والحيوان، إذ أن الذى يحيا بروح الحسن والحركة وحدها سماه الله «أعمى» و «اصم» و «ميتا» و «أضل» من الأنعام» فى آيات كثيرة من القرآن . . ولكننا نريد أن نعرف مسئولية الانسان ازاء هذا العلم بالروحين فى بدن المؤمن.

- نعم . . الذين يأخذون عطاء الله من الروح الأولى ولا يأخذون عطاء من الروح الثانية يعيشون بعيدا عن المعنى الحقيقى للحياة، لأن الحياة بمعناها الحقيقى: أن يكون هناك أمن فى النفس واستقرار، وعدم تعارض فى حركة انسان مع آخر، وأن تنتهى إلي حياة نزول أنت عن نعيمها، ولا يزول نعيمها عنك . . وتلك هى حياة الحياة.

ولو نظرنا إلي الانسان وقد جرد نفسه من روح القيم الإسلامية. . روح المنهج. . روح القرآن. . الروح الذى نزل به الروح الأمين. . نقول له:

هب أنك لم ترتبط بمنهج السماء، وأنت تعايش خلقا مثلك، فقل لى بالله: كيف تتعايشون؟ لابد أن تضعوا نظاما يكفل سلامة حركتكم حتى لا تتصادم حركاتهم. . بدليل أن غير المؤمنين بالله يضعون تقنينات لكى تحكم تصرفات الناس بعضهم مع بعض.

ونسأل بالتالى: من الذي يضع هذه التقنينات التى تحكم تصرفات الناس. . ؟

إنه بعضهم.

ولماذا كان البعض أولى من البعض فى وضع هذه التقنيات؟

لأنهم أناس مفكرون. . أى إنا سنظل فى انتظار تفكيرهم إلي أن يقننوا.

وقبل أن يوجد التفكير ليقننوا. . أى قانون كان يحكم الناس. . ؟

إذن . . ما دام هناك ناس فلابد أن يوجد مقنن من غير الناس، لأن المقنن من البشر سيقنن ربما ليخدم هواه، ولذلك نجد أن من يكون هواه رأسماليا يقنن الرأسمالية. . والذي هواه شيوعى يقنن الشيوعية أى أن كلاً منهم يريد أن يقنن تقنينا.

والذي لم يقدر على نفسه، ومنعه غروره الفكرى أن يتراجع عن حمق تفكيره، فكل أمنيته التى يبرر بها سلوكة أن تكون قضية الدين قضية كاذبة. . لماذا؟

لأنه لم يقدر على كبرياء فكره.. يقول: إن الدين كذب.. ولا حساب ولا عقاب ولا بعث، ولكن بعضهم يرجع إلي حظيره ربه، فيؤمن بقية عمره، ويسعد فى مقتبل حياته.

* * *

حلقة مفقودة

س : الاضطراب والقلق الذي يسود العالم فى لبعصر الحاضر مع تقدم العلم ووسائل الرفاهية واستكمال حاجات الإنسان، هذا الاضطراب يدل على شى مفقود فى هذا العالم، نريد بيانا شافيا فى هذا الموضوع.

جـ : نعم.. قد يستكمل الانسان مقومات حياته، ويظل قلقاً مضطربا فى الحياة.. وهذا ما نشهده فى عصرنا الحالى، العصر الذى ارتقينا فيه ارتقاء جعلنا نطأ القمر، ونجول فى الفضاء، وكان المنتظر فيه أن يسعد الناس، وأن تسعد الانسانية.

ولكننا نجد أننا كلما تقدمنا فى استنباط اسرار الله فى الكون، وجدنا الشقاء يزداد بنسبة هذا الكشف.. فلابد إذن أن نبحث عن شئ مفقود.

وكان المنطقى إننا ارتقائنا فى الحياة لابد أن نأخذ سعادة مثل ما اكتشفنا، ولكننا نأخذ شقاء وشقاء عاما، بحيث لا تجد قوة فى الأرض مهما كانت قد سلمت من الفزع، أو سلمت من الاضطراب.. أو سلمت من أعصاب متوترة لا تهدأ ولا تستقر أبدا.

لو أن ذلك كان فى الأمم المتخلـفة لكان أمر له مبرر، فـما باله يوجد فى الأمم القوية، فـقد توجد قوة أدنى منهـا، لكنها تزلزل حركـة أمنها، وتصدم كبرياءها، كل ذلك لأن هناك عنصرا مفقودا.

هذا العنصر المفقود يتمثل فـى أن العالم وان استقرت مادياته بشئ من السـعة، فهـناك عنصر عـدم الأمن من الخوف.. هذه هى مـشكلة تلك الحياة.

فالحق سبحانه وتعالى حين يلفتنا إلي قدرته وإلى قوته، وإلى أن الناس مهـما كـانت لهم حرية الحـركة فـهم محكومـون بحساب دقـيق.. هذا الحساب هو قدرة الله سبحانه وتعالى، وذلك لخير الدنيا والأخرة، وليس الأخرة فقط.

❊ ❊ ❊

الشر ضرورة.. لحياة الخير

س : يقول الناس: إن الشئ يتميز بضده.. فالسواد ضرورى لتمييز البياض.. والمر ضرورة لتمييز الحلو.. والقبح لتمييز الجمال.. فهل تنطبق هذه القاعدة على الشر، فيمكن أن نقول: إنه ضرورى فى الوجود لظهور الخير..؟

جـ : رسالة الشر فى الوجود: أن يهيج الناس إلى الخير.. ولذلك ترك الله سبحانه عناصر الشو .. لماذا.

ليستبقى عنصر الخير.

فنحن بعد التجارب المادية فى أجسامنا خرجنا بأنه حين نخاف وباء من الأوبئة، فإننا نأتى للشخص الخالى من هذا الوباء، وتعطيه ميكروب هذا الوباء، وذلك لكى نربى عنده مناعة إذا ما هاجمه الميكروب على غفلة.. فيكون الجسم قد تعود على ذلك.

أى أن الشر إن لم يوجد فى نفسى، لكان علىّ أن أوجده، لكى استبقى عمليات الخير.. ونحن نشعر أن دين الإسلام قد يهمله المسلمون كسلا، وقد يهملونه غفلة ولكن إذا تعرض هذا الدين لأى اضطهاد، فانك تجد غيرة الإسلام قد تأكدت فى نفوس الناس جميعا .. وأصبح البعيد عن منهج الإسلام يتعافت على مواقع الإسلام.

وهى الصرخة التى تنادى دائما: أن ههنا شرا فحاولوا أن تقاوموه.. وقوموا أنفسكم ضده.

* * *

آدم برئ

س : هل يمكن أر يردد المسلمون مـا يردده غيرهم من أن خطيـئة آدم هى السبب فى حياتنا الأرضـية. . وإنه كان من الممكن أن نعيش فى الجنة لولا هذه الخطيئة. . ؟

جـ : نعم. . يظن الكثيرون أن آدم بمعصيـته لربه أخرج نفسه وأخرجنا من الجنة. . وكأن آدم هو الذى أخرجنا بفعلته إلى الأرض لنكدح ونشـــقى، وكـــان من الممكن أن نظـل فى الجنة لننـعم وهؤلاء يظلمون آباهم. . لأن القضيـة إنما تترتب على الاعلان الاول عن آدم. . فالاعـلان الاول عن آدم لم يقل: انى خلقت ادم للجنة، ثم عصى ونزل إلـى الأرض. ولكنه قال: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ .

أى إن مهـمة آدم فـى الأرض، وخلافتـه فى الأرض ليـباشـر مهـمة الاستخلاف فـيما سخره الله له. . ولكن لرحمـته بالخلق لم يشأ أن يزج بأدم فى تلك المـهـمـة التى تعطيـه سـيطرة علـي كل أجناس الوجـود، فيسخرها كما يجب، وربما أعطى له ذلك التسخير لونا من الاستعلاء فى ذاته، فـيظن أنه فعـل بذاته، ولا يذكر الفـاعل الذى فـعل له كل ذلك: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ .

فحين يرى الأسباب توافيـه ، يظن أنه الفاعل وينسى من سخر له هذه الأشياء، وهذا هو الاستغناء والطغيان. .

فحين أراد الله أن يدرب آدم على هذه المهمة، وهى خلافته فى الكون، أراد أن يظل آدم متعـبرًا نفسه أصـيلا، وأراد أن يذكره عقبات الطاعة لله

من هوى النفس التى تتطلب عاجل الشهوة، وتنسى آجل العقوبة، والشيطان الذى يزين للانسان أن يعصى ربه.

* * *

إلى هواة العقلانية

س : تزحف على العالم الإسلامى موجة باردة من العقلانية من بيئات انتهى أمرها تماما بالنسبة للمنهج الغيبى الروحى.. فأصبحت لا تدين إلا بما يتناوله العقل فقط.. ولا تعترف بوعى آخر فى الانسان غير وعى العقل المادى وحده.. ونحن كمؤمنين بقيمة العقل فى تنظيم الحركة الانسانية على أساس المنهج الغيبى الروحى.. وفى ترتيب الأعمال إلى فاضل ومفضول.. ومهم وأهم.. وفى البحث فى استخدام الامكانيات المتاحة لنشر العقيدة الروحية التى يخدمها العقل، ولكنه يقف عاجزا أمام أصولها، ثم يبقى وعى العقل الروحى فعالاً فى تدفق موجات الإيمان إلى أعماق القلب.. أى أ ننا نلغى العقل حينما يحاول اقتحام المناطق التي تعلو على ادراكه.. فكيف نحاول اقناع هؤلاء الخاضعين للفكر العقلانى المستورد بالفكرة الإسلامية..؟

جـ : الإنسان منا باجماع الناس مكون من مادة توجد فيها روح، فتنشأ فيها حياة.

فالروح التى توجد فى المادة هى التى توجد فيها الحياة والحس والإرادة والوعى وكل شئ.. بدليل أنها إذا سلبت منها صارت رمة بالية..

والشئ الذى يدبر مادتك، ويحييها، ويجعلها قادرة على الفكر، وعلي استخدام الطاقة، وغير ذلك هل تستطيع أن تعرفها وتدركها..؟

هنا يقف العقل: لا..

إذن فمخلوق من مخلوقات الله هو فى ذاتك ونفسك، وليس بعيدا عنك، ومع ذلك لا تستطيع أن تدركه.

فإذا كنت تعجز عن إدراك مخلوق لله، فكيف تريد أن تدرك خالقا؟ إنه لعبث..

ولذلك حين تقول: أين الله؟ نقول لك: أين روحك التى تدرك أنت أنها سر حياتك، وسر حركتك؟ أهى فى رأسك أم فى بطنك أم فى قدمك؟

اذن فليس مكان من الجسم أولى منها بمكان.. كذلك الحق سبحانه وتعالى ليس مكان من ملكه أولى منه بمكان.

فإذا كان ذلك فى أمر مخلوق لله، وعجزت عن ادراكة، فكيف تريد وأنت عاجز عن ادراك مخلوق أن تتسامى إلى ادراك الخالق.

* * *

الكافر ظالم لنفسه

س : لا شك أن الكفر افساد فى الأرض.. وهذا الافساد يضر الناس ويضر وسائل الانتفاع الموجودة فى الكون.. فكيف نقول اذن: أن الكافر ظالم لنفسه.. بينما هو يضر غيره..؟

جـ : يقول الله تعالى فى الحديث القدسى: « يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك.. وخلقتك من أجلى.. فلا تشغل بما هو لك، عمن أنت له»(١).

تلك هى فلسفة الأديان كلها.. وما دام الله قد سخر ذلك الوجود بدون قدرة من الانسان على أن يخضع الوجود لأمره، فقد كان يجب عليه أن ينتبه إلى صدق هذا القول.

أى: لا يلهيه ما يخدمه عمن يجب عليه أن يخدم.. لا يلهيه عبيده عن سيده.. فكما انتفعت بعبودية العبد لك يجب أن تحسن عبوديتك للخالق، والا كنت ظالما مجحفا.

وظالم لمن؟

إن الظلم عادة: أخذ الحق من الغير، فيضره لينتفع به الآخذ.. ولكن إن فعلت ذلك فمن الذى وقع عليه الضرر؟

إن الضرر وقع عليك.. وذلك حمق ثالث.. لأن العاصى أو الفاجر ظالم لنفسه، ولم يظلم الذى خلقه، لأن الذى خلقه بكل صفات

---

(١) لم أجده فيما بين يدى من مصادر ومراجع.

الكمال، فعبادته لا تزيد فى ملكه شيئا، وكفره به لا ينقص من ملكه شيئا..

ولكنه كان يحب لصنعته أن تنعم بخيره الأبدى فى الأخرة.. كما نعمها بخيره فى هذه الدنيا.. الخالق بكل صفات الكمال هو الخالق، وهو القائل:

«ولو أن أولكم واخركم وانسكم وجنكم اجتمعوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى قدر جناح بعوضه»[١].

«ولو أن أولكم واخركم وانسكم وجنكم اجتمعوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك فى ملكى قدر جناح بعوضة»[٢].

«ولو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم اجتمعوا فى صعيد واحد، فسألنى كل مسألته فأعطيتها له ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا غمس فى البحر.. وذلك أنى جواد واحد ماجد.. عطائى سلام.. وعذابى كلام.. إنما أمرى لشئ إذا أردته أن أقول له كن فيكون.

فالانسان حين يكفر بربه، أو حين يعصى ربه، يكون قد ظلم نفسه فقط.. لأن الانسان هو أسمى صنعة فى الوجود، وهو المخدوم فى ذلك الوجود، وهل رأيتم فى عالم البشر صانعا يأتى بصنعته ليتلفها؟

كلا.. إن كل صانع يعالج صنعته لتكون صنعة رائعة راقية.

---

(١) صحيح أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والاداب، باب تحريم الظلم حديث (٤٦٧٤)، وأحمد حديث (٢٠٤٥١).

(٢) نفس التخريج

النعم سبب الغفلة

س : الناس جميعا من أعماقهم يعرفون الله تعالى . . ويحبونه . . بدليل أن أشد الناس عتوا فى الاجرام يتضاءل إلي رحاب الله حينما تصيبه كارثه تفزعة . . فما هو السر فى غفلة هؤلاء الناس عن مواصلة الحب الإلهى فى مختلف أطوار الحياة . .

جـ : تنعم الانسان لا دوام له فى دنيا الأغيار . . فالنعمة إما أن تفوتك، وإما أن تفوتها . . ولكن الحق شاء أن يكرم الانسان تكريما آخر، فأحب أن يعطيه المنهج بافعل كذا ولا تفعل كذا، فإن استقام على المنهج أعطاه ترفيها وتصعيد للتنعم، هذا الترقى والتصعيد للنعم هو: أن يذهب إلى ولا تفارقه النعمة.

حياة أبدية، بحيث لا يفارق هو فيها النعمة، ذلك هو أرقى ما يتطلع اليه انسان . .

والذى يفزع الناس فى دنياهم أنهم يخافون أن يموتوا فيفوتوا النعم أو تفوتهم النعم، فإذا ما وعد الله المؤمن بحياة أخرى لا يفوت فيها النعمة، ولا تفوته النعمة فذلك هو التصعيد للنعمة.

أى أن المؤمن حين يتلقى منهج الله إنما يتلقاه لخير نفسه الأبدى . . إذن فالمؤمن عاقل، والكافر أحمق، والعاصى أخرق، والطائع كيس.

فهؤلاء المؤمنون هم الذين أحسنوا المكر الحسن فى الحياة، لأنهم ضحوا بشئ لا مقام للنعمة فيه، ولا للمنعم عليه بشئ للنعمة فيه دوام وللمنعم عليه فيه دوام.

فالطاعة كـيس، ولكن الناس من غفلتهم يحبـون عاجل النفع، ولكن العقلاء هم الذين يبيتون للنفع الدائم المقيم.

اذن فـالرسل إنما جـاءوا لترشـيـد حركـة الانسـان فى الأرض، وهذا الترشيد الذى يلح الله على عباده أن يتبعـوه ترشيد فيه مقومات حسن الله بالمرشد، لأن الـذى يسئ الظن بالمرشد، أو يسئ الظن بالناصـح والموجه له، فإنه يتهمه بأنه يبغى لنفسه نفعا فى هذه المسألة.

فهل الله سبـحانه وتعالى يريد منا نفعا بهـذه المسألة؟ اذن فلا يصح أن نتهم الناصح ولا المرشد ولا الموجه.. وجينئذ نجد أن الله سبحانه وتعالى وإلى ارسـال الرسل، فكلمـا جـاءت غـفلة إلي الخلق ذكـرهم برسـول جيدي، لأن الله يحب لصنعته أن ترشد.

* * *

القرآن المهيمن

س : نزل القرآن مهيمنا على الكتب السابقة كما جاء فيه.. فما دلالة هذه الهيمنة وما آثارها ونتائجها..؟

جـ : كلمة (مهيمن) تدل على أن الكتب السابقة قد يتناولها التحريف.. فلو قلنا: إنه مصدق لما بين يديه من الكتب فقط، لكان مصدقا لما أثبت هو أن فيه تحريفا.

أما قوله: (ومهيمنا عليه) فيدل على أن ما اختلف فيه الكتاب مع القرآن فالحجة فيه للقرآن.

والأمر فى منتهى اليسر العقلى.. لأن الكتب التى نزلت على الرسل السابقين كتب مناهج فقط، تحمل المنهج الإلهى للرسول، ليبلغه بلغة من عنده، كما فعل رسول الله ﷺ فى أن بلغنا بواسطة الحديث النبوى.

أى أن الكتب السابقة تناولت معنى المنهج.. وجاء الرسل فبلغوا معانى المنهج.. وجاء الحواريون حولهم فنقلوا بلغتهم ما فهموه من المنهج.

اذن فالنص فى الكتب السابقة غير موثق من الله، لأن المعانى هى التى نقلت إليهم، وما دام الامر كذلك فنقل المناهج القديم مهمة تكليفية.. ومعنى مهمة تكليفية: إن الله كلف من علم المنهج فى الكتب السابقة أن يبلغه.. وما دامت المهمة تكليفية فالتكليف فى ذاته عرضة لأن يطاع ولأن يعصى.

وما دام الأمر فأتباع الأديان عصوا ربهم ونسو حظا مما ذكروا به،

وكتمـوا بعض ما لم ينسوه، وما لم يكتمـوه حرفوا فيـه، ولووا ألسنتهم بهـ. . وليتـهم اقتصـروا عند هذا الحد. . ولكنهم زادوا من عندهم شيـئا ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ .

فالنص فى الكتب السابقة غير موثق. . لماذا؟

لأن النص فى الكتب السابـقة كان نص منهج فـقط. . بينما النص فى الاسلام ليس منهجا فقط، وإنما هو منهج ومـعجزة. . والمعجزة من صنع الله. . فليس لبشر أن ينسى منـها شيئا، ولا أن يكتم منها شـيئا، ولا أن يحرف منها شيئا، أو يلوى لسانه بشئ، أو يزيد فيها شيئا.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ .

فالنص انما حوفـظ عليه لا لأنه منهج ولكن لأنه معجـزة. . والمعجزة من صنع الله، لا دخل لبـشر فـيها مطـلقا. . ولذلك سـتبقـى إلي آخر الدهر. . لأن الكتب السابقـة كلف أهلها أن يحافظوا عليـها، والتكليف عرضة لأن يطاع ولأن يعصى، وقد عصى. . ومن هنا لم يأمن الله البشر على معجزة محمد ﷺ فقال عما سبق من الكتب: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيـهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا الـنَّبِيُّونَ الَّذِيـنَ أَسْلَمُوا لِلَّذِيـنَ هَادُوا وَالـرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ .

ومعنى (استحفظوا) طلب منهم تكليفا أن يحافظوا عليه.

أما القرآن فلم يستحفظ الله عليه أحدا، بل قال:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

فالحفظ من الذى أنزل. . ولكن الكتب السابقة كان الاستحفاظ مطلوبا

ممن أنزل عليهم وإليهم، ، فلم يطع من أنزل إليهم . . فلم يأمن الله بشرا على القرآن، لأنه معجزة ولأنه منهج .

اذن فهيمنة القرآن على المناهج هى التى جعلته لا يتعرض لما جاء به جديدا فى التكاليف ولكنه تعرض للمسائل الكونية من ألفها إلى يائها . . فمن مهمة الانسان . . ومن كيفية خلق الانسان . . ومن الحركة التى تأتى بها الروح فى مادة الانسان . . ومن حركة القيم التى يأتى بها المنهج فى الانسان . . كل ذلك أراد القرآن أن يحققه حتى يتحقق له أنه المهيمن على كل كتب السماء .

ولو أن المسألة كانت وصلة وحلقة من حلقات الانزال السماوى «لا كتفى» الله فى القرآن بأن يجئ بالشاهد ولكنه جاء بالمسألة من أساسها .

* * *

التوكل ضرورة ايمانيه

س : اتفق العقلاء العلماء من الأمة على أن التوكل الحق هو العمل بالجوارح فى الأسباب، مع تعلق القلب بالرجاء فى الله تعالى وحده.. وعليه فالتوكل من صميم الايمان.. فهل من حجة قائمة فى الكون على هذه النظرة، حتى يعتبر الكسالى المتواكلون.. ويعتبر عبيد الأسباب هم الآخرون..؟

جـ : الله تعالى خلق النواميس تصنع، ولكنه ترك للقدرة مجالا فى أن تبطل القانون وتبطل الناموس.

فمثلا عندما استقبلنا قضية الخلق فى القرآن وجدنا أننا قد خلقنا من آدم، وخلق زوجه، وهل خلقت زوجه منه أم من جنس ما خلق هو؟ ثم نظرنا فوجدنا أن الخلق دائر على أربعة ألوان:

- من لا أب ولا أم.
- من أب فقط.
- من أم فقط.
- من أب وأم.

وقد يوجد الأب والأم ولا شئ.. اذن فليس معنى ذلك تحديد طلاقة القدرة فى ألا توجد إلا من أب وأم، وهذا هو القانون السببى العام، ولكن لكى تعرف أن السبب لا يملك ربك.

هذه هى طلاقة القدرة فى الأسباب.. يترك الله المنفذ لقدرته ليبطل الأسباب.. لماذا؟

حتى لا يفتتن الناس فى الأسباب ويهدروا التوكل على الله، ويهدروا الإيمان بالقضاء والقدر.. حتى لقد ادعى الملاحدة: أن الإيمان بالقضاء والقدر هو الذي أخر المسلمين.

فالرزق موصول بالسبب.. ولكن الله قد يرزق بعض الأمم من تحت أرجلهم، كما رزق أمم البترول مثلا، خلق الرزق تحت أرجلهم، حتي يذل لها الملاحدة.. وذلك لتأكيد أن السبب وحده لا يفعل.. والتوكل لا يفعل..

فلابد من الحركة بالجوارح.. ولايد من التوكل على الله.. كلاهما فى عمل واحد.

* * *

الداعية فى العصر الجديد

س : سئل فضيلة الشعراوى من أحد الصحفيين قائلا: سئلت كثيرا عن مسائل واستفسارات فى شتى المواضيع. . فهل هناك سؤال لم يسأله أحد لك، وكنت تتمنى أن يسألك عنه؟

جـ : كنت أحب أن يسألنى سائل: ما الذى أخر اعلامك بدين الله إلى أن تجاوزت الخامسة والستين. . ؟

نعم. . والإجابة عندى

أن الإسلام أكثر من أن يحيط به عقل. . والأفق الواسع كلما ألقيت فيه جانبا من العلم ظل اوسع مما طرح فيه، فيشعر الانسان أنه ما زال فارغا. . وهذه قد تعرض لها الشاعر محمد اقبال فى معنى من المعانى ترجمه المرحوم الأستاذ عبد الوهاب عزام، وفيه يقول:

قالت النفس قد علمت كثيرا   قلت هذا الكثير نزر يسير

تملأ الكوز غرفة من محيط   فيرى أنه المحيط الكبير

وكنت كلما أتيت لأرى ما عندى من علم الإسلام وجدت أنه ليس القدر الذى أستطيع أن أبدأ به فأنا لا أريد أن أكون أسطوانة مكررة لمن سبقنى. . أريد أن أتى بجديد يناسب جدة عصور الإسلام. فالسابقون معذورون فى أن يقولوا ما ناسب عصرهم. . فإذا أنا حاولت أن أكرر ما قالوه فى عصورهم أبقيت عصرى بلا عطاء. . وخالفت منهج القرآن الذى جعله الله يكشف فيه كل عصر عن سر، ويبقى أسرارا للعصور التالية. . حتى لا يأتى عصر من العصور يتوقف فيه عطاء القرآن.

فكنت كلما أردت أن أقول شيئا وجدته قد قيل.. فأسكت..

وظللت هكذا إلى أن قرأت كتب الاسلام، وسمعت حتى أحسست بمخاض فكرى لكثير من الأفكار بدأت أقول.

أنا لا أدعى أنى أتيت بجديد.. ولكنى أيضا لا أهضم نفسى حقها وأقول: إننى أكرر القديم.. وإنما اختلطت الأفكار فى نفسى وتفاعلت، وتولد عنها أسلوب جديد.

والعجيب أننى حينما قلت، وجدت الناس كانوا فى انتظار ما قلت، فسجدت لله شكرا، لأن الأمة ما تزال بخير.. ما يزال عندها الذوق الذى تعرف به المقاييس.. وهذا ما جعلنى أحاول جاهدا أن ألتحم بالجمهور.. وحينما أوجه الجمهور اعتبر ذلك فضلا من الله ونعمة.

- ولماذا يلقى برنامجك القبول عند كل مستويات الناس ثقافة وأعمارا؟

- لأن الاسلام دين الفطرة.. يخاطب القدر المشترك فى الناس جميعا.. وفي الرجل والمرأة.. فى الطفل والشاب.. فهو كلام رب خالق.

كنت فى الأردن.. وجاءنى رجل بابنه وهو طفل صغير، وله أمنية وهى: أن يقبلنى.. فسألت الصغير:

ياولدى ، هل فهمت ما قلته..؟

فقال الطفل:

«أهو أنا مبسوط وبس».

من هنا أخذت الجواب، وهو :أننى حينما أنفعل لدين ربى، ولمنهج ربى، أخاطب ملكات فى النفس لا نعرفها نحن، فنطرب، فتسأل واحدا: لماذا تطرب؟ فلا يستطيع التعليل.

نسوا الله فنسيهم

س : يقول الله تعالى فى سورة التوبة: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ . . فمن هم الذين يأمرنا الله ألا نتشبه بهم، وكيف ينساهم الله تعالى . . ؟

جـ : الانسان المؤمن يمضى فى الحياة وهو يعلم يقينا أن الله يحب عباده المؤمنين . . يعلم يقينا أن الله ينصر الذين آمنوا . . يعلم يقينا أن الله ولى الذين آمنوا فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . . وهو يعلم مالا نعلم .

فإذا لم يوفقه فى شئ فمعنى ذلك أنه دفع عنه شرا . . ولذلك فإن المؤمن يقول: الحمد لله، دائما إذا أعطى وإذا منع . . ويكون راضيا إذا أعطى وإذا منع . . لأنه يحس أن الخير فى المنع وفى العطاء . . ويطبق قول الله تعالي : ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ .

فتنشأ النفس المؤمنه بعيدة عن القلق . . بعيدة عن الاحباط . . بعيدة عن كل ما يمزق النفس البشرية ويهدمها، ويدفعها إلى الجنون والانتحار .

أما الكافر والمنافق، فيمضى فى الحياة وليس الله فى باله، نسى الله، فيعبد الأسباب وحدها، ويعتقد أن الأسباب تعطى بلا مسبب وراءها، وأنه هو بذاته يستطيع أن يحقق ما يرد . . أو كما يحلو لبعض الناس أن يقول: يستطيع أن يصنع قدره . .

ومقاييس الخير والشر عنده هى مقاييسه هو . . وعندما يصطدم بأن شيئا مما أراده لم يتحقق، أو بأنه وأنه سيواجه مصيرا أسود، وتضطرب نفسه، فشل فى تحقيق شئ، يحس أنه ضاع، وأنه انتهى، وتتمزق . .

فإما أن يهرب من واقع أليم بالانتحار.. وإما أن يعجز عن مواصلة الفكر فيصاب بالجنون.. لأن الله تركه.. ولم يعد يواليه بعنايته وقوته.

هكذا رغم رغد الحياة المادية، وما تقدمة له مما لا يحصل عليه أى انسان آخر فى دولة متخلفة.. يحس بعدم الاستقرار.. يحس بأن غده غير آمن.

وإذا كان القلق والجنون هما سمة من سمات الدول المتقدمة فى هذا العصر فلأن الناس نسوا الله.. وكل انسان منهم يعتمد على ذاته فى كون لا يخضع فى الحقيقة للانسان.. وتأتى المأساة عندما يريد انسان أن يخضع الكون لذاته فيصدم بالحقيقة ويتحطم عليها..

ولم يكن آباؤنا يعرفون مرض القلق، لأن الخط الإيمانى كان قويا عندهم.. ولكن كلما ضعف الخط الإيمانى قوى خط القلق..

* * *

مريم ابنة عمران

س : لماذا ذكرت مريم ابنة عمران بالاسم فى القرآن الكريم دون سواها من النساء..؟

جـ : لقد ضرب الله تعالى أمثلة كثيرة فى القرآن الكريم على طلاقة القدرة.. ولعل قصة مريم تشرح لنا الكثير من طلاقة القدرة.. الرزق الذي كان عند مريم فى المحراب.. ودعاء زكريا.. ثم ميلاد عيسى.

وقصة مريم تختلف عن باقى قَصَصُ القرآن فى أنها تحدد المعجزة فى مريم غير متكررة.. بينما قصص القرآن الأخرى هى عبر تتكرر فى الحياة.. ولذلك قال الله تعالى عن أهل الكهف ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾.

ولم يقل: كم هم؟ ولا من هم؟ ولا من أى بلد هم؟ لأن كل هذا ليس له قيمة.. فالمطلوب هو مغزى القصة.

والتشخيص لو وجد بالأسماء لقال الناس: هذه قصة لها عصرها وأبطالها ولا تتكرر.. ولكن قصص القرآن كلها عبر، ويمكن أن تتكرر في أى زمان ومكان.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾.

ولم يقل من هما؟ إنما يريد الله أن يبصرنا بأن النبى قد لا يستطيع أن يهدى زوجته، وهى أقرب الناس إليه، وأكثرهم معاشرة له.. كما ضرب مثلا بامرأة فرعون، ولم يقل من هى؟ ولكن أراد أن يعطينا مثلا آخر عن امرأة كان زوجها يدعى الألوهية، ومع ذلك خالفته وآمنت بالله.

والعبرة هنا أن لكل امرأة عـقيدة مستقلة لا يستطيع زوجـها أن يجبرها على الكفر أو الايمان.

* * *

الله القيوم

س : كل اسم أو صفـة من صفات الله تعـالى له خاصيـة تعود على المؤمن إذا تعلق بهذه الصفة، وتذكـرها بقلبه دائما، حتى صارت من جـوهر إيمانه.. فمـا هى خـاصيـة اسمـه تعـالى «القيـوم» ومعناه..؟

جـ : يريد الله تعالـى أن يخبرنا أنه خلق الكون، ووضـع له قوانينه، ولكنه قائم علـيه.. أى أنه سبحـانه قائم علي ملكه، لا يتـركه لحظة واحدة.

والله طلب منا أن نأخذ بالأسبـاب، ولكن حينما نعجز أمـام الأسباب فلا نصل إلى شئ، فـهناك دائما «القيوم» القـائم على ملكه، الذي يمكنه أن يفتح الأبواب ويحـقق ما تحسـبه مسـتحيـلا وغير ممكن، وحـينما لا تسـتجـيب الأسبـاب فإن المؤمن يفـزع إلي ربه، ويرفع يديه إلى السـماء ويقول «يارب».

وكلمة «يارب» إيمان بأن الله سبحـانه وتعالى قائم على ملكه.. فحين يفزع المؤمن إلي الله، فإنما يعلم أن الله قادر متى عجزت الأسباب.. وهو قائم على ملكه فى كل لحظة وثانية.. يبدل العـسر يسرا.. واليأس أملا وفرجا..

فهاجر رضى الله عنها تركت وليدها عند بئر زمزم وانطلقت تسعى من أجل الماء، ولكن الأسباب لم تستجب لها، وبعد سبعة أشواط تعبت، وتسرب اليأس إلى قلبها، فضرب وليدها الأرض بقدمه، وهو الطفل الضعيف الذى لا يملك من أسباب الدنيا شيئا، فانفجر الماء.

الأم القادرة على أن تسير هنا وهناك لم تستجب لها الأسباب.. والطفل الرضيع العاجز الذى لا يملك القدرة على أن يسقى نفسه شربة ماء.. هذا الطفل ضرب الأرض بقدمه فانفجر الماء.

ولو نظر الانسان إلى حياته لوجد أنه قد مرت فيها أوقات توقفت خلالها كل الأسباب، وأحس باليأس، وجلس يقلب الأمور فلم يجد حلا، ثم فجأة جاء الحل من حيث لا يحتسب.

اذن فالله سبحانه قائم على ملكه.. تفزع إليه النفوس المؤمنة عندما تتعطل الأسباب وتقف الدنيا عن العطاء.. وهذه خاصية «القيوم» ومعناه.

* * *

النفس المطمئنة

س : وصف الله سبحانه النفس المؤمنه بـأنها نفس «مطمئنة» . . ووعد هذه النفس المطمئنة برضاه وجنته فـقال سبحانه : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ . . فكيف تكون النفس مطمئنة، حـتى تحصل على هذا الجزاء العظيم . . ؟

جـ : يقول الله سبحانه وتعالي فى آية الكرسى ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وهذا هو الذى يدخل الاطمئنان على النفس البشرية.

فالله تعالى يقـول لعبده: مم تخاف؟ من رزق لن تحـصل عليه غدا . . أو من عمل لن تنجـزه غدا؟ أو من مـال تحتاج إليـه ولن يأتيك غدا . . ؟ تذكـر أن كل ما فـى السمـوات ومـا فى الأرض هو ملك لله سـبحـانه وتعالى، يعطى منه مـن يشاء، ويمنع منه من يشاء، فـفيم القلق والله هو الذى يملك ويعطى، وفـيم التفكيـر والله قادر على أن يعطى كـلا منا ما يكفيه وزيادة أن يتأثر ملكه أو ينقص.

ولماذا تفزع من الغد، أو تحس أنك وحدك فى الدنيا ما دام الله معك، والله حى لا يموت، دائم الوجود، لا ينام ولا يغفل، كل ما فى السموات والأرض هو ملك له . . فكيف لا يطمئن الانسان المؤمن إلي قضاء الله؟

وإذا كان الله سـبحانه وتعـالى يرزق من كفـر به، ويستر من عـصاه، فكيف بمن آمن به وأطاعه؟

والعجيب أنك ترى انسانا يحتمى بملك أو رئيس أو وزير، ويعيش آمنا

مطمـئنا يحسـده الناس على ما هـو فيـه، ويحاولون أن يسلبـوا منه هذا الأمان المحدود بقدرة الانسان.

وينسى هؤلاء الناس الله سبحانه وتعالى، الذى يعطى الأمان والطمأنينة بلا قـيود ولا حـدود. .نَقْصُ الإيمان يصـور لهم أن المخلوق أقـدر على حمايتهم من الخالق. . وأقـوى وأكثر نفوذا. . هذه هى الغفلة التى تدخل على القلب.

والانسان حـين يؤمن بالله يكون فى أمان مطلق ممن هو يمـلك قدرة لا يحـيط بهـا ادراك. . قـدرة الله التى أوجـدت كل شئ، ولا يتم شئ إلا بأمرها، وهى التى تحرس وتحمى. . ولذلك وصف الله النفس المؤمنة بأنها «مطمئنة» لأنهـا أسلمت قيادها للقوة الإلهـية. . للحى الذى لا يموت. . والساهر الذى لا ينام. . والعالم الذي لا تغيب عنه كـبيرة ولا صغيرة. . مطمئنة لذلك كله،فلا يشغل بالها الغد، مـهما كانت أحداثه، ولا يقلقها أن يؤخـذ منـهـا شئ، وكل شئ فى السـمـاوات والأرض هو ملك لله سبحانه وتعالي .

* * *

المطففون

س : نزلت سورة كاملة عن المطففين. . فـهل التطفيف قاصر على ما يكال ويوزن فـقط، أم هو شامل لكل شئ؟ ومـا أثره فى افـساد الحياة. . ؟

جـ : التطفـيف شامل لكل شئ من الحـقوق والواجـبات والمطفـفون طائفـة من الناس لم توازن توازنا عـادلا بين حق الاستـيفـاء من الغير، وحق الأداء نحو الغير.

ورعـاية هذا التوازن هى التى تضـع الميزان الأسـاسى لاعتـدال الحيـاة كلها. . فـفساد الحيـاة كلها إنما ينشأ من حـرص الانسان على أخذ حـقه كاملا. . فإذا مـا جاء دوره فى أداء الواجب، أى حق الآخرين حاول أن يبخسهم.

ولو أن الناس فى أى وضع من أوضاعهم، من قـمة الحاكم إلى كانس الشارع راعى هذا الميزان باعتدال لما وجد فى العالم فساد أبدا.

* * *

المنافق أخطر من الكافر

س : الكافر جاحد لله . . والمنافق يعترف بالله فى بعض أحواله . . فكيف يكون المنافق أخطر على مجتمع الإسلام من الكافر كما أجمع على ذلك المسلمون؟

جـ : المنافقون أخطر من الكافرين، لأن الكافرين عاندوا بصراحة . . وجعلوا القوة الحقيقية تقف أمامه وقوفا ظاهرا غير مستور . .

ولكن المنافق الذى نافق القوة الحقية، وادعى أنه معها، ليستنيموا إلى أن قوتهم قد زادت . . وليته ادعى أنه معها فقط . . ولكنه فى الباطن هو ضدها وعليها . . فكأنه حارب الحق بوجهين :

الأول : أنه جعل الحق يعتبره سيفا معه .

والثانى : أنه من ناحية عدم اقتناعة، وعدم إيمانه سل سيفا آخر على الحق .

اذن فهما سيفان مع المنافق . . سيف إيجابى ظنت قوة الحق أنه معها . . وسيف سلبى .

اذن فقوة النفاق وشراستها هذه، وعملها فى الظلام كانت أخطر على الاسلام من قوة الكفر . . لذلك نجد الحق سبحانه وتعالى حينما عالج قضية المؤمنين بثلاث آيات وعالج قضية الكافرين بآيتين، عالج قضية النفاق بثلاث عشرة آية من سورة البقرة، لأن مظاهر هذا النفاق متعددة، ولزأه فى ذاته حقيقة ملونة، فلا هى قوية شجاعة تجاهر بمعارضة الحق، ولا هى قوة راضت نفسها على أن تؤمن بالحق .

- وكيف وجه الله المؤمنين إلي الطريق الأمثل لمقاومة هذا الخطر الجسيم..؟

- الله سبحانه وتعالى علمنا أن المؤمن حين يكون مؤمنا بربه، يجب عليه أن يخوض معركة الايمان لا على أنه وحده، بل يجب أن يخوضها على زنه مسنود من الله القوى الذي لا يمكن أن ينتصر عليه أحد أبدا ما دام المؤمن فى معية منهجة.

فإذا تخلى المؤمن عن منهج الله فليكن الخسار عليه، قوة بشر لبشر.

* * *

السلام النفسى

س : الضالة التى تنشدها الناس فى عصرنا هى السلام النفسى. . إذ أن التمزق النفسى أصبح من سمات العصر. . وآية ذلك رواج الطب النفسى وانتشار الأمراض النفسية. . فمتى يكون السلام النفسى، ومتى يكون التمزق. . ؟

جـ : الانسان خلق الله. . له ملكات متعددة. . له أذن تسمع. . وعين تري. . ولسان يتكلم. . وفكر يعقل. . وقلب يعتقد.

والانسان المستوى كما يريده خالقه لابد أن يصنع تعاونا سلاميا مع هذه الملكات. . والمؤمن قد صنع هذا السلام. . لأنه اعتقد بقلبه. . وأقر بلسانه. . وفقه بعقله. . واعتبر بجوارحه. . فلا تنازع فى ملكاته أبدا.

والكافر. . أيضا لا تنازع فى ملكاته. . لأنه لم يعتقد وأعلن أنه لا يعتقد. . اذن ففيه سلام مع نفسه. . ولكنه فقد السلام مع مجتمعه الذى يعيش فيه. . ومع ربه الذى خلقه وإليه يعود.

لكن المؤمن أخذ السلام من جميع أطرافه وإن حقق السلام لنفسه، فإنما هو فى فترة وجيزة هى الفترة التى قدر الله له أن يعيشها فإذا صنع سلاما لنفسه بين لسانه وقوله، وبين قلبه ومعتقده، فإنما ذلك موقوت، لأنه سينتهى إلى أمد زمنى آخر يرى فيه أنه فقد السلام حتى بينه وبين نفسه، وذلك لأن نفسه ستنتقض عليه فى الأخرة.

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

إذن فجلودهم قد انتقضت عليهم. . اذن فالسلام الذي كانوا صنعوه

لأفسـهم تبين أنه سلام باطـل قصيـر العمـر . . فأبعـاضهم كلهم تشـهد عليـهم . . اللسان يشـهد . . واليـد تشهـد . . والرجل تشهـد . . والجلد يشهد . . اذن هو سلام مؤقت .

ولكن سـلام المؤمن حقق كل عناصـر السلام . . فـبينه وبين نفـسه لا تناقض . . وبينه وبين ربه لا تناقض . . وبينه وبين مجتمعه لا تناقض .

أما المنافـق فقد تفكك وتأرجـح، وأصبح مضطرب الملـكات . . يقول بلسانه ما ليس فى قلبه . . نقول له: لا تفسد فيقول: أنا مصلح .

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ .

بالله كيف يسـتريح هؤلاء؟ ولذلك فكل الآيات التى تعـرضت لهؤلاء تجد سمة التناقض والتأرجح فاشية . . اقرأوا إن شئتم :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ .

هذا أول تناقض وذبذبة فى النفس المنافقة . (يخادعون الله) لاسلام مع الله (والذين آمنـوا) لاسـلام مع الـذين امنوا، وفى الواقع أنـهم كـمـا قال:﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم﴾ . . لا سلام مع أنفسهم . . هذا تمزق . . لان المنافق يرى أنه يحقق لنفسه نفعا، وهو فى الواقع يحقق لها ضررا :

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ .

انسان يعيش مرضا ولا ينتظر العافية . . بل ينتظر أن يزيد مرضا . .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ .

تناقض مـركب . . ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ تمزق مركب . . وخطر مركب . . وشر مركب .

زوج المسلمة بالكتابى

س : يقتضى ظاهر العدالة أن يبيح الإسلام زواج المسلمة بالكتابى كما أباح المسلم بالكتابية . . ولكننا نجد الشريعة تحرم زواج المسلمة بالكتابى فضلا عن الكافر . . فلماذا كانت هذه التفرقة؟

جـ : البعض يعلل هذه المسألة بالارتفاع . . فارتفاع المسلم على غيرالمسلم هو ما يقره العقل . . أما ارتفاع غير المسلم على المسلم فهو مالا يقره العقل . . ونقول: إن الكتابى لا يؤمن برسالة سيدنا محمد ﷺ ، ومن هنا يصبح غير مؤتمن على دين المسلمة، ولهذا لا يصح زواجها به. أما المسلم فهو مؤمن بالرسالات السابقة للكتابيين . . ومن ثم يصبح أميناً على دين الكتابية، ولهذا يصح زواجه بها، والله أعلم.

* * *

عبس وتولى

س: كثير من الناس يثيرون الأعاصير ضد رسول الإسلام ﷺ جرياً على سنن أعداء الإسلام من المستشرقين وأشباههم. فكيف يطمئن المسلم إلى سلامة العمل النبوى، ليرد على أعدائة؟

جـ : بعض أعداء الإسلام يرون أن عتاب الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ فيه إقلال من قدرة الرسول الكريم.. وإن هذه الآية واحدة من آيات العتاب كثيرة.

ولكن لننظر إلى الموضوع نظرة موضوعية ومنظقية، ونبحث معا: هل العتاب كما يقولون فيه إقلال من قدرة النبى صلوات الله وسلامه عليه؟

وبداية: هل هذا الأعمى الذي جاء الرسول ﷺ ليسألة مؤمن أو غير مؤمن؟

إن الأعمى الذي جاء يسأل رسول الله ﷺ رجل مؤمن، جاء يستفسر عن شئ من أمور دينه.

وهل الرد على استفسار من رجل مؤمن أمر سهل أم غير سهل لا شك أن الرد على رجل مؤمن أمر سهل.

ولقد جاء هذا الرجل يسأل عن أمر دينه بينما الرسول ﷺ منشغل بمناقشة صناديد الكفر والردعليهم.. وهذا لا شك أمر صعب عليه بالنسبة للحالة الأولى.

إذن فالله سبحانه وتعالى يقول لنبيه:

لماذا تتعب نفسك مع هؤلاء الكفار، وتضيع وقتك معهم وهو أمر متعب ومرهق لك؟

إذن فـالله تعـالى لا يعـاتب النبـى ﷺ لأنه غـاضب عليـه، بل لأنه غاضب له. فكأن الحق سبحانه وتعالى يعتب لصالح محمد ﷺ.

ولنظر فى مجال عتاب آخر عندما قال له الله جل شأنه: ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾.

هنا يسأل الله تبارك وتعالى رسـوله: لماذا تضيق على نفسك؟ أفى هذا شئ يضر الرسول ﷺ ويضيق عليه؟ أم أنه يسهل له ويوسع عليه؟

هذا.. ولكى نقرب لك المعنى نقول: إن كان لك ولد أو أخ مجتهد، ويبذل فى مـذاكرته جهـداً مضاعفـاً، فهوبالمدرسـة صاحاً، ويسـهر ليله للمذاكرة، ولمراجعة دروسه، وعندئذ تلومه على ما يبذل من جهد شاق، حرصا عليه، وحبا له، وتقديراً لتـحمله المسئولية، ولا يكون عتابك هذا له بسـبب تقصـيـره فى أداء واجبـه، فاللوم والـعتـاب وقع، ولكنه أتى للتخفيف، وليس للتضييق، والأمر فيهما مختلف.

* * *

سر تحريم الانتحار

س : لما حرم الإسلام الانتحار ، بينما المنتحر لم يؤذ غيره حين انتحر، وإنما آذى نفسه ، وتخلص من حياته هو ، ولم يعتد على حياة غيره ؟.

جـ : إن الله تعالى هو الذى وهب الحياة ، فيجب أن ندع سلب الحياة إلى من وهبها ، ولذلك فإن ذنب قتل الغير يتساوى مع ذنب قتل النفس ، لأن تعد حق ليس لك ، فإن فعلت أنت ذلك حتى ولو بنفسك تكون قد أخذت حقاً ليس لك . . ولذلك قال الله تعالى : «بادرنى عبدى بنفسه ، فتحرم عليه جنتى».

لأن هذا الإنسان أخذ الحياة التى وهبها له ، ثم سلب هو هذه الحياة بنفسه ، وهذا ليس من حقه .

وسبب أخر . . وهو أن الذى ينتحر لا يفعل ذلك لوجود أسباب ضاق عن احتمالها ، وفى هذا نقص فى الإيمان .

فمن فوائد الإيمان تحمل الشدائد ثقة بالله عز وجل ، فيصبح الانتحار قنوطا من قدر الله ، وهواليأس من رحمة الله .

ويجب أن نعلم أن الإنسان متعرض فى هذا السكون الكبير للمتغيرات، والكون كله متغير ، فلا بد أن يرتبط الإنسان المؤمن بربه . . فإن تعرض لأحداث مكدرة ، أو ظروف قاسية ، فإنه يرجع إلى ربه ، فيكون له أنساً وقوة وملاذا ، فيقوى على مجابهة الأحداث والظروف التى مر بها . . وصدق الله تعالي إذ يقول : ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ .

لأننا نجد القلوب مضطربة قلقة بغير ذكر الله . ولكن عندما يذكر الإنسان أن له ربا فإن قلبه يطمئن إلى أنه لا يواجه الأحداث وحده ، ولا يوجهها بقوته ، ولكنه يواجه الحياة وأحداثها بقوة ربه ومدده ، فيطمئن قلبه . ولذلك قال رسول الله ﷺ .

«عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خير له ، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خير له»(١) .

* * *

(١) صحيح: أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير حديث (٥٣١٨)، وأحمد حديث (١٨١٧١).

أكثر أهلها النساء

س : ورد فى السنة أن أكثر أهل النار من النساء . . فلماذا ؟ .

جـ : قال رسول الله ﷺ : «إنهن يكفرون العشير ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم أسات إليها مرة واحدة ، قالت : ما رأيت منك خيرا قط»(١) .

ومعنى «يكفرون» : يسترن ويحجبن لله «والعشير» ، هو الزوج . فإذا كانت هذه هى العلة ، فالتى لا تريد أن تكون من أهل النار فلتمتنع عن هذه الخصلة ، وتذكر عندما يسئ إليها زوجها أنه أساء إليها مرة ، لكنه أحسن إليها دائماً ، وبذلك ترضى زوجا وترضى به ، وتسعد فى حياتها معه ، ولا تكفره ، فتستحق بذلك الجنة إن شاء الله سبحانه وتعالي :

ولقد قال الرسول ﷺ : «أيما امراة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة»(٢) .

* * *

(١) صحيح : أخرجه البخارى، كتاب الإيمان، باب كفران العشير وكفر دون كفر حديث (٢٨)، والنسائى، كتاب الكسوف، باب قدر القراءة فى صلاة الكسوف حديث (١٤٧٦)، وأحمد حديث (٢٥٧٦).

(٢) ضعيف : أخرجه الترمذى، كتاب الرضاع، باب ما جاء فى حق الزوج على المرأة حديث (١٠٨١)، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة حديث (١٨٤٤)، وفيه مساور الحميرى قال الذهبى : خبره منكرا، وأمه لا يعرف حالها.

الخوف من ذكر الموت

س : بعض الناس ينفـر من ذكر الموت وتذكـره ، بينما ينصح عـلماء السلوك اسـتناداً إلى السنة بـوجوب تذكـر الموت ، حـتى تعـود النفس من جموحـها إلى اتزانها ، فما الحكم فيـمن ينفر ويخاف من ذكر الموت ؟ .

جـ : إن من ينفـر من ذكـر الموت ويـخاف مـنه قـد تكون له ظروف خاصة به ، وقد يكون هذا الظرف حدث له وهو فى غير وعيه ، كـأن يكون قـد مـات له عزيز أو قـريب فـجع له أمـا الإنسـان فمطلوب منه إيمانا أن يتذكـر الموت ، ولكن لا يعيش هذا التذكر ، ومن رحمة الله تعالى أن ننساه بعض الوقت ، لأننا لو جعلناه دائماً لقعد الناس عن العمل والحركة فى الحياة .

فليتذكر الإنسان الموت بقدر ما يدفع عنه غرور البقاء .

* * *

صوم الجنب

س : هل يمكن أن يصبح الصائم جنباً لسبب من الأسباب كخفوف البرد ، أو الرغبة فى النوم مثلا ؟

جـ : هذا ممكن إن تعذر الغسل . .وعلى الجنب أن يغسل أعضاء تناسله ، وكذلك المرأة قبل الفجر . . وبعد ذلك يمكن الاغتسال فى أقرب وقت ممكن ، حتى يمكن أداء الصلاة.

* * *

علاج النساء عند الرجال

س : قد تضطر المرأة إلى العـلاج عند طبيب من الرجال تستريح إلى علاجه، وقـد يكون هذا الطبيب الماهر غير متـدين، بينما توجد طبيبة غير ماهرة فى العلاج، فما الحكم فى مثل هذه الحالة؟

جـ : ما دامت المرأة محتاجه لدينها، ولم تسترح إلى علاج النساء فلا مانع من أن تسأل المرأة أهل الذكر عن طبيب مسلم يخشى الله . . فإن لم وجد فلا مانع من العلاج عنـد الطبيب الحاذق غير المتدين إن لم يكن بالبلد طبيب حاذق غيره من أهل الدين.

* * *

مسح الرأس فى الوضوء

س : هل معـنى جواز المسح على بعض الرأس فى الوضـوء أن يمسح الإنسان على أى جـزء من الشعـر، حتى ولو كان على مـؤخرة الرأس وليس على مقدمها؟

جـ : بعض المذاهب يجيز على بعض الرأس، ولا يشتـرط هنا مقدمة الرأس ولا مؤخرتها.

* * *

التزين بآيات القرآن

س : كثير من السيدات يتزين بسلاسل ذهبية تحمل لوحات كتب عليها لفظ الجلالة، أو آيات من القرآن الكريم، فهل هذا حلال أم حرام.

جـ : لا مانع من التزين بمثل هذه الزينة، ولكن على المرأة أن تحرص عند ذلك على أن تكون على طهارة.. كما أنه لا يصح الدخول بها إلى دورات المياة.

إن التزين بحلى كتب عليها (ما شاء الله) مثلا، أو بعض آيات القرآن يدل على أن فطرة التدين موجودة، ولكن غلبة الحياة بصورها وبهرجتها موجودة أيضا، ولذلك فقد تتزين المرأة بمثل هذه الأشياء بشكل لافت أو مغر، وهنا لا تأخذ الثواب، ولكن العكس.

أما إذا ارتدت المرأة زيا محتشما، وتزينت بشئ من هذا بطريقة بسيطة، وغير لافته للنظر، فلا شئ. فقد قال الله تعالى : ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾

* * *

شهادة الأعضاء على المذنب

س : يقول الله تعالى : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . . كيف تشهد الألسنة والأيدى والأرجل على نفسها، وهى تعلم أنها ستعذب بشهادتها على نفسها جزاء لما فعلت، ولماذا تشهد هذه الأعضاء بالذات؟

جـ : المعصية إما قول أو فعل، فالقول بالألسنة، والفعل يزاول باليد إن كان ما تزاوله بين يديك، وإن كان بعيداً عنك فإنك تسعى إليه برجليك.

فهذه هى وسائل ارتكاب الجريمة: الألسن، والأيدى، والأرجل.

أما كونها تشهد على الإنسان رغم أنها هى الفاعلة، فلأن الله تعالى وهبنا فى الدنيا أجهزة الجسم مقهورة لإرادتنا، فهى تفعل ما تريد منها ولا تمتنع ، لأنها مقهورة لإرادتنا، ولكن يوم القيامة لا إرادة لنا عليها، فتنتقل الإرادة كلها لله تعالى.

الله أعطانا الجسم كله مساعدة لنا فى حياتنا، نؤدى به ما نريد من أعمال، ولنا عليه إرادة، ولكن فى يوم القيامة لا إرادة لشئ على شئ ولا لأحد على أحد مطلقا، ويقول عز من قائل عن ذلك الموقف.

﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾

فتنتقل الإرادة عن الإنسان، وتعرف عليه أجهزته وأعضاؤه بما فعل بها.

والعذاب لا يقع على هذه الأعضاء، وإنما يعذب الإنسان بها إذن هى وسيلة لعذاب النفس العاصية.

ولقد أثبت العلم الحديث لنا أن الألم لا يحدث للعضو، ولكن يحدث للنفس الواعية، بدليل أن الإنسان يؤلمه أى جزء فى جسمه ولكن يخدر الطبيب مريضه، ثم يقوم بإجراء الجراحات المختلفة دون أن يشعر المريض أثناء ذلك بأى ألم، ولكنه ينام فى هدوء وكأن شيئاً لا يحدث له.

ولكن بمجرد زوال تأثير المادة المخدرة؛ وعندما يسترد المريض وعيه، تجده يشعر بالألم الشديد فى جسمه المصاب وتراه يصيح ويتألم.

إذن فالألم لا يحدث فى الآخرة بهدف تعذيب الأعضاء ولكن الهدف هو النفس التى وجهت الأعضاء - التى هى ملك لله عز وجل ونعمة منه - إلي المعاصى بدلا الطاعات.

وذلك الجسم العاصى لا يكون عاصياً بإرادته، ولكنه يكون مقهوراً على المعصية بسبب النفس الشريرة، التى وجهته إلى الشر بدلا من أن توجهه إلى الخير، وإلى الجحود بدلا من الشكر .

ولذلك فإن هذا العضو يشهد على صاحبه يوم القيامة بما فعل، ليأخذ جزاء ما فعل.

* * *

مقياس الزوجة

س : فى هذا العصر المضطرب الذى اشتد فيه سعار الإنسان اضطربت المعاييــر والموازين عند الشباب وطلاب الزوجـات. . ويصبح المال مقــدما على الدين والجمــال والخلق الكريم. . وبدلا من أن ينفق الزوج على زوجته، يبـحث عن فتاة غنية تساعــده على الحياة. . فما هو المقياس الذى يجب أن تقيس به الشباب صلاحية الفتيات للشركة الزوجة؟

جـ : لقد قــال الله تعالى فى كتــابه العزيز: ﴿وَأَنــكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنــكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ .

إذن فلا تجعلوا الغنى مــقياساً لاختــيار الزوجة، ولكن اجعلوه مفــتاحا للرزق.

ولقد أتى الله تعالى فى هذه الآية بشــرط وجةواب فقال: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ .

وعندما يقــول ذلك فلابد أن يحــدث. . ولقد لفــتنا رسول ﷺ ، إلى ذلك فقال: «من تزوج امرأة لحسبها كان حسبها عليه»[١] .

بمعنى أن يهدف الرجل إلي الزواج من امرأة ذات حسب وجاه ليستفيد من حسبها وجــاهها، فإن هذا الحسب ينقلب عليه، فتحــدث بينهما نفرة وعداوة، ويكون بذلك قد اختار خمه القوى.

وهكذا من ختــار المرأة لمالها وحده، ولاستغــلال هذا المال، فإننا نرى المرأة بعد الزواج نحيلة شحيحة مــتعالية، تذل الرجل بسبب المال، فيكون ذلك المال الذي قصد نفعه وبالا عليه، وتنغيصاً له.

ويأتى تعقيب الآية الكريمة: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

فهذا تعقيب للآية يناسب المطلوب.. فما دام الكلام عن الغنى فإن ما يحتاجه الإنسان هو السعة، والله واسع لا ينفذ ما عنده أبداً حتى لو افترضنا كل الناس أرادوا أن يتزوجوا فتيات فقيرات، ليتحقق قول الحق فى هذه الآية، فإن الله يعطى كل واحد منهم ما يريد..

ولكننا لا نجد ذلك فى الناس.. فإذا وجدنا إنساناً موسراً يعطى الناس من ماله، نجد الآخرين قد حزنوا، لأن ما يعطى هذا الرجل من ماله للآخرين ينقص أنصبتهم.. وذلك الحزن ينتج لأن هذا الإنسان يعلم أن ذلك الموسر ينفق فى حدود لن يتعداها حتى لا ينفذ ما عنده.

أما الله سبحانه وتعالى فالأمر عنده يختلف، فعندما يعطى لا يؤثر ما يعطيه لأحد على عطائه لغره، فهو واسع يمكنه أن يعطى الجميع دون أن يؤثر على مكلكة فى شئ.

فالله جل جلاله عقب على هه الآية بقوله: (واسع) أولا لكى عرف الجميع أنه يعطى الجميع (عليم) لأنه عالم بنيتك وبالسبب الحقيقى الذى جعلك تختار هذه المرأة، وهو يعطيك على قدر نيتك.

* * *

الشريعة والحقيقة

س : ما زال الكلام عن الشريعة والحقيقة يحدث فصاما بين شطرى العقيدة وهما: الإيمان والإحسان . . والكثيرون يستغلون كلمة «الحقيقة» فى إشاعة الإباحية والفوضى، والكثيرون يستغلون انحراف الناس بالحقيقة فى الشكلية الدينية الخالية من الموضوع والمفهوم الحقيقى للعمل الإسلامى فما هو الفرق بين الشريعة والحقيقة، حتى يكون كل إنسان على بصيرة من دينه.

جـ : هذا الاصطلاح ما كان يجب أن يوجد . . ولنحاول أولا أن نفهم ما هو المقصود من الشريعة، وما هو المقصود من الحقيقة.

المقصود بالشريعة هو: أن تعمل الأمر يسقط عنك الحرج، ويرفع عنك الحكم من مساويك.

فإذا قامت الصلاة وقمت وتوضأت وصليت، وكلنا رأيناك تفعل ذلك، فلا أحد يستطيع أن يقول عنك غير ما رآى.

ولكن هل أديت الصلاة كما يريدها الله سبحانه وتعالى منك، وبنية أداء الفرض الذى أمرك الله تعالى به.

أنت عندما توضأت وصليت فقد أتيت بحدود الشريعة أى أتيت بالشكل المطلوب فى الصلاة، ولكن هل اتجهت نيتك عند ذلك إلى أنك تؤدى فرضاً أمرك الله به، أم كنت ترائى الناس .

والحقيقة هى أن تؤدى شكل الشريعة بالحكم والقصد المطلوب منك وأنت تعمل العمل المشروع.

فالشريعة هى أن تؤدى الفرائض شكلا، ولكن الحقيقة هى أن تؤديها

موضوعاً. . فالحقيـقة هى السر بين العبد وربه. . وهل هو يؤدى ما شرع اللهكمـا يريد الله، أم إنه يريد فقط أن خـرج من تبعـة عدم العـمل أمام أمثاله من الناس.

إذن فالحقيقة هي أن تصل إلى لب التكا . فقال: إن من تشرع ولم يتحقق فـإنه يكون منافقاً. فقـد كان المنافقو ى عـهد رسول الله ﷺ يجلسون فى أول الصفـوف فى الصلاة. . فهم من ناحيـة الشريعة يؤدون الأعمال. أما فى حقيقة الأمر فغير ذلك.

إذن فـالواجب عليك أن تقـبل علـى الأمر بمـراد الله منه، لا بما يدفع عنك رأى مثلك.

فلو أن رئيساً جديداً، دقيقاً فى عمله، وضع تعلمات دقيقة للمواعيد، ولعـدم تناول المشـروبات والأطعـمـة فى وقت العـمل، ووضع لائحـة جزاءات للمخالف، فإننا نجد موظفـاً يأتى فى موعده وينفذ كل التعلمات المطلوبة، ولكنه لم يؤد عمله المطلوب منه.

فهـو قد أدى الـشكل بالحضـور والالتزام بالتـعلمات الشكلـية، دون الجوهر والموضوع، وهو أداء العمل المطلوب منه.

وهكذا الشريعـة هى شكل العبادة، والحـقيقـة هى المراد من المشرع. . فمن أدى الشريعة فقد خدع الناس، ولـم يستطيع أن يخدع الله. . ولذلك فإن صاحب الشريعة لايجـد فيوضات الصفاء أما أصحـاب الحقيقة فلهم صفاء، ولـم إشراق، ولهم نور.

وقد فرق بعض أصحاب الطرق بين الشريعـة والحقيقة، وقال البعض: إن الحقيقة علم خفى، وما أشبه ذلك، فأوجدوا بلك فجوة دون فجوة.

* * *

الدين فى غير موضعه

س : هناك عـقدة مسـتعـصيـة الحل في الفكر الإسلامى عند فـريقين متقابلين يرى كل منهما أنه على صواب. فما هو سرها؟

جـ : العقـدة تكمن فى أن بعض الناس يريد دائمـاً أن يكون الإسلام مبـرراً لما يعملون، فيـعملون أولا، وليـبرر الإسلام مـا يعملون ثانياً.

ولكن الإسلام جاء ليدبر الأمـر قبل العمل.. وهذا إذا زرادنا أن نضع الإسلام موضعه الحقيقى، بأن نجعله نواة الحركة فى كلعمل.

ولكن موقف المنسـوبين إلى الإسلام موقف يحـتاج إلى منتهى اللبـاقة لأنه يريد إسـلاماً فى منهج عـمل غير إسـلامى، ومن هنا تأتى صـعوبة العقدة.

* * *

تفسير القرآن

س : منذ نزل القرآن على رسول الله ﷺ والعلماء من كل ضرب وصنف يحاولون فهمه وتفسيره، فهل يمكن القول بأن منهجاً جامعاً يفسر القرآن ويتبين مقاصده، ويغنى عن هذه الكثرة من المؤلفات الضخمة؟

جـ : لا يمكن لأى إنسان أن يقول: إنه يفسر القرآن وليس لأحد أن يدعى أنه يفسر القرآن، لأن القرآن لا يفسره أحد. ولكن كل واحد من السابقين والمعاصرين واللاحقين سيدلى بدلوه بخواطره نحو معيطات القرآن، ولهذا نجد كتب التفسير على كثرتها لا يلتقى فيها منهج كتاب بمنهج كتاب آخر.. بل إن كل واحد يحوم حول خصوبة الخواطر عنده.

فواحد يلجأ إلي الأحكام لأنه فقيه. والآخر يلجأ إلى الاجتماع والحكمة لأنه فيلسوف، وغيره يجنح إلى الإعجاز والبلاغة لأنه أديب، أو إلى تنويع القراءات لأنه راو للقراءات، ولهذا حام كل هؤلاء وغيرهم حول معطيات القرآن بما يناسب مواهبهم وخواطرهم.

ورسول الله ﷺ ، كان أولى الناس بأن يعطينا أول تفسير للقرآن، ولكنه لو فسره بما تطيقه العقول المعاصرة لبعثه، لجمد الفهم عن الله، ولما تجرأ أحد بعده على أن يقول شيئاً، ولكنه لو فسره بما تطيق العقول المعاصرة لبعثته ، لجمد الفهم عن الله ، ولما تجرأ أحد بعده على أن يقول

شيئاً ، ولكنه ﷺ ، قال عن القرآن : «لا تنقضى عجائبه»[١] . مما يوجب علينا أن نحرر فقة الأمر فى هذه المسألة تحريراً يجمع بين قول الله عز وجل : « لتبين للناس » ، وبين قوله ﷺ : «لا تنقضى عجائبه» فيقول :

إن القرآن يتميز عن الكتب السابقة بإنه كتاب منهج ومعجزة رسالة . فهو ككتاب منهج يشترك مع الكتب السماوية الأخرى ، ولكنه كمعجزة رسالة يختلف عنها كل الاختلاف .

وإذا كان الإسلام قد جاء بالدين الخاتم ، ومحمد ﷺ لانبى بعده ، وهو رسول الله إلى الناس كافة ، فوجب أن يكون القرآن معجزة غير منطقية فى زمن . ولا يأتي ذلك إلا بأن يكون فى هذه المعجزة معجزات تتناسب مع نبوغ كل عصر .

فلو بينت هذه المعجزة فى عصر البعث لبقى القرآن بلا عطاء فيما يليه من العصور ، ولهذا كان بيان الرسول ﷺ ، للقرآن فيما يتعلق بالأحكام المطلوبة من كل مسلم فى أى عصر وزمن مفصلا ، ثم فهم المسلمون الأولون معطيات للقرآن جملة فى كل ما تناول من غير الأحكام ، بروح تتناسب مع العصر الذى قيلت فيه ، ليتحق قول الله تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ .

المحدثون بدورهم يحومون حول هذه المعانى بخواطرهم ، إيناساً بعلة

---

(١) ضعيف: أخرجه الترمذى، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فضل القرآن حديث (٢٨٣١)، والدارمى، فضائل، باب فضل من قرأ القرآن حديث (٣١٨١)، وفى سنده أبى المختار الطائى. قال على بن المدينى: لا يعرف، وقال أبو زرعة الرازى: لا أعرفه، وقال الترمذى: إسناده مجهول وفى سنده أيضا ابن أخى الحارث الزعور قال الذهبى: لا يدرى من هو.

حكم ، أو استمالة بجمال أداء ، و اكتشافاً للمعطيات القرآنية فى الأسرار الكونية ، أملا فى أن يثق المسلمون إسلامهم أولا ، وأن يعلموا جيد أن واقع الحياة سيرغم على أحكام القرآن إلى حد كبير .

فمن لم يأخذه ديناً سيأخذه نظاماً ، وحين يتأكدو المسلمون أولا حقيقة دينهم فإنهم سيقبلون عليه إقبال العاشق ، ولا يفتنون عنه بوافدات السموم من سواه.

❊ ❊ ❊

الصحوة الإسلامية

س : مما لا شك فيه أن هناك صحــوة إسلامية يشع سَناها على أقطار الإسلام فى كل مكان ، فما هى أبعاد وأعماق هذه الصحوة [ولا سيما] فى مصر ؟ .

جـ : الصحوة الإسلامـصة فى مصر خاصة أمر طبـيعى بالنسبة لموقع مصر من تاريخ الإسلام ، فمصر هى السابقة إلى كل شئ يتصل بالإسلام جهــاد علم ، وجهاد إعلام ، وجــهاد عدو . ولا أظن أن شيئاً لم يتم بالنسبة للإسلام ما تكن مصر ملحوظة فيه .

ووجوه الصحــوة فى مصر اقتنــاع كامل بأن كل مؤامرة تحـاك ما أعداء الإسلام فى أرجاء العلم ضد الإسلام محكوم عليها بالفشل . .

أما الصحوة الإســلامية فى بقية العالم فأمر طبـيعى أيضاً ، لأن العالم قد جرب كل النظم فما أفاد منها شيئاً ، بل زادت المشكلات تعقيداً ، أو زادت الحياة فساداً .

والذى نخشــاه فقط فى هذه الصــحوة أن تكون موجــة يركبــها طلاب الحكم والسلطة من كثير من النفوس.

* * *

- هل يعنى هذا أن هناك أخطاء ترتكب باسم الإسلام ولماذا؟ .

- نعم . . والســبب فى رأيى هو أن الإسلام عــزل كثــير عن حــركة الحياة. . فالمنادون به يحاولون أن يرجعوه ولكن على أيديهم . . ومحاولة الإرجاع هذه قد تتخذ ذريعة لتطعيم الإسلام ببعض المناهج ، مغلفة به ،

أو مستترة وراءه ، لتنصر مذهباً على مذهب ، أو تحكم الطائفة على طائفة

ولذلك يجب على المسلمين أن ينتبهوا إلى ذلك جيداً ، ويجب أن تكون الدعوة كما كنا سابقاً ، ونقول الآن ، ونقول دائماً : أن يكون الداعية إلى الإسلام طالبا أن يحكمه شرع الله : لا طالباً أن يحكم غيره من عباد الله . . وإلا كان الإسلام مطية عصية لتحقيق أطماع الطامعين .

* * *

الأسلوب الأمثل

س : ما هو الأسلوب الأمثل الذى يجب أن تنهجه القيادات الإسلامية لتوجيه المسيرة نحو التجاه الصحيح ؟

جـ : الأزمة بالنسبة للإسلام ليست رمة علم به ، وإنما هى أزمة تطبيق له ، وكثير من علماء التربية انتهوا فى مؤتمرات إلى فشل منهج التربية الإسلامية ، لأنهم جعلوا الإسلام مثل الكيمياء العصر وطبيعته ، وجعلوه علماً يكفى فيه إيصال المعلوم إلى المتعلم مثل بقية العلوم ، ،نسوا أن علوم غير الإسلام لا تتطلب إلا نقلها إلى المتعلم ، والمتعلم نفسه ستضطره حياته إلى أن يستعملها لأنها ستسير عليه كثيرا من أمور حياته.

أما علم الإسلام فلا يكفى فيه أن يعلم التلميذ ، لأنه يطلب منه أن يخضع سلوكه لما يطلب منه بما فى ذلك «افعل ولا تفعل» وهذا غير موجود فى العلوم الأخرى .

فالفشل إذن لا فى العلم ، ولكن فى التطبيق .. حيث سيؤثر فى النفس اختيار حركة ضد الحركة ، واختيار سلب عن إيجاب ، وإذا وجد من يعلم الإسلام فقد تحق العنصر الأول ، وبقى العنصر الثانى ، وهو أسوة التطبيق لما نعلم . فإن وجد من المسلمين مطبقون لما يعلمون فقد وجدت الأسوة الحسنة فى السلوك.

ولكننا كما تشاء المناهج نعنى بالعلم . ولا نعنى بنموذج التطبيق السلوكي ، مما يطبع النشئ فى قضية الدين على أن هناك علما يعلم وسلوكا لا يحكم.

فــهب أن استــاذاً أفــرغ كل درســه فى الصلاة ، ثم لـم يــره تلاميــذه يصلى، قل لي بالله ماذا تكون الحال ؟؟

لا شك أن الانطبــاع الذى يكون فى نفــوس المتــعلمين هو : أن هناك شيئاً يعلم فقط ، ولامدلول له غير هذا.

ومن هنا كانت نكبة المنهج الإســلامى ، ولهذا فإن القرآن شنع وبشع هذه الحالة بقوله تعالى :

﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُون * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّه أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾.

* * *

الصوفية والسلفية

س : هل هناك خلاف حقيقى بين الصوفية والسلفية فى نظركم ؟.

جـ : وجود خلاف بين الصوفية والسلفية ناشئ عن خطأ فى فهم السلفية والصوفية . . ولو أنصف الفهم فى كليهما لما وجد خلاف أبداً.

فالصوفية أخذت لوناً من السلوك المنظم بطرق ، والمرسوم بمشايخ والمؤكد بوراثات .

والسلفية أخذت الوقوف عندما كان فى عصر النبى ﷺ بدون فارق بين أمر يتغير وأمر لا يتغير .فهل كان يرضيا أن نفهم علة لتحريم الراديو أو التلفزيون أو التليفون ؟.وهل يرضينا أن يرث الطريق إلى الله صبى لم يبلغ الحلم ؟

فالسلفية لو فهمت على أصلها ، والصوفية لو فهمت على أصلها [(١)] لما وجد خلاف . لأن الصوفية بمعناها الحق هى : الورع فى تطبيق الدين تطبيقاً يشمل حتى المندوبات والسنن لتكون ملزمات وكل ذلك بعد سلامة ما افترض الله من عبادات ، وأدائها على الوجه المطلوب ، لا تخرج بشح ولا ترهات، وبذلك يصدق فى المؤمن قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾.

---

(١) فمن ذلك قول الجنيد البغدادى سيد الطائفة :«ليس منا لم يقرأ، ويكتب حديث رسول الله ﷺ» وقال أيضاً :«إذا رأيتم الرجل يطير فى الهواء أو يمشى على الماء فانظروه عند اثنين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة الحدود» وللإمام ابن تيمية كلام جميل عن التصوف ومدحه لبعض الصوفية الذين يوافقون الكتاب والسنة أمثال القشيرى فى بعض كتبه يقول: «الإستاذ القشيرى» ومدحه أيضا للجنيد البغدادى وغيرهم، فيجب على كلاالاتجاهين أن يلزم بالكتاب والسنة ولا يحيد عنهما قدر أنملة.

والهوة السحيقة التى يوجدها خصوم الإسلام وغير الفاهمين : أن يعتبروا الصفوية علماً وفلسفة ، وهى فى الواقع ليست إلا مجاهدة النفس للوصول إلى صفاء الروح ، وهذا لا ينكره سلفى :

وما الفلسفة إلا الوقوف فى الحكم موقفاً ملتزماً ، وفى المجتهد فيه موقفاً إن رجع فيه رأى يجرح رأى آخر .

❊ ❊ ❊

يا عبادى

فيما يروى عن الله وتعالى فى الحديث القدسى : «يا عبادى ، إنى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظلموا .

يا عبادى ، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم .

يا عبادى ، كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسونى أكسكم .

يا عبادى ، إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفرونى أغفر لكم .

يا عبادى ، إنكم لا تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى .

يا عبادى ، لو أن أولكم آخركم ، ،إنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ، ما نقص ذلك من ملكى شيئاً .

يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك من ملكى شيئاً .

يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد ، فسألونى ، فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر .

يا عبادى ، إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه [(١)].

---

(١)صحيح: أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآدب، باب تحريم الظلم حديث (٤٦٧٤)، والترمذى، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، حديث (٢٤١٩)، وابن ماجه كتاب الزهد، ذكر التوبة حديث (٤٢٤٧)، وأحمد حديث (٢٠٤٥١).

حقيقة السحر

س : هل للسحر حقيقة ؟ وكيف يحمى الإنسان نفسه منه .

جـ : لقد ثبت بنص القرآن الكريم أن هناك سحراً ، قال تعالى : ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ . .

فالمؤمن يستقبل هذه المسائل بأن يعلم أن الله سبحانه وتعالى قد مكن البعض من تعلم السحر ، غير أن الله تعالى احتفظ لنفسه بالإذن بالنفع والضر فقال :﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ . .

فالذى يلجأ إلى الله ، وإلى ما احتفظ به من الإذن بالضر والنفع ، ويدع من فعلوا السحر يفعلونه ، فلا يمكنكم أن يؤثروا فيه ، ولا أن يضروه ، لأنه استعان بالخالق على المخلوق.

ولكن من يسيرون وراءهم معتقدين أنهم على الإضرار بهم ، فيقومون بأعمال مضادة من السحر والشعوذة لإبطال الصرر ، فهؤلاء يسلمهم الله إليهم.

فعلى الإنسان إذا علم أن بعض الناس يريد إيذاءه بالاستعانة بالسحر ، فعليه أن يستقبل الأمر استقبالا إيماناً بأن الله هو الذى قدر ومكن هؤلاء ، وهو الذى احتفظ بإذن الضر والنفع ، فيعوذ بما احتفظ الله به مما أقدرهم عليه ، ولا يبالي بهم . .

فالله تعالى سبب الأسباب ، ولكنه هو فوق الأسباب ويملك إبطالها ، فنحن مؤمنون بالله مبطلا لما يفعله الآخرون بقصد إيذائنا . .

إذا اقتنع الإنسان عن إيمان بهذا فلن يستطيع أحد أن يؤذيه ، ولقد

علمنا الله سبـحانه وتعالى سورة الفـلق ، وبها تستعـيذ بالله من كل هذا فنقـول : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ .

كما علمنا الرسول الكريم ﷺ ، دعاء هو :

«بسم الله الذى لا يضر مع إسـمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السـميع العليم»(١) . .

* * *

(١) صحـيح : أخرجـه الترمذى، كـتاب الدعـوات، باب ما جاء فى الدعـاء إذا أصبح وإذا أمـسى حديث (٣٣١٠)، وأبو داود، كتـاب الأدب، باب ما يقـول إذا أصبح حديث (٤٤٢٥)، وابن مـاجه، كـتاب الدعا، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى حديث (٣٨٥٩)، وأحمد حديث (٤٩٧).

الزوج الصالح

س : يسأل النــاس دائما عن شروط الزوجــة الصالحــة ، وقليل منهم يسألون عن شروط الزوج الصــالح الذى لا يسع المسلم رفضه إن تقدم لابنته ، وحيث إن أهمــية الزوج الصالح للبنت لا تقل عن أهمــية الزوجــة الصالحــة للفتــاة ، فــإننا نريد معــرفة الشــروط الإسلامية التى يرفض صاحبها زوجاً للفتاة المسلمة ؟.

جـ : اخــتلاف أفــراد الأســرة الواحدة على زوج لفــتــاتهم راجع إلى ابتعــادهم عن الزاوية التى تجمعهم ، وهى مــوازين الله تعالى فى الاختيار .

فقد نجد الفتاة تشترط في زوجها الوسامة ، والأب يختار الغنى ، بينما نجد الأم تبحث عن الجاه ، وهى موازين مختلفة على البشر .

ومن الصعب الإجماع على واحد فيها .

ولكن رسول الله ، قال للرجل : «فاظفر بذات الدين تربت يداك»[١] . وقال الرجل للأب «إن جاءكم من ترضرن دينه فزوجوه» لأنه إن أحبها أكركها ، وإن أكرهها لم يظلمها.

وعندما يزوج الأب ابنته لرجل يملك أن يفارقها بكلمة فلا بد أن يدقق فى اختياره لرجل له دين ، ويقدر هذه المسئولية ويحفظها.

* * *

(١) صحيح: أخرجه البخارى، كتــاب النكاح، باب الأكفاء فى الدين حديث (٤٧٠٠)، مسلم، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين حديــث (٢٦٦١)، والترمذى، كتاب النكاح، باب ما جاء أن المرأة تنكح على ثلاث خصال، والنسائى، كتاب النكاح، باب كراهية تزويج الزناة حديث (٣١٧٨).

شهادة الزور

س : يترتب عل يشهادة الزور وجود مظلوم أضير بسببهافما موقفه بعد هذا الضرر ؟ وما هي الشناعة فى قول الزور التى جعلت الرسول ﷺ يعتدل فى مجلسه وهو يحذر منها ويكرر التحذير حتى اشف عليه الصحابة ؟.

جـ : إن شهادة الزور مـن أكبر الكبائر ، وعندمـا تحدث الرسول ﷺ عن الكبائر وذكـر شهادة الزور ،قـال : «ألا وقول الزور . . ألا وقول الزور . . .» (١)وظل يكررها حتى أصحابه أنه لا يسكت.

وهذا لأن شهـادة الزور تجمع الظلم كله . . فـالذى أشرك بالله شـهدا زوراً . . فتبدأ شهادة الزور من قمة الإيمان حتى آخره.

ولذلك فعندما ذكر الله جل جلاله صفات عباد الرحمن قال فيهم .

﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ . .

فلا يمكن أن يدخل الإنسان فى العبادة إلا من لا يشهد الزور.

ومن أسـباب فداحـة هذا الجـرم أنه لا يوقع الظلم فقط ولكنه يـشرع الظلم، لأن القاضى يحكم بالبينات ، فإذا كانت هذه البينات كاذبة ملفقة فهى تضلل القاضى.

كذلك فى المقاييس العادية بين البشر، وبدون الرجوع إلى التدين، فمن يجعـلك موضعـاً للنقيض فـقد سـقطت فى نظره،وإن أعنته عـلى أمره

(١) صحيح: أخرجه البخارى، كتاب الشهادات، باب ما قيل فى شهادة الزور حديث (٢٤٦٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها حديث (١٢٦)، والتركذى كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النساء حديث (٢٩٤٤)، والنسائى، كتاب القامة، باب مـا جاء فى كتاب القصاص من المجتبى مما ليس حديث (٤٧٨٤).

كـشاهد الزور يرتفع الرأس على الخـصم بشـهادته، وتدوس القـدم على كرامته، فقد كان يحب أن يثور لكرامته، لمجرد أن يطلب منه ذلك، لأنه اختياره لشهادة الزور كانت بلا إذن منه للقيام بهذه المهمة.

وقـد يسعـد من طلبك لشـهـادة الزور بك، لأنك تعيـنه على قضـاء حاجتـه، ولكن لو قدر لك أن تشهد أمامـه فلن يصدقك أبداً، ولو كنت صادقاً، لأنه جرب معك عدم الأمانة ولو لمصلحته.

وأما عن موقف المظلوم بالنسـبة لربه فيقول العـارفون ذلك: لو عرف الظالم ما يقدمـه إلى المظلوم من الخير لضن عليه بظـلمه.. لأنك عندما تظلم إنساناً فـإنك تسلبه حقا له من الله.. وبذلك فـإنك لا تعاند بذلك شخصاً، ولكنك مـعاند لمعطى الحق، فتصبح العداوة بينـك وبينه سبحانه وتعالى.

ولذلك فإن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.. فالظالم أحمق يسلب المظلوم شيئاً، ومقابل ذلك يجعل الله فى جانبه، فهو بذلك أعطى للمظلوم خيراً عظيما.

ولقد أباح الله للمظلوم أن يقول ما فى نفسه، إذا كان الكبتيتعبه، فقال تعالى ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾.

وقال الشاعر:

لابد من شكوى إلى ذى مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

أما من يستطيع أن يكظم غيظة فهو درجة أعلى. وعندما ننظر إلى نظم القرآن فى ذلك نجده يقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾.

فمعنى ذلك أنه يوجد غـيظ فى نفس الإنسان وصدره ولكنه مكظوم، فـإن استطاع المرء ذلك فـهذا أمـر عظيم وتأتى الدرجـة التى تعلوها بأن

يعفو: ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾.

ثم التى تعلوها بأن يحسن إلى من أساء: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

فجعل الإسلام الانفعال بإخراج الغيظ من نفس الإنسان ومن قلبه حقاً للمظلوم، أما المرحلة الأعلى فهى كتم الغيظ عن الظهور، ويتدرج الارتقاء الإيمانى إلى درجة الإحسان، وبأن يدعو المظلوم لظالمه بالهداية.

* * *

الشهادة.. والبكاء على الميت

س : سألته سيدة فقالت: إنها دائمة البكاء لوفاة ابنتها وحفيدتها في حادث مروع، وهي تخشى أن يكون بكاؤها ضرراً لهما، وهي تقدم الصدقات لروحيهما، ودائمة الاستغفار لهما، وتسأل: هل تعتبر ابنتها وحفيدتها شهيدتين؟

جـ : إن بكاء الرحمة والحنان مباح لأنه تعبير طبيعي عن ألم الفراق، وانفعال بالحدث.

والإسلام لا يريد إنساناً صلداً جامداً لا يؤثر فيه الأحداث فهذا أمر ممقوت ولقد بكى رسول الله ﷺ عندما مات ابنه ابراهيم.. ولما سئل عن بكائه قال: «إن العين لتدمع والقلب ليخشع وإنا على فراقك لمحزونون ياإبراهيم»[1].

فالعين تدمع انفعالا بالحدث، فما دام البكاء لا يصحبه سخط على قدر الله، ويسخط عليه، فهو غير مذموم، ولكن عندما ينظر الإنسان إلى الحدث بحكمة من أمر بحدوثه يدرك أن الله قد فعل الخير لأن الله ليس خصما لخلقه، وكل حدث يقارن بحكمة مجربة.

ولذلك قلنا: إن السلاح في يد الجراح غيره في يد السفاح. فهو في يد الجراح للعلاج والدواء، فأذهب إليه، وأتوسط لديه أرجوه وأعطيه أجراً، لكي يجرى الجراحه على جسدي، وعلى قدر مهارته يكون علو أجره.

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ إنابك حديث (١٢٢٠)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال حديث (٤٢٧٩)، وأبو داود، كتاب الجنائز باب في البكاء على الميت حديث (٢٧١٩).

إذن فلابد فى الأحداث أن تقارن بحكمة مجريها، لا بالألم الذى ينتج لمن أجريت عليه.

فعندما تثق فى أن لله حكمة، وبدون تعرف هذه الحكمة علينا أن نقبل إرادة الله وقدره.. ولذلك قالت المرأة ماتت ابنتها فى ريعان شبابها؛ ومقتبل حياتها: إنها كانت جميلة وفى صحة وعافية، ولم تجد سبباً يدعو لموتها، ولم تعرف حكمة الله فى ذلك، ورغم مرور أعوام خمسة على وفاة ابنتها إلا أنها كانت فى كل عام تحج وتعتمر عنها، وظلت بقلبها، وكأن السنوات لم تمر.

فقلت لها: أسألك بالله، لو أن هذه الإبنة الجميلة الشابة قد عاشت وفتنها شاب، وتسبب عن ذلك مشاكل، فمن أدرك أن الله قد أخذها عنده، ولكى تظل ذكراها الجميلة عندك دائماً بالرحمة والحنان.

إننا لا نعلم ما يحيقه الله عنا وعن أحبابنا الذين يختارهم إلى جواره فى صباهم وشبابهم.

ثم إذا كنت أحب إنساناً واختاره الله إلى جواره فى موضع تكريم، فعليك أن تفرح، لأن الله قد عجل له بأخذ الأجر وإن كان صغيراً، فأبشر به لأن مكانته عند الله ستكون لك، لأنه مازال صغيراً، وليس محلا للمحاسبة، ولا يدخلون فى نطاق الحساب، فيصبح ثواب فقد هذا الصغير فى ميزان الأب والأم لصبرهما على فقده.

فعلى هذه السيدة أن تذكر الله الذى أجرى عليها هذا الحدث، وتعلم أن الله فى ذلك حكمته، وإن كانت لا تعرفها.

وإما عن الاستشهاد فإنهم يكونون شهداء آخرة، فكل من يموت فى حادثة بغير الطريق الطبيعى للموت، كأن يموت غرقاً أو حرقاً أو ما إلى ذلك، يكون شهيد آخرة، أى إنه تجرى عليه أحكام الميت فى الدنيا، ولكنه عند الله شهيد.

المصحف فى حجرة النوم

س : هل تعتبر المصحف فى حجرة النوم حراماً، وكذلك الصلاة فيها؟

جـ : لا شئ فى وجود المصحف فى حجرة النوم ولا فى الصلاة فيها.

* * *

الرسول وكرامة المسلم

س : نريد مثالا حياً على حرص الرسول ﷺ، على كرامة المسلم حتى ولو كان مخطئاً.

جـ : نعم.. الأمثلة كثيرة، ولكن أظهرها أنه حريصاً لستر أحوال المخطئين، فكان يعظهم وسط إخوانهم دون أن يعرفهم أحد بالخطأ فيقول : «ما بال أحدكم يفعل كذا»[١].

فهو لم يواجه الفاعل بفعله ، حتى لا يحرجه ، وحين لا يحرجه أو يخجله ، يكون حريصاً على كرامته فى المجتمع .. ويكفى أن يعلم أنه قصر ، لكن لا يعلم أنه قصر.

* * *

(١) ومن ذلك ما أخرجه مسلم بلفظ : «ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيستنخع أمامه».. كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٨٥٥).

اختصار الطريق

س : نلاحظ أن الرسول ﷺ ، قد استوعب أصحابه - وهم كثيرون- بالتوجيه والتربية النوذجية فى فترة تعتبر قياسية على المستوى العالمى ، بحيث لا يستطيع جهاز أمة من الأمم فى قرون أن يستوعب نفس القدر من الصحابة وبنفس المستوى الرفيع . فما هى الميزة التى اختصر بها الرسول ﷺ الطريق فى التربية على هذه الصورة ؟.

جـ : لقد أجاد الرسول ﷺ ، المنهج الإسلامى فى التربية وهو : إن يحسن المربِى «بكسر الباء» كيف يأخذ المربَى «بفتح الباء» . . من أقصر طريق إلى مواقع الحق فى أى قضية من القضايا . .

هذه القضية قد تكون صعبة ، وللعقل فيها وقفة ولكن لباقة المربى وحسن استعداده ، واتساع ثقافته ، وتصبح كلها أدوات تعينه على أن يصل بالمربى إلى الحقيقة التى تريدها من أسير طريق إلى الفهم ،وبأقل وسيلة فى الإقناع.

وقد أخرج الإمام أحمد والبيهقى في الشعب عن أبى أمامة رضى الله عنه أن فتى شاباً أتى النبى ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إنى امرؤ أحب النساء فئذن لى بالزنا . فأقبل القوم عليه فزجروه . فقال : «إذن » ، فدنا منه قريباً فقال : «اجلس» . فجلس . فقال ﷺ :

«أتحب لأمك» قال : لا والله ، اجعلنى الله فداءك ، قال : «وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم . أفتحبه لابنتك»؟ قال : لا والله يا رسول الله، جعلنى الله فداءك . قال : «وكذلك الناس لا يحبون لبناتهم .

فـتحـبه لأخـتك » ؟ قال : لا والله يا رسـول الله جعلنى الله فـداءك .
«وكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم . أفتـحبه لعمتك »؟ قال : لا والله يا رسـول الله جـعلنى الله فـداءك ، قال : «وكـذلك الناس لا يحـبـون لعمـاتهم . أفتحبـه لخالتك » ؟ قال : لا والله يا رسـول الله جعلنى الله فداءك . قال : «وكذلك الناس لا يحبونه لخالاتهم ».

قال : فوضع رسول الله ﷺ يده عليه ، وقـال : « اللهم اغفر ذنبه » وطهر قلبه ، وحـصن فرجه»[١] . قال : فلم يكن بعـد ذلك يلتفت إلى شئ. وقال : فو الله ما همت نفسى بمعصية من ذلك النوع إلا ذكرت أن يفعل بأمى و بوجتى و بابنى فأمتنع . .

إذن فالرسـول ﷺ ، واجه بتبـشيع المسألة من أقـرب طريق يتصل به وبكرامته وبعواطفه وبمكانته وبمقانه ، . فإذا ما أراد أن يفعل ذلك تذكر ما يمكن أن يفعل به .

* * *

(١) صحيح : سبق تخريجه.

مكانة العلم فى المعركة

س : ما هو دور العلم فى تنوير الإنسان المسلم ؟.

جـ : العلم الحقيـقية هو وسيلة التربية . لأن المربى لا يبـتدئ ليجرب قضايا الحياة ، بل يعتمد على المجربين الأكفاء قبله . والذى ينقل له هذه التجارب نقلا أميناً وصادقاًهو العلم .

والعلم حين يربى يحارب أمرين : الأمية ، والجهالة.

ودوره فى محاربة الأمية أقل خطراً من دوره فى محاربة الجهالة . .

ولعل السطحيين فى معرفة كنه الألفاظ يظنون أن الجهالة : ألا تعلم ، وهى الأمية سواء .

لا . . الجهـالة شئ ، والأمية شئ آخـر . والأميـة لا يعلم الإنسان نسـبة ما ، فـيقـال له : أمى . يعنى كـماولد من بطن أمـه ، كمـا قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾.

ثم ذكر وسائل العلم وهى : السمع ، والبصر ، والفؤاد .

إذن فالأمـية ألا تعلم نسـبة من النسب ، أو قضـية من القـضايا ، أو حقيقـة من الحقائق . ولكن الجهالة غير دلك . . الجهـالة أن تعرف نسبة خاطئـة . وهنا يكون علاج الجهـالة أشق من علاج الأميـة . لأن علاج الجهـالة يتطلب أولا أن تزيح من نفسه مـا أدرك من خطأ ، ثم تقرر فى نفسه المقابل وهو الحق .

إذن فهما عـمليتان تربويتان عقليتان . ولكن الأمـية تكتفى بأن تعطى له الحقيقة ، لأنه ليس عنده نسبة.

مجتمع الجسد الواحد

س : قرر النبى ﷺ : أن مثل المؤمنين فى مجموعهم مثل الجسد الواحد . . والكثير من المفكرين لم يزد على أن فسر هذا الفقه النبوى بأنه ينحصر فى إحساس البعض بآلام الآخر . . أى إنهم كشأنهم فى كل القضايا يحصرون الفهم فى دائرة المعاش المادى . . ونحن نحس أن لهذا الفقه أبعاد سحيقة من الفهم العميق . . فهل يمكن أن تزود الشباب المسلم ببعض هذه الأبعاد ؟.

جـ : العلم الذى هو أداة التربية ، وأداة محو الجهالة والأمية إذا نظرنا إليه وجدناه فى الإنسان ككل ذى أجزاء ويبحث فى الإنسان كجزئى يعيش فى كلى .

فإذا أنت قاومت الفرد على أنه كلى ذو أجزاء ، وأشبعت جميع ملكاته ، كان جزاء ، تتدخل هنا فبه على جزء من كل.

أنت فى المجتمع ، وحاجتك إلى أفراد المجتمع كحاجة أفراد المجتمع إليك . فإذا كنت تريد أن يؤدى المجتمع حاجتك منه فلا تطلب حقاً من المجتمع إلا بواجب تؤديه للمجتمع.

لذلك تنقل التربية الإسلامية الكل حتى إليه وهو فى مجتمع الأفراد ، فيقول الرسول ﷺ : «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد»[١].

إياك أن تعتبر نفسك كليا منفصلا عن المجتمع . . فالإسلام يطلب

---

(١) صحيح : سبق تخريجه.

منك أن تعتبـر نفسك جزءاً فى كل . . وما دام الجـزء فى الكل فالأجزاء يحتاج بعضها إلى بعض ليكون ذلك الكل.

فأراد الرسـول ﷺ أن ينقل القضية الأفـرادية فى المجتمع ، ليجـعلها قضية كل ، وأفراد المجتمع بالنسبة للمجتمع أجزاء ، لماذا ؟

حتى لا يظن ظان انعزالـية الفرد عن المجتمع . ولذلك يقـول «كمثل الجـسد الواحـد إذا اشتكى مـنه عضـو تداعى له سائـر العضـاء بالسهـر والحمى».

وأنت إذا نظرت إلى المجـتمع وجدت أنه يتطلب حـركة فى الحـياة . والحركة فى الحيـاة ليست واحدة ، فالحياة تريد حركـات متنوعة ، تغطى جمـيع جوانبهـا ، فالمجتمع لا يريد أن يـكون الكل أطباء ، ولا يريد أن يكون الكل اقـتـصـادين ، أو قـضـاة ، ولا يريد أن يكون الكل علمـاء كهـرباء، لأن المجتمع ليس جهـة من هذه الجهات فـحسب ، ولكنه كل الجهات .

فالحق سبحانه وتعالى يريد أن يجعل أفراد المجتمع جسداً واحداً ، كل عضو فـيه يؤدى مهمـته ، وقد تتسع المهـمة لأفراد متـعددين ، يكونون قطاعا فى المجتمع ، لجانب من جوانـب المجتمع . والمجتمع لايقوم على جانب واحد ، فلابد أن تتـزع المواهب، ولابد أن تتوزع الميول ، ولا بد أن تتوع الشوق إلى الأعمال .

ومن رحمة الله بنا جعل مواهبنا متـعدة ، وأشواقنا للطموح متعددة ، فهذا يشتاق لهذا ، وذاك يشتاق لكذا ، وذلك بدون تخطيط من البشر ، بل تأتى المسألة تلقائياً فى نفس كل واحد.

لم يوجد أن اجتمع أهل بلد من البلدان وقالوا : هذ البلد يحتاج إلى

كذا بقــال ، وكذا تاجــر أقمشــة ، وكذا حــلاق ، وكذا طبــيب ، وكذا محام.

مــا قال أحــد هذا القــول ، ولا خطط هذا التخـطيط ، ولكنك تنظر فتجد أن المواهب بذاتها كل مــوهبة ذهبت إلى ناحية ، بدون تخطيط من أحد ، حتى تغطى كل جوانب الحياة ، بزون تفكير من أحد.

* * *

لا يسخر قوم من قوم

س : ماهى الأبعاد الاجتـماعية لتحريم سخرية قـوم من قوم كما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية؟ .

جـ : يجب أن ننظر إلى أفراد المجتمع من الجوانب التى يقومون بها ، فليس فى الحيـاة عمل أشـرف من عـمل ، ولكن هناك عـامل أشرف من عامل .

إذن فكل عـمل يغطى جـانبـاً من جـوانب الحيـاة عـمل مطلوب . والمخلص فيه يجب أن يأخذ حظه فى الوجود . . وقيـمته . . وكرامته لا بقيمة آلته التى اخترعها .

لا تقـال : هذه صنعة هيـفة وتلك صنعـة عظيمـة . . وهذه وظيـفة محترمة وتلك وظيفـة حقيرة . . لا توجد هذه المسائل فى الدين . . إنما يوجد عامل وعامـل . . فقيمة كل امرى ما يحـسنه ، لأن العامل ما دام يغطى جانب مـن الجوانب الحيـاة فوجوده ضـررة . . وكل فرد محـتاج للآخر . .

ولذلك حينما يقول الله تعالى ﴿ لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ .

لا يقول ذلك جزافاً ، لأن الإنسان حين يسخر منه لأنه رأى ظاهراً أو شكلا دون مظهـره أو شكله . . فيقـول له القرآن لا تسـخر منه . . ربما كانت له موهبة أو زاوية هو أفضل منك فيها . .

فإذا نظرت إلى إنسان فى زاوية وهو أقل منك ، فابحث أنت ، ما هى الزاوية الكاملة فى ذلك الإنسان لتعـويض النقص الذى وجد فيه . . إذن

فلابد أن يكون فـيه كمـال يعوض النقص فـيه ، ولا بد أن يكون فى أنا نقص فى زاوية يعوضه ذلك الكمال ، لأننا متسـاوون جميعاً أمام الله ، ولذلك يخطئ الناس حينما يقسمون الناس إلى طبقات .

لا يوجد فى الإسلام طبقات ، وإنما توجد أعمال موزعة علي الناس ، وكل واحد يقوم بقطاع مـن العمل ، والإسلام يحدد قيـمة كل امرىء بما يحسنه .

ولذلك تجد صاحب الجـاه والمكانة الرفيعة والثروة الـطائلة يدخل بيته مثلا فيجـد رائحة خبيثة ، فيسأل عن سر ذلك ، فـيقال له : إن مجرى القاذورات مكتوم . فيقـول : لماذا لم تأتون بمن يصلحه ؟ فيقولون : لم نجده . فيذهب هو بجلالة قـدره ليبحث عنه. فإذا له ذلك الإنسان الذى يصلح المجارى : ليس عندى وقت ، فإنه يرجوه ويغريه بالمال حتى يأتى إلى بيته ليعمل ذلك العمل .

- نعم . . فالحق سبحانه وتعالى حينما قال :

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ .

لا يجب أن نقف هنا عند الـسطحيـة ، حـتى لا نربى النشئ على أن رفعة البعض على البعض بالمال فـحسب . . ولكن كل واحد فى المجتمع مرفوع مرة ، ومرفوع عليه مرة . . فالفرد فـى المجتمع مرفوع فيما يجيد ومرفوع عليه فيما لا يجيد .

إذن فكل واحد منا فاضل فى جهته ، ومـفضول عليه فى جهة أخرى والفاضل مسخـر للمفضول فى صنعته ، إذن فكل فـرد فى الكون مسخر لكل فرد . . إذن ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا﴾ .

فالعالم مثلا يفنى من عمره نحو عشرين عاما ينقب فى الكتب ليستنبط

حكمـا من أحكام الله . وبعـد أن ينضج ، يسألـة سائل وهو سـائر فى الطريق عن مسـألة من المسائل ، فيجيـبه عليها ، يظن السـائل أنه أجابه عليها هكذا .

ولكنه لو علم أنه ظل عـشرين عاماً يتـعب نفسه ، ويكد ، ليـهيئ له هذا الجـواب ، لعلم أنه ساعـة العشـرين سنة كـان مسـخر لكن سـأله بعـدها . . وكل إنسان هـكذا إذا اعتـبر أنـه لا يملك من الحيـاة إلا زاوية واحدة ، وبقية الناس يملكون له الزوايا الأخري .

إذن فالزاوية التي يجيدها ، وله موهبته فـيها ، هو فاضل فيها . وهو مسـخر لخدمـة الآخرين الذين لا يملكون هذه الموهـبة وغيـره كذلك . . الموهبة الناقصة فيه يكملها له غيره.

إذن فأنت مـسخر لهذا . . وهذا مـسخر لك . . ولذلك كـان القرآن دقيقاً جداً فى التعـبير حين قال الله تعالى : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ .

ما هو البعض المرفوع ؟ وما هو البعض المرفوع عليه ؟

مبهمات :

إذن فكل بعض مرفوع ، وكل بعض مرفوع عليه .

ولو أن استقـراء إحصائياً أخرى لقطاع من المجتـمع ، وبعد ذلك جاء بالأفـراد ، ثم درس كل فرد ، وعـرف زواياه وملكاته وأعطى له فى كل زاوية درجة وفسيكـون مجموع كل إنسان يساوى مجـموع كل إنسان . . والاختلاف والتفاوت إنما هو فى قدر الدرجات فى كل زاوية.

وبذلك ينسجم المجتـمع ولا يتعاند ، وإنما يتعاون ويتـعاضد ، ولو أن الناس كانوا سواسية فى خصلة واحدة لترافعوا ، ولكن أنا محتاج إليك،

وأنت محتاج إلى ، وكلانا محتاج إلى الغير ، إذن فقد ربطت «الموهبة»، و الحاجـة الطموحية أوالحـاجة «الملكية» ، التـى توجد فى ملكات الناس بغيرها من الحاجات ، لأن العجز هذا تملكه قدرة هذا .

س : إذن متى يكون النبوغ ؟

جـ : يكون النبـوغ حينمـا يصـادف العمل الموهبـة . . ولكن حين لا يصادف العمل الموهبة لا يأتى النبوغ .

إذن فالميزان الأصيل الذى يجب أن نتفاضل به هو قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

وبعد ذلك يزيدنا إلى من أخوة الإيمان إلى أخوة الإنسانية .

* * *

ختام فاتحة الكتاب

س : جميع المسلمين يقـولون فى نهاية الفاتحة «آمين» فهل تعـتبر هذه الكلمة من القرآن الكريم ؟ وإن لم تكن فلماذا نقولها؟.

جـ : كلمة «آمين» هى من قول جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ ، وليـست من القرآن الكريم . . ومـعناها اسـتجب يا رب فـيمـا دعوناك به عندما قلننا :

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾

س : ولكن بعض العلمـاء يقولون : إنها كلمـة ليست عـربية بل هى منولة من لغـات أخرى . . فكيف تدخل كلمة غـير عـربية فى القرآن الذى حكم الله تعالى بأنه عربى ؟.

جـ : ورد كلمـة فى القرآن الكريم غـيـر عربيـة الأصل ، لا ينفى أن القرآن الكريم كله عربى . .لماذا ؟

لأن معنى كلمة «عربى» ، هو أنه إذا خوطب به العـرب فهموه . وقد خاطب الرسول ﷺ العرب بالقرآن الكريم وفهموه عنه.

ولنفترض أن بعض الألفاظ قد تدخـل فى لغة العرب من لغات أخرى قـبل أن يوحى الله بالقـرآن إلى مـحمـد ﷺ بواسطة الملك جـبـريل ، وأصبـحت تلك اللفاظ عربية ، وصـارت من لغة البيـان عند الإنسان ، وسمعها الناس ، واستعملوها فى التعبير عن أنفسهم.

هنا تصبح هذه الألفاظ عـربية ، لأن الناس فهموها واسـتعملوها . . وحين تأتى بعض هذه الألفاظ غـير العربيـة مما دار على ألسنة الناس في

القرآن ، وألفتهم الآذان ، هنا تصبح هذه الألفاظ عربية ، لأنه ليس المراد بالعربى أن يكون المولد فقط ، إنما المراد أنا ننزل باللغة التى يفهمها العرب، وإن جاءت فيه بعض الألفاظ التى قد تكون عربية ، إلا أنها متمتع بشيوع الاستعمال على ألسنة العرب كأى لفظ آخر عربى المنشأ.

وما دام اللفظ قد أشاع على الألسنة قو وكلام اللفظ قد شاع على الآذان استماعا ، فإن الأجيال التى تستقبل هذا اللفظ بعد ذلك لا تفرق بينه وبين غيره من الكلمات العربية الميلاد ، وذلك لأن لـلفظ قد أصبح عربيا بالاستعمال .

ومعنى ذلك أن القرآن لم ينشئ كلمات جديدة فى اللغة العربية وهى غير عربية ، ولكن القرآن جاء بكلمات هى مستعملة عند العرب وإن كانت غير عربية الميلاد .

وساعة نزول القرآن الكريم كانت هذه الكلمات غير العربية الميلاد لها من الشيوع باللفظ العربى ، ولا يختلف اثنان على فهم معناها.

❊ ❊ ❊

الإيمان .. دعوة للحياة

س : دعا الله المؤمنين إلى قيامهم إلى ما يحييهم كما جاء فى القرآن الكريم .. والمؤمنون حينئذ أحياء .. فكيف دعا الله الأحياء إلى الحياة؟ .

جـ : نعم قال الله سبحانه وتعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ .

ومن صدق الإيمان أن يقبل الإنسان على التكاليف بحب وإتقان ، لأن التكاليف مرضاة للرب ، وتعمير لكون الله وتصديق لرسالة رسول الله ، وانسجام فى جوارح الإنسان مع الكون .

والإقبال بالحب والطاعة على تعاليم الحق إنما يعلمه الله ، لأن تنفيذ التكاليف ينقذ القلب من الوقوع فى أسر الهوى والخطيئة ، وذلك أن الله يعلم السر وخائنه الأعين ، ونحن جميعاً نقف بين يديه للحساب .

* * *

الضلال والرسول

س : جاء فى القرآن الكريم إسناد الضلال إلى الرسول ﷺ فما المقصود بهذا الضلال ، وما نواعه؟.

جـ : لقد كان صدق محمد ﷺ ، مع نفسه بل نزول الوحى لا يمكن أن يقوده إلى عبادة الأوثان.

لقد كان محمد ﷺ ، قبل نزول الوحى يرى سلوك وقومه جاهلياً ، وظل قلبه يطوفان حول نور التطلع إلى الإيمان تشوقاً إلى الهدى ، وتطلعاً إلى الحق ، وقال الله تعالى عن هده المرحلة من حياة الرسول :

﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ﴾

ويؤكد هذا القول قول آخر فى أول سورة يوسف :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾

ويؤكد هذا المعنى أن محمداً عليه الصلاة والسلام كان حائراً من سلوك قومه فهداه الله.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

وهكذا نرى أن الحيرة والاغتراب قبل نزول الوحى كانا نوعا من الضلال أزاحه الله تعالى عن محمد الرسول بنزول الوحى السماوى .

❊ ❊ ❊

هم القوم لا يشقى جليسهم

قال رسول الله ﷺ، فيما يرويه عنه ربه فى الحديث القدسى : «إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا : هلموا إلى حاجتكم ، قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا . قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم :

ما يقول عبادى ؟.

قال : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحدمونك ويمجدونك . .

فيقول : هل رأونى ؟.

قال : فيقول : لا والله ما رأوك.

قال : فيقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيداً وتحميداً ، وأكثر تسبيحاً .

قال : فيقول : فما يسألونى ؟.

قال : فيقولون : يسألونك الجنة. .

قال : فيقول : وهو رأوها؟.

قال : فيقولون : لا والله يا رب ما رأوها .

قال : فيقول : فكيف لو أنهم رأوها ؟.

قال : فيقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة. .

قال : فمم يتعوذون ؟.

قال : يقولون من النار . .

قال : فيقول : وهل رأوها.

قال :فيقولون : ما رأوها . .

قال : قيقول : فكيف لو رأوها ؟.

قال : فيقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً ، وأشد لها مخافة . .

قال : فيقول : أشهدكم يا ملائكتى أنى قد غفرت لهم . .

قـال : فيـقول ملك منهم : فيـهن فلان ، وليس منهم ، إنما جـاء لحاجة ، قال : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم[١].

* * *

(١) صحيح: أخرجه البخارى، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل حديث (٥٩٢٩)، والترمذى، كتاب الدعوات، باب ما جاء إن الملائكة سياحين فى الأرض حديث (٣٥٢٤)، وأحمد حديث (٧١١٧).

الرحمن الرحيم

س : حينما نقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ نجد أن قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قد تكرر دون فاصل طويل من الكلام .. ومما هو مشهور أن تكون الكلام عيب من عيوب الكلام ما لم يكن هناك سر لهذا التكرار .. فما هو سر التكرار ، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ؟.

جـ : قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ، في البسملة معناه تعالى أيها الإنسان ، وأقبل عملك باسمى ، ولا تخف إن كنت عصيتنى ، فأنا الرحمن الرحيم .

فهو يريد أن يزيل وحشة العاصى وخجله ، ويريد منه أن يدخل إلى دنيا مسخرة له باسم الله ، ويذكره بإنه سبحانه هو الرحمن الرحيم

أما قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فله مذاق آخر .هو تأكيد بأن الله رب العالمين .. وهذا القول بأن الله رب العالمين له كثر من معنى .

هو تأكيد بأنه خلقنا من عدم ، وأمدنا بما فينا وما حولنا .

وتأكيد بأن الله يربى كل ما فى السكون .. والتربية فيها السيادة تعنى السيطرة والملكية . فهل ما فى التربية من القسوة فهو مقترن بالرحمة.

وهكذا نكتسف المذاق الآخر لمجئ اسمين من اسماء الله تعالى مكررين، ولكن التكرار مختلف المذاق فى كل مرة .

* * *

الحب .. والشكر .. والزيادة

س : ما هو الحب الإلهى ، وما هى العلاقة بين الحب والشكر والزيادة حسبما قال تعالى ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ .

جـ : الانفعالات فى النفس حين يتعرض لها الشعراء فهم يقولون : إن محلها القلب . ذلك أن الشعراء عندما أرادوا أن يصوروا لنا هذا المعنى صورة فى معنى الحب.

ولنأخذ منهم معنى التصوير أو التصور لهذا المعنى ، مع اختلافا مع الشعراء فى المحبوب ، فإن محبوب المؤمن المنفعل هو الله ، وهو غير محبوب الشاعر . . نأخذ من الشعراء معنى الحب ، والمحبوب عند الشعراء وعند الأصفياء يختلف الشاعر له محبوب هو « ليلى» أو «سلمى» أما المحبوب صفى الله فهو «الله» . وإنما الانفعال واحد . قال شاعر لمحبوبته :

تقرط أو تمنطق أو تعتبى
فلن تزداد عندى قط حباً
تملك بعض حبك كل قلبى
فإن ترد الزيادة هات قلباً

الشاعر يقول لمحبوبته : إن لباس القرط أو النطاق أو العباء وسائل تجميل ، ولن تزيد من حبه لمحبوبته ، إنما إذا أراد المحبوب الزيادة من الحب فليعطه قلباً آخر.

هذا انفعال العاشق الإنسان لمعشوق إنسانى . . هذا هو الحب الأدنى . . هذا هو عشق الإنسان للإنسان.

أمـا الحب الأعلى . . الحب بين المخلـوق المؤمن للخـالق القـادر . . الحب بين العبد والرب . . فهـذا الحب الأعلى لا يكتفي بالقلب وحده ، إنما يشيع ما فى القلب على كل الجوارح . .

وهذا شاعر آخـر يتميز بالدقة فى وصف انفعـال الحب الأدنى ، فقال للحبيب البشرى :

خطرات ذكرك تستثير مودتى
فأحس منهـا فى الفؤاد دبيـباً
لا عضو لى إلا وفيـه صبابة
فكأن أعـضـائى خلقن قلوباً

هذا إشعاع عاطفى يعـبر عن انفعال وجدانى بمحبة بين حبـيب وحبيبة كلاهما إنسان . إن أعضاء الشاعر كلها تتحول إلى قلوب عاشقة . . فما بالنا بإشعاع الحب بين الخالق والمخلوق . . وما بالنا بإشعاعات الحب بين الذى اصطفى الله له حبيباً ، فاصـطفاه الله بالمحبة والإيمان ؟ . مثال ثالث على تصـوير الشاعـر لانفـعالات النفس الإنسـانيـة بالحب . . إن أميـر الشعراء شوقى يقول :

ولى بـين الضـلوع دم ولحـم
هما الواهى الذى ثكل الشبابا
تسرب فى الدموع فقلت ولى
وصفق فى الضلوع فقلت آبا

يقول : إن بين ضلوعه قلباً عاشقاً كأنه قد ذاب فى الدموع شوقاً حتى ظن أن قلبه قد رحل عنه ، لكن قلبه عاد مرة أخرى بشحن المحبة يصفق فى الضلوع فعرف الشاعر أن قلبه قد عاد إليه .

هذه الانفعالات العاطفية التى صورهـا الشعراء العشاق تصور نوعاً من الحب الأدنى فما بالنا بالعشق الأعلى .

إن انفعالات العشق الأعلى بين المخلوق والخالق تخلق قشعريرة الإحساس بحمد الرحمن ، وتشع من القلب إلى العقل ، ثم تشع من العقل إلى الجوارح ، فينتقل إشعاع العقل والجوارح إلى الكون.

هكذا نرى إشعاعات القلب تملأ الجوارح كلها ، والجوارح تشع على حركة أعمال الإنسان البعيدة عنه ، وهنا يصبح الإنسان دائرة من الإشعاعات . . وهكذا كل مؤمن له دائرة من الإشعاعات . . فعندما تلتحم إشعاعات الحمد على القلوب جميعها يمتلئ الكون كله بالحب والشكر لله.

وحين ينشغل الوجود كله بالشكر ، فإن الله يزيد عطاء الكون تصديقاً لوعد الحق :

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ . .

* * *

بركة البسملة

س : لماذا شرعت البسـملة فى أوائل الأعمال ؟ وما هو مدي بركـتها فى الأعمال ؟.

جـ : حين تبدأ أى شئ باسم الله ، فإنـك تنقل الأمر من قدرتك إلى قدرة الله ، فيكون الله سبحانه وتعـالى معك ، يسخر لك ما لا تستطيع تسخيره ، وييسر لك الأمر ، ويبارك لك فيما تفعل . .

فأنت إذا كنت فلاحاً ، وذهبت لحراثة الأرض لتعطى لك الزرع ، فلا بد أن تتـذكـر أولا أنك لم تخلق الأرض ، ولا خـلقت عنصـرا من عناصرها، وأنت لم تخلق الـبذرة التى وضعنها في الأرض ، فـهذه من خلق الله .

جاء الإنسـان إلى الوجود فوجد الله سـبحانه وتعالى قـد أعدها له . . وأنت لم تخلق المياه التى تنزل من السـماء ، ولم تنزلها فى هذه البـقعة بالذات ، والدليل علي ذلك أن العالم ملئ بالصحارى بينما أماكن أخرى تصيبها الفيضانات من كثرة المياه ، ولو كنت أنت الذي فعلت لاستطعت أن تروى الصحراء .

فلا أنت خلقت الأرض ، ولا الماء ولا البذر ، وكل ما فى الأمر أنك أعلمت فكرك المخلوق لله فى المادة المخلوقة لله بالطاقة المخلوقة لله باسم، وهنا تكون البركة من الله .

* * *

من وصايا الرسول ﷺ

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ .

«المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير . احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شئ فلا تقل : لو أنى فعلت كذا كان كذا ، ولكن ل : ما قدر الله ، وما شاء فعل ، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»(١) . .

* * *

(١) صحيح : أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب فى الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة حديث (٤٨١٦)، وابن ماجه، كتاب المقدمة، باب فى القدر حديث (٧٦).

تقسيم التركة حال الحياة

س : بعض الناس يوزعـون مـا يملكون على ورثهم حـال حيـاتهم ، ويحتفظون لأنفـسهم بما يكفيهم بقـية حياتهم ، فـما الحكم وما الحكم فيـما لو حـصر المالك ميـراثه فى ثيابه حـيث لم يولد له ولد؟ .

جـ : التـصرف الأول صـحيح ، مـا دام المورث قد راعى العـدل فى التوزيع بين الورثة . ولكن الخـطأ هو أن من لم يرزق ولداً ذكراً يكتبـون لبناتهم كل ما يملكون فى حال حـياتهم ، حتى يتـجنبوا ميراث من لا يحبون من الأقارب .

فإن فعلوه لهذا القصد فهو ظلم ، لأن البنت يخصها المالك بماله لكيلا يشـترك مـعها فـيه الـعم أو أبناء العم لو أنها احـتاجت لاسـتطاعت أن تشكوهم ، ويصبح لها حق فى أموالهم .

* * *

س : ما هو موقف الأب من الميراث فى شريعة الإسلام ؟ .

جـ : فى أول الإسلام كـان الرجل يلتفت إلى أبنائه ، ولا يـلتفت إلى أبيه، لأن الأبناء يستـقبلون الحياة ، والأباء يودعـونها . فأوصى أولى الأمر بالوالدين فقال سبحانه وتعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ﴾ .

فجـعلها وصـية .. وبعد ذلك ، عندمـا تأصل مبـدأ الإسلام أعطى للوالدين حقوقاً ، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يغير المفهوم القديم بكون

الأب مودعاً ، والابن مقبلا ، وأن الابن يفيد الأب فى شيخوخته فقال: ﴿ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ .

وبذلك بين الله سبحانه وتعالى : أن الإنسان قد يرزق بصلاح أبيه ، وقد ينفعه أبناؤه.

* * *

حكم ترك الحجاب

- رغم أن الله سبحانه وتعالى عادل ، ورغم أن أحداً لن يسأل الله سبحانه وتعالى عما يفعل ، فلقد وضع ميزانا توزن به الأعمال من الحسنات وسيئات ، ويتقرر مصير الإنسان إلى الجنة أو إلى النار حسب ميزان أعماله ، إن خيراً فخير ، وإن شر فشر.

وإن أخلت المرأة عدم ارتداء الحجاب فقد يصل ذلك إلى الكفر عند الله ، لأن هذا أمر صريح من الله فى القرآن للمرأة.

فإن خالفت أم الله بأن قالت : إن عدم الحجاب مباح فقد كفرت «أما من تعترف بالخطأ الذى تفعله ، وتقر بعد استطاعتها ارتداء الحجاب لسبب أو لآخر ، فهذا معصية ، وليست كفراً.

* * *

الروائح العطرية

س : الروائح العطرية المتداولة تحتوى كميـة من الكحول ، فهل تعتبر حراماً ؟ .

جـ : لاشئ فى استعمال الروائح العطريـة للمرأة داخل بيتها ، ولكنه ممنوع عند خـروجـها من المنزل ، لـئلا تلفت الأنـظار ، وتثيـر الشهوات . .

أما القـول بتحـريم لوجود الكحـول فيهـا فهـو خطأ ، لأنه مسـموح باسـتعمال الكحـول فى الأشياء التى لا تذوب إلا فـيه ، كمـا الكحول محـرم استعـماله كمـادة مخدرة ، ولكن له اسـتعمـالات أخرى مفـيدة كالتعقيم أو الوقود أو غيره من الأغراض المتعددة .

* * *

العصمة بيد المرأة

س : شاعت فى هذه الأيام فكـرة وضع العصمـة فى يد المرأة ، فهل هذا إجراء شرعى ؟.

جـ : لا يوجـد مـا يمنع وجود العـصـمـة بيد المرأة ، مـا دامت قـد اشترطت ذلك فى عقد الزواج ، وما دام الرجل قد قبل أن تكون العصمة فى يد الزوجةفقد يتقـدم للمرأة رجل مناسب للزواج منها ، غير أنها تخاف أن يسيئ معاملتها ، أو يسـتغلها استغلالا مالياً ، أو يستخرجها لمآربه ، فتشترط أن تكون العصمة بيدها .

فما دام الرجل قد قبل أن يتنازل عن حقه فى إنهاء عقد الزواج لزوجته فلا مانع من ذلك .

* * *

كفارة ترك الصلاة

س : مسلم ترك الصـلاة فترة من عمره وهو مكلف بهـا فكيف يكفر عن تركه لهذه الصلوات الفائتة؟ .

جـ : يكفر المسلم التارك للصلاة فترة من عمر التكليف بأن تصدق نيته على أن للصلاة ، ويصلى بدل السنن مع كل فرض حاضر فرضاً فاته . فـإن صدقت نيتـه ، وأدى بعض الصلوات ووافاة الأجل قبل الوفـاء بجميع مـا فاته ، فنطمع فى مغـفرة الله وعفـوه، ما دامت النية صادقة فى الوفاء .

وإن كتب الله له الأجل فعليه أن يصلى فترة من الزمن تتساوى ما يظن أنه فات من صلاته .

* * *

توبة الزانى

س : إذا تاب الزانى عن الزنى ، وعمل صالحاً ، فكيف يكفر عن جرائمه السابقة ؟ .

جـ : التكفير عن الزنا لابد أن يقر الإنسان بذنبه ، وهذا فى البيئة التى يطبق فيها حكم الله ، حتى يمكن أن يقام عليه الحد . .

وما دام الذى أذنب لا يمكن أن يقام عليه الحد ، فعليه أن يستر على نفسه ، ويتوب إلى الله توبة نصوحاً ، وأن يديم الاستغفار لله على ذنبه الذى فعل.

* * *

عقاب الخدم

س : بعض الناس يعاقبون الخدم على الإهمال عقاباً يختلف شدة ورحمة، فما حكم هذا العمل؟.

جـ : إذا كانت ربة المنزل تربى ابنتها وتعاقبها بمثل ما تفعل مع الخادم بقصد التربية ، فهى تفعل ما يجب عليها ، لأن المرأة مسئولة عن تربية الخادم التى تخدمها ، وعن تعليمها .

أما إذا تعددت تلك الحدود بالإيلام والأذى ، فهذا يخرج عن حدود التربية ، وعليها وزر يحاسبها الله

* * *

الفترة فى العبادات

س : بعض الناس يؤدى كل المطلوب منه من عبادات ويجب قراءه القرآن ، وتعلم السنة ، ثم يفتر عن كل ذلك ، ويرى فى الدعاء شعور بعدم رضا الله سبحانه وتعالى : إذا لم يستجيب .. فما حكم هذا العمل ؟ .

جـ : قال الله سبحانه وتعالى :

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ .

وما دام مثل هذا السائل قد أباح لنفسه خواطر السوء فلا يجوز أن يغلق على نفسه باب الرجوع إلى الله .

إن الله تعالى يعامل الإنسان على أنه كثير الخطأ ، فلذلك لم يقل الله تعالى : إنه يحب التائبين . بل قال : إنه يحب التوابين . وهذا الكلمة تحمل معنى استمرار التوبة .. فكلما حدث من الإنسان ذنب أو معصية رجع إلى وتاب .

ومن يسأل هذا السؤال ، ويكشف من نفسه هذا الداء فيه دليل على أن الخير ما زال فيه ، وأن ضمير الإيمان ما زالت تعاوده ..

وقد يكون ما حدث من الفترة نتيجة للحظة غرور بالطاعة ، أو ربما كنت كثير اللوم لأناس أسرفوا على أنفسهم ، ولم تشفع لومك لهم بالهداية ، فأراد الله أن ينبهك .

ولكنك ما دمت قد سألت هذا السؤال فذلك دليل على أن نواة الخير

لا تزال فى قلبك .. وثق أن الله سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين.

ولقد قال رسول الله ﷺ: «لله أفرح بتوبته عبده من أحدكم وقع بعيره وقد أضله فى فلاه»[١]. فإذا كان الله يقبل التوبة والرجوع ممن لم يعرفه أولا ، أقبض بها على من عرفه أولا ، ثم نزعة الشيطان ؟.

* * *

(١) صحيح: أخرجه البخارى، كتاب الدعوات، باب التوبة حديث (٥٨٣٣)، ومسلم، كتاب التوبة، باب فى الحفن على التوبة والفرح بها حديث (٤٩٢٧)، والترمذى، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع حديث (٢٤٢٢)، وابن ماجه كتاب الذهد، باب ذكر التوبة حديث (٤٢٣٧).

الشك مع الإيمان

س : هل الإنسان الذى يقوم بواجبات المسلم وبكل ما افترض عليه ، ولكن يتشكك أحيانًا مما يجعل حياته جحيماًهل هذا ناشئ من عدم الإيمان ؟ أم إنه من قبيل الوسواس؟

جـ : إذا حدثتك نفسك بشئ ، وتحرجت أن تفصح عما حدثتك به نفسك ، فهذا هو الإيمان.

فما دامت قد حدثتك نفسك بهذه الشكوك ولم تنطق بها استعظاماً لها ، فهذا هو الإيمان.

ولقد أتى الرسول ﷺ : ناس فقالوا : يرد على خواطرنا شئ لأن نخر من السماء أحب إلينا من أن نتحدث به فقال ﷺ : «ذلك محض الإيمان» (١) .. وفى رواية أخرى قال : «الحمد لله الذى رد كَيْدَهُ إلى الوسوسة».

* * *

(١) صحيح: أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة فى الإيمان وما يقوله من وجدها حديث (١٨٩)، وأبو داود، كتاب الأدب، باب فى الوسوسة حديث (٤٤٤٨)، وأحمد حديث (١٩٩٣).

خمر الدنيا وخمر الآخرة

س : يقول الله تعالى فى جزاء المؤمنين : ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ . فكيف يحرم الله سبحانه وتعالى الخمر فى الدنيا ، ثم يكافئ بها المؤمنين فى الآخرة؟ .

جـ : نعيم الجنة جاء على مثال ما هو معروف فى الدنيا ، ولكنه حقيقتة فوق ما يتصور العقل والسمع والنظر والخاطر ، فهو نعيم لا يشبهه شئ من نعيم الدنيا ، وهو إن شابهه فى السم فهو مختلف فى الصفة والحقيقة . فخمر الآخرة فى الجنة ليس كخمر الدنيا ، ولم تنس ولم تنكدر.

ومن أتم الايات عرف الحقيقة . قال تعالى : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ ..

وقال فى سورة البقرة :

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾.

وهنا يظهر لك المعنى واضحاً فى أنها جاءت على مثال ما فى الدنيا اسما لا حقيقة .

* * *

الزوجة التى لا تصلى

س : زوجة لا تصلى ، فهـل تقع مسئولية ذلك علـى زوجها أو على أهلها؟ .

جـ : إن تركت الزوجة الصلاة عمداً وجحوداً وإنكاراً فقد ارتدت عن الإسلام ووجبت الفرقة بينهـا وبين زوجها علي الفور . . أما إذا كسلا مع الإيمان بفرضيتها فعلـى الزوج نصحها وتوجيها والصبر عليها ، قال تعالى :

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ .

وهذا الخطاب للنبى ﷺ ، ويدخل فى عمومه جميع أمته .

وكان النبـى ﷺ عقب نزول هذه الآية يذهب كل صـباح إلى فـاطمة وعليّ راضون الله عليهما فيقول : الصلاة.

والله تعالى جعل لـلرجل ولايته على اسرته ، وهو مسـئول عنها يوم القيامة ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ .

وفيه دلالة على مسئولية ولى الأمر عن نفسه وعن أسرته . .

* * *

تحريم الذهب والحرير

س : ما حكم لبس الحرير والذهب للرجال وما حكمته؟.

جـ : حرم الله سبحانه وتعالى لبس الحرير والذهب على الرجال ، وعن على كرم الله وجهه ، أن النبى ﷺ ، أخذ حريراً فجعله فى يمينه ، وأخذ ذهباً فجعله فى شماله وقال: «إن هذين حرام على ذكور أمتى»[1] . ورأى ﷺ ، خاتماً من ذهب فى يد رجل ، فخذه وطرحه ، وقال : «يعمد أحدكم إلى حمرة من نار فيجعلها فى يده»[2] .

أما خاتم الفضة فقد أباحه النبى ﷺ للرجال ، ورخص كذلك فى لبس الحرير إذا كان لعذر صحى. . وإذا كان الثوب مخلوطاً ، والحرير أقل من الصنف الذى خلط به كالقطن مثلا فلا سئ فيه.

والحكمة فى منع تحلى الرجال بالذهب ولبس الحرير : إن الإسلام يحب أن يصرف الرجال عن مظاهر الضعف والتكسر والإنحلال ، فلا يجوز لهم أن يكونوا فى لباسهم كالنساء ، كما أن فى أستعمالهم هذين النوعين ترفاً وإسرفاً ، والإسلام يحرمهما .

(١) صحيح: أخرجه الترمذى: كتاب اللباس، باب ما جاء فى الحرير والذهب حديث (١٦٤٢)، والنسائى كتاب الزنية، باب تحريم الذهب على الرجال حديث (٥٠٥٣)، وأبو داود، كتاب اللباس، باب فى الحرير للنساء حديث (٣٥٣٥)، وابن ماجه، كتاب اللباس، باب لبس الحرير والذهب للنساء حديث (٣٥٨٥)، وأحمد حديث (٨٩١).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم خاتم الذهب على الرجال ونسخ ما كان حديث (٣٨٩٧)، والنسائى، كتاب الزينة، باب حديث أبى هريرة والاختلاف على فتاوة حديث (٥٠٩٦)، وأحمد حديث (١٠٦٨٦).

المعجزة والمنهج

س : هل يمكن وصف جميع الكتب السماوية بأنها معجزة ومنهج ؟ أم إن هذا الوصف خاص بالقرآن ؟ ولماذا؟ .

جـ : كل الكتب السابقة على القرآن من التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى هى كلام الله ، ولكنها كتب قصد بها المنهج فقط . بينما القرآن الكريم يحمل المنهج والمعجزة الدالة على صدق رسول الله ﷺ .

فموسى عليه السلام كان منهجه التوراة ، ومعجزته العصا يضرب بها البحر فينفلق ، ويلقيها أمام السحرة فتتحول إلى حية تلتقف ما يصنعون، ويضرب بها الحجر فينبعث منه الماء ، والإنجيل هو منهج عيسى ، أما معجزاته فكانت إبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى بإذن الله .

إذن فالمعجزة شئ ، والمنهج سئ آخر ، ولكن القرآن الكريم يتميز بأنه المنهج والمعجزة معاً ، لأن القرآن نزل على نية الثبات ، إلى أن تقوم الساعة ، ولذلك لا بد أن يؤيد دائماً بمعجزات ، وأن تكون المعجزة معه .

فالمنهج عين المعجزة حالة مفقودة فى الرسالات كلها ، ولكن معجزة محمد ﷺ أمر موجود يمكن أن يشار إليه فى أى وقت من الأوقات .

ونظرة واحدة فيما قال تعالى عن كونيات الحياة التى أتيحت للعقل البشرى فى القرن العشرين ترينا أن القرآن يشير إليها ، لأن العمر فى الرسالة القرآنية إلى أن تقوم الساعة ، فيظل القرآن معجزة حتى قيام الساعة ، ولا بد فى هذه الحالة أن يكون له عطاء يمثل إعجاز لكل عصر .

ولو جاء القــرآن وأعطى إعجازه كله فى قــرن من الزمان فإن يستــقبل القرن بلا إعجــاز ، فبذلك يحمد . . ولكن لكى تبـقى المعجزة يجب أن يظل إعجاز القرآن إلى ن تقوم الساعة ولذلك يقول الله تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ هذه الآية الكونية . . ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ . وهذه هى الايات الطيبة.

﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ أى أن القرآن هو الحق .

وبذلك يمكن لنا أن نقــول : إن آيات الكون ســتـأتى مــوافقــة لآيات القرآن حتى يتبين لهم أنه الحق.

وكلمــة «سنريهم» توحى لنا بأن الله ســبحــانه وتعــالى ســيعطينا آيات الكون وأسراره ، ويمكن أن يعطيــها للمؤمنين وغيــر المؤمنين ولقد أعطى الله سبحــانه من آيات الكون للمؤمنين ، فبرع المسلمون ووضــعوا أساس العلم الحديث للعالم.

ثم أعطاه بغير المؤمنين ، ولذلك يفسر قول الحق سبحانه:
﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ .

أى يكون الذين أعطاهم الله آيات الكون فى وقت من الأوقات منكرين للقرآن الكــريم كحق ، لأن المؤمن يفهم أن القــرآن هو الحق ، وهو ليس فى حاجة إلى بيان ، أما غير المؤمن فهو الذى يشك فى هذا الدين.

وفى هذه الحالة يكشف الله آية تبين له أنه الحق.

* * *

الإسراء بالجسد

س : ما زالت الأقاويل تثور بين المسلمين حول قضية الإسراء، وهل هو بالروح والجسد فى اليقظة، أم هومنام بالروح فقط، ولكل فريق حجة ودليل، ولهذا نريد تركيزاً لوجه الحق فى هذه القضية، مقروناً حجة الخصم؟

جـ : حينما تكلم القرآن عن حدث الإسراء قال تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

هذا النص هو عمدتنا فى توثيق هذا الحدث، وما دام هذا النص من الله، فعلى المسلم أن يؤمن به، ثم على عقله بعد ذلك أن يبحث فى قياسات هذا التسليم، ليجد أنه آمن بالله ثم يجد أنه يتلقى عمن آمن به، وما عليه بعد ذلك إلا أن يؤمن به وبأنه حدث.

استهل الحق كلامه عن الحدث بقوله: (سبحان) وهى كلمة تعطى الإنسان طاقة قوية بعيدة عن كل شبهة من شبهات المقارنة التى تأتى بين قانون المادة الأرضية الإنسانى البشرى، وبين قانون الله.

فمعنى (سبحان) أن الله منزه فى ذاته وفى صفاته وفى أفعاله فإذا صدر فعل قال الله عه: إنه صدر منى، فيجب على المسلم أن ينزهه عن قوانين البشرية. ولذلك استهل الحق سبحانه وتعالى السورة بقوله (سبحان) أى: تنزيه للعلى عن أفعالكم.

ثم يقول تعالى بعد ذلك :﴿الَّذِي أَسْرَىٰ﴾ . فالله سبحانه هو الذي أسرى بمحمد ﷺ . . واختار الله لفظاً يعطى حيثية تلك التجربة وهو

﴿ بِعَبْدِهِ﴾ . وبعد ذلك بداية الإسراء ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ونهايته ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾ . ثم يأتى السبب ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِي﴾ .

سميع بماذا؟ وبصير بماذا؟ كان يمكــن أن يقول الله سبحانه بعد أن يريه الآيات: إن الله على كل شئ قــدير. إن الله وهاب مثــلا. أما أن يقــول ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيــر﴾، فذلك يدل على العلة الحقيقـية التى استوجبت أن يسرى الله سبحانه برســوله ﷺ ، فقد سمع الله الإيذاء الذى أوذى به رســول الله ﷺ ، ورأى مــا تعــرض له من الجـفاء ومن الاســتــهــزاء، والسخرية والإهانة، فحين رآى الله ذلك، وسمع به، أراده الله ، وأسرى به.

وإذا أردنا أن نأخــذ عنصر الــفعل فى أى فــاعل فــإننا نجد أن الفــاعل ملحوظ فى ذات الفعل. فإذا: خــطب فلان فستأخذ الخطبة بمعــيارفاعلية الخطيب الذى نعرفــه . فلا تأخذ الفــعل من فاعل ، وتعطى قانون غــير الفاعل .

الله تعالى يقول ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ﴾. فالذي أسرى هو الله ، والفعل هنا واقع من الله ، فلا يعقل أن نأخذ محمداً ﷺ بفعل الله به ، ومادام قد فعل فلماذا نستعجب.

محمد لم يقل : أنا أسريت حتى نرده إلى قانونه ، ونقول له كما قال الكفار له : إنا نضــرب إليها أكبــاد الإبل شهرا ، وتدعى أنك أتيتــها فى ليلة ، من الذى قــال : إنه أتاها فى ليلة ؟ هو لم يأتيهــا فى ليلة ، وإنما أتى به ، فالمقارنة خاطئة ، كــان يجب أن يقارنوا فعلا منه بفعل منهم . أما أن يقارنوا فعلا منهم بشئ لم يفعله هو ، ولــم يدعه ، فهذه استحالة فى المناقشة.

وإذا كانوا يصعدون المسألة فى القياس ،فكان يجب عليهم أن يصعدوا

إلى الله ، ولا يصعدوها إلى محمد ﷺ لأن محمد قال : أنا لم أسر ، وإنما أسرى بى ، إذن فمحمد محمول على نطاق قوة أخرى ، قوة لا حساب عندها ، وهى قوة الله سبحانه وهم لم يردوا المسألة إلى الله ، وإنما ردوها لمحمد.

وما دامت المسألة من الله ، وهو الذى أسرى ، ومحمد مصاحب ومحمول على قانون ضعفة البشرى على قانون قوة ربه القائد ، فإذا قيست المسافة وزمانها بنسبة القوة التى فعلت ، وهى قوة الله ، نجد النتيجة أن لازمن.

قد يأتى شخص ويقول : مادام ليس هناك زمن فلماذا أخذ ليلة ؟.

ونقول له : لأن هناك فرقاً بين حدث الإسراء فى ذاته كنقلة وبين المرائى التى تعوض لها الرسول ﷺ .

فالمرائى التى تعرض لها رآها ببشريته وبقانونه ، وهى التى احتاجت للزمن ، أما النقلة فى ذاتها فلم تحتج إلى الزمن ، لأنها محمولة على قانون من لا يحكم فيه الزمن.

إذن فالذين ناقشوا رسول الله ﷺ فى هذه المسألة يعطون صورة من عقلهم فى أنهم قارنوا مقارنة غير موضوعية.

ونحن هنا نناقشهم فنقول :

إن المسألة ليست حدثاً من محمد ، فاستبعدوا قوانين بشريتكم ، وصعدوا المسألة بالنسبة لله ، يقدر أولا يقدر ، قوته تحتاج إلى زمن أو لا تحتاج ، هذه هى المسألة.

ولقد هيأ الله لدين الإسلام جنوداً حتى من الكافرين ليعاونوا على الانتشار والدعوة إلى الحق . . ولو لم يقف الكفار من رسول الله ﷺ

هذا الموقف ليقـولوا له : أتدعى أنك أتيتـها فى ليلة ونحن نضرب إليـها أكباد الإبل شهراً ، فربما قال قائل بعد ذلك : لقد ظنوه مناما ، والمنام لا يمارى فيه . .

فموقفهم هذا الذى وقفوه قديماً أمام الرسول ﷺ ، يؤكد أنها لم تكن مناما ولا روحـا ، وإنما كانت يقظة بجسده وروحـه ، وإلا لما صدر هذا الاعتراض . فهؤلاء الكفار خدمـونا خدمة كبيرة الآن ، لأننا نقول : لو كانت رؤية منامية لما ناقش فيها أحد .

ومن يقول ذلك يسانده النص القرآنى فى قوله تعالى :

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ .

وعند العـرب كلمـة «رؤيا» لا تأتى مـصـدراً «لرأى» البـصـرية ، بل للمناميـة ، لأن «رأى» البصرية يقـال فيهـا : رأى رؤية . ونص القرآن : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ . وهذه يعنى أنها منامية ، وإذا كانت منامية فكيف تكون فتنة للناس إذا كـانت منامية فلن يناقشها أحـد ، لا تصديقاً ولا تكذيباً .

إذن فكون الحق سبـحانه وتعالى جعل هذه الرؤيا فـتنة فلابد أن تكون هذه الرؤيا حقـيقة . . ولا مـانع أن يكون الرسول ﷺ قـد رأى الإسراء رؤيا ، ثم رآه يقظة ، كما حدث الله فى بعض سور القرآن :

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ . .

رآه فى الرؤيا ، ثم صار حقيقـة وواقعاً ، فما الذى يمنع أن يكون الله قد آنس روحه فأراه فى المنام هذه المشاهد ، وبعد ذلك رآها حقيقة ، كما رأى أنه دخل المسجد الحرام رؤيا ، وبعد ذلك رآه حقيقة . ويكون معنى

آية الإسراء : وما جعلنا الرؤيا التى رأيتها فى المنام إلا فتنة أى واقعاً يفتن فيه الناس ، وبعد أن كانت كذا صارت كذا.

إذن فلا مانع أن يكون الرسول قد تعرض لحدث الإسراء مناماً ، وتعرض له روحاً ، وتعرض له يقظة . . والسيدة عائشة رضى الله عنها تقول لنا فى ذلك : «إنه ما رأى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح»[1] . فإذا كان الرسول ﷺ ، قد رأى رؤيا ، فهى إذن حقيقة.

بهذا يكون الإمكان العقلى موجوداً بإسناد الفعل إلى الحق سبحانه وتعالى ، وإبعاد محمد عن مدار النقاش ، فيكون محمد ، مصاحباً لا علاقة له بالفعل .

بعد ذلك تأتى حيثية أخرى فى قوله تعالى : ﴿بِعَبْدِهِ﴾ .

لم يقل : برسوله ، وبمحمد ، إنما أتى بصفة العبودية . والعبودية كلمة يمقتها الناس حيثما تكون من خلق لخلق ، لأن عبودية الخلق تعطى خير العبد لسيده ، ولكن عبودية الخلق للحق تعطى للعبد خير سيده.

إذن فالعبودية هنا شرف ، وكلما زادت العبودية زادت من العطاء من الله سبحانه وتعالى :

إذن فالحق سبحانه وتعالى حيثما قال :

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ . .

أعطانا شبه الحيثية حتى يمكن الرد على الذين قالوا : إن الإسراء كان بالروح ، لأن كلمة العبد لا تطلق إلا على الروح والجسد معاً.

* * *

(١) انظر : تحفه الأحوذى بشرح جامع الترمذى حديث (٣٥٦٥).

السجود فى الأديان

س : هل السجود خاص بالمسلمين فى دين الإسلام ، أم هو عام فى الأديان كلها ؟.

جـ : السجود موجود فى الرسالات كلها .قال تعالى:

﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ .

وقال عز وجل فى سورة الكهف :

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾ .

فكأن السجود هنا موجود فى الرسالات كلها ، والمسجد كذلك . وكلمة مسجد ، وهى تعنى مكان السجود لم تأت مع الإسلام ، وإنما شاع استعمالها مع انتشار الإسلام.

* * *

الحروف المقطعة فى أوائل السور

س : ما زالت الحروف المقطعة التى افتتحت بها بعض سور القرآن سراً مغلقاً، ورغم ذلك فقد حاول البعض تفسير كل حرف لكلمة مفتتحة بهذا الحرف دالة على كمال من كمالات الله تعالى . . فما هو الحق فى أمر هذه الحروف؟ .

جـ : إن لإدراك العقل حدوداً يقف عندها أمام الفيض القرآنى . . وإن لهذه الحروف أسراراً لم يكشف عنها الحجاب بعد .

وذلك أن الله تعالى أراد لكتابه الحكيم أن يتضمن من الأسرار مالا علم للبشرية ، وعلم رسوله بعض هذه الأسرار ، وكشف الرسول عن بعض هذه الكنوز لأصحابه على قدر عقولهم على الاستيعاب.

وكأن الله تعالى بافتتاحه بعض سور القرآن بحروف توقيفية أراد أن يعلمنا : أن ما أنزل على رسوله من كتاب مبين . . إنما هو معجزة من نفس صنف ما نستعمله نحن العباد . .إنه مكون من حروف نستعملها نحن فى حياتنا ، ولكنه يختلف عنها فى أنه منهج ومعجزة فى آن فى أنه منهاج فى آن واحد. .وله عطاء متجدد فى كل زمان ومكان.

وإذا تأملنا بعض السور التى تأتى بدئت بحروف توقيفية نجد أن الذى يأتى بعد هذه الحروف مباشرة هو تأكيد أن القرآن صنع من مثل الحروف لكن ما جاء بالقرآن من آيات ومعجزات هو فوق طاقة من ينطقون هذه الحروف.

ولنعرض بعض الآيات التى جاء فى مقدمتها حروف توقيفية ولنبرهن صحة ما نقول . قال تعالى :

﴿الٓمٓ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ . ، البقرة وفى سورة أخرى يأتى ذكر القرآن ككتاب منزل من السماء :

﴿الٓمٓ * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ . . «آل العمران»

وهكذا تمضى الحروف التوقيفية فى أوائل السور لتعلمنا أنه لا معلم لمحمد إلا الله ، وأن القرآن المعجز جاء من عند الله وأن أسرار القرآن تنكشف خلال العصور .

* * *

س : وهل وصل العلم إلى عطاء من هذه الحروف غير هذه المعانى التى ذكرها المفسرون قديماً ؟ .

جـ : حاول أحد الشباب المسلمين بالولايات المتحدة الكشف عن شئ من أسرار هذه الحروف عن طريق «الكمبيوتر» .

حاول هذا الشاب أن يحصر عدد من حروف القاف فى سورة «ق» فوجد أن عدد القافات ينقسم على عدد حروف البسملة وحروف البسملة تسعة عشر حرفاً .

وعدد القافات فى سورة «ق» ينقسم على تسعة عشر .

وقد تنبه الشاب المؤمن إلى أن الله تعالى عندما تكلم عن قوم لوط تكلم عنهم فى مواضع ذكرهم فى القرآن بقوله : «قوم لوط» ولكن فى سورة «ق» ، والتى تمتلئ بحرف القاف ، عندما تأتى سيرة لوط فيها فإن القرآن يقول عنهم فيها : ﴿إِخْوَانُ لُوطٍ﴾

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۞ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۞ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾.

ويقول للشباب المؤمن لو جاءت سيرة لوط وقومه في هذه السورة بقوله تعالى : «قوم لوط» بدلا من ﴿إِخْوَانُ لُوطٍ﴾ لما قبلت حروف القافات بهذه السورة أن تنقسم على تسعة عشر وهو عدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم

* * *

توثيق رسم القرآن

س : إذا كنا مؤمنين بتوثيق نص القرآن : وأنه وصل إلينا كما نزل على رسول الله ﷺ ، أفلا يمكن أن يقول أعداء القرآن : إنه لم يصل إلينا برسمه الإملائى الذى أملاه الرسول ودونه كتبة الوحى، واختلاف الرسم تختلف معه المعانى والألفاظ أحياناً ، مما يزعزع الثقة فى توثيق القرآن ؟.

جـ : القرآن بشكله المادى مضبوط ضبطا محكما ، ولو تأملنا مثلا آيات الربا ، فلسوف نجد أن كل آيات الربا رسمت فيها كلمة الربا هكذا «ربوا» ، كلها مكتوبة بحرف الواو إلا فى آية واحدة مكتوبة بالألف وهى:

﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ .

ولو تأملنا كلمة «تبارك» نجدها مرة مكتوبة بالألف وتاره تكتب بدون ألف . .

إذن فالقرآن منزل بوضع يتأكد فى كل عصر وبدليل مادى أنه باق لنا كما أنزل على محمد ﷺ من عند الله بنفس ما جاء به من كلمات وحروف وكتابة ورسم.

* * *

لماذا تحدى القرآن للجن

س : تحــدى الله تعالى للإنس بالقــرآن معــقول ، أمــا الذى نريد أن نفهمه فهو تحدى الجن ، ونحن لا نعرف لغة الجن بالضبط ؟ .

جـ : نعم . . لم يكن التحدى مقــصوراً على العرب وحدهم إنما كان التحدى لكل الإنس والجن أيضاً.

وكلمة تحدى الجن لها ملحظية فى القــرآن ، فالعرب قديماً كانوا يظنون أن كل شاعر بليغ أو أديب فصيح له شيطان من الجن يعلمه . .

وظن العرب أن هناك وادياً للجن اسمه وادى «عبقر» ، تسكنه شياطين الإلهام.

ومن هذا التصور جاءت كلمة «عبــقرى» أى منسوب إلى وادى «عبقر» . ويقول الحق وعلا فى كتابه الكريم :

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ * فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ * وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ * وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ .

إن التحدى لا يقف عند الإنس ، بل يتعدى إلى الجن . . ويفصل الله

بأن الشيـاطين معزولة عن قـرآن ، وأنه إله واحد . . والآيات التى تنزل عليك من الله مـنزهة عن أن تكون من قـول الشيـــاطين ، لأنك لست بشاعـر، فقولك مـرتبط بملك من الملائكة ، على عكس الشـعراء الذين يقولون مالا يفعلون.

❊ ❊ ❊

دلالة الإعجاز فى الحروف المقطعة

س : ما هو الملحظ الإعجازى للقرآن فى إيراد الحروف المقطعة فى أوائل السور ؟..

جـ : الملحظ : هو أن القرآن من جنس كلام العرب ، وبنفس حروفهم، وهى الألف واللام والميم والطاء والسين ، وبقية حروف المعجم.

إذن لم يأتِ رسول الله ﷺ ، بحروف جديدة أو كلمات جديدة ، وإنما أتى بحروف عربية ، وبكلمات من جنس كلمات العرب ، فلماذا جاء النسيج القرآنى أقوى وأبلغ من أى نسيج لغوى يستطيعه البشر ؟.

إن القرآن الذى أعجزتكم به وتحديتم به ، لا يتكون إلا من نفس حروف لغتكم ، ولم آتِ بحروف جديدة ، ولكنى جئت بترتيبات جديدة تعيد انسجام الإنسان مع الكون .

إذن التفوق فى البلاغة والنسيج والفصاحة ليس من طبيعة المادة ، ولكن لأن المتكلم مختلف . المتكلم باللغة العربية خلق وبشر ، والمتكلم بالقرآن الكريم هو الخالق الأكرم.

ولهذا لو نظرنا إلى أديب مهما بلغ من علو شأنه فى الأدب ، فإننا نجد أنه يقول كلاما ومعانى لا تزيد.

هى باقية على ما هى عليه بلا إضافة ، لو قرأها أى واحد منا ولو بعد عشر سنين فإنها تتضمن نفس المعانى.

لكن القرآن لا تنقضى أسراره ، كل يوم تقرؤه تجد له معانى جديدة.

إن ما نصنعه - نحن المخلوقين - يظل ثابتاً على ما هو عليه ..

كذلك أمر الكلام ، يكتبه الخلق من الحروف ، ويكونون به الكلمات ، فيظل على ما هو عليه ، ولا يزيد شيئا .

لكن عندما يأخذ الله من هذه الكلمات لينزل بها قرآنا ، فإنه يعطيها الحياة ، فتظل أيات القرآن تعطى كل يوم عطاء جديداً . .

وهذا هو الفرق بين إبداع الله تعالى ، وبين ما يصنعه الخلق .

* * *

ملحظ يستحق الدراسة

س : لماذا لم يستوعب الله تعالى جميع حروف المعجم فى الحروف المقطعة التى جاءت فى أوائل السور ؟ .

جـ : عندما نحصر الحروف التى جاءت فى مقدمة السور سوف نجد أنها أربعة عشر حرفاً ، أى نصف حروف المعجم العربى .

ولقد أضاف علماء اللغة إلى اللغة اصطلاحات لم تكن موجودة وقت نزول القرآن فى تقسيم الحروف .

فالحروف على إجمالها لها مخارج ، ولها صفات . حرف الباء مثلا مخرجه الشفتان . والهمزة والعين والحاء مخرجها الحلق . وهناك حروف تسمى حرف «رقة» وحروف مستعلية ، وحروف شدة . . ألخ .

هذا التقسيم اللغوى للحروف نجد فيه أن هذه الحروف الأربعة التى جاءت فى أوائل السور تأخذ نصف كل قسم من هذه الحروف . .

فكأن الله قد أعطى لنا من هذه الحروف «عينة» لمكونات القرآن . .

* * *

الأمراض النفسية

س : الذى يقارن بين الناس اليوم وبينهم فى الأجيال السابقة يجد شيوع الأمراض النفسية بينهم الآن ، بينما هذه الأمراض كانت نادرة فيما مضى ، فهل للدين دخل فى هذه الظاهرة ؟ .

جـ : المؤمن حين يقبل على عمل فإنه يقبل عليه وهو يستعين بالمسبب ويتوكل عليه ، وإن اتخذ الأسباب وسيلة ، فإذا فسد السبب فإن المؤمن لا يحزن ولا يكتئب .

أما غير المؤمن فإذا سعى إلى شئ أقبل عليه معتمداً على السبب ، فإذا فشل أصابه القلق والخوف والاضطراب ، أو أقدم على الانتحار ، أو أصيب بمرض نفسى . .

ولذلك مثلا نجد أن أعلى الإصابات بالجنون هى فى السويد وفى أمريكا . .

ويعجب بعض الناس من ذلك ، كيف يمكن أن تكون هذه النسبة مرتفعة بهذا الشكل ، مع أن الحياة المادية فى هذا الدول ذات مستوى عال . .

والذى يتفق مع العقل والمنطق أن تكون الدول التى يسمونها «المتخلفة» هى التى توجد فيها أعلى نسبة للانتحار والجنون ، لأن الحياة المادة فيها صعبة وعسيرة . ولكن العكس هو الصحيح . .

والسبب أن هذه الدول المادية قد عبدت العلم ، وتركت الدين ، وإذا غاب الإيمان عن النفس البشرية غابت عنها الطمأنينة والسعادة والرضا ، ودخلت فى معركة ، وهما منها أنه يمكن أن تخضع الكون لإرادتها ، فإذا فشلت كانت الصدمة ، وكان الجنون والانتحار . .

دلالة الثراء والفقر

س : فى مجتمع المؤمنين الصالحين نجد بعضهم وقد فتح الله له أبواب الرزق والثراء ، وبعضهم وقد ضيق الله عليه الرزق مع أنهم جميعاً صالحون . . فما دلالة هذا التفاوت ومراميه ؟ .

جـ : هناك إنسان يفسده الرزق الكثير ، ويدفعه إلى طريق المعصية والهلاك ، فإذا منع الله عنه فيض الرزق كان ذلك رحمة به لاضررا له .

وهناك إنسان قلة الرزق تجعله يتجه إلى المعصية والهلاك فإذا فتح الله له فى الرزق كان منجاه له فى النار .

كلا الشخصين يريد الرزق ، وكلا الشخصين مؤمن ، ولكن الله سبحانه يحب عبادةهويعطى أحدهما ويمنع عن الآخر ، وفى العطاء رحمة، وفى المنع رحمة .

والإنسان المؤمن يمضى فى الحياة وفى قلبه هذا الشعور ، وهو يعلم يقيناً أن الله ولى الذين آمنوا فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وهو يعلم مالا نعلم ، فإذا لم يوفقه فى شئ فمعنى ذلك أنه دفع عنه شراً ، لذلك فإن المؤمن يقول : الحمد لله دائماً ، إذا أعطى وإذا منع ، وينطبق عليه قول الله تعالى :

﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾.

فتنشأ النفس المؤمنة بعيدة عن القلق ، بعيدة عن الإحباط ، بعيدة عن كل ما يمزق النفس البشرية ويهدمها ، ويدفعها إلى الجنون أو الجريمة .

مشروعية التسمية

س : بدلت سور القرآن بالبسملة ، وشرعت البسملة بداية الأعمال، فما الذى يعود على الإنسان من الخير فى هذا التشريع ، وما الخطر فى إهمالها ؟.

جـ : حكمة هذا التشريع أنه سبحانه وتعالى يذكرنا بأن ندخل عليه من باب الرحمة ، أكثر من أن ندخل عليه من باب العمل ، فالإنسان خلق ضعيفاً ، والإنسان خلق خطاء ، وخلق ظلوما ، ورسول الله ﷺ قال : «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله . قيل ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدنى الله برحمته»[١] .

وأنت إذا استعنت بالله تستعين برحمته ، لأنك لو استعنت بعدل الله، فعدل الله لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولن تجد لك سبيلاً إلى رضوانه ، فذنوب الإنسان لا تحصى ، إذا تكلم فقد ينم ، وإذا حكم فقد يظلم ، وإذا ظن فقد يسئ ، وإذا تحدث فقد يخطئ ، وإذا شهد فقد يبتعد عن الحق .

هذه أشياء يرتكبها الواحد منا مئات المرات ، وبدرجات متفاوته ، فما من إنسان لم يصدر عنه فى يوم من الأيام كلمة تحمل معنى النم ولو مرة، ولم يصدر عنه حكم بعيد عن الصدق فى أى شئ من أمور الحياة ،

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى، كتاب المرضى، باب تمنى المريض الموت حديث (٥٢٤١)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنه بعمله حديث (٥٠٤٠)، وأحمد حديث (١١٠٦٢)، والدارمى، كتاب الرقاق، باب فى أكل السحت حديث (٣٦٥٧).

ومن منا لم يسئ الظن بإنسان كل يوم ؟ ومن منا لا يخطئ الحديث ، ولا يبتعد عن الحق ولو خطوة واحدة ؟

ومن منا ذلك الذى يستطيع أن ينسب الكمال إلى نفسه ، وأن يخلص هذه النفس من هواها ، وأن يبعدها عن الخطيئة ؟ من ذا الذى يستطيع أن يدعى أنه منذ أن استيقظ حتى نام لم يخطئ ، ولم يرتكب إثما ولو صغيراً ، ولم يهدر حقا لإنسان .

لذلك كان لا بد من باب الرحمة ، وأن يكون هذا الباب مفتوحاً على مصراعيه ، يهرع إليه كل عاص ليقول : يا رب لقد عدت إليك ، وأنا نادم على ما فعلت ، فتبلنى .

وإذا نظرنا إلى بداية الإسلام وجدنا أن رجالا ونساء الذين حاربوا هذا الدين فى أوله ، قد حسن إسلامهم ، ودخلوا فى الإسلام عونا له بعد أن كانوا حربا عليه ، وغفر الله لهم ما كان منهم ، وفتح لهم أبوب رحمته ، ليصبحوا من أثمة هذا الدين.

لهذا قرن الله البسملة باسميه «الرحمن الرحيم» حتى إذا قلت لأى عاص : ابدأ عملك باسم الله فقال لك : لقد صنعت كذا وكذا ، وأنا أستحى أن أستعين بالله بعد أن عصيته . إذا قال لك هذا تقول له : إن الله تعالى علم ذلك أزلا ، ففتح الباب لكل عاص يريد أن يتوب إليه ويستعين به ، فقرن اسمه جل جلاله بالرحمن الرحيم.

لا تعتقد أن الله تعالى قد طردك عن رحمته ، أو يخلى عنك إذا رفعت إليه يدك ، واستعنت به ، أو غضب عليك حتى أنه لا يستجيب لك عندما تستعين به فى أمر من أمور الدنيا ، بل الله تعالى يطلب منك أن تستعين به ، ولذلك وضع لك صفة الرحمن الرحيم ، لتعلم أن بابه مفتوح دائما ، وأنك تدخل إليه من باب الرحمة ، فلا تقل : إنى أستحى أن أستعين بالله .

لماذا لا يحس الإنسان بالنعمة ؟

س : يعيش الإنسان بالنعمة الإلهية وفيها في كل لحظة ولمحة وطرفة عين ، ولكنه ينساها ، ومن ثم ينس شكرها دائما حتى يزداد منها ، فلماذا كان هذا النسيان ؟

جـ : الإنسان لا يحس بالنعمة ، لأنه يعتاد عليها ويألفها ، فيعتقد أنها حق مكتسب له ، وينسى المنعم ، ولكن الحق أن كل إنسان على وجه الأرض يسبغ الله عليه ملايين النعم وإن لم يعطه شيئا جديداً.

فعندما يكون نائما ويستيقظ فقد عادت له نعمة الحياة وإذا قام من سريره فهذه نعمة الحركة ، وإذا ذهب ليغسل وجهه فقد أنعم عليه بما يغسل به وجهه ، نعمة الماء ، نعمة الصابون ، «الفوطة» التى تجفف بها وجهك . فإذا خرجت لتناول إفطارك فهناك نعمة الحركة ، ونعمة الحياة التى استطعت بها أن تنتقل وإذا طلبت الإفطار فهناك نعمة الكلام ، ونعمة اللغة التى تتحدث بها ونعمة الاستجابة بأن سخر الله بك من يقدم لك الإفطار.

وهناك نعمة الفم ، والأسنان ، والبلعوم ، والمعدة ، والعصارات الهاضمة ، كل هذه أمثلة من ملايين النعم لا تفكر فيها ولكن بعض الناس يفعل هذا كل يوم دون أن ينتبه إلى نعم الله ، يفعل كل هذا وهو جاحد لنعمه .

ولو أخذت بضع ذقائق كل يوم لترى فيها آلاف النعم على الإنسان ، فكيف باليوم كله ، وكيف بالعمر كله.

العزة للمؤمنين

س : يقــرر القــرآن الكريم أن العــزة لله ولرســوله وللمــؤمنين ولكن الإنسان قــد افترض عليــه أن يذل لله تعالى عــبودية له ، فكيف تتفق هذه الذلة مع العزة التي يريدها الله للمؤمنين ؟ .

جـ : أنت إذا طلبت معروفاً من أحد فإنه يجب عليك أن تذهب إليه، وتخبره بأشياء هي من أدق خصوصياتك ، وفي هذا ذلة للنفس، وقد تلح عليه في السؤال ، وفي هذا ذلة أكبر

ولكن الله تعالى حين تتجه إليه يقيك هذا الذل كله ، فبمجرد أن ترفع يدك إلى السماء وتقول : يارب ، فـإنه يعلم ماذا تطلب ، ويجيبك دون أن تسأل ، لأنه يعلم.

وقد قـيل : أن ابراهيم عليــه السلام حين ألقي في النــار جاء جبــريل وسأله هل يريد شيئاً ؟ فقــال : منك أنت لا . أما من الله فعلمه بحالي يغني عن سؤالي .

هذه هي عزة الاتجاه إلى الله ، فنبي الله إبراهيم حين جاءه جبريل وهو من أقرب الملائكة إلى الله إن لم يكن أقربــهم ، لم يشعر إبراهيم أنه في حاجة إلا إلى الله تعالى ، لأنه سبحانه ليس محتاجاً إلى سؤال

* * *

الله وهبنا طريق الأمان

س : بين زحام الحياة يغفل الإنسان عن طريق الخلاص من الاضطراب إلى الأمان ، هذا الطريق الذى حدده القرآن فى آيات متناثرة ، فهل نجد فى التراث الفكرى الإسلامى من جمع لنا شتات هذا الطريق فى كلمات مبسطة واضحة ؟.

جـ : نعم . .هذا سيدنا جعفر الصادق يقول :

عجبت لمن خاف ولم يفزع إلى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ . . فإنى سمعت الله يعقبهم بقوله ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ .

وعجبت ممن اغتم - والغم كآبة فى النفس من شئ قد لا تعرف مصدره - ولم يفزع إلى قول : ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ . . فإنى سمعت الله بعدها يقول ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وعجبت لمن مكر به - أى مكر الله به - ولم يفرغ إلى قوله الله سبحانه ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ . .فإنى سمعت الله بقوله : ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ . .

وعجبت لمن طلب الدنيا وزينتها ، كيف لا يفزع إلى قول الله تعالى . . فإنى سمعت الله بعدها يقول :

.

هذه صفات أربع تعطى النفس البشرية الوقاية مما يفسد عليها حياتها

فى الدنيـا ، والله تعالى علمـهـما لنا فى كـتابه ،كـمـا علمنا من العلم الكثير، فالحمد لله على جميع نعمائه.

* * *

حكمة الكوارث الطبيعية

س : رحمة الله سبـقت غضبه ، وهى أوسع من ذنوب الكون كله ، فـما هو السـر إذن فى وجود الكوارث الـطبيـعيـة بين الناس ، كالزلازل والبراكين والأعاصير والفياضانات ؟ وهل هناك تعارض بين وجودها وبين الرحمة ؟.

جـ : وجـود هذه الكوارث فى الكون بين الناس هو عـين الرحمـة ، فالله تعالى سخـر الطبيعة لخير الإنسـان ، ولا يحدث الله تعالى زلزالا يدمـر الأرض كلها ، أو فيـضاناً يغـزقهـا كلها ولا يبـعد الشمس عن الأرض بحيث تبقى الدنيا فى ظلام .

ولكن الذى يحـدث : أن الله تعـالى يحـدث فى الكون إعـصـاراً أو سيـلا، أو زلزالا ، بشكل محدود جـداً ، وليس بشكل شامل ، وذلك ليلفتنا إلى نعمه ، ويقول لنا : إنكم لا تسيطرون على الأرض بقدرتكم، ولكن بتسخيرها لكم .

ولكى تعلم ذلك أيها المؤمن ، فامنع إعصاراً ، أو أوقف فيضاناً.

وكل هذه الأمور تتم فى حدود ضيقة ، وبينهما فترات زمنية طويلة ، لتعلن للناس رحمة الله بتسخير النعم لهم ، ولفت أنظارهم إلى أنه وحده سبـحانه المنعم ، وتلفتـهم إلى قدرته ، وكيف أن هذه الزلازل والسـيول

تستطيع أن تدمر الأرض كلها ، وكيف أن الإنسان أمامها ضعيف عاجز ، لا يملك حيالهـا حولا ولا قوة ، ثم، كيف بعد ذلك أن الله برحـمته هو الذى يمنع كل هذا .

فإذا وضعنا هذه الصورة أمامنا علمنا مدى الرحمة الإلهية .

* * *

التكليف والحدود .. أعظم النعم

س : التكليف الإلهى نعـمة .. نحن نؤمن بهـذا ، ،ولكن أليس من حق الأمم الأخرى أن تقول : والقوانين الى سنتها لمجتمعاتها هى الأخرى نعمة؟

جـ : إننى أطالب أى إنسان يريد أن يعرف ما تصنعه تعاليم الله تعالى فى الكون من خيـر ، أن ينظر إلى المجتمعـات التى تطبق تعاليم الله ، والمجتمـعات التى لا تطبقها ، ليـعرف الفارق ، ولا ينظر نظرة سطحية ، ولكن لتكن نظرية عميقة.

ولنضرب مثلا يقرب هذا أى الأذهان ، ولله المثل الأعلى .

منذ عـدة سنوات ، انقطعت الكهـرباء فى مـدينة نيـويورك بالولايات المتحدة الأمريكية .. فكم جريمة اغتيال وقتل وسرقة ونهب وقعت خلال خمس أو ست ساعات من الظلام ؟

انطلق المجتمع كله يقتل بعضه بعـضا ، وينهب بعضه بعضا ، ويسرق بعضه بعضا ، ويفتك بعضه بالبعض الآخر.

هذه تجربة حدثت فعلا فى مجتمع يوصف بأنه مجتمع متقدم .

ولو أن التيار الكهربائى انقطع لمدة خمـسة أيام لا خمس ساعات فقط فى بلد يطبق حدود الله حيث تقطع يد السارق ، ويرجم الزانى المحصن، لما حدثت جريمـة سرقة واحدة ، ولعاش كل طفل وامـرأة وشبح فى أمن وأمان ، ولتـاونوا جمـيعاً على قـضاء حوائجـهم فى الظلام ، ودون أن يخاف أحد من أحد.

هذا هو الفارق بين الحيـاة فى مجتمع يطبق حدود الله ، ومـجتمع لا

يؤمن بهـا ، هذا هو الذى يريد الله تعـالى أن يوفره لكل مـؤمن الحيـاة الطيبـة ، وهو ما لا يتوافر أبداً فـى أى مجتمع لا يقـيم حدود الله ، لن تجد فيه أمنا ولا أمـانا ، ولن تجد فيه حياة طيبـة ، بل تجد الخوف يسيطر على كل إنسان ، تجد كل إنسان نتربص بالآخر وكل إنسان يحمل سلاحه ليدافع ، أو ليهاجم غيره.

فإذا كان الله تعالى قد قال: افعل ولا تفعل ، ووضع لنا منهاجاً يهيئ لنا الحياة الطيبة ، فلماذا نتـرك هذا المنهج ، ونتصادم مع الحياة ، فينقلب الأمل إلى الخوف ، والطمأنينة إلى ذعر والحياة الطيبة إلى حياة بائسة ؟

* * *

أحاسيس الجماد

س : نلاحظ فى شـريعة الإسلام فـضل بعض الأماكن على الـبعض الآخر ، كـفضل عرفـات وفضل «طور سيناء» ، وفـضل البيت الحرام ، إلى آخـر ما هو معروف ، فـهل يرجع هذا الفضل إلى خواص ذاتية ، أو أحاسيس ذاتية فى تلك الأماكن؟

جـ : الله تعالى جـعل لكل خلق من خلقه إدراكـات ، ولكن ضنون الناس لا تتـسع لهـذه الإدراكـات ، فكل خلق نراه أمـامنا أو لا نراه، يتفـاهم مع خالقه ، من أننا لا نستطيع أن نتـفاهم مع هذا الخلق.

والدليل على ذلك أنه فى الخلق الأول - خلق الـسـماوات والأرض - قالـتا : ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ .. ونسب لهما ذلك قولا باسـتخدام قول الله سبحانه وتعالى : للفظ ﴿قَالَتَا﴾ مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ .

وهل يقال لشئ أو يقول الشئ ، إلا أن يكون هناك فهم من القائل ؟

الله سبحانه وتعالى أخبرنا أنه علم سليمان منطق الطير ، وأن سليمان فـهم عن النملة ، وتفاهـم مع الهدهد ، وأن الجـبال تسـبح مع داود ، والطير كذلك ، وهى كلها عوالم لها إدراكات مناسبة لمهمتها .

بل إننى أحب فى هذه النقطة أن أقـول : إن لهذه العـوالم عواطف ، مع أن العواطف قد اشتهر عنها عند الإنسان فقط .

ولكن انظر إلى قول الله سبحانه وتعالى عندما يتحدث عن إخراج قوم فرعون من مصر .قال تعالى :

﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾ .

إذن السماء والأرض لهما لكاء ، لأن الله تعالى قال : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾ .

وما دامت السماء والأرض لم تبكيا عليهم فمن صفاتهم البكاء .

ولو أن السماء والأرض لاتبكيان على أحد لم تكن هناك خصومية فى الآية الكريمة . ولكن قول الله ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾ يدل على أن السماء والأرض تبكيان.

وإذا كان كذلك فللأماكن خواص ذاتية خلقها الله فيها وفضلها بذلك على غيرها من الأماكن . والله أعلم بحقيقة الخواص المودعة فى الأماكن المفضلة فى الشريعة .

* * *

الكافر يخشى الآخرة

س : قلتم إن لفظ الكفر مؤمن.. وهو قول صادق.. فهل يمكن القول بأن غير المؤمن وهو الكافر يخشئ حساب الآخرة باعتبار الإيمان بالآخرة هو أساس الإيمان كله؟

جـ : أخشى ما يخشاه الكافر هو حساب الآخرة.. وقد يبدو هذا الكلام غريبا، ولكن ما من إنسان لا يؤمن بالله إلا ويؤرقه الموت، وينغص عليه عيشه.

إنه سيخرج من الدنيا يوما، ولكن إلي أين؟ وهذا هو السؤال.

ولذلك فهو يحاول أن يأتي بالدليل تلو الدليل، ولو زيغاً أو تضليلا أو إضلالا.. هو أول من يعرف ويعلم كذبه، ولكنه يحاول أن يقنع بذلك، وبأنه لا آخرة، ولا حساب، حتى يُهَوِّن على نفسه ارتكاب المعاصى.

ولو أنه عرف ما سيحدث فى الآخرة لما امتدت يده إلي حرام فى الدنيا.

* * *

كل يوم هو فى شأن

س : ما معنى قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ سورة الرحمن؟

جـ : أولا لننظر إلى كلمة (اليـوم) هو اليوم بحساب الـساعات (٢٤) ساعـة؟ أى إن كل (٢٤) ساعة هو فى شـأن. . أم إن معناها إنه كل نهار هو في شأن؟ فيكون معني اليوم النهار أم أن معناه الليل والنهار.

إذا كان معنى اليوم هو النهار والليل فالله سبحانه وتعالى شأنه لا ينتهى لا ليلا ولا نهار.

وإذا كان معنى اليوم هو النهار فقط فالأرض كرة، نصفها ليل ونصفها نهار، ولذلك فإن النهار موجـود دائماً على الأرض. وهذا معناه أن شأنه لا ينتهى أبدا.

وإذا أردنا الدقـة وتتبع دوران الأرض حـول نفسـها وحول الشـمس، لوجدنا أن بدايات الأيام تختلف فى كل بقعة من بقاع الأرض. فالشمس تشرق على بدايـة هذه البقعـة بداية يوم جديد وبعـد دقائق تدور الأرض وتشرق الشمس على بقعة ثانية، ثم ثالثة، ثم رابعة.

وهكذا لو تتبعنا خطوط الطول التى رسمها الإنسان على سطح الأرض لوجدنا فى كل دقيقة إشراقة جـديدة للشمس فى كل مكان، وغياباً جيداً للشمس فى مكان آخر.

وإذا وقفنا أكثر وأكثر، لوجدنا أن كل جزء من المليون من اللحظة يبدأ فيـه نهار، فى مكان وينتـهى ليل فى مكان، فالله سـبحانـه وتعالى حين

يقول: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾إذن هو فى شأن لا ينتهى، لأن حركة الليل والنهار مستمرة على الأرض لا تنتـهى أبداً، لأن كل لحظة يبدأ فيها يوم، وبعدها بلحظة يبدأ يوم.

ولذلك فالله سبحانه وتعالى فى شأن دائما، ما دام قد قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فهو فى شأن دائما لا ينتهى أبدا.

* * *

أيام الله

س : اليوم كما حدده الله سبحانه فى القرآن عبارة عن ألف سنة، أو خمسين ألف سنة. . أو اليوم المعدود فى الدنيا (٢٤) ساعة. فما هى حقيقة اليوم عند الله؟

جـ : لقد أراد الله تعالى رحمة بعقول البشر أن يقرب لهم بعض المعانى التى تعطى مؤشراً للعقل بالنسبة لقضايا الغيب ، فقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ .

وقال جل شأنه:

﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ .

هل اليوم هنا ألف سنة، أم خمسين زنف سنة؟

الله سبحانه وضح لنا هذا الاختلاف فى العدد ليشرح لنا أنه لا يحده زمن، فهو إن أراد يوما كألف سنة قال له (كن) فكان ألف سنة فى يوم واحد، وإن أراد يوماً مقداره (خمسين ألف سنة) قال له (كن) فكان يوما يساوى خمسين ألف سنة مما نحسب نحن وبعد.

ولو أراد غير ذلك أكثر أو أقل قال له (كن) فكان.

إذن فمقاييس الزمن لا تحكم الله سبحانه وتعالى، ولكنه هو الذي يحدد مقدار الزمن. وما دامت مقاييس الزمن غير موجودة ولا تحد قدرة الله، فالله يستطيع أن يخلق يوما مقداره ألف سنة، ويوما مقداره خمسون ألف سنة، أو ميلون سنة، أو كما يشاء، فلا مقاييس للزمن هنا، ولكن الله سبحانه وتعالى هو يخلق ويختار.

عظمة المنهج المحمدى

س : للرسـول ﷺ فوائد تربوية لا توجد فى أرقى المناهج على المستوى العالمى كله.. فهل نطمع فى واحدة من هذه الفوائد لتكون نوراً للمسلمين على الطريق؟

جـ : نعم .. أهدى إلى رسول الله ﷺ شاة من بعض المسلمين، وكانت عائشة رضى الله عنها تعرف أنه ﷺ يحب لحم الكتف الرقيق فلما جاءته سألها : «ماذا صنعت بالشاة»؟ قالت: تصدقن بها، وبقى كتفها قال: «بل كلها بقيت إلا كتفها»[١] .

السيدة عائشة أرادت أن تقول لرسول الله ﷺ : أن كتف الشاة هى التى بقيت .ولكن رسول الله صحيح لها المنطق وقال: لقد بقيت الشاة. أى ما تصدقنا به هو الباقى، ولكن الكتف التى أبقيناها لنأكلها هو هذا الجزء الذى ضاع، لأنها لم تحتسب حسنة عند الله سبحانه وتعالى .

كل الشاة بقيت لنا جزاء على الصدقة وهذا هو الباقى. أما الذى أكلناه، فهذا هو الذى ذهب. لأن الأصل فى الإسلام أن تعمل للآخرة، فما تصدقنا به للآخرة فهو باق، أى جزاؤه مستمر . أما ما أكلناه فقد انتهى.

ولهذا يقول الرسول ﷺ : «وهل لك من مالك إلا ما لبست فأبليت وأكلت فأفنيت، وتصدقت فأبقيت»[٢] .

إذن فالباقى من المال هو الصدقة وحدها.

---

(١) صحيح أخرجه الترمذى ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع حديث (٢٣٩٤) ، وأحمد حديث (٢٣١٠٧).

(٢) صحيح أخرجه مسلم ، كتاب الزهد والرقائق حديث (٥٢٥٨) ، والترمذى ،كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ألهاكم التكاثر حديث (٣٢٧٧) ، والنسائى ،كتاب الوصايا ،باب الكراهية فى تأخير الوصية حديث (٣٥٥٥) ، وأحمد (١٥٧١٦).

الرؤيا .. في الإسراء

س : فى قوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ . . استدل القـائلون بأن الإسراء كان مناما بـأن(الرؤيا) مصدر «رأى» المنامية . . أما رأى البصرية فـمصدرها (رؤية) . . وقد عرفنا الرد عليهم عقلا ، وبقى أن نبـحث عن رد لغوى عليهم، فهل هناك رد لغوى عليهم؟

جـ : نعم . . إذا رجعنا إلى اللسان الجاهلى قبل أن ينزل القرآن، تجد كلمة الرؤيا وردت فى الرؤية البصـرية . . فالراعى النمرى - وهو شاعر ساخر جاهلى - يقول فى قصيدة له:

فكبر للرؤيا وهش فؤاده   وبشر نفساً كان قبل يلومها

إذا فقد اسـتعملت الرؤيا بمعنى البصرية، وبمعنى المنامـية، ولكن عادة يستعملون الرؤيا فى الأشياء العجيبة، كأنها من الأشياء التى لا تحصل إلا مناما، كما تقول: أنا رأيت فى الحلم. أى رأيت زمرا عجيباً لا يدرك إلا فى الأحلام . . فهو من الغرابة بحيث يصبح حلماً من الأحلام.

* * *

كلام عن المعراج

س: احتفل القرآن الكريم بحدث الإسراء، ولكنه لم يحتفل بذكر المعراج احتفاله بذكر الإسراء، فإذا كان المعراج من الأهمية بحيث يستوجب الذكر الصريح، فلماذا لم يحدث ذلك فى القرآن؟

جـ : القرآن تعرض لحدث الإسراء صراحة، وحينما جاء لحدث المعراج تعرض له التزاما كما يقولون، لأنه لم يقل: سبحان الذى عرج به من بيت المقدسى إلى سدرة المنتهى.

لم يقل هذا، إنما قال لنا أشياء تستلزم أنه صعد.. لكن سدرة المنتهى والوقوف عندها، لم يأتِ به نصاً.

وهذا من رحمة الله تعالى بعباده ، فالأمر الذى الذى أمكن لرسول الله ﷺ أن يقيم الدليل المادى عليه لسكان الأرض، وهو الإسراء، أتى به القرآن صراحة، حتى لا نعذر فى تبليغه.

أما الأمر الذى قد تقف فيه العقول بعض الشئ فقد تركه لمدى يقينك الإيمانى، أو مدى تسليمك بالمقدمة التى تلى النتيجة الأخرى، لأنك ما دمت مؤمنا فستقول: ما دام قد صنع به كذا فيما أعلم، فهو قد صنع به كذا وكذا فيما لا أعلم.

وهل المعجزات التى أمد الله بها رسله عليهم الصلاة والسلام إلا خرق لنواميس الكون، وخرق لقوانينه، وخرق لحقائقه الثانية؟.

وما دامت خرقا، إذن فلا أستبعدها أن تحدث لرسول الله ﷺ ، وما دام الحق هو خارق الناموس، ويخرق الناموس، فيكون الذى آمن بأن

الرسول ، أسرى به من مكة إلى بيت المقـدس ، واستطاع أن يقيم الدليل المادى الأرضى، واجب عليه الإيمان بالمعراج دون دليل مادى.

وإلا ، ففـى المعراج من الذى صـعد إلى السـماء من الناس ليـعطى أماراتها؟

هل سيقولون له: صف لنا سدرة المنتهى؟.

هل سيقولون له: صف لنا الطريق إليها؟.

إنهم لا يعرفون الطريق إليها حتى يسألوه هذا السؤال.

فالحق سبـحانه وتعالى رحمة بنا جـعل النص على الإسراء الذى يمكن أن يقوم عليه الدليل المادى لأنه أرضى - بالنص الصريح - وجعل المعراج - لأنه سماوى - بالالتزام.

ولذلك قال العلمـاء: الذى يكذب الإسراء يكون كافـراً ، لأنه صادم النص، والذى يكذب المعراج لا يكون كـافراً، ولكن يكون فاسـقاً، لأن الإسراء بالنص الصريح، والمعراج بدلالة الالتزام.

❊ ❊ ❊

من أدعية الرسول

عن على رضى الله عنه قال: كان النبى ﷺ إذا كبر قال: «وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً، وما أنا من المشركين، قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين. . اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت. . أنت ربى وأنا عبدك. . ظلمت نفسى، واعترفت بذنبى، فاعفر لى ذنوبى جميعا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئتها، لا يصرف عنى سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله فى يديك، والشر ليس إليك،أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أسغفرك وأتوب إليك»(١).

* * *

(١) صحيح أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه حديث (١٢٩٠)، والترمذى، كتاب الدعوات حديث (٣٣٤٤)، والنسائى كتاب الافتتاح، باب نوع آخر من الذكر والدعاء بين التكبير حديث (٨٨٧)، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يستنفع به الصلاة من الدعاء حديث (٤٦٩)، وأحمد حديث (٧٦٤).

الكوافير للنساء

س : هل يعتبر تصفيف المرأة شعرها لدى «الكوافير». حلالا أم حراما؟

جـ : إن المرأة تذهب إلى «كوافير» رجل، وهذا حرام قطعاً ، لأنها سمحت لرجل أجنى عنها برؤية شعرها ولمسه وتصفيفه واشتهائه.

أما إذا كان (الكوافير) امرأة مثلها، وكان ذلك فى مكان مأمون، بعيداً عن أعين الرجال، فلا مانع منه..

ويجب على المرأة العاقلة أن تعرف أن حرص الإسلام على عدم تبذل المرأة ليس أنها مالها.. فإذا اطمأننا على دين المرأة وخلقها فهل نطمئن على دين وخلق من يراها على غير ماأمر الله به من احتشام؟

أما احتجاج بعض النساء برأى بعض العلماء فنقول لهن:

ما دامت المرأة قد رأت فى العلماء التى تقول عنهم حجة، فلتتبعه، لو تصورت أنه سيحمل عنها ذنبها عند لقاء الله تعالى.

* * *

- إذن ماذا يجب على المؤمن الحريص على دينه عندما يجد رأيين مختلفين فى أمر من الأمور، وقال عنه أحدهما: إنه حلال وقال الآخر إنه حرام.. كما يحدث كثيراً؟

جـ : هنا يجب أن نتذكـر قول سيدنا رسـول الله ﷺ : «الحلال بين، والحرام بين، وبينهمـا أمور مشتبـهات، فمن ترك الشبهـات فقد استبرأ لدينه وعرضه»[١] ..

فإذا قـال واحد عن أمـر : إنه حلال. وقـال الآخر: إنه حـرام، فإن الأحوط للدين أن نتقي الشبهات

* * *

(١) صحيح أخرجـه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب فصل من استـبرأ لدينه حديث (٥٠) ، مسلم كتاب المساقـاه، باب أخذ الحلال وترك السبهات حديث (٢٩٩٦) ، وأبو داود ،كـتاب البيوع ، باب في اجـتناب الشبـهات حـديث (٢٨٩٢)، وابن مـاجه ، كـتاب الفتن ،باب الوقـوف عن الشبهات حديث (٣٩٧٤)، وأحمد حديث (١٧٦٤٥).

الحناء والمانكير

س : يبيح العلماء لزينة النساء ويمنعـون المانيكير» فما هو السبب، مع أن كلا منهما زينة ثابتة؟

جـ : الحناء صـبـغ، وليس طلاء. . والصـبغ يتـخلـل جلد الإنسـان فيمتـصه، ويصبح جزءاً منه، ولا يمكن إزالته إلا بتـجدد أنسجة الجلد بمرور الوقت.

أما الطلاء فيمكن إزالته بالمواد الكيماوية أو غيرها.

ولذلك فإن الصـبغ لا يمنع وصول الماء فى الوضـوء والغسل إلى الجلد أو الجسم، ولكن الطلاء يمنعه: وهذا هو السبب.

❊ ❊ ❊

الحجاب فى القرآن

س : تقول سائلة : إنى أريد أن أعرف الآية التى تذكر الحجاب للمرأة فى القرآن، لأنى بحثت عنها ولم أجدها وتقول: إن بعض العلماء اختلفوا فى تقييم هذه الأعمال، فقد قال بعض : إنها ليست فاحشة، وقال البعض: إنها معصية يجب التوبة منها فأيهما نتبع؟

جـ : يقول فضيلة الشيخ الشعراوى للسائلة : هل أنت مجتهدة فى دينك ؟ أم أنت مقلدة سائلة؟

ليس مطلوبا من المقلد أن يعرف دليل الحكم، وذلك لعدم توفر الأدوات اللازمة لديه، بينما نجد من العلماء من تخصص فى ذلك تماماً، مثلما يتخصص الطبيب فى علاج العين والأذن والبطن وغير ذلك.

أنت تقرئين القرآن قراءة تعبدية، ولا تقرئينه قراءة استنباط، وبقراءتك التعبدية يمكنك فهم بعض الأحكام حسبما يريد الله لك. . ويبدو أنك عندما قرأت القرآن لم تفهمى معنى قول الله تعالى: ﴿وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾.

فهنا تحديد لطول الجلباب من أسفل، كما حدد المطلوب من أعلى فقال: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾.

ومطلوب من المسلمين جميعاً أن يرجعوا إلى علماء الدين الموثوق بهم، لكى يعرفوا منهم ما يريدون فهمه، وفى ذلك قال الحق تبارك

وتعالى: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ .

فلابد إذن من وجود متخصصين مأمونين على دينهم لذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ .

فأنت إذا مرضت لا تبحثين فى كتب الطب عن مرضك وعلاجه، فلو فعلت فقد تخطئين، وقد تصيبين ، ولكنك إذا أخطأت فمن الممكن أن تتسببى فى مشاكل كثيرة.. وذلك إلي جانب الجهد المضنى الذى تبذلة لذلك، لعدم تخصصك فى هذا الشأن.

لذلك فكلنا يسلك الطريق السهل والمؤتمن، بأن يذهب إلى المتخصص للعلاج.. وهذا ما يجب علينا فى أمر الدين كذلك.

* * *

الفاتحة بين العروسين

س : ما هو حكم قراءة الفاتحة عند خطبة الزواج؟ . . وما آثاره؟ .

جـ : الخطبة الشرعـية هى القول بأن فى النية تزويج هـذه الفتاة لذلك الفتى: وهى ليست عقداً.

وقد توسع الناس فى معنى الخطبة، فأعطوها من الحقوق ما ليس لها، وحق الخطبة: أن يـنظر الخاطب إلى المخطوبة مع مـحرم لها مـرة واحدة فقط.

أما ما نعلمـه الآن من أن الخطبة وسيلة للاختـلاط والدخول والخروج والصحبة، فهذه مسألة ليست واردة.

فلابد أن تحـدد الناس معنى الخطـبة، وهى إبداء الرغبـة فى أن تكون زواجاً، وليـست زواجا، فلا يتـرتب عليها حـقوق، وإن كان كـما نعلم إيجاب وقبول ولم يكتب فى وثيقـة، فهو زواج لأن الكتب فى وثيقة هو تسجـيل للحق المدنى، ولكن ديانة إن تمت الخطبـة بإيجاب وقـبول، ولم توثق تصبح زوجته.

ولذلك إذا تركـها فـإنه لا يفسخ الخطبـة، ولكنه قد يطلق، فـلابد أن نضع للخطبـة حدوداً، ولابد أن نـضع للخروج منهـا حدوداً إن أخـذت صيغة من صيغ العقد.

فإن لم يكن فحدودها أنه لا يحل له الاختلاط بها كما ترى ما يحدث الآن.

* * *

سجدة التلاوة

س : إذا قرأ المصلى فى صلاته آية من آيات السجدة، فهل يسجد للتلاوة أثناء الصلاة؟ أم إن سجدة التلاوة واجبة عند التلاوة فقط خارج الصلاة؟

جـ - إذا قرأ المصلى منفرداً أو قرأ الإمام آية سجدة فى صلاة جهرية فإنه يؤديها . . أما إذا كانت صلاة سرية فلن يعلم المأموم بها فلا تؤدى.

أما إذا صلى الفرد منفرداً فعليه أن يسجد سجدة التلاوة فى الصلاة الجهرية والسرية جميعاً.

* * *

آداب الدعاء

س : هل هناك آداب للدعاء فى المواقف المختلفة عند قراءة القرآن؟

جـ : لا مانع من أن ينفعل الإنسان للقراءة . . فإذا قرأ إنسان مثلا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فيقول سامعها سبحان الله .

وعندما يقرأ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ . . يقول: سبحانك ربنا وبحمدك . وعندما يقرأ ﴿ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ يقول: أستغفر الله العظيم. وإذا قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ يردد قائلا: اللهم صلى على النبي وسلم . .

وفى آيات مثلا انفـعل الكاتب لها رسول الله ﷺ يقرؤها عليـه فقال: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ فقال رسول الله ﷺ «اكتبها فقد نزلت» .

إذن الانفعال للقراءة، والتعليق عليها بما يناسبها، أمر محمود فمثلا فى آية جهنم يقول القارئ: اللهم أعذنا منها. وهكذا فى كل شئ بما يناسب المعنى.

والرسـول ﷺ ، قال لأصـحابه: «لقـد قـرأت سورة الرحـمن على إخوتكم الجن، فكانوا أحسن استـجابة منكم . . كلما قرأت ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ، قالوا: ولا بشئ من نعمائك ربنا نكذب فلك الحمد . .

إذن فالانفعال بالقرآن والتعـبير عن هذا الانفعال بالأسلوب المناسب له أمر وارد شرعاً.

* * *

القراءة خلف الإمام

س : هل يجب قراءة الفاتحة بعد الإمام فى صلاة الجماعة وهل يجهر المصلى بقوله: (آمين) بعد الفاتحة؟

جـ :كلمة (آمين) لابد أن تكون سراً. . وأما قراءة الفاتحة خلف الإمام فللأئمة فى تلك كلام:

الشافعى يرى أنه لابد من قراءة الفاتحة. وعلى الإمام فى الصلاة الجهرية حين يقرأ الفاتحة لمن خلفه أن يمكث بعد القراءة فترة قبل أن يقرأ السورة مقدما تسع قراءة الفاتحة لمن خلفه، لأن الشافعى يقول: لا صلاة لمن يقرأ بفاتحة الكتاب.

لكن أبا حنيفة قال: إن قراءة الإمام هى قراءة للمأموم، ولذلك لا يقرأ المأموم أبداً، لا سراً ولا جهراً.

وحين قال الشافعى: لابد من قراءة الفاتحة، عارضه البعض، بحجة من كلام.

قالوا: إذا أدرك المأموم الإمام وهو راكع، أتحتسب له ركعة أم لا ؟ إنها تحتسب حسب المذهب الشافعى. .

فرد قائلا: إنه حين يدرك الركعة عند الركوع فلا يدرك قراءة، فاتحة الكتاب، إذن تحملها عنه الإمام.

لكن الإمام مالك رضى الله عنه قال: المأموم فى الجهرية يستمع، وفى السرية يقرأ، لأنه لا يسمع شيئاً، فيقرأ.

وهذا هو ما أرجحه، وهو أن المأموم فى الجهرية يستمع وفى السرية يقرأ.

* * *

صلاة المرأة فى الطريق

س : هل يجوز للمرأة فى الطريق إذا حان وقت الصلاة، وخافت فواتها، ولم تكن على وضوء، مع صعوبة الوضوء: أن تتيمم وتصلى فى الطريق أو بأحد المساجد؟ أم تصلى قضاء عند العودة إلى المنزل؟

جـ : من الأفضل أن تتوضأ المرأة بأحد المساجد بالطريق وتصلى. وإن لم يتيسر لها الوضوء لعدم وجود الماء فلتتيمم وتصلى، وتؤدى الصلاة قبل فوات وقتها.

* * *

الزواج السرى

س : لظروف معينة قد يتم الزواج الشرعى المستوفى للأركان بين فتى وفتاة سراً بغير علم الأهل، فما حكم هذا الزواج؟

جـ : يشترط فى الزواج الإعلام.. فما نراه من الطبل والزمر والزينة وما إليه نشأ لهذا الغرض، وذلك لكيلا يتعرض الناس لأعراض الناس. فالإعلام يعرف الناس جميعاً بزواج ابنتى من فلان، فلا يتساءل الناس على سبب دخوله وخروجه من بيتهم.

لكن إذا استتر الزواج فإننا نكون قد نقضنا علنية الزواج وهو شرط فيه..

* * *

صور الحيوانات

س :تقوم الكثير من السيدات والفتيات بنسج أو رسم صور الحيوانات على الورق أو القماش لتزين بها الحوائط، فهل هذا حرام؟.

جـ : لا شئ فى ذلك، ولكن ما حرم هو ما يفعله البعض لتقديس هذه الحيوانات، أما أن ترسم لكى يستعمل فى الزينة فلا مانع من ذلك.

* * *

الآخرة ليست سرابا

س : يردد الشيوعيون وأمثالهم من الماديين أن الآخرة سراب اخترعه رجال الدين ليخدروا به المحرومين والمطحونين. ويرون أن الجزاء الدنيوى هو كل شئ، فما الفرق بين الجزاء الدنيوى والجزاء الأخروى إذن؟ . .

جـ : الفرق بين النعيم فى الدنيا والنعيم فى الآخرة: أن الإنسان فى الدنيا يعيش قلقاً من زوال النعمة. . فالنعمة إما أن تفارق الإنسان بأن تزول عنه، أو يفارقها الإنسان بأن يترك الحياة الدنيا.

لذلك نجد أشد الناس حرصاً على الدنيا ذلك الذى هو فى نعمة يخشى أن يفارقها، ولكن النعمة فى الآخرة لا تفارق الإنسان أبداً.

إذن فمن الخير لى أن يكون نعيمى فى الآخرة، حيث لا تفارقنى النعمة أبداً. . بل أعيش مخلدا فيها. .

ولقد دخل الأشخاص على رجل صالح وقال له: أريد أن أعرف، أنا من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة؟ فقال له: إن الله أرحم بعباده من أن يجعل موازينهم فى أيدى أمثالهم. . فميزان كل امرئ فى يد نفسه.

لماذا؟

لأنك تستطيع أن تغش الناس، ولكنك لا تستطيع أن تغش نفسك، ميزانك فى يدك، تستطيع أن تدرك، أأنت من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة. فقال الرجل طالباً من العبد الصالح أن يشرح له كيف ذلك؟ فرد العبد الصالح:

إذا دخل عليك من يعطيك مالا، ودخل عليك من يأخذ منك صدقة، فبأيهما تفرح؟ فسكت الرجل.

وهنا قال العبد الصالح: إذا كنت تفرح بمن يعطيك مالا فأنت من أهل الدنيا، وإذا كنت تفرح بمن يأخذ منك صدقة فأنت من أهل الآخرة.

وذلك لأن الإنسان يفرح بمن يقدم له ما يحبه.. فالذى يعطينى مالا يعطينى الدنيا، والذى يأخذ منى صدقة يعطينى الآخرة.. فإذا كنت من أهل الآخرة، فإنى أفرح بمن يأخذ منى صدقة أكثر من فرحى بمن يعطينى مالا..

وقضية الآخرة قضية حتمية من قضايا الإيمان، لأننا ساعة نؤمن أننا مردودون جميعاً إلى الله وحده يكون فى ذلك اطمئنان الإيمان فى القلوب، وأنت وحدك الذى تضع الأساس، أو تملك الميزان، ولذلك لو جعل الله الدنيا وحدها، لأصبح القوى فى الدنيا يأخذ كل شهواته بلا قيود، وبذلك تصبح الحياة أقسى من حياة غابة الوحوش.

* * *

الصالحون والدنيا

س: نريد مزيداً من نماذج سلوك الصالحين فى مواجهة الحياة الدنيا حتى يهتز حرص الناس عليها، وتنحل عقدة قلوبهم عنها..

جـ : كان بعض الصالحين إذا دخل عليه من يريد منه صدقة قام له وقال: مرحباً بمن جاء يحمل لى زادى إلى الآخرة.. أى إنه جاء لا ليأخذ منى شيئاً، بل جاء يحمل حسناتى إلي الآخرة، ولا يتقاضى منى أجراً.

والكلمة غير الطيبة تفسد الصدقة، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾.

لأن الذى يتبع الصدقة بالأذى ليست وجهته الآخرة وليس إيمانه كاملا، إذن كيف أهين أو أوذى ذلك الذى جاء يحمل حسناتى إلى الآخرة بلا أجر. أيأتى إنسان يحمل زادى إلى الآخرة فأهيينه وأوذيه؟ أيكون هذا إيماناً؟ أم إننى أرحب به وأكرمه وأفرح، لأنه سيؤدى لى خير ما فى الدنيا، وسيؤديه بلا أجر.

* * *

من الغيب إلى الشهادة

س : لماذا كان الخطاب فى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ وما بعدها للمشاهد الحاضر بعد أن كان السياق للغائب؟

جـ : نعم.. هناك فى اللغة ما يسمونه «ضمير الغائب» إذا قلت: زيد جاء فهو موجود. وإذا قلت: قابلت زيداً فهو غائب. قابلته، لكنه غير موجود معنا وقت الحديث.

إذن هناك غائب وحاضر ومتكلم.. وقضايا العقيدة كلها ليس فيها مشاهدة، فأنت عندما تجلس أمامى وأراك وأتحدث إليك لا أقول: إنى أومن بك، لأنك أمامى، وأنا أراك. ولكن الإيمان لا يكون إلا فيما هو غيب عنى، ولذلك فالله سبحانه وتعالى يتكلم بضمير الغائب، لأن الله غيب. فيقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .. الله غيب.. ورب العالمين غيب والإيمان إيمان بالغيب، ولا توجد عقيدة فى أمر حسى أبدا.

لا أقول - مثلا - وأنا جالس أمامك، وأنت تتحدث إلىّ: إنى أعتقد أنك تحدثنى.. أو مؤمن بأنك تحدثنى.. لأن هذه ليست عقيدة، لأنها أمر حسى لا يدخل فى مقام الاعتقاد.

إذن فالحمد لله غيب، ورب العالمين غيب، والرحمن الرحيم، ومالك يوم الدين غيب.. والقياس هنا على أساس الغيب، وكان لابد إذا سرنا على نفس الطريق أن يكون السياق، إياه نعبد، ولكن الله سبحانه غير السياق، وجعله حاضرا، فقال:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

فانتـقل إلى حضور المخاطب، فـبعد أن كان علم يقين بالغـيب أصبح عين يقين، فلا تقول: إياك نعبد، ولكن تقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾. . وكأنك قد استحضرت الغيب ربا ورحمانا ورحيما، واستحضرت مالك يوم.

وعندما اختمرت صفات الغيب انتقلت إلى محضر الشهود.

وقلت:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

* * *

حقيقة الإخلاص

س : قال إبليس معترفا بأنه لن يستطيع اضلال المخلصين: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ . . فمن هم هؤلاء المخلصين؟

جـ : المخلصـون هم: الذين اختـاروا طريق الله بحب. وتنازلوا عن اختـيارهم، حـبا فـى الله. . هؤلاء لايستطيع إبليس أن يغـريهم أبدا، لأنه يعلـم أن الله يرعـاهم، ويدافع عنهم ، ويـحـيط بهم أينما كانوا، وأن سياج عناية الله يمنع إبليس من الاقتراب منهم.

ولذلك يقول الله تعالي : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

فـالله تعالـى لا يريد تخضـع، ولكن يريد قلوبا تخـشع بالحب، لأن إخضاع القالب يمكن أن يأتى بالرغم منك.

فإذا أمـسك إنسان «كـرباجا» وقال لك: اقـفل كذا، وضـربك بقوة، وآلمك الضـرب، فخـضع الظاهر منك، وقمت تقـفل له ما يريد، فـهل فعلت هذا بحب؟ هل فعلت بشوق؟

لا . . أنت تفعله وأنت مكره. . والله تعـالى قادر على هذا، ولكنه لا يريد أن يكرهك، ولكنه يريد قلوبا تخشع، أى يريدك أنت أن تخشع من داخل قلبك، والقلب هو المنطقة الحرة التى خلقها الله فى الإنسان. . ولا تستطيع قوة فى الأرض أن تجعلها مقهورة على شئ.

فمـا فى قلبك هو ملك خاص لك، ليس للعالـم كله سلطان عليه. . وقـد يكرهـك إنسـان فـتـتظاهر لـه بالحب. . ولكن قلبك يـظل يكرهه ويرفضه. . وقد تتظاهر لإنسان بالخضوع، ولكن قلبك يمقته.

مهما فعلوا بك.. لو وضعوك فى سجن تعذب فيه ليل نهار، ولو قطعوا جسدك، فإنهم لن يستطيعوا أن يكرهوا قلبك على حب شئ تكرهه، أو كره شئ تحبه.. بل تبقى هذه المنطقة حرة لا يتدخل فيها إنسان، ولا يستطيع أن يتدخل.

ولذلك قال تعالى : ﴿إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمان﴾.

لماذا؟

لأن الإكراه فى هذا الحالة يكون إكراها للقالب وليس للقلب والله - كما قلنا - لا يريد قوالب تخضع، وإنما يريد قلوبا تخشع ولذلك فما دام القلب خاشعا فإنه راض، حتى ولو أجبر القالب على غير ذلك.

ولذلك فقد أسقط الحساب عن كل من أكره قالبه على شئ وقلبه يرفضه.. فأنت إذا أمسكت عصا غليظة، وأجبرت إنسانا على الصلاة، وقلبه لا يريد الصلاة، ويرفضها، فلا صلاة له.. وإذا أكرهن إنسانا على فعل منكر وقلبه يرفضه، فلا حساب عليه، والله يسقط عنه الحساب، ولذلك يقول سبحانه: ﴿إن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾.

إنه يقول لرسوله الكريم : أنا لا أريد أعناقاً تخضع بالقهر، لأنى لو أردت ذلك، فما أسهل أن أفعله.

أنا لا أريد إكراها، إنما أريد «عبادية» تأتى بالحب لى، وليس بالركراه على عمل أريده.

فالله سبحانه يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾.

فالمهمة هنا: أن يكونوا عبادا لا عبيداً.. أن يأتوا الله سبحانه وتعالى

عن محبـوبية وخضوع، ولو أتـوا على غير ذلك ما حـققوا مهمـتهم فى الحيـاة. . وأن يأتوا لى عن حب فيمـا يعملون إذا عـبدوا فعـبادتهم عن حب، وإذا حكمـوا فـيمـا يرضـينى عن حب، وإذا باعـوا أو اشتـروا، فلينفذوا ما أمرتهم به عن حب، وفى كل أمـر من زمور الحياة، فليأتونى عن حب.

وما دام الله سبحانه وتعالى قد خلقنا مختارين فى الحياة، إذن فكل ما تعمله فيما فيه اختيار لك يكون عن رضا وعن رغبة وعن غاية.

الذى يسرق لم يسـرق مكرها، ولم يقدم على عمل لا يحـبه، بل الله سبحـانه وتعالى أعطاه حرية فى أن يسـرق وألا يسرق فمماذا سـرق، فقد اختـار أن يسرق، وخرج عـن معنى الآية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾.

أى إنى أريد من الجن والإنس أن يأتوا إلي حـباً. . إذن فالمحبـوبية لله سبحانه وتعالي، والحب له، وهذا هو الإخلاص.

* * *

درجات المؤمنين

س : هل يمكن القول بأن المؤمنين جميعا على درجة واحدة من الإيمان، بمعنى أن الإيمان ضرب واحد، وليس هنا إيمان أقوى من إيمان؟

جـ : درجات الإيمان تتفاوت عند الناس، ولذلك هناك من هو أرقى في العبادة من غيره، قال الله تعالي : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

إذن هناك كريم وأكرم.. هناك منازل.. هناك أعلى هم الأنبياء.. المؤمنون أعلى درجات الإيمان ولكنهم غير معصومين. وهناك الأنبياء وهم معصومون وسيد المرسلين محمد ﷺ هو غاية الخلق كلهم، لأنه الذي سيمثل العبادية المرادة من الله لله، وتكون ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ عبادية مرادة محبوبة لله، والذى يمثلها: تقى، وأتقى، ثم كريم وأكرم.

ثم ترتقى إلي أن تصل إلى مرتبه الأنبياء، وإذا جئنا لنقارن أكرمية وأتقى الأنبياء نجد فى القمة محمداً ﷺ لأنه هو الذي يحقق العبادية المثلى لله سبحانه وتعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾.

هنا فى هذا الدين - وهو الإسلام - يتمثل أكبر درجات الرضا من الله سبحانه وتعالى، وآخر درجات الإتمام للعبادية التى أرادها الله من خلق الإنسان فى الأرض.. وتكون هذه العبادية عن محبوبية وعشق، والدخول فى طاعته طوعا واختيارا، تكون هذه العبادية قد تمت. والذي

أرسله الله سبحانه مثلا للبشرية كلها يحتذى فى تمام العبادية لله هو محمد عليه الصلاة والسلام.

فهو الذى أتم الله على يديه الدين، وجعله مثلا أعلى يحتذى به أولئك الذين يريدون أن يعبدوا الله عن حرية واختيار ويكونوا عباداً لله فى الأرض.

وإذا عرفت هذا فلابد أن يتسع عقلك وفطنتك لمقامات رسول الله ﷺ، عند ربه.

* * *

حدود الاختيار في المباح

س : الحلال وهو المباح، هل أطلق الله أيدى عباده فيها أم قيدها؟

جـ : هناك أشياء لم يقيد الله سبحانه وتعالى حركتها. . مثلا أنا أريد أن أشترى سريراً. . هذا يختار سريراً ضيقاً والثانى يريد أن يشترى سريراً واسعاً. . كل يفعل ما يريد.

إنسان يحب لوناً من الطعام، وإنسان يحب لوناً آخر ليأكل كل ما يحبه، ما دام حلالاً.

إذن هناك أشياء لا يخرجنى الاختيار فيها عن محبوبتى لله سبحانه وتعالى. . والله جل جلاله أعطانا عطاء فى الدنيا.

تماماً كما تأتى أنت لابنك وتعطيه جنيهاً. . العطاء هنا للاختيار.

قد ينزل الابن ويشترى شيئاً نافعاً: كتاباً مثلا، أو طعاماً يشتهيه. . وقد ينزل ويشترى بهذا الجنيه مطوة أو أى سلاح يستخدمه فى أذى البشر.

هو أخذ العطاء كما يأخذ كل واحد منا عطاء ربوبية الله له. . ولكن فيم استخدمه؟

إنه يستطيع أن يستخدمه فيما ينفع الناس، وفيما يضرهم، فيما ينسجم مع حركة الكون، وفيما يصطدم مع حركة الكون.

فى الاستخدامين هو يختار عن رغبة وعن حب، بحيث لايستطيع أن يحمل إنساناً آخر وزر ما ارتكبه هو.

* * *

حجة قاطعة

س : هل أقام الله سبحانه وتعالى الحجـة على الناس جميعاً؟ وما هى هذه الحجة القاطعة؟

جـ : نعم. . حجة الله البالغة القاطعة هى عطاء ربوبيته وعطاء الربوبية هو الذي أوجـده الله لكل مخلوقـاته باعتـباره ربا وراعـياً لهـذه المخلوقات. . وعطـاء الربوبية لا يفرق بين المـؤمن والكافر. ولا يستطيع أن ينكره أحد، ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾؟

وهنا نلاحظ أن الله سبـحانه وتـعالى لم يقـل : ألست بإلهكم، لأن الألوهية تقـتضى العابد والمعبـود، أو تقتضى العـبودية لله. . وهناك من سيكفر، أو من سيحاول ستر وجود الله. .

وأنت قبل أن تكلف بالعبـودية لابد لك من أشياء كثيـرة حتى تفهم، وتؤدى واجب العبودية لله سبحانه وتعالى: ولكن عطاء الربوبية هو عطاء لكل البشر.

إذن فقول الله : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ . . يدل على أن هذا الاسم هو أول شئ قرع الآذان من خطاب الحق للخلق.

وإذا تأملنا عطاء الربوبيـة. . فكل الأشيـاء التى سخـرها الله سبـحانه وتعالى للإنسان فى الكون هى عطاء الربوبية.

الأرض التى نعيش عـليها، والسـماء التى فوقنـا، والأمطار والشمس

وكل ما يلزم الحياة على الأرض. كل هـذه الأشياء هى عطاء الربوبية. . أى إنها عطاء للجميع بقدر متساو.

وعطاء الربوبيـة وهو حجـة الله على خلقـه مازال قـائماً، وقـول الله سبـحانه وتعـالى : «ألست بربكم» ما زال يدوى فى الـكون حتى الآن، ولـم يتقدم أحد ليدعى خلق الشمس أو الأرض أو غيرهما.

ومن هنا فعطـاء الربوبية قائم بلا نزاع، وليس فـيه جـدال يستطيع أن يقـدمه كـافر، أو يعلنه ملحـد، بل هو عطاء ظاهر لله، وعليـه الحجـة الدامغة، والدليل القاطع.

* * *

الحجة في رحمة الله

س : في رحمـة الله حجـة أخرى. . ونحن نريد تسليط الضـوء على رحمة الله بعباده حتى يتبين مدى جحود البشر؟

جـ : الله سبحانه وتعالى خلق من عدم، وأمد من لا شئ وأنعم بنعم لا تعـد ولا تحصى. . وإعـلان الله تعالى أنه رب العـالمين فيـه طمأنة لخلق الله علي أن كل ما هو مخلوق ومـسخر للإنسان لن يتخلى عن هذا التسخـير، لأنه لا يتلقى الأمر إلا من الله الواحد الأحد.

فليس هناك إله يجـعل عالما من العوالم يتـمرد على خدمـة الإنسان ، فـالله إله واحد أحـد، ولو كان هنـاك أكثـر من إله لفسـدت الأرض. . والعالم الذى سخره الله تعالى لخدمـة الإنسان هو عالم القهر، أى كل ما فيـه مقهـور لا اختيـار له، ولذلك لا يستطيع أن يخـرج عن مهمـته فى الحياة.

وقد يرى الكون الإنسـان عاصيـاً لله، وهو عدم الانســجام بين الكون والإنسـان، ولكنه رغم ذلك لا يسـتطيع أن يمتنـع عن خدمـة الإنسـان، والخضوع لإرادته.

ولذلك يصور لنا رسول الله ﷺ هذا الأمر تصـويراً يحدد معنى رحمة الخالق سبحـانه وتعالى بالإنسان، وجحود الإنسان لربه، فـيقول: «قالت الأرض: يارب ائذن لى أن أخـسف بابن آدم، فـقـد طعم خـيـرك ومنع شكرك.

وقالت السماء: يارب أئذن لى أن أسقط كسفاً على ابن آدم، فقد طعم خيرك ومنع شكرك.

وقالت الجبال: يارب، ائذن لى أن أخر على ابن آدم فقد طعم خيرك ومنع شكرك.

وقالت البحار: يارب، ائذن لى أن أغرق ابن آدم، فقد طعم خيرك ومنع شكرك».

إذن فكل العوالم التى سخرها الله سبحانه للإنسان ضجت من معصية الإنسان، وهنا ننظر إلي قول الحق لنعرف معنى رحمته سبحان وتعالى، قالل: «لو خلقتموه لرحمتموه، دعونى وعبادى، فإن تابوا إلىّ فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم».

* * *

الرسالة الخاتمة

س : كانت الرسالة المحمدية خاتمة للرسلات ، فلماذا كانت هى الخاتمة؟ وما موضعها بين موجات التقدم الفكرى الحديث؟

جـ : انتهت الرسلات برسالة سيدنا محمد ﷺ، فكان الرسول الخاتم، الذي لا استدراك للسماء بعد ذلك على رسالته أبدا. . ولماذا كان هو الخاتم؟

لأن الرسل السابقين إنما جاءوا على فترة من الحياة فى فطرة الكون، وفطرة الحركة فى الكون، فطرة تقرب الإنسان من السكون. .

والناس قديماً كانوا يذهبون إلى العين - مثلا - فلا يجدون الماء، فيرفعون أكفهم إلى السماء ضراعة إلى الله، أن تمطر السماء، لأنه لا وسائط بين شربهم وبين مطر السماء.

فلما كثرت الوسائط، وأصبحت هناك صهاريج، وأصبحت هناك آلات لرفع الماء فى الصهاريج، وأصبحت هناك آلات تضخ الماء فى الأنابيب، وأصبحت كل هذه المسائل؛ وجدت وسائط كثيرة بين النعمة فى أصلها الفطرى من المطر وبين المنعم عليه فى نعمته الحضارية.

فإذا انقطع الماء من الصنبور فإنك لا تفكر فى السماء، ولكن تقول: أطلب وابور المياه، أو أقفل الخط الفلانى، أو غير ذلك من المتطلبات، إلى أن يقول أخيراً: إن الآبار التى عليها الآلات لا تخرج ماء، لأنها قد جفت.

حينئذ يلتفت الناس إلى السماء، ويسألون الله أن يمطرهم.

إذن فوسائل البشر فى الارتقاء قد تعطيهم لونا من الغرور بفكرهم. ولوناً من الغرور باستعلائهم، فيبتعدون عن أصل النعمة من السماء، فكلما تقدم الزمن، وتقدم العصر، وابتكرت العقول كان من الممكن أن يستعلى الإنسان.. بعقله وفكره. ويظن أن له استغناء.

إذن فلابد أن تكون الرسالة التى جاءت على عهد ارتقاء الحياة رسالة ملفته لفتا قسريا إلى الحق، تتخطى حواجز الغرور العقلى كله، وتعطى الإنسان عطاء يخرجه من هذه المادية المطغية إلى الأصل الأصيل فى واهب الأشياء.

فكأن منهج الإسلام الذى يتمثل فى القرآن هو المنهج الذى يعطى كل تساؤلات الوجود، كلما ارتقى الفكر الإنسانى فى شئ أعطاه القرآن عطاء يدفع عنه أى ارتياب يؤدى إليه غرور العقل، وصلف الابتكار.

لذلك كان الإسلام فى منهج القرآن متمثلا فى أمرين:

أولهما: أمر يتمثل فى كونية الحياة.

ثانيهما: أمر يتمثل فى «افعل» و «ولا تفعل».

فالأمر الذى يتمثل فى افعل ولا تفعل لم يتغير أبداً، وليس لعقل أن يزيد فيه، وليس لعقل أن يبتكر ويجتهد فيه، لأنه حكم تكليفى، والناس فيه سواء من لدن ﷺ، إلى أن تقوم الساعة.

فليس من المعقول أن يوجد بعد عصر محمد ﷺ، افعل كذا بأمر جديد، أو لا تفعل كذا بنهى جديد، أى إن كل أمر وكل نهى إنما جاء من لون محمد ﷺ، وسيظل كذلك إلى أن تقوم الساعة. أما الذى يمكن أن يتغير فهو عطاء الكونيات فى الأرض. العطاء الذى إن تنبهت إليه أخذت نفعا، وإن لم تنتبه له لم يضرك فى التكليف شيئاً.

فهب أنك لم تبتكر الكهرباء، وأنك لم تبتكر الطائرة، وأنك لم تبتكر الصاروخ، ما الذى أثر فى حركة حياتك بـ «افعل» و «لا تفعل»؟ إن وصلت إليه انتفعت به، وإن لم تصل إليه لم يضرك شئ.

فكل الجديد لا يأتى فى التكليف افعل كذا ولا تعل كذا..

فالذين يحاولون أن يجعلوا لكل عصر افعل ولكل عصر لا تفعل نقول لهم: أحلتم على الله، لأن افعل من الله لا تتغير، ولا تفعل لا تتغير.

فمن حاول أن يجعل افعل من الله فى مقابل لا تفعل من البشر أو لا تفعل من البشر فى مقابل افعل من الله، نقول لهم: إنكم أشركتم بالله.. ابحثوا بعقولكم فى كونيات الحياة، واستنبطوا من الحياة ما شأتم، لكن لا تعلموا بدينكم لتقولوا: افعل كذا، ولا تفعل كذا.

فالله لا يتعلم كيف يكلفنا، ولا يستدرك عليه كيف يكلفنا.

فمن لم يطق افعل من الله فى نفسه، ومن لم يتحمل لا تفعل من الله فى نفسه فعلية أن يتقى الله، ولا يتحمل وزر افعل ولا تفعل فى سواه.

❊ ❊ ❊

الأعياد تعيد الوئام بين المسلمين

س: يتزاور الناس يوم العيد، فما هى أبعاد هذا العمل الذى أكدته السنة النبوية؟

جـ : أراد الحق سبحانه وتعالى بتشريع الأعياد للناس أن تكون وسيلة ليستتر فيها كبرياء النفس البشرية.

حينما يكون بينك وبين واحد خصومة، وبعد ذلك يأتى العيد، فإذا زرته فى يوم العيد فما الذى كسر كبرياءك؟ هو يوم العيد.. بسمة منك، وبسمة منه انتهى كل شئ.

إذن فأحداث المسرات التى ينشئها الله تعالى فى الزمان والمكان فإنما ينشئها ليستتر الإنسان بكبريائه فيها.

فالله تعالى لما خلق النفس متعالية متغطرسة شرع المكان الحرم والزمان الحرم.

شرع الزمان الحرم، لأنه إذا قامت حرب بين دولتين مسلمتين فكل طرف يتشبث بكبريائه، ولا يخضع للحق، فالله تعالى يحرم زمانا من الأزمنة، ويحرم فيه القتال.. فأنا وأنت نستتر وراء تحريم الله للقتال فى ذلك الزمن.

وبعد ذلك حين تمر فترة تشعر فيها بأمن الاستقرار وسلامتك من المخاطر تتعشق لذة السلام. وحين تتعشق لذة السلام لعلك تستمر فيه، وكذلك تحريم المكان.

وكـذلك العبـد. فهـو وسيلة لمصـلحى ذات البين كي يجدوا وسـيلة للصلح، نقول: نحن فى يوم عيد، هيا قابل فلانا ببسمة.. هيا نزره.

فالله جعل الـزمان والمكان وأعياد الخـير مناسبات لتـستتر فيـها النفس البشرية من كبريائها وعزتها الظالمة الآثمة.

* * *

الحمد لله رب العالمين

س : على طريق العبادة الصحيحة في الصلاة لا بد من فهم أذكارها وقرآنها. . لأنه ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها. . ونحن نردد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في أول كل ركعة من صلاتنا. . فأي المعاني يجب أن يستحضرها المصلى في صلاته وهو يقول: الحمد لله؟

جـ : الحمد. . يعني: المحمود لذاته. . والمحمود لنعم سبقت منه. . والمحمود لنعم ترجي منه مستقبلاً. . والمحمود لخوف يكون منه حالاً ومآلا.

فالحمد أمر مقطوع بوجوده لأن الإنسان في الكون مغمور بنعم كثيرة. . وما دام الإنسان يستفيد من هذا العطاء، فلا بد أن يتوجه بالشكر إلى مصدره. . فالآية إذن تقطع بوجود الحمد، ولكنها توجه الحمد لله رب العالمين.

والحمد تارة يكون للذات، لأنها مستحقة للحمد، أو باعتبار أنها مصدر النعيم التي وجهت إلينا، فيجب أن نتوجه إليها بالحمد. . فأشار إلى الأولى بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وإلى الثانية بقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . والربوبية تستدعي عناية وقيومية.

وإذا كنا قد فهمنا أن الله سبحانه وتعالى قد وجه نعمه إلى الإنسان قبل أن يحمده، فالإنسان طامع في أن يوجه الله النعم إليه بعد أن يحمده. . ولهذا أعلن الله أنه سيوالي الإنسان بالنعم فقال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ .

وبعد ذلك يأتي قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ليدل على أنك لم تحمده

طمعًا في إحسانه المتجدد فـقط، ولكنك تحمده لأنه مالك بالقهر، ولأنك ستصير إليه حتما.

فإن لم تحمده رغبة في رحمتـه، فلتحمده رهبة من عذابه.. وهنا نجد أن عناصر أسباب الحمد كلها قد استوفيت.

لأن الحمـد إما أن يكون للذات بوصف أنهـا أنعمت سـابقًا، وإما أن يكون للذات بوصف أنك طامـع في أن تنعم مسـتـقبـلا، أو بوصف أن الأمر سيؤول إليها.

* * *

لفتة قرآنية

س : يقول الله تعالى في سورة الحمد ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.. ﴿الْعَالَمِينَ﴾ جمع مذكر سالم، وجمع المذكر السالم خاص بالعقلاء كما قال علماء النحو، ومن العالمين ما لا يعقل، فكيف يدخل غير العاقل مع العاقل في جمع المذكر السالم..؟

جـ : نعم.. إذا كان معنى العقل هو: توجيه الشيء للنافع.. فإن هذه التوجيه هو مهمة العقل الذي يمكن أن يتوجه بالشيء إلى غير النافع.

أما الذي هو بطبيعته موجه إلى النافع على وجه التسخير، ولا خيار له في أن يتوجه إلى غير ما وجه إليه، فإن هذا قد أخذ خلاصة العقل.

ولذلك قال الحق تبارك وتعالى عن السموات والأرض: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ . فقوله: ﴿طَائِعِينَ﴾ يدل على التسخير.. والتسخير معناه أنه لا خيار لها في أن تفعل أو لا تفعل. فهي تفعل الصالح والخير بطبيعتها.. وتسخيرها معناه: أنها تدور بتسخير غيرها.. وهذا أعلا مرتبة من العقل والعلم.

فكأنها أخذت حظًا من العقل أوفر من حظي، لأن عقلي يعني: أن أفعل، وقد لا أفعل، ولأن عقلي يقارن بين بديلات، أو يرجح شيئًا على شيء، وهي لا تقارن ولا ترجح، وإنما تصل إلى الخير من أول الأمر.

ومعنى ذلك أنها في حكم العاقل، وحكم أعقل العاقلين.

* * *

رب الإيجاد.. ورب القيومية

س : سمعنا من فضيلتك أن كلمة ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.. لا يعني أنه رب إيجاد فقط، ولكنه أيضًا رب قيومية.. فما معنى ذلك..؟

جـ : لأن معنى تربية الشيء: أن تبلغ بالشيء نهاية كماله المستعد له أزلا.. وما دام أن تبلغ به نهاية كماله.. إذن فالتربية مستديمة.

فليس معنى رب العالمين كما قال الفلاسفة: إنه زاول سلطانه في ملكه مرة واحدة، وأنه خلق النواميس، وخلق القوانين، ثم ترك النواميس والقوانين تعمل عملها.

ولو كان الأمر كما قال هؤلاء الفلاسفة لما اختل شيء في ناموس الكون، لأنه سيسير آليًا، ولو أنه سار سيرًا آليًا لكان لمنطقهم معنى.

وهناك مدرسة لا تؤمن بإله وراء هذا الكون، لأن العالم في نظرها يسير سيرًا رتيبًا بنظام آلي، يعني لا توجد فوقه قوة تسيره، ولو كانت فوقه تسيره لشذ العالم الآلي في بعض الأحيان.

ومدرسة أخرى لا تؤمن بالإله، لأن العالم فيه شذوذ خارج عن النظام كما يقول أصحاب هذه المدرسة.

يعني مدرسة تتخذ من نظام الكون دليلا على عدم وجود إله فوق القوانين.

ومدرسة أخرى تتخذ من الشذوذ في الكون دليلا على عدم وجود إله.. لأنه لو كان هناك إله لما كان هذا الشذوذ، مما يدل على اضطراب المنهجين جميعًا.

ـ إذن كيف نرد على هذين المذهبين؟

ـ القول بأن في العالم شذوذًا مـردود عليه.. ويكفي أن ينظر أصحاب هذا الرأي إلى النظام الكلي لـلكون، ليجـدوا أنه في غاية الدقـة والنظام، ولو شذ في النظام الكلي للكون شيء لفسد العالم.

وإذا أردت الشذوذ كـدليل على أن هناك قوة فوق القـانون تستطيع أن تخرق القـانون، فانظر إلى الشذوذ في أفـراد الأجناس، وليس في النظام الكلي.

لأن النظام الكلي لو فـسد، فـمعنى ذلك أن الله يريد أن ينهي الـعالم إذن فالنظام الكلي ثابت، والشذوذ موجود أيضًا، إلا أنه ليس شذوذًا في الأجناس، ولكنه شذوذ في الأفراد، لأن الشـذوذ في الفرد لا يعني إنهاء القاعـدة الكلية في الجنس.. فـإذا جاء الشذوذ في فـرد من الناس، فإن ذلك يعني أن قانون الجنس في بقية الأفراد سليم.

إذن فعدم وجود الشذوذ في النظام الكوني له علة، ووجود الشذوذ في الأفراد له علة، ومـع ذلك فيوجـد في المعجزات التـي جاءت على أيدي الرسل ما يفـيد أن النظام العام شـذ في بعضه. مـثل قانون الماء لموسى، وقانون النار لإبراهيم.

فهذه المعجزات تركها الله سبحانه وتعالى في بعض النظم العامة ليثبت أن هناك فوق الناموس قوة تستطيع أن تمزقه وتعطله.

وعلى هذا فالربوبية محتاجة إلى دوام القيومية من الله تبارك وتعالى.. ودوام القيومية هو الذي يؤديه معنى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

* * *

الحيرة الدينية عند الشباب

س : تثور الأسئلة كثيرًا في دنيا الشباب عن الحكمة من خلق العالم، والحكمة في الثواب والعقاب، ولماذا يعذب الله الإنسان، إلى ما شابه ذلك من الأسئلة.. فما موقف هؤلاء الحيارى من عقيدة الإسلام..؟

جـ : نحمد الله لأن هؤلاء الشباب لم يتشككوا في أصل العقيدة.. ولكنهم يتشككوا في الحكمة. والتشكك في الحكمة ناتج عن سؤال أعلى من العقل البشرى هو سؤال الله عن حكمة كل شيء يفعله.

والمراد من المؤمن أن يؤمن بأن الله يفعله.. أما حكمة ما يفعله الله فذلك موكول إلى أنه آمن بأن له حكمة، وله قدرة، وله كل صفات الكمال.. وهو خالق لا يحتاج إلى مخلوقاته. فالحكمة في الإيمان بكل هذه الأشياء: إن كل هذه الأشياء التي يسأل عنها الشباب وعن الحكمة منها صادر عن الله الذي آمنت به لأنه حكيم.. وإلا لتوقف في الإيمان به.

وما دام الشباب يسأل: لماذا خلق الله الإنسان؟ ما الحكمة في الثواب والعقاب؟ فكل ذلك دليل على أنه يؤمن بأن كل ذلك موجود، فهو لا يتشكك في وجود القضية، ولكن الشك جاء في الحكمة من وجود القضية.

والحكمة من وجود هذه القضايا ليس من مطلوب الإيمان، لأن الحكمة في كل أمر ليست عند المأمور به، لكنها عند الآمر به.

وكذلك المؤمن، يؤمن بقضايا كـثيرة لأنها صدرت من الله، الذي آمن بأنه لا يفعل شيئًا عبثًا، فإن استطاع العقل بطموحاته في الفكر أن يذهب إلى بعض الحكمـة، ولا أقـول: كل الحكمـة، بل هو إيناس بالحكمـة، فمرحبًا بها.

* * *

خلق العالم

س : الله سبحـانه وتعالى له صفات الكمـال والغنى الذاتي. . فلماذا خلق العالم. . ؟ . . هذا بعض ما يردده الشباب المسلم في مقتبل عمره.

جـ : إذن فالسـائل يؤمن بأن العالم خلقـه الله. . وتلك هي القضـية الإيمانيـة. . والله الذي اعتـرفت بأنه خلق الـعالم لأنه قـال: إنه خلق العالم حكيم. .

كان يكفـي أن يعلم الشبـاب أن الله له حكمة في هذا. . سـواء عرف الحكمـة أم لم يعرفـهـا. . ولكنا نقوله له: الخـلق يحتـاج إلى صفـات متعددة. . صفة القدرة. . صفة الإرادة. . صفة العلم. . صفة الحكمة. . إذن لا يبرز شيء إلا بعد وجـود إرادة. . ولا يمكن أن تبرز الإرادة مرادها إلا بوجـود قدرة. . والمراد لا بد أن يكـون على منتهى الـدقة، ومنتـهى الحكمة.

كل هذه صفات توجد فيمن يخلق الشيء.

فـالذي يخلق صـنعـة من الصناعـات لا بد له من عـلم بدقـائقـهـا وحقائقها. . هذا العلم لا يكفي إلا إذا وجدت قدرة تبرز المعلوم، ولا بد من إرادرة حرة طليقة، لا يمنعها شيء، ولا معقب عليها.

إذن مـا دام الله قـد خلق هذا العـالـم، فـلا بد من هذه الصـفـات: العلم. . والحكمة. . والقدرة. . والإرادة.

ونريد أن نسأل عن إنسان يقال إنه هاو للرسم. . بمعنى أن الرسم عنده عملية لا تتوقف عليـها حياته. . فحياته لهـا قوامها رسم أو لم يرسم. .

فالهـاوي هو الذي يرسم وهو غير مـحترف، بمعنى أن المحتـرف تتوقف حياته على الرسم. أما الهاوي فـلا. فالهاوي قد يرسم وقد لا يرسم.. وقد يهمل رسمه.. ويبدي ملكته فقط.. فهو يعبر عن ملكته في الرسم فقط.. ولو وجـدت الملكة ولم يجد مجـالا للتعـبير عنهـا لتعطلت هذه الملكة.

إذن فخلق الله الـعالم: إبراز لمكنونات صـفاته العـالية الكمالـية إبراز مزاولة.. والعـالم نفسه سـيشهـد إنها في منتـهى الحكمة.. لأنها غـير متضاربة ولا متعاندة.. بل هو كون متساند.

❊ ❊ ❊

خلق الإنسان

س : ويجول أيضًا في أذهان الشباب: ولماذا خلق الله الإنسان.. وما الحكمة في خلقه..؟

جـ : هذا سؤال عن حكمة بعض العالم.. لأن العالم كله بما فيه الإنسان قد عرفنا حكمة خلقه.. وما قلناه عن العالم كله ينسحب على الإنسان.

أما تخصيص الإنسان بالسؤال رغم أنه من الممكن أن يسأل عن حكمة خلق أي مخلوق آخر غير الإنسان، فذلك لأن السائل فهم ولو بطريق الفطرة والطبيعة، إن لم يكن بطريق الاستقراء المنطقي إن الإنسان هو سيد هذا الكون.

فنحن نرى أن العالم يتمثل في أجناس متعددة.. كل جنس يأخذ مهمته في الوجود.. ويأخذ جنس آخر بصفة أعلى يأخذ مهمة أخرى.. وهكذا إلى أن نصل إلى الإنسان.. فنجده السيد في هذا الكون.

لا أقول لك بمنطق الدين الذي يقول الله فيه: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾.

ولكن أقول بمنطق الواقع.. فإذا نظرنا إلى الأجناس الأخرى نرى أن الحيوان دون الإنسان مباشرة، لأن الحيوان فيه حركة وحس، ولكن لا تفكير عنده.. ولا اختيار بين البديلات.. ثم بعد ذلك النبات.. فيه نمو مثل الإنسان والحيوان.. ولكن لا حركة ولا حس.. ونجد في النبات صفة لا توجد في الجماد، وهي النمو.

إذن فترتيب الأجناس من أعلى إلى أدنى هكذا: الإنسان، فالحيوان، فالنبات، فالجماد.

وإذا نظرنا نظرة واقعية إلى مهمة كل جنس، فإننا نجد أن الجماد يخدم النبات بكل عناصر وجوده.. ويخدم الحيوان والإنسان.. لأن الجنس الأدنى يخدم الأجناس الأعلى كلها.

والنبات يخدم الحيوان والإنسان.. ثم الحيوان يخدم الإنسان.. ومن العجيب إننا نجد إذا ارتقينا إن الإنسان إن شاء يخدم نفسه، فلا يوجد في المخلوقات جنس أعلا يخدمه الإنسان.. فهو الغاية.. وعنده تقف. أما باقي الأجناس فتصب جميعًا في خدمة الإنسان.. فيصبح الإنسان هو السيد.

إذن فقول السائل: لماذا خلق الله الإنسان ارتقاء في الجنس من غير أن يشعر، لأن ما يجيء بعد ذلك من الأسئلة عن العذاب وغيره لا نجدها في الحيوان ولا في النبات ولا في الجماد.

إذن فالإنسان هو المهمة الأساسية في الوجود والكون.. فإذا وجدنا هذا بالاستقراء الوجودي من غير المتدينين، وبعد ذلك نجده في الدين، إذ يقول الله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾.

فإن ذلك يكون حقيقيًا وواقعًا.

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تشتغل بما هو لك عما أنت له».

وهذا الحديث القدسي يدفعنا إلى التساؤل:

هل قوتي التي دفعت المخلوقات الأخرى لخدمتي؟.

أنا لا أستطيع أن أسيطر على الشمس أو الهواء أو الماء.. فهي تخدمني بغير قدرتي.. فكان يجب أن أتنبه إلى أن هناك قوة قاهرة له ولي.

إذن: لماذا خلق الله الإنسان؟

خلقه ليبين أن حكمته تعالى أنه سخر الأقوى للأضعف، فلا يسخر الإنسان الأشياء بطاقته وقدرته، ولكنها تخرج عن طاقته وقدرته.. ونجد أن كل هذه الأشياء ليس لها حرية ولا اختيار لتخدمني أو لا تخدمني.. ولكنها مقهورة على خدمتنا، فلا تستطيع الشمس ولا الهواء ولا الماء أن يرفض خدمتي، وذلك لأن حياتنا تترتب عليها.

فالحق سبحانه وتعالى جعل هذه الأشياء في خدمتنا لتبدو قوة القهر عند الله، والقدرة العالية في أن يسخر الأقوى للأضعف بدون حول منه ولا قوة.

وبعد ذلك جاء لهذا الأضعف وهو الإنسان وقال له: لقد سخرت لك كل هذه الأشياء لتخدمك، وعليك أن تطيعني حبًا لي.. فالمخلوقات الأخرى معهودة بالقدرة وبلا اختيار، لكني جعلت لك بعض الاختيار.. فإن شئت أحببتني وآمنت بي، وإن شئت لا تفعل.

إذن فالله يطلب منا أن نحبه مختارين.. ونحن قادرون على أن نفعل ذلك أو لا نفعل. فهناك فرق بين الخضوع والانفعال والقهر، وبين الحب.

فمن الممكن أن يقهر شخص غيره على أداء عمل، ولكن بلا حب، فهو قادر على ممارسة العمل، ولكنه غير محبوب عنده.

ولذلك من الممكن أن يقهرني إنسان على السجود له، ولكن هل يمكنه أن يقهرني على حبه؟. لا. فهذا قهر للقالب، وليس قهر للقلب.

فإذا اخترت جانب الله والإيمان به، مع إنني قادر على ألا أؤمن، فهذا دليل على إني أحب الله.. فيصبح خلق الإنسان المختار سيد الكون إثبات بإيماننا أن الله أهل لأن يحب، ولأنه حكيم ولأنه محب.. من هنا نرى

الحديث القدسي يقول: «يا بن آدم، أنا لك محب، فبحقي عليك كن لي محبًا». فهذه هي قمة خلق الإنسان.

* * *

الدنيا والشقاء

س: وهناك من يسأل: لماذا خلق الله الدنيا دار شقاء وتعب، ثم بعد ذلك فناء..؟

جـ: إنها كذلك بالنسبة لمن تجافى عن الإيمان فقط، أما من أخذ الدنيا بالإيمان بخالق الدنيا وخالقه، ووجود التعب والشقاء والنكد لمن لا يؤمن بالله دليل على صدق وجود الله، وصدق منهج الله، فنقول: لم يجعل الله الدنيا دار شقاء ونكد ولا كد وتعب، إنما هي كذلك لمن يبتعد عن منهج الله.. ولذلك نجد المؤمنين بالله في غاية الرضا بكل ما قسمه الله لهم.

هذا إذا كان السائل يقصد بما سأل تعب القلب.. أما إذا أراد الكد في الحياة، والتعب من أجل الحياة، فهذا أمر لا يذم، لأن المطلوب من الإنسان أن ينفعل مع الكون إن أراد أن يرتقي، فالله خلق لنا الماء، ولكن بدلا من أن أذهب إلى العين لأشرب بحفنتي أصنع كوبًا.. وبدلا من أن أذهب إلى مجرى الماء كل يوم لأحصل على حاجتي من الماء أصنع خزانًا عاليًا، ومواسير توصل الماء إلى البيوت مكررة معقمة، وكل هذا ترف حياة يريدها الإنسان.. ومن أجله يجب أن يتعب.

ولكن هناك كدًا وتعبًا من نوع آخر، ثمرته الشقاء، إلا وهو تعب

القلب وهمه. وهنا قال الله تعالى في الذكر الحكيم: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

وفي آية أخرى: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾

فالقول بأن الحياة تد خلقت دار شقاء وتعب صحيح بالنسبة لمن يعرض عن ذكر الله. فهذا عندما يتعرض لتعب في الحياة.. بحيث يكون هذا التعب كل نصيبه.

أما المؤمن فحينما يتعرض لذلك فإنه بأنه ما دام الأمر خارجًا عن إرادته فله ثوب وجزاء على الصبر.. فهو خير له.. وقد يكون الأمر المحزن له فداء لأمر آخر لا طاقة له به.

فالمؤمن يجد دائمًا تفسيرًا لكل ما يعرض له في حياته.

ولذلك عندما يقال لنا: فلان شقي. نسأله: هل هو شقاء جسد وعضل؟ أم أنه شقاء القلب؟ وهذا لا يحدث للمؤمنين. أما شقاء الجسد والعضد فإن الإنسان نفسه يستفيد منه ويفيد أولاده وأهله وأمته.. وحينئذ يصبح العمل محببًا إليه.

ونحن نرى كل المخترعين شقوا في دنياهم، وانشغلوا عن ملابسهم وطعامهم وراحتهم في سبيل أن يحققوا خدمة للبشرية كلها.

وكذلك المؤمن الذي يعتبر أن حركته في الحياة تؤدي خدمة له ولأولاده ولأهله وجنسه والعالم، فإنه يعمل بلا شقاء.

* * *

الجزية والزكاة

س : تثور الاتهامات من الجاحـدين دائمًا ضد تشريع الجزية على أهل الذمة.. فكيف ندافع عن شريعة الإسلام حينئذ..؟

جـ : غـيـر المسلمـين إمـا أهل حـرب، وهم الذين تقع بيننـا وبينهم حرب.. وإما أهل ذمة، وهم جماعة ليست على ديننا، ولكنهم رضوا الإقامـة معنا في ديارنا.. وهؤلاء لهم ما لنا، وعليـهم ما علينا.

والمعاهد (بفتح الهـاء) يعني غير محارب. وإنمـا تربطني به معاهدة.. والمستأمن (بفتح الميم الثانية) يعني واحـد مار ببلدي، وغير مقيم، وليس من أهل الحرب.

والذي قد رضي أن يقـيم معي يتمـتع بكل امتيـازات المسلم. والمسلم محـتم عليـه أن يدفع الزكاة.. والذمي لأنه غـير ملتـزم بالدين لن يدفع الزكاة.

إذن أنا آخذ منه الجزيـة مقابل ما يدفعـه المسلم من زكاة.. لأن المسلم يدفع قدرًا مـن ماله ليؤمن المجـتمع. ونحن نقـدم لك خدمـات أخرى. والذي يدل على ذلك أن أهل حـمص حـينمـا لم يقـدر المسلمـون على حمايتـهم من أعدائهم ردوا إليهم الجزية وقـالوا: نحن لم نقدر أن ندافع عنكم، فخذوا أموالكم.

إذن أخذها نظير ما أقدم لهم من خدمات.. فإذا شاخ الذمي عندي أو ضعف، أو أصابته عاهة، أعطيناه مثل ما نعطي المسلم وأعشناه.

* * *

فضل الفقراء على الأغنياء

س: كثيرًا ما يتجهم الغنى إذا رأى الفقير في عصرنا الحاضر الذي يلهث وراء المال وكأنه إله يعبد في الأرض، حتى باعوا من أجله الشرف والخلق والدين.. وكأن الفقير عندهم داء يجب أن يفروا منه.. بينما الفقير يؤدي للغنى من الخدمات ما يجعله أفضل منه وأعلا قدرًا ويدًا.. فهل من بيان لهذه الفكرة في الإسلام..؟

جـ: نعم.. الآخذ منك خير لك ممن يعطيك.. لأن الذي يأخذ منك يترك لك الآخرة.. والذي لا يأخذ منك يبقى لك الدنيا.. فما هو الذي ينفعك أكثر؟

ولذلك حينما جاء رجل يسأل ويقول له: هل أنا من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة؟. قال له: مقياسك عندك.. مقياسك في نفسك، وليس عندي.

ثم قال: إن دخل عليك اثنان: واحد اعتاد أن يعطيك هدية، والآخر اعتاد أن يأخذ منك، فانظر.. فإن فرحت بالذي جاء لك بالهدية فأنت من أهل الدنيا، وإن فرحت بالذي جاء يأخذ منك فأنت من أهل الآخرة.

والبصيرون بالأمور لا يقومون من مجالسهم إلا لمن يسألهم.. عندما يأتيه من يسأله يقوم له من مجلسه. فيقول له واحد: أتقوم من مجلسك؟ فيرد عليه: أفلا أقوم لإنسان جاء يحمل لي زادي إلى الآخرة؟

* * *

إسلام بالألوان

س : بني الأزهر ليكون معهدًا للفقه الشيعي في مصر.. ومن ثم يصدر المذهب الشيعي للعالم الإسلامي كله.. والشيعة يرددون دائمًا أن هناك فرقًا بين اسلام السنة واسلام الشيعة. حتى لقد حرفوا القرآن، وادعو أن أهل السنة حذفوا شطرًا كبيرًا من القرآن.. ونحن نريد إلقاء الضوء على هذا الموضوع..؟

جـ : الحق سبحانه وتعالى يريد إسلامنا بلا لون بشري.. يريد إسلامًا كما نزل من عنده، لأن الذي يفسد التدين هو أن كل هوى يريد أن يصبغ الإسلام بلونه.. وهذا يدخل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

إذن فالإسلام يريده الله جامعًا للناس، وإلا فإن أهواءنا «تبهت» ألوانها على ديننا.

ولقد جاء الأزهر إلى مصر في الأصل لكي يعطي الإسلام هذا اللون الشيعي هنا.. ولكن الله يريد للأزهر إسلامًا بلا لون.. كالماء الذي به حياتنا جميعًا.. فالماء لا لون له.. كذلك الدين يجب أن يكون كالماء لا لون له.. لا نصبغه باللون الأحمر.. أو الأصفر.. أو الأخضر.. أو غيرها من الألوان.

فالماء به الحياة في المادة.. والإسلام به الحياة في المعاني.

وكما أن الماء لا يكون ماء إذا أخذ أي لون.. كذلك الإسلام لا يكون إسلامًا إذا أخذ أي لون.

ولقد أريد للأزهر أن يكون لونًا شيعيًا.. ولكن الله أراد لحماية الإسلام الذي لا لون له.. ولذلك [illegible] مذهب أهل السنة.

مصر والإسلام

س : بعض الأوشـاب الذين لا وزن لهم من الوجـهـة الإنسانيـة ولا العلمـيـة، من أمم أخرى، يـتهـمـون مصـر بأنهـا ليـست بلدًا إسلاميًا . . فهل هذا صحيح . . ؟

جـ : من شرف مصر أولا : أنها حولت الإسـلام الملون فيها كما أراده ناس وافدون عليها باسم الإسـلام إلى إسلام غير ملون . . إسلام كما أراده الله وأنزله .

ومن شـرف مصـر ثانيًا : أنها وإن أعـوزها تطبـيق الإسلام، فـإن الله عوضها بتحقيق الإسـلام . . تحقيق الإسلام بصورة لا تستطيع دول أخرى أن تقول : إنهـا حققـته، أو إنها تسـتطيع أن تحققـه، كما حقـقته مـصر بالفعل .

وحتى الذين يطبقون الإسلام ـ إن وجد من يطبقه ـ أخذوا هذا التطبيق من تحـقـيق مـصر لـه . وبارك الله في الأزهر . . وأدام الله الراعين له . . وأدام الله علماءه . . وسيبقى هكذا دائمًا بإذن الله .

وعلى فرض أن مـصر لم يتـوافر لها تطبـيق الإسلام، فيـكفيهـا أنها تحققه، إلى أن يأتي إنسان له غيرة دينية فيطبقه .

* * *

السياسة والدين

س : سأل الأستاذ عبد الوهاب مرسي المحرر بأخبار اليوم المصرية الأستاذ الشعراوي قائلا:

هناك نظريتان: نظرية تقول: إنه لا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة. . ونظرية ثانية تقول: بل يجب أن تلتزم السياسة بالدين. . فما رأي فضيلتكم. .؟ ونشر إجابته في أخبار اليوم بتاريخ ١٨/ ١٠/ ١٩٨٠م.

جـ : مسألة الدين في السياسة. . والسياسة في الدين مختلطة في الأذهان اختلاطًا أبعدها من أن تستقر بين الناس بالصورة التي يجب أن تكون عليها.

وهذه المسألة لم ترق أولا إلى درجة أن تكون نظرية. . وإنما هي مجرد عبارة قيلت في مناسبة من المناسبات. . لترد وضعًا من الأوضاع إلى نصابه من وجهه نظر معينة.

والأصل في هذه العبارة: أن السياسة التي تسير نظام الدولة ليست في أصلها دينية، ولم يلحظ أن تكون دينية. . فمن أراد أن يدخل الدين في سياسة هي فى الأصل مبنية على عزل الدين عن حركة الحياة نقول له: لا.

لأنه في هذه الحالة يريد أن يلزمنا به أصلا. . كما أنه يريد أن يغير دستور البلاد الذي لم ينص على أن الدولة محكومة بحكم الإسلام. . بل هي محكومة بسياسة وضعية بشرية.

ولقد كانت هذه الكلمة واردة في الدساتير القديمة في مصر. . ومع

ذلك كان هناك بغاء وكان هناك ترخيص بالخمر.. وترخيص للمخنثين.. كما كنا نراه في الماضي.. ولكن وضع الكلمة في الدستور كان هدفه أن تدخل مصر في جغرافية العالم الإسلامي.

ولهذا أقول: إن الأمة إسلامية، ولكن الدولة ليست كذلك.. وهناك فرق كبير بين الاثنتين.

ومعنى أن الأمة إسلامية أن الإنسان ما دامت له ولاية على نفسه فإنه ينفذ الإسلام.. كأن يردد الشهادتين، ويصلي، ويصوم، ويزكي، ويحج بيت الله. أي إنه ينفذ أركان الإسلام الخمسة دون أن يمنعه أحد من ذلك، وهذا هو المقصود من أن الأمة إسلامية.

أما عندما تدخل الولاية في مسائل أخرى فلا تجد إسلام في الدولة أو في القوانين.

وأما كلمة «لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة».. فيجب أن تفهم على أنها لغير الإسلام لأنه في غير الإسلام إذا التمست نظامًا ما يحكم حركة الحياة فلا تجده.. أما الإسلام فقد جاء وفي صلبه أنه يحكم حركة الحياة كلها، بدءا من قمة لا إله إلا الله، إلى إماطة الأذى عن الطريق، أي إن هناك سياسة في الدين.

والدليل على صحة هذه القول أننا أعلنا نقوم بتعديل النظم لتلتقي بالإسلام.. إذن يكون هذه دليلا على أن هناك سياسة في الدين.

* * *

الأقلية والأغلبية

س : نسمع بين الحين والحين أصواتًا من الأقليات تشكو من الأغلبية وإن لم يقع عليها ظلم منها، وفي الوقت نفسه نسمع شكوى الأغلبية في صورة تجمعات علنية علها مطالب.. فما هي أبعاد المشكلة وعلاجها..؟

جـ : إن تطبيق الشريعة الإسلامية، وجعلها هي المنظم لحركة الحياة كما أرادها الله سبحانه وتعالى، من شأنه القضاء على المشاكل التي نعاني منها في حياتنا من وقت لآخر.. وتبدو متفاقمة وبلا حل..

يستوي في ذلك ما اصطلحنا على تسمية بالفتنة الطائفية من ناحية.. والجماعات الإسلامية من ناحية أخرى.

ونحن إذا أن نبحث أسباب الفتنة الطائفية فيجب أن نجعل السبب الرئيسي في حدوثها هو عدم تمكين الإسلام من أن يحكم.. أو عدم توظيف الإسلام.

ولو أن الإسلام وظف، لما وجدت أي أقلية بابًا من أبواب الشكوى، لأن الإسلام حضانته حضانة حنون، لأن الذي أنزله من غير أن يلونه البشر هو رب الجميع.. وقد ضمن للجميع في الشمس ضوءًا وحرارة، كما ضمن لهم جميعًا في الماء رزقًا، وضمن لهم جميعًا في عناصر الأرض أن تعطي لمن يتفاعل معها، مؤمنًا كان أو كافرًا.

كذلك كان الإسلام.. حضانته حضانة حنون.. وما دام هو كذلك، فإنه عندما يأتي أي مجتمع ويبتعد عن هذه الحضانة، فلا بد أن يشقى المجتمع.

إذا . . فما وجد من هذه الفتنة دليل على أن الإسلام يجب أن يوظف، وإن لم يوظفوه فإننا سنبقى على هذا الحال.

وعندما يوظف الإسلام، وتكون الولاية ولاية إيمانية، والرقابة رقابة إيمانية، والحركة حركة إيمانية، تجد غير المسلم لا يشعر أنه ينقصه شيء . . فكل ما يشعر به غير المسلم من ضيق مرجعه إلى أنه في أغلبية مسلمة.

ولكن ماذا عن ضيق الأغلبية؟ لماذا تشكو هي الأخرى؟ ومن أين جاءت المتاعب للأغلبية؟ وماذا كقول الأغلبية في تبرير متاعبها؟

المهم أن كلا من الأغلبية والأقلية تشكو.

إذن فلا بد أن يكون هناك سبب واحد مشترك لتعب الجانبين، وشكوى الجانبين.

هذا السبب هو أنهم جميعًا لا يعيشون في حضن الإسلام . . لا الأقلية ولا الأغلبية . . ولهذا فالتعب عند الأثنين . . وكل منهما يتحمل من المتاعب ما يتناسب مع حجمه.

ولهذا فالأغلبية تتحمل أغلب المتاعب . . والأقلية تتحمل أقل المتاعب.

بقيت نقطة من دواعي الشكوى عند الأغلبية. لقد أصبح معلومًا أنها دواع شخصية تريد استشراقًا إلى شيء أعلى.

وإذا نحن أبعدنا الدين عن الموضوع كله، وافترضنا أن أمة من الأمم فيها أغلبية ارتضت قانونًا من وضع البشر وحكمته كأغلبية، فماذا يكون موقف الأقلية؟

عليها أن تحترم رأي الأغلبية في كل تشريع . . ونفس الشيء أقوله عن الجماعات الإسلامية . . فوجود هذه الجماعات في دولة إسلامية يعد سبة.

ولو أن الإســلام كــان مــســيطرًا، وله ولاية إيمانيــة، لما وجــدت هذه الجمــاعات، ولما وجــدت ما تحتج به من وجــود شارع الهــرم، أو إباحة الخمر، أو القمار، أو غير ذلك مما حرم الله.

* * *

المناسبات الدينية

س : درج المسلمون على الاحتفال بالمواسم الإسلامية . . كمولد النبي ﷺ، وعيد الهجرة النبوية . . ويوم عاشوراء . . إلى غير ذلك من المواسم . . وهذا الاحتفال قد يكون تذكيرًا للناس، ولكنه ربما كان من عوامل الإحباط . . فما رأيكم في هذا الموضوع . . ؟

جـ : إن لي رأيًا في احتفالات المسلمين بالمواسم الإسلامية . . يجب أن يعرفه الناس بعمقه المقصود . . لا بظاهريته «التهكمية» .

فنحن نجعل الإسلام أن يكون إحياؤه محل مناسبة . . أو مرهونًا بمناسبة . . لأنه جاء ليحياه الناس في كل وقت . . وليس المهم أن نحي مناسبات الإسلام، ولكن المهم أن نحيا نحن مناسبات الإسلام .

فلن يفرح الإسلام، ولن تبقيه تلك الصحوات الموقوتة، أو الهبات التي يوحي بها يوم يؤرخ لحادثة . . فالإسلام في كل لحظة من لحظاته حدث يجب أن نلتفت إليه حتى تستديم علاقاتنا بمن شرع الإسلام . . ونستديم حياتنا في كل حركة منها على توجيهات الإسلام .

وإذا نظرنا إلى الحفاوات التي استقبلت مناسبات الإسلام في كل دولة وفي كل أمة وربما في كل مسجد وفي كل بيت، لوجدنا أنها حفاوات العاشق، وتحيات المحب، ولكن قصر كل ذلك على وقت الحدث حين يذكر، وعلى المناسبة حين تحيا، ثم نستأنف حياتنا بعيدًا عن كل ما فرحنا به، غير متأثرين بالذكرى حتى إلى حين، وكل ما تعطيه حفاوتنا بالمناسبة هو علم بها، فتلك هي شهوة العقل بالمعرفة .

والأزمة في عالم الإسلام ليست أزمة علم، ولكنها أزمة كل حمل الناس نفوسهم على مطلوب هذا العلم .

قرن مضى.. وقرن أطل

س : المسلمون الذين يعيشون الآن سواء كانوا رعايا أم حكامًا، عاشوا مخضرمين بين القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجريين. . وقد اختتم القرن الرابع عشر بثورة داخل الحرم المكي الشريف. . وبصدام عنيف بين أمم الإسلام في كل مكان. . فهل تستطيع أن تقول إن المسلمين قد حققوا شيئًا ما للإسلام في القرن الماضي. .؟

جـ : إن الذي حدث في القرن الفائت الذي نودعه بأسف هو: أن الإسلام لم يفد منه شيئًا. . اللهم إلا فيما ولاية الناس فيه على نفوسهم. . وذلك قدر نحترمه. . ولكننا نستزيد منه. .

وأحد أن يعرف من يملكون تسيير حركة الحياة على ما يحبون من مبادئ رغبًا أو رهبًا أنهم مسئولون أمام الله، لأنهم يستطيعون أن يسيروا حركة الناس أيضًا على مرادات الله.

ولو أنهم عجزوا عن تسير حركة الناس على مراداتهم لعذرناهم. . ولكنهم قادرون على حسب ما نعرف، وقاهرون على حسب ما نعرف أيضًا.

فليعلموا على أن يكونوا قاهرين على ما علموا عن الله. . وإلا فقد اتهموا أنفسهم بأن غيرتهم على إيمانهم بالله أقل من غيرتهم على مراداتهم.

ولو ودعنا العام الماضي بهذا الأسف. . وشيعناه بهذا الندم إذن لعرفنا أن ذلك سيكون بداية الإفاقة. . لأن الإقرار بالمرض أول معين للطبيب

على وسيلة العـافية. . أما إن كـابروا وظنوا أنهم قد أحسنوا صنعًا فـيما مضى، فلن يـفيدوا من القـرن الجديد شيـئًا، لأن الزمن لا يعطي إلا لمن تحرك فيه على قـدر مراد الحركة منه والله سبحانه وتعـالى يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

* * *

نحو العالمية

س : إذا حاولنا أن نجتاز نطاق العالم الإسلامي إلى النطاق العالمي كله، بما فيه من أجناس مختلفة، وميول متباينة، ودماء مختلطة، فهل نستطيع أن نقول: إن الإسلام يعتبر حلا جذريًا لمشكلاته..؟

جـ : هل نستطيع أن نأمل أن العالم الذي جرب كل هوى من أهواء البشر على تضارب الأهواء فيه، شرقًا شيوعيًا، أو غربًا رأسماليًا، أو تابعين لهؤلاء وهؤلاء، أو مذبذبين بين هؤلاء وهؤلاء، هل نستطيع لمن سوابقه تشهد بهذا أن يستفيق، وأن يعرف أن ذلك ناشيء من صراع تضارب الأهواء، ومحاولة كل هوى أن يسيطر؟

ولا حل لمثل هذا إلا أن نصدر جميعًا عن هوى واحد ليس من بين البشر، لنحقق المعنى الذي قصده الرسول الكريم ﷺ في قوله: «لن يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»[1].

وكلمة «يؤمن» كما تعطي الإيمان بالله، تعطي أن يأمن على حياته، بحيث لا تضطرب، على معنى قوله تعالى: ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾..

وإذا كان العالم كله، ولا أقول العالم الإسلامي فحسب، قد أعجبه ما هو عليه الآن من صراعات الأهواء، وتطاحن المبادئ، وتشنجات السيطرة، فليستمر على ما كان عليه، وليطل أمد التجربة على نفسه، وذلك لن يضر الله شيئًا.

---

(١) أخرجه القرطبي في تفسير (١٦ ١٦٧)، وابن كثير (١ / ١٢٥).

وإذا كان الناس يظنون أن كل ذي قوة يعيش فقط ليحرس عمر نفسه، ثم يترك ما خلف ليشقى الناس به، فيجب أن يعيد النظر في إيمانه إن كان مؤمنًا، وفي إلحاده إن كان ملحدًا، لأن ذلك لن يدوم له، وسيلقى ما لقيه من سبقه.

ويجب أن يتأكدوا جميعًا - وأقصد المستفيدين من انحراف الأرض عن منهج السماء - أن ما يحبونه، وما يحرصون عليه، وما يحرسونه لنفوسهم من جاه، لو دام لغيرهم حتى في الدنيا ما وصل إليهم.

وإذا كان - ولا أقول العالم كله، بل أقصد المسلمين لأنهم أقرب استمالة إلى الله - إذا كانوا قد جربوا مناهج البشر فشقوا فيها هذا الشقاء، فلماذا لا يجعلون منهج الله تجربة أخرى تأخذ حظًا من العمر.. فإن ثبت نجاحها استمروا فيها، وإن لم يثبت - ولا أتوهم ذلك - فهم معذرون في أن يرجعوا ثانيًا إلى لغط أهوائهم، وجنون تبعياتهم، وحينئذ لن يرتفع صوت من جديد ليقول: جربوا دين الله.

* * *

توحيد الهوى البشري

س : إذا كان الدين يحث على العلم، وعلى تنشيط الحركة الفكرية إلى أقصى جهد مستطاع، حتى يثبت الإنسان جدارته بالخلافة على الأرض.. أفلا تكون محاولة العالم توحيد الهوى البشري على نظام واحد يتناسب معها كلها ضربًا من النجاح يستحق التقدير؟ لا سيما وأن هناك من المؤسسات ما أسس بالفعل لهذا الهدف، مثل مجلس الأمن، وهيئة الأمم المتحدة، بعد فشل تجربة عصبة الأمم..؟

جـ : إذا تجاوزنا منطقة الدين فلننقل للعالم كله: هل أعجبكم ما في الحياة الآن؟ على فرض أنها الغاية من الكون؟ وأنا الناس قد غرهم حلم الله عليهم، واستبطأوا آخرة الجزاء منه، هل أعجبهم حالهم اليوم؟

فلينظروا فيه نظرة مجردة عن منهج السماء، ليبحثوا علة هذا، فلن يجدوا إلا تضارب نظم واختلاف أهواء الحاكمين.

والشعوب المؤمنة المسلمة فيما تملك من ولايتها على نفسها مظلومة في كل ذلك.

ولعل الله أراد أن يريح الشعوب من هذا الظلم، فجعل الصراع بين الحاكمين في هذه الأمم، ليستفيقوا جميعًا، وليعلموا أن هوى بشريًا لا يمكن أن يعايش سلميًا هو بشريًا آخر، لأن الأهواء مزاج الملكات النفسية كلها.

فإن أرادوا أن يريحوا حياتهم، فليتفقوا على هوى واحد، وإن كان من

هوى البشر.. وحينئذ سيجدون أنه لن يسعهم أي هوى بشرى من عنت الجهل، وقد أثبتت التجارب أن يوم أن يقنن الجهل يفضحه التطبيق.

ولن يجدوا بعد ذلك منفذا إلا أن يرجع الجميع إلى هوى واحد، هو حضانة الله، وهدى السماء.

ومن العجيب أن أمم الإسلام التزمت أن تستورد نظمًا فشلت في مواقعها، ولم تستفد بالفشل لتحكم على فساد صلاحيتها، ولكنها سارت فيما سار فيه المجربون ابتداء دون انتباه إلى نهاية ما جربوا، وحصيلة ما طبقوا.

هل يدعي أحد أن الشريعة الشيوعية ظلت كما بدأت، أم رجعت في الوقت الذي كانت تبشر فيه بأنها سترتقي؟

ورجعت إلى ماذا؟

رجعت إلى ما كانت تحارب ألا يكون.

والرأسمالية الغربية، هل بقيت على شراستها الأولى، أم أنها رجعت إلى ما كانت تحب ألا تكون؟

إن رجوع الأولى ورجوع الثانية يتطلب منا أن نبحث المرجوع إليه، «إنه محاولة التقاء الأعداء». والتقاء الأعداء من طريقين متناقضين لا يعني إلا وسطا يسفه رأي الأولى ويسفه رأي الثانية.

ولا شيء يفسر ذلك إلا وسط يأخذ خير الأمرين، ويخلص من شرهما، وذلك هو الإسلام.

* * *

التكليف وحمق الاختيار

س : إذا كان الإنسان مختارًا في أفعاله، فلماذا كان مكلفًا بالأمر وبالنهي..؟

جـ : إن الله تعالى هو خالق الإنسان، وخالق الكون الذي يعيش فيه.. وباستقراء الكون كله بما فيه الإنسان، نجد أن الإنسان هو السيد المخدوم من كل أجناس الكون، من أقربها إليه وهو الحيوان، ومن أبعدها منه وهو الجماد.

ومن رحمة الله بذلك أن جعل كل ما يخدمه في هذا الكون لا اختيار له في تلك الخدمة، وأظن أن هذا ضمان أكيد بأن كل خادم في هذا الكون لن يتمرد على خدمته لذلك الإنسان.

ومن العجيب أن الإنسان هو الذي انقسمت عنده قضية الطاعة للخالق.. فمثلا يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾

الطاعة عند الإنسان فقط انقسمت إلى كثير يسجد، وكثير أيضًا يتمرد.. ولذلك لا نجد قبحًا في الوجود إلا فيما للإنسان فيه خيار، لأنه يختار بما طبعه الله عليه من القدرة على الاختيار.. ولكنه لا يلتزم بمنهج من أعطاه هذه الاختيار.. ومن هنا ينشأ القبح في الوجود.

فلو أنه اختار بين البديلات على منهج من أعطاه هذا الحق في الاختيار لرأينا جمال الوجود كله بما فيه دخل للإنسان.

إذن فالتكليفات من الله إنما هي صيانة للإنسان من حمق اختياره، وإفساده للترجيح بجمال طارئ، أو شهوة عاجلة.

إذن فالمنهج الـذي وصفه الله للإنسـان في (افعل ولا تفـعل) إنما جاء ليخرج الإنسان من سطحية الاختيار إلى عمق العلم في كلمة من قال هذا الاختبار.

* * *

قضية الاجتهاد

س : في هذا العصر ثارت قضية الاجتهاد.. ودعا بعضهم إلى فتح بابه.. ودعا البعض الآخر إلى إبقائه مغلقًا.. والبعض الثالث دعا إلى الاجتهاد في مواضيع قد أجمع المسلمون عليها، بغية تغيير أحكامها، استجابة لدواعي العصر، كالمعاملات المصرفية وأشبهاها.. ويقف الشباب في حيرة من أمره في هذا الموضوع الخطير.. فما هو الرأي الحاسم فيه..؟

جـ : ما دام هدف منهج السماء هو المحافظة على جمال الوجود من أن تتصادم الحركة فيه، فلا بد أن يكون في المنهج (افعل ولا تفعل). وما لم يرد فيه (افعل ولا تفعل) فهو داخل في نطاق الإباحة، والداخل في نطاق الإباحة لا ينشأ عنه فساد أيًا كان فعل هذا المباح، لأنه لو نشأ عنه الفساد لما ظل في منطقة الإباحة.. بل لا بد أن ينقل إلى منطقة (افعل ولا تفعل).

ومنطقة افعل ولا تفعل هذه يرد الأمر فيها على لونين:

الأول: نص محكم، لا يحتمل أن يخرج ما في نطاق افعل إلى لا تفعل، ولا تفعل إلى افعل، ولا مجال للاجتهاد فيه أبدًا.. لأنه بحكم النص الصريح فيه يجب أن يلتزم، وإلا فسد الكون.

الثاني: يرد أيضًا في نطاق افعل ولا تفعل.. ولكن النص عليه ليس صريحًا، بل هو نص محتمل لإعمال العقل فيه..

وما دام الأمر كذلك فأي اجتهاد في فهم النص ما دامت شروط الاجتهاد موفورة لا يؤدي إى فساد في الكون أيضًا.

فاستنباط الحكم من المجتهد المستوفي للشروط يحقق شرعية الفعل،

ولكنه يمنع من أن يحكم المجتهد بأنه هو الحق، وما سواه باطل.. بل هو حق يحتمل البطلان.. ومقابله في نظره باطل ولكنه يحتمل الحق.

وقد احترم التشريع كلا من الوجهتين احترامًا يكون حجة لمن تمسك برأي أي مجتهد.

ـ نريد أمثلة يفهم منها الناس هذا البيان المفيد.

ـ نعم.. الرسول ﷺ ضرب لنا في حياته المثل على ذلك.. فبعد انتهاء غزوة الأحزاب أراد المسلمون أن يفرغوا للراحة.. ولكن الرسول ﷺ بما أوحى إليه ألا يرتاح من جهاد الأحزاب.. فقال قولته المشهورة: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلى في بني قريظة»(1) .

وعند ذهاب صحابته إلى بني قريظة وهم في الطريق رأى فريق منهم أن وقت العصر سينتهي قبل أن يصلوا إلى بني قريظة، فنادى بالصلاة.

وقال الفريق الآخر: إن الرسول ﷺ قال: «لا يصلين العصر إلا في بني قريظة». فلا تجوز صلاة العصر إلا هناك..

إذن ففريق رأى أن الأساس هو الزمن.. وفريق مقابل رأى أن الأساس هو المكان.. والزمان والمكان كلاهما ظرف للأحداث.

فلما ذهبوا إلى رسول الله ﷺ، وقصوا عليه الأمر، صوب فعل ... وصوب فعل هؤلاء.. لأن ملحظ الاجتهاد في النص هو أن الفريق الذي صلى قبل أن يخرج الوقت رأى رسول الله ﷺ قال ذلك استعجالا لهم.. أي أن يصلوا إلى بني قريظة قبل أن يفوت وقت

(1) صحيح أخرجه البخارى، كتاب الجمعة، باب صلاة الطالب والمطلوب حديث (٨٩٤)، ومسلم كتاب الجهاد والسير، كتاب المبادرة بالغزو وحديث (٣٣١٧)، والنسائي، كتاب القبلة، باب صلاة الرجل فى الثوي الواحد حديث (٧٦١)، أحمد حديث (١٣٤٦٩).

العصر.. والفريق الآخر نظر إلى الرسول ﷺ رأى أن تكون صلاة العصر في بني قريظة.

وإقرار الرسول ﷺ للاجتهادين يعتبر إذنًا من المشرع بأن النص إذا احتمل الاجتهاد فيه فكل رأي يخرج به مجتهد مستوف لشروط الاجتهاد يعتبر مجزيًا، ولا يخرج من الالتزام.

ومثال آخر: إذا نظرنا إلى القرآن الكريم في تشريع الوضوء في الآية الكريمة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾.

لقد أطلق المشرع الوجوه ولم يحددها، لأن الوجه لا اختلاف على تحديده في اللغة،.. ولكنه حين قال: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ﴾.. لم يطلقها إطلاق الوجه.. وإنما حددها تحديدًا وهو ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ليخرج الكف واليد كلها إلى الكتف.. لأنه أرادها على كيفية خاصة.. واليد تحتمل في اللغة هذه المعاني الثلاثة.

إذن فحين يريد المشرع تحديد الحكم لا يترك فيه مجالا للاجتهاد.. بدليل أنه قال بعد ذلك: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾.. ولو أراد الحكم بمسح الرأس كلها لقال: امسحوا رءوسكم.. ولو كان البعض لقال: امسحوا بعض رءوسكم. ولو كان الربع لقال: امسحوا ربع رءوسكم.. وهكذا.

فالله سبحانه وتعالى لا يعوزه أي أسلوب لتحديد المراد. ولكنه جاء بالباء، وهي في إطلاقاتها اللغوية تأتي للاستعانة، والبعضية. والمسح لا بد أن يكون باليد، وعلى الأقل لا بد أن يكون على قدرها.

إذن فاختلاف العلماء في المرادات أمر مراد من المشرع.. وأي مجتهد يصل إلى واحدة مما تحتمله الباء لم يكن خارجًا عن النص.

على كل ما سبق يجب أن يبني أساس الاجتهاد في العصر الحاضر..

بأن يمنع الاجتهاد فيه نص صريح بدعوى أن حاجة العصر لا تطيق تطبيق حكم النص.. لأننا بذلك نجعل حكم العصر هو المشرع.. والتشريع لم يجئ لموافقة حال العصر، ولكنه جاء ليرتفع بحاجات العصر بحكم المصلحة فوق ما يحققه الراغبون في إنزال النص إلى مستوى حكم العصر.

- ولكن قضية الاجتهاد في عصرنا قضية سامها كل مفلس.. حتى أصبح المسلم بشهادة الميلاد يبدي رأيه في المسائل الاجتهادية وهو يردد: الدين يسر.. تحقيق المصلحة.. لا ضرر ولا ضرار.. من غير أن يعرف مدلولا لهذه الكلمات..
- النص الذي ليس صريحًا في حكم لا مانع من أن نجتهد فيه اجتهادا يحققه.. وهو ما نص عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾..

أما أن يصبح الأمر في الاستنباط مشاعًا لكل من يقدر على الكلام فهذا خروج عن الفتوى حين يطلب أهلها.

فنحن لا نستفتي كل الناس في أمر طبي.. ولا كل الناس في أمر هندسي.. ولا كل الناس في أمر قانوني.. ولكننا نستفتي أهل الذكر الذين حددهم الله تعالى في قوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

- ولكننا كثيراً ما نسمع أن الدين مشاع للجميع، وليس خاصًا بطائفة دون أخرى.
- نقول لهؤلاء: هذا خلط في الفهم.. لأن الدين للجميع كتدين، ولكنه ليس للجميع كعلم الدين فلا تخلطوا بين الأمرين. وإلا فإننا نجد المتخصصين في علم الدين يحالون إلى التقاعد، وقد يخرجون من الحياة، ولا يزال عندهم من الدين مجاهل كثيرة.

وقديمًا كانوا يخصصون أهل العلم.. فهذا يستفتي في القراءات وذاك في الفرائض.. وثالث في الأحكام.. وهكذا فإن علم الدين شيء، والتدين المطلوب من كل مسلم شيء آخر:

فالمتدين يكفيه أن يعلم ما يطلب منه في حياته من عبادات ومعاملات عامة.. فإذا جد له شيء فوق تلك فليأتي أهل الذكر أهل العلم.

- وماذا نفعل في القضايا التي جدت على الحياة، ولم يكن لها نظير في زمن السلف..؟
- القضايا التي جدت في هذا العصر يجب أن نخرجها من حيز الاجتهاد إن كان فيها نص صريح وأن نحترم آراء المختلفين إذا كان النص محتملا.. أو كانت وجهة النظر مؤيدة بالدليل المقبول المعقول.. والأخذ بأي اجتهاد فيها لا يشكل فسادًا.. اللهم إلا أن يتعصب كل مجتهد لرأيه على أنه الحق، وما عداه باطل.. وبذلك يكون قد خرج عن دائرة الاجتهاد في أن ما وصل إليه المجتهد حق يحتمل الباطل، وما وصل إليه غيره باطل يحتمل الحق.

- وهل ترون العصر مناسبًا للاجتهاد الفردي..؟
- لا.. لم يعد العصر مجالا لاجتهاد فردي.. لأن مصالح الدنيا قد اقتربت، والالتقاء بين العلماء جميعًا أصبح ميسورًا وسهلا.. فمن الخير في مسائل العصر أن يلتقي فيها المجتهدون ليخرجوا برأي يعيد الثقة في صلاحية الدين لكل زمان ولكل مكان.. وليقطعوا السبيل على الذين لا يريدون أن يلتزموا بمنهج الله.. فيجدوا في هذه الخلافات ثغرات يتعللون بها على أن علماء الإسلام لم يلتقوا على رأي.. ولم يتوحدوا أمام حكم.

- نريد زيادة بيان عن موقف خصوم الإسلام في هذا العصر من هذه القضية . .

- لخصوم الإسلام شبهات متصيدة لا يريدون فيها تنقية الإسلام من هذه الشبه، ولكنهم يريدون حيثيات تبرر انصرافهم عن الإسلام . .
ونحن نقول لهؤلاء:

فليسعنا في تحكيم الإسلام ما اتفق عليه ولندع ما اختلفنا فيه من الفروع محلا للاجتهاد . ، أو لحكم الاجتهاد.

والأمر الذي تركه الله تعالى محلا للاجتهاد إذن منه تعالى بأن كل ما يذهب إليه مجتهد لن يضر حركة الحياة . . لأنه لو كان ضارًا بحركة الحياة لنص الله على الحكم فيه نصًا صريحًا لا يحتمل الاجتهاد . . أما ما ترك محتملا فذلك دليل على أن الحياة تصلح بأي حكم فيه . .

ولكن المحكومين به لا يجب أن يرتفعوا فيما اختلف فيه اختلافًا مسموحًا به إلى الدرجة التي تجعل أتباع مجتهد يكفرون أتباع مجتهد آخر، أو يتعصبون بمعنى أن الإسلام محصور في هذا الفهم، ولا يتحقق بغيره.

إذن فترك النص غير محكم هو إذن بالاجتهاد فيه . . ولا يتهم مجتهد من أتباع مجتهد آخر . . ولكن يجب كما قلت في أكثر من مناسبة إلا يكون الإسلام ملونًا بألوان المجتهدين . . ليبقى الإسلام حياة قيم بلا لون إلا أنه الإسلام كالماء الذي به قوام الحياة . . فإنه إذا أخذلونا فقد خرج من مائيته وأصبح شرابًا ينسب إلي اللون الغالب فيه. وربما زهده من لا يحب ذلك اللون . . ولكن أروني من زهد في الماء . . ؟

❊ ❊ ❊

أحكام الدين.. وأسرار الوجود

س : أحكام الدين هي دستور الحياة على مراد الله تعالى. . وفي ظلها يعيش العالم في كنف الحب والوئام. . وأسرار الوجود هي وجدان العقيدة. . والحافز الأول لليقين. . فما هو موقف القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ من كل منهما. . ؟

جـ : بين الرسول ﷺ للناس أحكام التكليف في القرآن، وهي «افعل ولا تفعل». . تلك الأحكام التي يثاب المرء إن فعلها، ويعاقب إن تركها. . إنها أسس عبادة الله سبحانه وتعالى التي أنزلها في القرآن كمنهج حياة لمن يريد الحياة الطيبة في الأرض. . ومنهج بلا هوى شخصي، لأن الله سبحانه وتعالى لا هوى له. . فهو غني عن العالمين. .

أما كل ما يتعلق بالكون فقد اكتفى الرسول ﷺ بما علم هو نفسه منها. . واكتفى بأن علم من وجد عنده استشراقًا للفهم، ولكنه لم يشع ذلك ولم يعممه.

- إذن فالذين يقولون: إن الرسول ﷺ لم يترك شيئًا من علوم الإسلام إلا بلغه للناس جميعًا كلام مجانب للصواب. .
- نعم. . إنه لم يترك شيئًا من التكليف إلا بلغه. أما أسرار الوجود فإنه بالمقياس العقلي كانت توجد تقول كثيرة لا تتقبل فهمها.

ولا تستطيع أن تعقله. . بل كان مجرد طرح مثل هذه الموضوعات لا يفيد قضية الدين.

والقرآن لم يأت ليعمم أسرار الوجود، ولكنه جاء بأحكام التكليف

واضحة، وبأسرار الوجود مكتنزة.. وذلك حتى يكشف الله أسرار الوجود لأولئك الذين يجتهدون بعقولهم للوصول إلى أسرار الكون..

حينئذ يكون عطاء القرآن متساويًا مع فهم العقول.. ويمر الزمن، ويزداد التقدم البشري، ويتيح الله لعباده آيات من آياته في الأرض، ويكون عطاء القرآن متساويًا مع قدرة العقول..

وذلك أن القرآن له عطاء متجدد في كل عصر.. وإلا فلو أعطى كل ما عنده وقت النزول لجمد بعد ذلك، ولم يكن له عطاء.. ولكن القرآن معجزة حتى تقوم الساعة.. ومن هنا فإنه يحمل عطاء لكل جيل يختلف عن العطاء الذي أعطاه للجيل الذي قبله.. وهكذا.

ونحن مثلا لا نجد صحابيًا من صحابة رسول الله ﷺ سأل عن شيء غير التكليف.. فلم يسأله أحد عن «ألم» ولا عن «حم» مع أن رسول الله ﷺ كان يستقبل ناسًا كثيرين يؤمنون بكتاب الله.. وأناسًا كثيرين يكفرون بما أنزل الله.. وكان هؤلاء الكفار يريدون أن يقيموا الحجة ضد رسول الله ﷺ وضد القرآن.

***

فهرس